



لأبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي
المعروف بابن الأفليلي
٣٥٢ - ٤٤١ هـ

السفر الأول

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
الدكتور مصطفى عليان

مؤسسة الرسالة

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٣١٩٠٣٩، ٨١٥١١٢ - ص.ب. ٧٤٦٠ برقياً، بيوشران


شرح
شعر المتنبي
السفر الأول
الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، «رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك وإني من المسلمين.».

وبعد، فإن صلتي بشرح أبي القاسم الأفليلي لشعر المتنبي تتجاوز عشر سنوات مضت، حين كنت أجمع مصادر كتابي تيارات النقد الأدبي في الأندلس، فانتسخت صورتين عام ١٩٧٥ من المخطوطات غير المفهرسة التي رجعت بها بعثة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة من المغرب العربي.

وحال عدم اكتمال الكتاب بضياع سفره الثاني دون العزم على تحقيقه وإخراجه، لكنني ما انقطعت عن الدأب في البحث عن هذا السفر المفقود، وطفقت أحقق كل إشارة تحمل احتمال وجوده، فأرسلت في طلب صورة عن النسخة رقم ٩٤٥٧ المحفوظة في برلين، وهي مجهولة المؤلف، فإذا بها لشارح تتلمذ على أبي علي الصقلي، وقد أشار إليه كثيراً، فمن ذلك قوله في ورقة ٦٤ «روى أبو علي الصقلي (ولو كان قلبي خالياً كان دارها. . .) هكذا قرأت عليه، والرواية الأخرى غلط، وهما عندي متقاربتان».

وكذلك يقال عن مخطوطة المكتبة الظاهرية التي ظن الدكتور عزة حسن أنها الجزء الثاني لشرح الأفليلي، فهي لا تمت إلى هذا الشرح بصلة.

أما المقتطفات التي أشار بروكلمان إلى وجودها في الموصل، فلا وجود



لها، وقد كفاني عناء البحث عنها الأخ الكريم الدكتور منجد مصطفى بهجت جزاه الله عني خير الجزاء.

ولم يكن فؤاد سزكين دقيقاً في إشارته إلى مخطوطات هذا الشرح، لكنني دققت في المخطوطة التي أشار إليها برقم ٤٥٦١ في المكتبة الأحمدية - تونس، فإذا بها الواضح في شرح مشكلات المتنبي.

واطلعت على كثير من مخطوطات شرح ديوان المتنبي مما جهل مؤلفه، لعلي أظفر ببغيتي، ووقعت أخيراً على مخطوطة مصورة عن الأصل المحفوظ في مكتبة برلين رقم ٢٦٣، وظننتها للوهلة الأولى تكملة شرح الأفليلي، فهي قريبة الشبه «به» من حيث منهج جمع الأبيات، والفصل بين كل بيت وآخر بلازمة «ثم قال»، غير أن قراءتي الدقيقة لها أكدت أنها ليست لأبي القاسم الأفليلي، وقد تكون للأعلم الشنتمري لقربها من أسلوب شرحه في الحماسة والشعراء الستة الجاهليين. وشواهد نفيها عن الأفليلي كثيرة لدي؛ منها أن صاحب الشرح يروي عن أبي القاسم بقوله (ورقة ٦٥): «حدثني الوزير أبو القاسم يرفعه إلى أبي بكر الطائي...» وفي (ورقة ٧٢) قال: «قال أبو القاسم أتينا بهذه القطعة هنا لتلحق بسائر ما قاله قديماً في عبيد الله» وأنه ينعطف إلى شرح ابن جني كثيراً، ويعدد احتمالات المعنى ويرجح بينها، وينقد معاني أبي الطيب، ويشرحها بأسلوب مرسل بعيد عن أسلوب الأفليلي المتأنق في عبارته بالسجع والمزاوجة بين الجمل.

ورشح العزم عندي في تحقيق هذا السفر الأول من شرح ابن الأفليلي مقتضيات عدّة؛ فظهوره باعث حثيث على خروج تكملته مقابلة ومقارنة من ظلمات المكتبات والأقبية التي غابت فيها كثير من المخطوطات تحت عنوان مجهول المؤلف، أو خطأ النسبة. وإذا كانت بقيته مفقودة[1]، لا أثر لها، فإن

(١) بعد أن تم طبع هذا الكتاب غمرني الاستاذ محمد العربي الخطابي بفضله إذ أهدى إليّ السفر الثاني من هذا الشرح. جزاه الله عن العلم وأهله وطلبته خير الجزاء.



أثراً أندلسياً عزيزاً في زمنه، دالاً على فضل صاحبه في مشاركة الأندلس في الاحتفال بالمتنبي شاعر العربية، يحتل مكانه في تراث مكتبة الحضارة العربية الإسلامية.

ويتناول هذا السفر بالشرح والتحليل أغلب سيفيات المتنبي التي تحمل نضجه الفكري والفني، ونال الأفليلي به ثناء وتقريظاً جرى بين الحُسْن والجَوْدة والنفاسة.

ويقع هذا الكتاب في قسمين؛ الأول: الدراسة، والثاني: التحقيق أما القسم الأول: الدراسة، فتقوم على أربعة فصول:

الفصل الأول: درست فيه حياة أبي القاسم الأفليلي دراسة أظنها موفية بإضاءة جوانب كثيرة من حياته التي غابت عن كثير من كتب التراجم والمصادر الأدبية، ونقل فيها اللاحق عن السابق فقرات مختصرة معدودة، لا تتكامل في إظهار شخصيته. فعرضت لسيرته؛ اسمه ونسبه، شيوخه ومصادر ثقافته، وتناولت عصره في مرحلتين: الدولة العامرية، والفتنة القرطبية؛ لوضوح صلاته بهاتين المرحلتين أكثر من غيرهما، ثم تلمّست آثاره العلمية والأدبية.

والفصل الثاني: خصصته لعرض شرح شعر المتنبي، من حيث عنوانه وزمن تأليفه.

وفي الفصل الثالث: تعمقت منهج أبي القاسم الأفليلي في شرح شعر المتنبي من خلال: مقدمات القصائد التاريخيّة، اللغة الشعرية، التكوين اللغوي، مصادر أبي القاسم اللغوية، المعاني وقضاياها في المشكل والمبالغة والسرقات

وفي الفصل الرابع: حاولت أن أمنح هذا الشرح قيمة وأهمية، أما القيمة فمن خلال عرض سريع لمن أخذ عنه صراحة بإشارة إليه، أو تأثراً به مثل ابن القطاع وأبي علي الصقلي وصاحب التبيان.

وأما الأهمية فاستأنستها بروايته لشعر المتنبي، إذ أنه يعد مصدراً من



مصادرها في الأندلس، وبأسلوبه المتميز بين الشراح، الذي خلع على النثر التأليفي بعداً فنياً، وطابعاً أدبياً جمالياً.

القسم الثاني: التحقيق.

ومهدت له بوصف النسخ المعتمدة في تحقيق (النص المختار) الذي ارتضيت؛ لتباين النسخ، سقطاً، وتماماً، وزيادة، ونقصاناً. وأتبعت ذلك بتحديد منهج التحقيق، وخلاصة عملي في إخراج هذا المخطوط.

فمن وجد في هذا العمل خيراً ونفعاً، فليخلص لي الدعاء إلى الله أن يتقبله مني، ومن لمس تقصيراً وخللاً، فعليه حقُّ الدِّين بالنصيحة والتصويب.

على أنني ما ضننت على هذا العمل في سنواته المتعددة بجهد أو وقت، فقد بذلت فيه وسع الطاقة، رجاء عفو الله وغفرانه، إنه هو البر الرحيم.

الدكتور مصطفى عليان

مكة المكرمة في ١٤ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ
الموافق ٢٤ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٨



دراسة وتحقيق
الدكتور مصطفى عليان

القسم الأول

الفصل الأول
سيرة أبي القاسم الأفليلي

اسمه ونسبه
أسرته
ثقافته وشيوخه
عصره السياسي
تلامذته
الحياة الأدبية في قرطبة
آثاره

أبو القاسم الأفليلي

سيرته وثقافته

اسمه ونسبه

هو إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرّج بن يحيى بن زياد بن عبدالله ابن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزُّهري[١]. والزهري نسبة إلى زهرة ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي.

ويكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الأفليلي، والأفليلي نسبة إلى أفليلاء أو أفليل، قال الطبني (أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله، وهو ممن روى عن الأفليلي: «أخبرني (أي أبو القاسم الأفليلي) أن أفليلاء قرية من قرى الشام كان هذا النسب إليها»[٢].وبالتحديد هي مدينة برأس عين من أرض الجزيرة ما بين دجلة والموصل[٣]. قال ابن خلكان: «والإفليلي بكسر الهمزة، وسكون الفاء، وكسر اللام، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفليل. وهي قرية بالشام كان أصله منها»[٤].

---

(١) الصلة لابن بشكوال ق ١ ص ٩٣ ترجمة رقم ٢٠٦ وانظر وفيات الأعيان ج ١/٣٣ وإنباه الرواة ج ١/١٨٣، وفي شذرات الذهب ابراهيم بن زكريا الزهري الوقاصي، وفي الروض المعطار عدّه من ولد عبد الرحمن بن عوف ص ٥٠.

(٢) الصلة ق ١/٩٣

(٣) الروض المعطار في خبر الاقطار للحميري ص ٥٠.

(٤) وفيات الأعيان ج ١/٣٤.



وقال ياقوت الحموي: «أفليلاء: بفتح الهمزة؛ قال ابن بشكوال: قرية من قرى الشام، ينسب إليها أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا... الوزير الأديب الفاضل الأندلسي»[1]. وقال العماد الحنبلي: «وإفليل: قرية بالشام»[2].

ولعل رأي ياقوت الحموي في ضبط الكلمة (أفليلاء) هو الراجح؛ لأنه ينقل عن الصلة، أقرب المصادر الأندلسية إلى أبي القاسم الأفليلي، فضلاً عن أن ابن بشكوال يسند روايته إلى أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني أحد تلامذة أبي القاسم الأفليلي.

أما اختلاف المد والقصر في (أفليلاء وأفليلا) بين ياقوت وابن بشكوال فربما كان مرده إلى النساخ أو تخفيف النطق.

أسرته:

ويبدو أن الأسرة التي انحدر منها أبو القاسم الأفليلي حين قدمت إلى الأندلس من الشام انتهى بها المطاف في قرطبة، حتى غدا أبناؤها من أهلها، فوالد أبي القاسم محمد بن زكريا من أهل قرطبة، وكذلك تصف المصادر أبا القاسم الأفليلي بأنه من أهلها أيضاً. ويغلب على الظن لذلك أن أبا القاسم الأفليلي ولد في قرطبة، كان ذلك في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة[3].

وإذا كانت المصادر لا تسعف الباحث في إضاءة الجوانب الاجتماعية لأسرة أبي القاسم الأفليلي فإن ترجمة مختصرة لوالده أوردها ابن بشكوال تعين في تصور البعد الفكري والثقافي لأبي القاسم. يقول ابن بشكوال: «محمد بن زكريا الأفليلي من أهل قرطبة، يكنى أبا عبدالله، سمع من قاسم بن أَصْبَغ،

(١) معجم البلدان ١/٣٣٢.

(٢) شذرات الذهب ٣/٢٦٦.

(٣) الصلة ١/٩٣ وبغية الوعاة ١/٤٢٦.



وقاسم بن سعدان، وأبي عيسى الليثي، وأبي بكر بن الأحمر، وغيرهم، سمع ابنه أبو القاسم وأبو محمد بن عبد البر»[1].

وتفيد هذه الترجمة أن لأبي القاسم أخاً أكبر منه سناً يسمى عبدالله، لكنه فيما يبدو لم يكن له في العلم شأن يذكر به في المصادر وكتب التراجم، غير أن ابن حيان ذكر مقدمه إلى أمانة دار الطراز زمن الحكم المستنصر سنة ٣٦١ هـ، ولعله كان كاتباً فيها[2].

أما محمد بن زكريا والد أبي القاسم فقد أخذ الحديث عن أئمة أهل الحديث وأكابرهم في الأندلس، فأبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح القرطبي «إمام من أئمة العلم، حافظ مكثر مصنف، قال ابن حزم عنه: كان رحمه الله من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره، وانتشر ذكره، روى عنه جماعة من أكابر أهل بلده»[3] سمع من أخيه وبقي بن مخلد، ومحمد الخشني وابن مسرة القرطبي، والقاضي اسماعيل، ومحمد بن اسماعيل الترمذي، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، وابن قتيبة، وله مصنفات حسنة، منها المخرج على سنن أبي داود، واختصاره المسمى المجتبى، ومنها مسند حديثه، وغريب حديث مالك، ومسند حديث مالك، وكتاب أحكام القران»[4].

وأبو عيسى الليثي يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثي العالم الجليل القدر، النبيه البيت، العالي الدرجة في الحديث، روى عن أبي الحسن النحاس وسمع الموطأ من أبيه[5].

---

(١) الصلة ٤٩٢/٢ ترجمة رقم ١٠٦٤.

(٢) المقتبس تحقيق عبد الرحمن الحجي ص ٩١ ـ ٩٢، وانظر البيان المغرب ٢٦٩/٢.

(٣) جذوة المقتبس ص ـ٣٣٠ ـ ٣٣١ ترجمة رقم ٧٦٩.

(٤) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ٨٨ ـ ٨٩.

(٥) المصدر نفسه ص ـ٩٩.



وأفاد محمد بن زكريا من هذه التلمذة فحدث ببعض كتب الحديث والتفسير، مثل كتاب شرح غريب الحديث لابن قتيبة[1]، وإصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث لأبي عبيد تأليف أبي محمد بن قتيبة[2]، وكتاب مجاز القران لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي[3]. وهذه الكتب حدث بها جميعاً محمد بن زكريا عن محمد بن قاسم بن اصبغ.

وعلى الرغم من أن ابن خير الأشبيلي عدّه فقيهاً[4]، فإن أبا عبدالله محمد بن زكريا ظل محدثاً في نطاق ضيق من التعليم، وإطار محدود من الشهرة، إذ لم يحدث عنه عدا أبي القاسم ابنه وأبي عمر بن عبد البر[5]، ولعله لذلك أغفل ذكره ابن الفرضي (ت ٤٠٣) في تأريخه لعلماء الأندلس، فلم يترجم له، مع أنه معاصر له.

وأياً كان الأمر في قيمة هذه المكانة ونوعيتها فإن محمد بن زكريا كفل لابنه أبي القاسم تعلماً مبدئياً في تنشئته صبياً، إذ جرت العادة أن يأخذ الأبناء عن آبائهم، إذا كانوا على جانب من العلم والثقافة، المواد الأساسية المعينة على تنمية الحفظ والذاكرة، من حفظ القران وبعض المتون فضلاً عن مهارة إتقان الخط، قبل أن يدفع بهم إلى حلقات المساجد لدراسة العلوم العقلية[6]، وربما أغناه هذا الأخذ المبكر عن المدارس التي عرفت في الأندلس زمن الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) من أجل تعليم التلاميذ الفقراء[7].

---

(١) فهرسة ابن خير الأشبيلي ص ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٤) فهرسة ابن خير ص ١٨٨.

(٥) الصلة ٢/٤٩٢.

(٦) التربية الإسلامية في الأندلس ـ خوليان ريبيرا ص ٥٥ ـ ٥٦.

(٧) البيان المغرب ٢/٢٤٠.

زد على ذلك أن محمد بن زكريا تعهد ابنه أبا القاسم قبل سن اليفاع بالحديث النبوي الشريف، ورواه كتاب الأمثال لأبي عبيد(١).

ثقافته وشيوخه

وعلى ذلك فليس بعيداً عن الصواب إذا قلنا إن أبا القاسم الأفليلي كان توجهه إلى علوم الرواية الشرعية مبكراً، إذ لم يجاوز منتصف العقد الثاني من عمره حتى سمع موطأ مالك من شيخه أبي عيسى الليثي (ت ٣٦٧ هـ) الذي كان عالي الدرجة في الحديث وكانت الرحلة إليه للسماع فرواه عنه(٢).

ولما بلغ أبو القاسم الأفليلي السابعة عشرة من عمره قدم من سفره في رجب سنة (٣٦٩ هـ) أبو زكريا يحيى بن عائذ بن كيسان، بعد رحلة طويلة تردد بالمشرق فيها نحواً من اثنين وعشرين سنة، فتنوع سماعه في مصر وفي بغداد، وسمع في بغداد من سبعمائة رجل ونيف، وجمع علماً لم يجمعه أحد من قبله من أصحاب الرِّحَل إلى المشرق، وكتب عن طبقات المحدثين وكتب الناس عنه كثيراً في المشرق(٣).

وسعى أبو القاسم الأفليلي إلى المسجد الجامع بقرطبة مع ضروب من الناس وطبقات من طلاب العلم وأبناء الملوك، للانتفاع بمجلس أبي زكريا عائذ ابن يحيى بن كيسان الذي كان يملي فيه على المجتمعين في كل يوم جمعة، بل استأثر أبو القاسم الأفليلي بعناية هذا العالم فروى عنه، وعُدَّ أبو زكريا يحيى بن عائذ من شيوخه(٤)، واختصه بكتاب الكامل سماعاً عليه، قال ابن الأفليلي:

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٣٩.
(٢) الصلة ١/٩٠٣ وشجرة النور الزكية ص ٩٩.
(٣) تاريخ علماء الأندلس ١٩٣.
(٤) الصلة ١/٩٣.



«وحدثني به أيضاً أبو زكريا يحيى بن ملك بن عائد، سماعاً عليه، بقراءة عيسى بن أحمد بن محمد بن أبي عبدة سنة ٣٧٥ هـ»[١].

وروى أبو القاسم الأفليلي عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن قاسم القلعي[٢]، وهو محدث أندلسي فاضل، زاهد عالم، مذكور الشجاعة، كان قد رحل إلى المشرق، فوصل إلى العراق، وسمع بالبصرة من أبي اسحق إبراهيم بن سعيد البصري المالكي صاحب القاضي ابن بُكير، مؤلف أحكام القران، وعند عودته حدث بالأندلس[٣].

وفي مجال علوم اللغة والأدب اتصل أبو القاسم الأفليلي بعلماء المشرق ورواته الثقات، عن طريق تلمذته لعلماء عصره المعدودين ممن اتصلت روايتهم عن طريق أبي علي القالي بسيبويه والمبرد وابن السكيت وابن قتيبة والأخفش ونفطوية وابن درستويه وثعلب وأبي إسحاق الزجاج وابن الأعرابي وأبي زياد الكلابي.

وكان أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦) قد دخل الأندلس عام ٣٣٠ هـ، بعد أن سمع الحديث في بغداد من أبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيزالبغوي، وأبي سعيد الحسن بن علي بن زكريا بن يحيى بن صالح بن عاصم بن زفر العدوي، ومن أبي يعلى الموصلي، إلا أنه مال إلى اللغة والأدب، فأخذ عن أبي بكر السجستاني وابن دريد وابن السراج وأبي إسحاق الزجاج وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش ونفطوية وابن الأنباري وابن قتيبة وابن درستويه، وغدا أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين[٤].

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٢٢.

(٢) الصلة ١/٩٣.

(٣) جذوة المقتبس ٢٥٤ ترجمة ٥٣٦.

(٤) جذوة المقتبس ص ١٦٣ ترجمة ٣٠٣ ونفح الطيب ٣/٧٣ - ٧٤.



وروى عن القالي من شيوخ أبي القاسم الأفليلي؛ أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي، وأبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد، وأبو عبدالله محمد بن عاصم العاصمي، وأبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب، وكان كل منهم إماماً عالماً مقدماً في عصره، وقد صحت اللغة في الأندلس بعد القالي عن طريق ثلاثة: سعيد بن عثمان بن أبي سعيد... المعروف بابن القزاز[1]، وعن طريق ابن أبي الحباب، وأبي بكر الزبيدي.

فأبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) أخذ العربية عن أبي علي القالي، وأبي عبدالله الرباحي، وأكثر الأخذ عن أبي علي ولازمه[2]. وروى أبو القاسم الأفليلي عنه كتاب النوادر[3] لأبي علي القالي، وكتاب الميسر لابن قتيبة[4]، ونوادر أبي زياد الكلابي[5]، وشعر أعشى بكر[6]، وكتاب أبنية سيبويه[7]، ولحن العامة[8]، ونوادر ابن الأعرابي[9].

وأبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد اللغوي الأندلسي (ت ٣٨٢) أخذ عن القالي وروى عنه كتاب النوادر[10]، وكان عالماً إماماً في اللغة والعربية، حاذقاً أديباً، حافظاً للأخبار والأنساب والشواهد والتواريخ، ولي أحكام الشرطة، وألف كتاباً سماه كتاب العالم في اللغة، وهو في مائة مجلد، أثنى عليه ابن حزم وفاخر به[11].

---

(١) أنظر ترجمته في الصلة ٢٠٨/١ رقم ٤٦٨.
(٢) شجرة النور الزكية ص ١٠٠.
(٣) فهرسة ابن خير ٣٢٤.
(٤) فهرسة ابن خير ٣٧٨.
(٥) فهرسة ابن خير ٣٨٠.
(٦) فهرسة ابن خير ٣٩٢.
(٧) فهرسة ابن خير ٣٤٥.
(٨) فهرسة ابن خير ٣٤٦.
(٩) فهرسة ابن خير ٣٧٢.
(١٠) الصلة ٨/١ ترجمة رقم ٦.
(١١) انظر جذوة المقتبس ص ١١٨ والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ١٣.

روى عنه أبو القاسم الأفليلي وحدث عنه بكتب عدّة كان قد رواها أحمد بن أبان عن شيخه أبي علي القالي، من ذلك كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام[1]، وكتاب الألفاظ لابن السِّكّيت[2] وديوان الأشعار المفضليات[3]، وشعر أبي تمام[4]. أما كتاب الكامل فقد حدث به أحمد بن أبان عن أبي عثمان بن سعيد بن جابر الأشبيلي عن أبي الحسن الأخفش عن المبرد، فأخذه الأفليلي عنه متصلاً بهذا السند المتقدم[5].

وأبو عبدالله محمد بن عاصم العاصمي (ت ٣٨٢) من شيوخ الأفليلي، قال عنه الحميدي: «نحوي مشهور، إمام في العربية، ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه، وقال: كان لا يقصر عن أكابر أصحاب محمد بن يـزيد المبرد، روى عن أبي علي القالي البغدادي وعن أبي عبدالله محمد بن يحيى الرباحي، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية[6]، وقـد حدث عنـه أبو القاسم إجازة بكتاب سيبويه[7].

وكان ابن أبي الحباب، أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج بن أبي الحباب النحوي (المتوفى سنة ٤٠٠ هـ) ممن روى عنه أبو القاسم الأفليلي كتباً معدودة مشهورة، مثل كتاب فـائت الفصيح لأبي عمـر المطرز، حـدث به الأفليلي عن ابن ابي الحباب عن ابي علي البغدادي عن المطرز[8]، وكتاب فعلت وأفعلت لأبي إسحاق الزجاج حدث به أبو القاسم الأفليلي عن ابن أبي الحباب عن أبي علي البغدادي عن أبي إسحاق الزجاج مؤلفـه[9]. وكتاب

---

(١) فهرسة ابن خير ٣٢٧.
(٢) فهرسة ابن خير ٣٣٠.
(٣) فهرسة ابن خير ٣٩٠.
(٤) فهرسة ابن خير ٤٠٢.
(٥) فهرسة ابن خير ٣١٩ ـ ٣٢٠.
(٦) أنظر جذوة المقتبس ص ٧٩ ـ ٨٠ ترجمة رقم ١٢٢ والصلة ٤٧٨/٢ ترجمة رقم ١٠٣٤ وبغية الوعاة ١٢٣/١.
(٧) فهرسة ابن خير ٣٠٥.
(٨) فهرسة ابن خير ٣٣٨.
(٩) فهرسة ابن خير ٣٥٢.



خلق الإنسان لأبي محمد بن ثابت بن أبي ثابت حدث به الأفليلي عن ابن أبي الحباب عن أبي علي البغدادي [1]. وكتاب اختيار فصيح الكلام لثعلب حدث به أبو القاسم الأفليلي عن أبي عمر بن أبي الحباب عن أبي علي القالي البغدادي عن شيوخه أبي عمر المطرز ونفطويه وأبي بكر بن الأنباري[2]. وكذلك كتاب أدب الكتاب فقد رواه الأفليلي عن أبي عمر بن أبي الحباب عن أبي علي القالي عن القاضي أبي جعفر أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة عن أبيه[3].

هذا وكان أبو عمر بن أبي الحباب قد روى عن أبي علي القالي ولازمه وكانت له منه خاصة، وكان أبو عمر من جلة شيوخ الأدب، عالماً باللغة، حافظاً صحيح الرواية، جيد الضبط، شديد الحفظ للغة، بصيراً بالعربية، حسن الإيراد لما يحمله[4].

أما ابن العريف أبو القاسم حسين بن الوليد النحوي الذي توفي بطليطلة سنة ٣٩٠ هـ فكان ممن روى عنه أبو القاسم الأفليلي كتاباً له، فيه معاني الحروف وأقسامها[5]، فضلاً عن شعر أبي الطيب المتنبي، قال الأفليلي: «قرأته على أبي القاسم الحسين بن الوليد، ويعرف بابن العريف، عن أبي بكر الطائي وابراهيم المغربي، كلاهما عن أبي الطيب المتنبي»[6].

وابن العريف النحوي الذي رحل إلى المشرق وسمع فيها، مقدم في الشعر، وأستاذ في الآداب كان في أيام المنصور بن أبي عامر، يحضر مجالسه، وله مع صاعد اللغوي اجتماعات ونوادر مشهورة[7].

---

(١) فهرسة ابن خير ٣٦٤.
(٢) فهرسة ابن خير ص ٣٩٩.
(٣) فهرسة ابن خير ٣٣٤.
(٤) الصلة ١٩/١ ـ ٢٠ ترجمة رقم ٣٥.
(٥) فهرسة ابن خير ٣٢٠.
(٦) فهرسة ابن خير ٤٠٣.
(٧) أنظر الجذوة ١٩٤ ترجمة ٣٧٧ وبغية الوعاة ٥٤٢/١ ـ ٥٤٣.

وأغنى هؤلاء العلماء بما حملوا من علم أو رووا من ثقافة أبا القاسم الأفليلي عن الرحلة إلى المشرق، التي كانت أهميتها ترتبط بتعميق دراسات الباحثين عن العلم أو تصحيح معارفهم وإثرائها، لأن المشرق في نظر الأندلسيين مهد الثقافة ، فمن أراد أن يرتوي من ينابيعها عليه أن يردها في مصادرها الأولى[1].

على أنه لا يضير أبا القاسم الأفليلي في علمه، ولا ينتقص من مكانته وفضله ألا تكون له رحلة إلى ينابيع الثقافة وأصول العلم، وقد اتصل بسواقيها المتدفقة علماً وحفظاً وضبطاً، ورواية ودراية، وشأن أبي القاسم في هذا شأن كثير من حفاظ الأندلس وفقهائها وعلمائها ممن شهر علمهم وفضلهم بالأندلس، كأبي عمر يوسف بن عبد البر الذي لم يخرج عنها، لكنه سمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة ومن القادمين الغرباء[2]. كذلك يقال عن ابن حيان المؤرخ (حيان بن خلف بن حيان ت ٤٦٩).

والمتبصر لما روى أبو القاسم الأفليلي عن أشياخه الستة يدرك تنوع مصادره الفكرية التي مدارها على علوم الشريعة أصولاً وفروعاً، غير أن لعلوم العربية غلبة واضحة عليه في فترة الطلب، وهي ليست مؤشراً على وضوح الميل الأدبي واللغوي فحسب، بل فيها نصيب كبير من دلالة على استعداد مباين للسلطة وبعيد عن التسلط. ذلك أن إقبال الطلاب وتزاحمهم تركز في دراسة الفقه دون غيره من علوم الشريعة لما يحقق لهم من فرص وظيفيّة في الدولة دينيّة كانت أو مدنية، بل إن سلطان الفقهاء ودورهم كان مميزاً وخطيراً في التأثير في أوامر الدولة وأمورها، وقد انتهى بهم الأمر أن أضحوا سلطة حقيقية خطيرة داخل الدولة في الأندلس[3].

(١) التربية الإسلامية في الأندلس ١٠٨، ١٣٨.

(٢) بغية الملتمس ٤٨٩ ترجمة رقم ١٤٤٣ والجذوة ترجمة ٨٧٤.

(٣) التربية الإسلامية في الأندلس ص ٣٠.



وليس معنى ما سبق أن علوم اللغة لم تكن لتحقق لصاحبها فرصة في رفعة الشأن وعلو المنزلة في الدولة الأندلسية. لأن كثيراً من اللغويين والأدباء نالوا من ذلك ما تجاوز بهم تحرير الدواوين وصنعة الكتابة إلى الوزارة، إلا أن جلال هؤلاء العلماء لا يقايس بسلطان أولئك الفقهاء.

ولا يعرف على وجه التحديد إن كان أبو القاسم الأفليلي يختلف إلى أشياخه السابقين في مجالسهم العامة في المساجد، أو أنهم كانوا يختصونه بدروسهم في منزله أو منازلهم، فلا يملك الباحث دليلاً على هذا أو ذاك، إلا أن يكون في عدد مروياته عن بعض أشياخه كالزبيدي وأحمد بن أبي الحباب إشارة إلى طول المصاحبة والتلمذة التي لا تقوم بها حلقات الشيخ العامة، إذ أن استئثار الطالب بأستاذه، وإيثار الأستاذ طالبه مما تضطلع به الدروس الخاصة، والقراءة المتأنية.

ولا يخلو عدد الأشياخ وعدد المرويات أيضاً من بعض الشواهد على يسار والده أو ثروة أسرته وذلك من ناحيتين: أولهما: ما دفع لهؤلاء الأساتذة لقاء تعليمهم له على سبيل العطايا والهبات، أو على سبيل الأجر[1]، مع الاحتراس أن بعض من كان يتصدى للتعليم في الأندلس كان يدرس تقوى أو حباً في التعليم.

وثانيهما: اختيار الأساتذة الأكفياء لتدريسه ممن ذاعت شهرته، ونبه ذكره بالعلم في قرطبة، فأدب الأمراء وأبناءهم إلى جانب تأديبه صبيته، ونخص من أساتذة أبي القاسم الأفليلي وأشياخه ثلاثة هم: أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي الذي أدب ولد الحكم المستنصر[2]، وابن العريف النحوي أبو القاسم الحسين بن الوليد الذي أدب أولاد المنصور محمد بن أبي عامر[3]،

(١) انظر تفصيل ذلك في التربية الإسلامية في الأندلس ١١٩ ـ ١٢٧.
(٢) بغية الوعاة ١/٨٤ وبغية الملتمس ترجمة ٨٠.
(٣) بغية الوعاة ١/٥٤٢.



وأبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرح المعروف بابن أبي الحباب الذي عهد إليه المنصور محمد بن أبي عامر بتأديب ابنه عبد الملك المظفر[1].

(١) الصلة ١/٢٠ ترجمة رقم ٣٥.

أبو القاسم الأفليلي والدولة العامرية ٣٦٦ ـ ٣٩٤ هـ

امتد طلق العمر بأبي القاسم الأفليلي حتى ناهز التسعين، إذ توفي رحمه الله «في آخر الساعة الحادية عشرة وأول الساعة الثانية عشرة من يوم السبت، الثالث عشر من ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، ودفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر»[١].

وشهد أبو القاسم الأفليلي بهذا العمر المديد (٣٥٢ ـ ٤٤١ هـ) دولة الإسلام في الأندلس تتقلّب بها الأحوال والأهواء من حال إلى حال، فمن الخلافة الأموية إلى الدولة العامرية، فسقوط الخلافة، ثم الفتنة المبيرة، ثم تمزق الأندلس إلى دويلات الطوائف.

كان أبو القاسم الأفليلي في عامه الرابع عشر حين ودعت الأندلس الحكم المستنصر عام ستة وستين وثلاثمائة لاحقاً بربه، بعد أن أرسى قواعد نهضة فكرية، ودعائم وثبة ثقافية إذ «جمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك، وذلك بإرساله عنها إلى الأقطار، واشترائه لها بأغلى الأثمان، ونفق ذلك عليه، فحمل إليه»[٢]

ولم يغفل الحكم المستنصر عن استنهاض الحركة الفكرية والأدبية الموازية للتأثير المشرقي الدافق في هذه النهضة، فوجه الأندلسيين إلى تحقيق ذواتهم

---

(١) الصلة ٩٣/١، وأنباه الرواة ١٨٤/١ بغية الوعاة ٤٢٦/١، ولم يشذ عن هذا التاريخ إلا الفيروزأبادي في البلغة إذ جعل وفاته ٤٥١ هـ (انظر ص ٩).

(٢) جذوة المقتبس ص ١٣ وانظر الحلة السيراء ٢٠١/١.



نزوعاً إلى الأندلسية في التفرد والاستقلال، فانعطفوا إلى تراثهم تدويناً ودراسة في مختلف مجالات المعرفة(١).

وعى أبو القاسم الأفليلي هذين الاتجاهين؛ جمع التراث المشرقي، وتدوين النتاج الأندلسي في ظل خلافة إسلامية حقيقية، الخليفة فيها له الأمر، وبيده زمام الحكم والملك، ثم ما فتىء الحال السياسي أن تبدل، حين استأثر بالحكم محمد بن أبي عامر الذي عمل حاجباً للخليفة هشام بن الحكم، الذي ولي وله من العمر عشر سنوات وعدة أشهر، وما زال محمد بن أبي عامر متغلباً عليه، مستبداً بالأمور كلها إلى أن مات عام ٣٩٢ هـ.

حقاً لقد نعم الناس برخاء في ظل قوة حربية عمل المنصور على ديمومتها استمراراً لهيبة دولة الإسلام في الأندلس، إذ كان محباً للجهاد، يغزو في كل عام مرتين، وقد بلغت غزواته نيفاً وخمسين غزوة، ظل النصر فيها حليفاً له(٢).

إلا أن الجو السياسي لم يكن نظيفاً أو طبيعياً في متنفسه؛ لأن المنصور ابن أبي عامر عمل على تحقيق ذاته ومطامعها بمساعدة غيره تارة، وبذكائه ومواهبه تارة أخرى، وكان تعلقه بذاته النزاعة إلى التفرد والتسلط طاغياً، فحمله ذلك إلى التخلص من أقرانه وأصدقائه، بدءاً بالحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، وانتهاءً بالقائد غالب مولى الناصر، فضلاً عمن كان يحاول السعي لطلب الأمر كما هو الشأن في عبد الرحمن المستكفي الذي قتله لذلك. فكان المنصور كما يقول الحميدي «من الجبابرة الذين أطغتهم النعمة، ونزعت من قلوبهم الرحمة»(٣).

ولم يكن تخلص ابن أبي عامر مقصوراً على منازعيه في السلطان

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الأدب الأندلسي د/ أحمد هيكل ص ١٨٤ ـ ١٩٤ وعصر سيادة قرطبة ٦٢ ـ ٨١

(٢) جذوة المقتبس ص ٧٩ ترجمة ١٢١.

(٣) جذوة المقتبس ص ٢٦، ٢٩ وانظر الذخيرة ق ١ م ١ ص ٥٦.



والسيادة، بل إن أدنى هفوة يقع فيها وزير أو كاتب أو متصل بخدمة السلطان كانت كفيلة بأن تودي به إلى التهلكة أو السجن.

وكما كان المنصور بن أبي عامر في غاية من الدهاء السياسي، فلم يعوزه الذكاء الإداري المقارن في استمرارية الحركة العلمية في الأندلس نحو الذروة التي بلغتها زمن الحكم المستنصر، إلا أنه أطلقها في علوم الشريعة دون علوم الأوائل من الفلسفة وما جرى في مدارها من المنطق والفلك وما أشبه.

ففي الوقت الذي أراد المنصور أن يعفي على آثار أبي علي القالي الوافد على بني أمية بصاعد بن الحسن الربعي اللغوي، لبعث حركة لغوية رديفة لسابقتها، فقد «أحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية والفلاسفة بمحضر من كبار العلماء منهم الأصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم، واستولى على حرق جميعها بيده»[1].

وسواءٌ أكان توجه المنصور بن أبي عامر في هذا الإحراق صدقاً واعتقاداً، أم تزلفاً للفقهاء وإرضاءً للعامة من الناس لتغطية استئثاره بالسلطة دون الخليفة الحقيقي، فقد أوقع بكثير من الناس، فقتل وصلب وزج بالسجن خلقاً من أهل العلم، وطلب النجاة بعضهم بالهجرة إلى المشرق[2].

ولم يكن أبو القاسم الأفليلي بمعزل عن توجه المنصور العلمي أو بمأمن من دهائه السياسي، فقد كان له موقف من صاعد اللغوي، وكان للمنصور موقف من توجهه الفكري.

كان أبو القاسم الأفليلي قد جاوز الثلاثين من عمره بثلاث سنوات، حين بدأ أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي بتأليف كتابه الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار، أو بإسماعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة عقب

(١) البيان المغرب ٢/٢٩٢.

(٢) انظر الحلة السيراء ١/٢٧٣ والبيان المغرب ٢/٢٩٣.



سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، واحتشد له من جماعة أهل الأدب ووجوه الناس أمة[1].

وغير بعيد عن القبول أن يكون أبو القاسم الأفليلي واحداً ممن احتشدوا لسماع صاعد، فلكل جديد بهجة، ولكل طارىء دهشة، فيما يقال، بل إن ما يحمله الأفليلي من علم يحفزه على المقارنة، اختباراً لما عنده بما عند غيره، للمفارقة أو الموافقة، وقد كان الأفليلي في هذه المرحلة إن لم يكتمل علمه رواية، فقد أكسبه الاختلاف إلى شيوخه الأجلاء دراية تجعله قادراً على التمييز والتوثيق والضبط.

وإذا كان إقبال أبي القاسم على مجالس صاعد مقبولاً، فأغلب الظن أن انتفاعه بما دار فيها من عرض للنادر والغريب من اللغة والشعر كان قليلاً، بل ربما عارضه أبو القاسم الأفليلي أو ناقضه، حرصاً على سلامة العلم وقوامته، وإدلالاً بقدرته على الفهم وسعة المحصول؛ خاصة أنه «كان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده»[2].

ويترجح هذا الظن لدي بأسباب:

أولاً: لم تحدث المصادر عن صلة عامة أو خاصة بين أبي القاسم الأفليلي وصاعد اللغوي، كالتلمذة عليه، أو الاتصال به، أو مجالسته، كما هو شأن معاصره أبي مروان حيان بن خلف (٣٧٧ ـ ٤٦٩) الذي لزم صاعداً وقرأ عليه كتاب الفصوص منفرداً في داره سنة ٣٩٩[3].

ثانياً: ما شاع عنه من كذب فيما كان يسأل عنه في مجالس المنصور بن أبي عامر، إذ كان يجيب بادعاء باطل، وجواب كاذب، قال ابن بشكوال:

---

(١) الصلة ١/٢٣٨.

(٢) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.

(٣) الصلة ١/١٥٢ ترجمة ٣٤٤ و١/٢٣٨.



«قلت: وكان صاعد هذا يتهم بالكذب، وقلة الصدق فيما يورده عفى الله عنه»[١] ولا يصدّقه ابن حزم ولا يوثّقه إلا في بعض ما كان يتناوله من مسائل فيقول: «وكان أبو العلاء كثيراً ما تستغرب له الألفاظ، ويسأل عنها فيجيب بأسرع جواب، على نحو ما يحكى عن أبي عمر الزاهد، ولولا أن أبا العلاء كان كثير المزاح. لما حمل إلا على التصديق، وقد ظهر صدقه في بعض ما قال»[٢]. والعلم لا يؤخذ من كذاب، إذ كان الإمام مالك رضي الله عنه يقول: «لا تأخذوا العلم عن أربعة، وخذوا عمن سواهم؛ لا يؤخذ من سفيه مُلْعن بالسفه وإن كان أروى الناس، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كنت لا تتهمه بكذب على رسول الله ﷺ، ولا من شيخ له عبادة وفضل إذا كان لا يعرف الحديث»[٣]. على أن من عرف الثقات وخبر روايتهم وضبطهم ودرايتهم لا يتردد في ترك من كان في صفة صاعد من الرواية.

ثالثاً: أن تلامذة أبي علي القالي وقفوا مترصدين لصاعد اللغوي في مجالس المنصور بن أبي عامر، متحاملين عليه أيضاً، فمنهم من ألف في مناكير كتابه المسمى بالفصوص في النوادر والغريب، كابن القزاز سعيد بن عثمان[٤]. ومنهم من كان يعارضه ويناقضه في الشعر ويتهمه بالسرقة، كابن العريف، الذي كان كثيراً ما يحسد صاعد على منزلته عند المنصور، واستحسانه لشعره[٥]. يقول ابن بسام في موقف أهل الأدب من صاعد وكتابه: «فلما أكمله وتتبعه أدباءُ الوقت، لم تمر فيه كلمة زعموا صحتها

---

(١) انظر الجذوة ٢٤٢ - ٢٤٣ والصلة ١/٢٣٨

(٢) جذوة المقتبس ٢٤١.

(٣) فهرسة ابن خير ص ١٩.

(٤) الصلة ١/٢١٠ ترجمة ٤٦٨.

(٥) انظر الذخيرة ق ١ م ١ ص ٧.



عندهم، ولا خبر ثبت لديهم. فقالوا للمنصور: رجل مقتدر على تأليف الكذب من عيون الأدب، يسندها إلى شيوخ لم يرهم، ولا أخذ عنهم»(١).

ومن نافل القول أن نقول إن الأفليلي لم يكن تلميذاً لابن العريف فحسب، بل إنه يحمل ولاءً مميزاً لمدرسة القالي وشيخها بما أخذه عنها، فأدرك ما أدركه شيوخه من غايات المنصور السياسية والعلمية ذات المساس المباشر بأبي على القالي ومنزلته العلمية حين «أراد المنصور أن يعفي على آثار أبي علي البغدادي الوافد علي بني أمية قبله، وهزه لذلك، فألفى سيفه كهاماً، وسحابه جهاماً»(٢) فانبرى أبو القاسم الأفليلي لصاعد اللغوي بطريقة ما، مفسداً عليه دروسه، مبدداً للمنصور آماله وغاياته.

وإذا كان عدم انتفاع أبي القاسم الأفليلي بدروس صاعد ـ بما قدمنا من أسباب ـ لم يحرزه من التّماس بركن الحركة العلمية آنذاك، فقد فرض ذلك مساساً مباشراً بتحالف صاعد والمنصور إن صح التعبير، إذ عظم شان صاعد عند المنصور وعظم شأن المنصور عند الناس به؛ مما أوقع على أبي القاسم الأفليلي، ما يقع على من يتطاول بكلمة على مقام الحكام، وسهل لعقابه الحال السياسي الموبوء بالنفاق والتعصب الفكري إذ «لحقته تهمة في دينه في أيام هشام المرواني في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والشبانسي والحمار وغيرهم، وطلب ابن الأفليلي وسجن بالمُطْبق، ثم أطلق»(٣).

ولا يزيد ابن حيان، الذي أسند إليه ابن بسام رواية الخبر، شيئاً يوضح ماهية التهمة، ومدة مكثه في السجن، وكيف أطلق؟

وعلى الرغم من أن في سرعة سرد الخبر دلالة على أن الأمر لا يعدو

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ١٥،
(٢) الذخيرة ق ٤ م ١ ص ٩.
(٣) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.



كونه عابراً في حياة أبي القاسم، فضلاً عن أنه لم يمكث في السجن طويلاً، إلا أن تتبعه في جملة الأطباء يعطي مؤشراً على تعامل بالمنطق والفلسفة، وما يتصل بهما من أخذ بالتأويل في قضايا العقيدة.

كان سعيد بن فتحون بن مكرم، أبو عثمان السرقسطي التجيبي القرطبي النحوي على علم وتصرف في حدود المنطق، وله حظ من علوم الفلسفة، وله شعر في الدفاع عن المنطق، وذم الناس له. إذ يقول:

ظلموا ذا الكتاب إذ وصفوه بالذي ليس فيه إذ جهلوه
لو دروا حقه لما أنكروه أو دروا فضله إذن فضلوه
كذبوا الإله لو عرفوه لنفوا عنه كل ما نحلوه

وامتحن سعيد بن فتحون الملقب بالحمار من قبل المنصور بن أبي عامر فسجن، ثم أطلق فسافر إثر ذلك إلى صقلية وبقي فيها إلى أن مات سنة ٤١٠ هـ، وهو مجيد بصناعة المنطق وله رسائل مجموعة تدل على تمكنه من هذه الصناعة[١].

وكذلك كان حال الشبانسي، قاسم بن محمد القرشي المرواني، فقد ذكر ابن حزم أنه قَرَف، وشهد عليه عند القضاء بما يوجب القتل فسجن، واستعطف المنصور بن أبي عامر بقصيدة يسأله فيها التثبت في أمره، وحقن دمه، وقد رقّ له المنصور فأطلقه[٢].

إن معرفة هذين النموذجين يفرض على الباحث عن تهمة أبي القاسم الأفليلي تساؤلات عدة؛ أكان لأبي القاسم صلة بهؤلاء الممتحنين من حيث أن رحماً مشتركاً في النحو والأدب يجمع بينهم؟ أم أن انعطافاً فكرياً إلى الفلسفة والمنطق أحدثه أبو القاسم في تحصيله العلمي، من غير خوف من المحذور،

---

(١) انظر في ترجمته جذوة المقتبس ص٤٧٨ وبغية الوعاة ٥٨٦/١ طبقات الأطباء ٤٩٢ ونفح الطيب ١٧٥/٣.

(٢) جذوة المقتبس ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ترجمة رقم ٧٦٧.



فأخذ بجريرة الإقبال على الممنوع؟ هل لفق له أعداؤه من المقربين من المنصور هذه التهمة؟ أم أن بضاعة النحو في اعتمادها على التأويل في تفسير بعض الآيات وتوجيه القراءات أوقعته في غير مقاصده، أو في شر نوايا أعدائه وحساده؟ لا نملك دليلاً نقلياً صريحاً خاصاً بصلات أبي القاسم ببعض ممن اتهم من الأطباء، لكننا لا نستطيع أن ننفي ذلك عقلياً، إذ فرضت الحركة العلمية في قرطبة في أواخر القرن الرابع الهجري صلات وثيقة بين شداة الأدب وأهل العلم وطلابه لا في مجالس العلم العامة فحسب، بل في الحلقات الخاصة أيضاً، بما يحمل على القول بتأثره على نحو ما بهذه الفئة.

لقد غدا علم الكلام ودلائله، والحساب وبراهينه من المنطق وخلافه، صفة ظاهرة في ثقافة أبي القاسم وأسلوبه في المحاورة والجدل والمناقشة، يقول ابن شهيد في ذلك: «وليس العجب من هذه العصابة إلا من أبي القاسم، فإنه زاد عليهم في الصناعة، وبزّهم بوفور البضاعة، دخل الشعراء فأخذ لباقتهم، وصار في جملة الكتاب فاستعار صلفهم ورشاقتهم، وباشر أهل الحساب فاستفاد طريقة البراهين، وناظر أهل الجدل فتعلم القوانين»[1].

وأغلب الظن أن أبا القاسم الأفليلي لم يأخذ الفلسفة وعلم الكلام إلا في مرحلة متأخرة، بعد أن نضج فكره واستوى عوده العلمي، ولم تكن من طريق شيوخه في مرحلة الطلب عند اليفاع أو بعده بسنوات، إذ كان أمر ذلك بينهم متبايناً بين الدفع والأخذ، فأبو بكر الزبيدي له كتاب في الرد على ابن مسرة القرطبي وأهل مقالته، سماه (هتك ستور الملحدين)[2] في حين كان لأبي عبدالله محمد بن عاصم العاصمي حظ في علم الكلام[3].

ويظل تلفيق الاتهام ظاهرة جلية في هذه الفترة من الطغيان السياسي في

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٠٦ (ط القاهرة).

(٢) بغية الوعاة ١/٨٥.

(٣) بغية الملتمس ١/٣٨٢ وبغية الوعاة ١/١٢٣.



الأندلس زمن المنصور بن أبي عامر، إذ كان يلاحق الناس في أفكارهم وآرائهم، فقد «أصبح من المعتاد أن يسمع الناس عند باب المسجد الجامع، وفي أيام الأعياد، وعند انتهاء الأعمال حيث يبلغ الزحام قمته، من يشهر باسم واحد من أشهر الأدباء في قرطبة، يشك في زندقته، ويبحثون بين عامة الناس عمن يستطيع أن يشهد ضده، حتى تستكمل المحاكمة أركانها الضرورية، ويصبح الحكم شرعياً»[1].

قد يكون الأخذ بالفكر الاعتزالي[2] أو حمل أفكار المؤوّلة أقرب تهمة مشاكلة لصنعة أبي القاسم الأفليلي اللغوية، لأن طريقة فهم المعتزلة للعقائد عقلية خالصة، «فإن بدا خلاف في ظاهر النصوص بين رأي يقرونه ونص يقرءونه أوّلوا النص بما لا يخرج عن معناه ولا يخالف رأيهم، وهذه الطريقة أساسها الثقة بالعقل. وللعقل نزوات وعرة، ولذلك وقعوا في كثير من الهنات»[3]. ويعزز القول بهذه التهمة ما جاء في شعر موسى بن الطائف الشاعر المشهور أيام المنصور بن أبي عامر، إذ قال يهجو أبا القاسم الأفليلي في محنته هذه[4]:

يا مبصراً عميت نواظر فهمه	عن كنه عرضي في البديع وطولي
... ولئن ثلبت الشعر وهو أباطل	فلقد ثلبت حقائق التنزيل
وخلعت ربق الدين عنك منابذاً	ولبست ثوب الزيغ والتعطيل
وأقمت للجهال مثلك في الغبا	علماً مشيت أمامه برعيل

(١) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي ص ١٦٧ نقلاً عن التربية الإسلامية في الأندلس ص ٣٦.

(٢) عرف الأندلس الفكر الاعتزالي وعلم الكلام، ولكن لم تظهر فيه الخصومة التي شهدها المشرق، يقول ابن حزم «وأما علم الكلام فإن بلادنا، وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على أصوله، ولهم فيه تواليف» (نفح الطيب ٣/١٧٦) ط دار صادر.

(٣) تاريخ المذاهب في الإسلام محمد أبو زهرة ج ١ / ١٤٨.

(٤) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨٣.



ومـن المغـائظ أن تـكـون مـقـلداً عـلماً، ولـو مـقـدار وزن فـتـيـل
تعتـل في الأمـر الصحيـح معـانـداً أبـداً وفـهـمـك عـلة المـعـلول

إن المعطلة التي رمى بها موسى بن الطائف أبا القاسم الأفليلي سواء أكانت معتزلة أو أشعرية أو غيرها من فرق علم الكلام، إنما تنفي عن الله صفات المعاني، وهي القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات المذكورة في القران، وتؤوّل هذه الفرق ما ذكر في القران على أنه أسماء للذات العلية وليس وصفاً لها[1].

وأبـو القاسم الأفليـلي غير مـذكور في طبقـات المالكيـة، ولا عد من فقهائهم، ولا شهرة له بينهم، إلا أن ذلك لا يمنع من نفي تهمة موسى بن الطائف إذا نظرنا إلى الأسباب التالية:

أولاً: لم يشر أحد من قريب أو بعيد إلى قوله بالتعطيل، بل أثنى عليه من ترجم له بالخلق والدين فهـو «صادق اللهجـة، حسن الغيب، صافي الضمير، حسن المحاضرة، مكرماً لجليسه»[2] ومدحه أيضاً ابن شهيد بذلك في قوله[3]:

غـير أني مـع الـوزيـر أبي الـقـا سـم حـزب محض مـن الأحـزاب
الـتـقـي النـقـيّ كـهـلاً وطـفـلاً فـارس الجيش راهـب المـحـراب

ثانياً: إن تديّن الأستاذ مطلب أساسي في إقبال الطلاب المتلمذين عليه للأخذ عنه، قال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تـأخذون دينكم»[4] وإن بعض الشك في تدين الأستاذ كفيل بانسلاخ الطلاب عنه، ولا يكفي في الأندلس أن يكون الأستاذ مستقيماً وعلى مذهب أهل السنة

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ج ٢ / ٢١٣.
(٢) الصلة ٩٣/١.
(٣) ديوان ابن شهيد ص ٨٧.
(٤) صحيح مسلم «باب بيان أن الإسناد من الدين» ١٤/١.



فحسب، بل من الضروري أن يجمع إلى ذلك العمل بالمذهب المالكي[1].

وكان الأفليلي متصدراً في علم الأدب، يقرأ عليه، ويختلف فيه إليه[2]. وعرف من تلامذته من كان ثقة ديناً فاضلاً ورعاً متواضعاً كثير الصلاة مثل أحمد بن عبدالله التميمي المعروف بابن طالب[3].

ولو كان الأمر في هذه التهمة على الصحة والحق لانفض الناس من حوله كما انفضّوا عن غيره ممن عرف بمذهب مخالف لما عليه أهل الأندلس، فأيوب بن سليمان انصرف عنه الطلاب فلم يدرس لأحد غير ابنه؛ لأنه كان مائلاً في مذهبه إلى الحجة، ولهج بالنظر، ولا يرى التقليد. ومحمد بن مفرج المعروف بالفاني ترك الناس الأخذ عنه وأصبح بلا طلاب؛ لاعتقاده مذهب ابن مسرة الذي يقوم على آراء المعتزلة والباطنية، وكان يقول بالاستطاعة وكونية العالم أو وحدة الوجود، وتحريف التأويل في كثير من معاني القرآن. وأظهر من هذين النموذجين في الأندلس بقي بن مخلد وابن حزم الظاهري[4].

ثالثاً: لا يؤخذ بقول موسى بن الطائف وروايته أو خبره لأسباب؛ منها أن بينه وبين أبي القاسم الأفليلي خصومة أدبية نقدية، تمس شكل الشعر عنده فضلاً عن مضمونه، كما يدل قوله:

يا مبصراً عميت نواظر فهمه ... عن كنه عرضي في البديع وطولي
ولئن ثلبت الشعر وهو أباطل ... فلقد ثلبت حقائق التنزيل
وتظن أنك من فنوني موسر ... وكثير شأنك لا يفي بقليل

وأن موسى بن الطائف الشاعر المشهور في الدولة العامرية يمثل في

---

(١) التربية الإسلامية في الأندلس ص ١١٣.
(٢) بغية الملتمس ١/١٩٩ ترجمة رقم ٤٨٥.
(٣) الصلة ١/٦٣.
(٤) انظر التربية الإسلامية في الأندلس ١١٣ ـ ١١٥، والحضارة العربية في إسبانيا ـ ليفي بروفنسال ص ١٧٨ ـ ١٨٢.

هجائه رأي السلطة آنذاك، بل ينطق عنها بوقاً مردداً، يعزز اتجاه المنصور، ويبرر اتهامه، ويؤيد سجن أبي القاسم شفاء لما أصابه منه فيقول[1]:

سيسل روحك من خبيث قراره ... تأثير هذا الصارم المصقول
وأخص سيف الدولة الملك الرضي ... ليعيد عقد رباطك المحلول

وأن في شعر موسى بن الطائف ما يشين تصوره، ويثلم تدينه، ويسيء إلى سلوكه، والخبر في عرف الرواية لا يؤخذ عن مجرح؛ لأن الكذب جار عليه. يقول موسى وقد كتب بذلك إلى أحد العمال[2]:

لا تنسى من سحتك المكسوب ... واجعل نصيبك منه مثل نصيبي
فإذا اغترى بك في القيامة مغتر ... فبمثل ما تغرى به تغرى بي
وهي الذنوب وغاية في بخله ... من كان فينا باخلاً بذنوب

وغاية ما يمكن أن يقال، في هذه التهمة التي لحقت أبا القاسم الأفليلي إن جانباً من تبعتها مصدره الأفليلي، في حين أن جل وزرها يقع على المنصور ابن أبي عامر في نيله منه، ومساسه بتدينه، وانتقاصه بالتشهير من علمه وفضله.

ولعل أبا القاسم الأفليلي أعطى مسوغاً لهذه التهمة بتصور أو فهم لمسألة ما، تناولها عرضاً، أو طرحت عليه قصداً؛ لاختباره والإبانة عن اتجاهه الفكري، فأخطأ، أو حرّفت عن مقصوده، فلما روجع بها ركب رأسه على عادته، عناداً ومكابرة، إذ كان ذلك من صفاته «في الخطأ البين، إذا تقلده، أو نشب فيه، يجادل عليه، ولا يصرفه عنه صارف»، وأكد ذلك موسى بن الطائف في قوله هاجياً له:

تعتل في الأمر الصحيح معانداً ... أبداً وفهمك علة المعلول

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨٣.
(٢) جذوة المقتبس ص ٣٣٨ ترجمة ٧٩٠.



فأوجد ذلك للمنصور مبرراً قوياً للتنكيل به، جزاءً وفاقاً لمحاولته النيل من تحالف السيادة بين المنصور وصاعد اللغوي.

ومن غير المتوقع أن يكون مكث أبي القاسم في سجن المطبق طويلاً، فليس من المعقول أن يظل صامتاً ابن العريف ت (٣٩٠ هـ) أحد أعضاء ديوان الندماء زمن المنصور[1]، دون أن يدفع هذه التهمة عن تلميذه، وليس غريباً أيضاً أن يتشفع له أبو عمر بن الحباب (ت ٤٠٠ هـ) إذ كان مقرباً من المنصور، حين عهد إليه بتأديب ولده عبد الملك المظفر.

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ١٩.



أبو القاسم الأفليلي والفتنة البربرية في قرطبة ٣٩٩ ـ ٤٢٢هـ

كان دخول أبي القاسم الأفليلي سجن المُطْبق زمن الدولة العامرية نقطة تحول في موقفه من الحياة السياسية فيما يبدو، فقد فرض عليه ذلك تفكيراً جاداً بالانتماء السياسي بعد موت المنصور بن أبي عامر عام ٣٩٢ هـ.

وانتظر أبو القاسم الأفليلي سبع سنوات عجافاً، انتهت بها الحجابة العامرية، وأطلت فيها الفتنة البربرية، وقد أعلن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر (الذي عرفه التاريخ باسم شنجول) نفسه وريثاً شرعياً للخلافة الأموية، وولياً لعهد خلافة هشام بن الحكم.

وعلى الرغم من أن الأحداث تتابعت بعد ذلك سريعة متشابكة بصورة مذهلة، إلا أنه يمكن تمييز أحداث هذه الفتنة وتوزبعها في مراحل ثلاث[1]:

المرحلة الأولى: منازعات بني أمية على الخلافة ما بين ٣٩٩ ـ ٤٠٧ هـ.
المرحلة الثانية: العهد الحمودي (٤٠٧ ـ ٤١٣ هـ).
المرحلة الثالثة: الانحدار نحو الكارثة من ٤١٣ ـ ٤٢٢ هـ.

ولا نجد لأبي القاسم الأفليلي ذكراً في المرحلة الأولى، لكنه لم يغادر قرطبة، كما غادرها كثير من رجال الدولة العامرية والدولة المروانية، ومن كانوا على صلات طيبة بهم مثل ابن حزم وابن شهيد من أعلام الحركة الأدبية آنذاك.

(١) ديوان ابن شهيد يعقوب زكي ص ١٩.



ووجد أبو القاسم الأفليلي ضالته الأمنية حين أخذ آل حمود زمام الأمر في قرطبة، فتقرب منهم، وحظي بالمكانة والجاه بجوارهم، يقول ابن حيان: «وكان لحق الفتنة البربرية بقرطبة، ومضى الناس من حائن وظاعن، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود ومن تلاهم إلى أن نال الجاه»(١).

وكان جعفر بن محمد بن فتح عاملاً مساعداً في تقريب أبي القاسم إلى آل حمود، خاصة أن ابن فتح ينتسب إلى بني هاشم، فتقرب إلى يحيى بن علي المعتلي، وقرب إليه صديقه أبا القاسم الأفليلي، ورفع قدره في حضرته(٢).

وما كان أبو القاسم لينكر هذا الفضل الذي غدا آمناً في ظله، رفيع القدر في حضرته، فقابل ذلك ثناءً وشكراً، فانعطف إلى مدح آل حمود، وقد نقل ابن سعيد في المغرب عن الحجاري بيتين لأبي القاسم الأفليلي في مدح يحيى بن حمود المتسمي بالخلافة في قرطبة عام (٤١٢ ـ ٤١٣ هـ) وهما(٣):

أنت خير الناس كلهم ... يابن من ما مثله بشر
فإذا ما لحت بينهم ... قيل هذا البدو والحضر

وأبو القاسم الأفليلي وهو يصل نسب يحيى بن حمود بآل البيت أو برسول الله ﷺ في قوله «يابن من ما مثله بشر» إنما يحقق له ما جهر به من آراء شيعيّة، وما أعلنه من أنه الممثل لها(٤).

ولا يزيد هذا القول عن كونه مدحاً وتزلفاً، فرضه القرب من السلطان والثناء عليه بما يرد إليه بعض فضله، في وقت كان الإحساس بالأمن مطلباً عزيز المنال، ولا نستطيع والحالة هذه أن نحمِّل هذا المدح بعداً عقائدياً أو

---

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.
(٢) رسالة التوابع والزوابع بطرس البستاني ص ٣٠.
(٣) المغرب في حلى أهل المغرب جـ ١ / ٧٣ على أن يحيى بن حمود حكم أيضاً للمرة الثانية ٤١٦ ـ ٤١٧.
(٤) الحضارة العربية في إسبانيا ص ١٦٩.



فكرياً مذهبياً، على الرغم من أن هذه الفترة أنتجت أدباً شيعياً في الأندلس، احتج فيه بعض الشعراء مثل ابن دراج القسطلي وأبي بكر بن ماء السماء، وابن الحناط، وابن مقانا الأشبوني لإمامة الحموديين[1].

وهذه المكانة التي حققها أبو القاسم الأفليلي لواذاً ببني حمود، حملت بعض الباحثين على اتخاذها سبباً في سوء المعاملة التي لقيها ابن شهيد أيام العلويين (بني حمود) وانتهت به إلى السجن؛ بدعوى أن ابن شهيد ذكر أبا القاسم الأفليلي واحداً من خصومه في رسالة التوابع والزوابع، ثم صار صديقاً له[2].

وهذه دعوى قائمة على تخمين، يصرفها صريح السبب الذي أفضى به ابن شهيد نفسه في رسالته إذ يقول: «وهل كان يضرّ أنف الناقة، أو ينقص من علمه، أو يفل من شفرة فهمه، أن يصبر لي على زلة تمرّ به في شعر أو خطبة، فلا يهتف بها بين تلاميذه، ويجعلها طرمذة من طراميذه، فقال: إن الشيوخ قد تهفو أحلامهم في الندرة، فقال: إنها المرة بعد المرّة»[3].

فالخصومة بين ابن شهيد وابن الأفليلي أساسها اختلاف الرؤية النقدية بين إبداع الأديب الذي لا يريد أن يحد من انطلاقه بعض مجاوزات اللغة وفنية الأدوات، وبين تمسك اللغوي وانضباطه بصرامة القاعدة وقسوة تطبيق مفرداتها.

حقاً أن ابن شهيد عدّ جعفر بن محمد بن فتح ممن عملوا على تكدير صفو الود بينه وبين أبي القاسم الأفليلي، إذ يقول مشيراً إليه: «فبحثت عمن طرأ عليك من الأنذال، وحلّ بساحتك من الأعلاج، فقيل لي: ابن فتح،

---

(١) أنظر التشيع في الأندلس د. محمود مكي صحيفة معهد الدراسات الإسلامية عدد ١ ـ ٢ سنة ١٩٥٤ ص ١٣٩ وما بعدها، وتيارات النقد الأدبي في الأندلس ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٢) ديوان ابن شهيد ص ٢٨، ٣٠.

(٣) رسالة التوابع والزوابع ص ١٣١.



فأنعمت البحث، وأعملت لطائف الكشف، حتى صحّ عندي أنه كدر صفوك عليّ، وغير شربك لديّ، فقلت: من ها هنا أتينا، ومن هذه القوس اللئيمة رمينا، وقصصي مع هذا العلج طويل. .»[1].

ولا نستطيع أن نعدّ أبا القاسم الأفليلي سبباً في نكبة ابن شهيد زمن يحيى بن حمود؛ لأن ابن شهيد كان صديقاً ليحيى، ومقرباً منه، شأنه في ذلك شأن أبي القاسم الأفليلي، ولعل ابن شهيد أسيئت معاملته فسجن زمن القاسم بن حمود الذي حكم (٤٠٨ ـ ٤١٢ هـ)، وقد أشار ابن شهيد إلى حسن رعاية آل حمود له والمتمثلة بيحي بن علي، يقول وهو بصدد الحديث عن جعفر بن محمد بن فتح: «ولولا أنه منتسب إلى آل هاشم، إلى عصابة أقلني كرمهم، وأظلتني نعمهم، ومسند، على العلات، من أبي جعفر[1]، من وزير كان لي وزراً، رقرق ترابي، وأخصب به جناني، لأدرت بداره دائرة السوء، وسريت إليها في لّمة من صعاليك الأحرار، وصميم الرجال، فأحرقت نازلها، وجعلت عاليها سافلها»[3].

وإذا كان حكم آل حمود حقق لأبي القاسم أمناً ووجاهة، فقد حقق له عودة الحكم إلى بني أمية سلطة ورئاسة؛ وذلك حين استكتبه عبد الرحمن المستكفي عام ٤١٤ هـ وكان له من العمر ثنتان وستون سنة، فولي بذلك الوزارة له، ولكن مقامه في هذا المنصب لم يدم طويلاً، حين «وقع كلامه جانباً من البلاغة، لأن كان على طريقة المعلمين المتكلفين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهد فيه»[4].

ومباينة رسائله للطبع الذي كانت تجري فيه الرسائل الديوانية آنذاك،

---

(١) رسالة التوابع والزوابع ص ٣٠.

(٢) هو أبو جعفر ابن اللمائي كان وزيراً كاتباً لعلي بن حمود.

(٣) رسالة التوابع والزوابع ص ٣٠.

(٤) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.



لم يكن ليأتي على منزلته العلمية في قرطبة، فظل مقيماً على التعليم فيها، متصدراً بالرواية والفهم، باذّاً أهل زمانه، يُقرِئ علم الأدب، ويُقرَأ عليه، ويُختلف فيه إليه، وعرف بنو جهور (٤٢٢ - ٤٦١ هـ) لأبي القاسم مكانته العلمية، خاصة أبا الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور، ولعله ممن تأدب على يديه، فظل وفياً له حين ولي قرطبة بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥ هـ، وقد صلّى على أبي القاسم عند وفاته سنة إحدى وأربعين وأربعمائة[١].

ويستفاد من صدى الأحداث السابقة في حياة أبي القاسم الأفليلي أنه لم يفارق قرطبة مع ما أصابها من المحن والتدمير والقتل، ولم يلحق به أذى التشريد أو السجن مما كان يلحق بمن عرف بميل سياسي لجهة دون أخرى، أو بصداقة لولي أمر دون غيره، على الرغم من اتصاله بالحموديين والأمويين (المستكفي) والجهوريين، وقد لا نجد لذلك تفسيراً إلا القول بأن أبا القاسم الأفليلي ظل في صلاته بهؤلاء محافظاً على توازنه السياسي ملتزماً باتجاهه العلمي والأدبي، شأنه في ذلك شأن بعض من سلم من هذه الفتنة كابن حيان[٢] (٣٧٧ - ٤٦٩) وأبي بكر حمام بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن أكدر الذي قال عنه ابن حزم: «لا أدري أحداً سلم من الفتنة مع طول مدته فيها، فما شارك قط فيها بمحضر، ولا بيد، ولا بلسان، مع ذكائه وحزمه، وقيامه بكل ما يتولى حسن الخط»[٣].

ولا يقال إن وزارة أبي القاسم للمستكفي كانت كافية للعصف به بعيداً في غياهب السجن أو في العسف في البلاد بغير زاد، لأن المناصب في هذه الفترة كانت هينة فاقدة المعنى، فقد يطلق اسم الوظيفة العالية (الوزير أو صاحب الشرطة) دون أن يكون له دلالة حقيقية، أو فاعلية سلطوية، «إذ كانت إضافة اللقب على نحو تشريفي فخري قد أصبح تقليداً جارياً منذ أيام

---

(١) الصلة ١/٩٣ وبغية الوعاة ١/١٨٤.

(٢) انظر دراسة الدكتور محمود مكي في التقديم للمقتبس ص ٢٨.

(٣) الصلة ١/١٥٥ ترجمة ٣٥٠.



الحكم المستنصر واستمر طوال الدولة العامرية، ولا نستبعد أن يكون قد بقي في ظل حكومة الجهاورة»[1].

تلاميذه

ويكاد الدارس لحياة أبي القاسم الأفليلي يذهب إلى القول بأن الفترة ما بين (٤٢١ ـ ٤٤١ هـ) هي أخصب مراحل عطائه العلمي، وذلك بالنظر إلى انقطاعه عن السعي إلى الوظائف السلطانية، وتفرغه لشداة علمه من تلامذته، الذين تنبىء أزمانهم وفترات طلبهم عن ذلك، فضلاً عما رووه عنه من كتب.

ومن تلامذته الذين تميزوا بالنباهة والذكر، أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطبني (٣٩٦ ـ ٤٥٦ هـ)، وأبو مروان عبد الملك بن سراج (٤٠٠ ـ ٤٨٩ هـ)، وأبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، المعروف بالأعلم الشنتمري (٤١٠ ـ ٤٧٦)، والعلاء بن عبد الوهاب بن أحمد ابن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم بن غالب أبو الخطاب (٤٢١ ـ ٤٥٤ هـ)، وأحمد بن عبدالله التميمي المعروف بابن طالب (ت ٤٦٧ هـ) وعبدالله بن أحمد المعروف بالنّباهي.

ومن هؤلاء من أخذ عن أبي القاسم قراءة إو إجازة فحدث عنه في الأندلس، ومنهم من رحل إلى المشرق فحدث عنه بين علمائه ورواته، شيخاً مميزاً في علمه وضبطه.

فأبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني إمام في اللغة، شاعر، شعره على طريقة العرب، له رواية وسماع في الأندلس، رحل إلى المشرق غير مرة على كبر، وحدث بالمشرق عن إبراهيم بن زكريا الأفليلي بكتاب فعلت وأفعلت لأبي إسحاق الزجاج[2].

---

(١) الدراسة المقدم بها للمقتبس د / محمود مكي ٣٦.

(٢) انظر جذوة المقتبس ص ٢٨٤، وفهرسة ابن خير ٣٥٢.



وأبو مروان عبد الملك بن سراج إمام اللغة في الأندلس غير مدافع، وصفه الحجاري بأصمعي الأندلس، كان واسع المعرفة، حافل الرواية، عالماً بالتفاسير ومعاني القرآن والحديث، أحفظ الناس للسان العرب، فاق غيره بدقته وصدقه فيما يحمله[1]. روى عن أبي القاسم الأفليلي كتاب ابن العريف معاني الحروف وأقسامها، وقرأ عليه كتاب الكامل للمبرد[2]، وكتاب شرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام[3]، وكتاب شرح غريب الحديث لابن قتيبة[4]، وكتاب إصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث لأبي عبيد تأليف ابن قتيبة[5]. وكتاب معاني القرآن للزجاج[6]، وكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى[7]، وكتاب النوادر للقالي إجازة[8]، وكتاب البيان والتبيين[9]، والغريب المصنف[10]، وكتاب الألفاظ لابن السكيت[11]، وكتاب الميسر لابن قتيبة[12]. وكتاب نوادر أبي زياد الكلابي[13]، وديوان الأشعار المفضليات[14]، وشعر ذي الرّمة[15]، وشعر أعشى بكر[16]، وشعر أبي

---

(١) انظر الصلة ١/٣٦٤ والمغرب ١/١١٥.
(٢) فهرسة ابن خير ٣٢٠.
(٣) فهرسة ابن خير ١٨٦.
(٤) فهرسة ابن خير ١٨٧.
(٥) فهرسة ابن خير ١٨٩.
(٦) فهرسة ابن خير ٦٤.
(٧) فهرسة ابن خير ٦٠.
(٨) فهرسة ابن خير ٣٢٣.
(٩) فهرسة ابن خير ٣٢٦.
(١٠) فهرسة ابن خير ٣٢٧.
(١١) فهرسة ابن خير ٣٢٩.
(١٢) فهرسة ابن خير ٣٧٨.
(١٣) فهرسة ابن خير ٣٨٠.
(١٤) فهرسة ابن خير ٣٩٠.
(١٥) فهرسة ابن خير ٣٩١.
(١٦) فهرسة ابن خير ٣٩٢.



تمام [١]، وأدب الكتاب لابن قتيبة [٢]، وفائت الفصيح لأبي عمر المطرز[٣]، وكتاب الأمثال لأبي عبيد [٤]، وكتاب أبنية سيبويه للزبيدي [٥]، ولحن العامة للزبيدي أيضاً [٦]، ونوادر ابن الأعرابي [٧]، وخلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت [٨].

والأعلم الشنتمري كان عالماً باللغات والعربية ومعاني الأشعار، حافظاً لجميعها، كثير العناية بها، حسن الضبط لها، مشهوراً بمعرفتها وإتقانها، أخذ الناس عنه كثيراً، وكانت الرحلة في وقته إليه، رحل إلى قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وأقام بها وأخذ عن أبي القاسم الأفليلي [٩]. إذ حدث عنه بكتاب سيبويه[١٠]، وقرأ عليه كتاب الكامل[١١]، وسمع كتاب النوادر بقراءة غيره له[١٢]، وقرأ الأعلم عليه كتاب الغريب المصنف، وكتاب الألفاظ لابن السكيت إجازة عنه[١٣]. وحدث الأعلم بكتاب اختيار الفصيح لثعلب سماعاً على الأفليلي[١٤] وروى أبنية كتاب سيبويه وكتاب لحن العامة[١٥] وكلاهما للزبيدي، وشعر أبي تمام[١٦]، وشعر أبي الطيب المتنبي[١٧].

ومن تلامذة أبي القاسم الأفليلي أبو تميم العز بن محمد بن أبي موسى بن بقنه، وهو عدوي مغربي الأصل، استوطن قرطبة، وكان حافظاً للغة، ذاكراً للآداب، مبرزاً فيها، توفي سنة ٤٨٨ هـ، وقد أخذ عن أبي القاسم الأفليلي

(١) فهرسة ابن خير ٤٠٢.
(٢) فهرسة ابن خير ٣٣٤.
(٣) فهرسة ابن خير ٣٣٨.
(٤) فهرسة ابن خير ٣٣٩.
(٥) فهرسة ابن خير ٣٤٥.
(٦) فهرسة ابن خير ٣٤٦.
(٧) فهرسة ابن خير ٣٧٢.
(٨) فهرسة ابن خير ٣٦٤.
(٩) الصلة لابن بشكوال ٢/٦٨١.
(١٠) فهرسة ابن خير ٣٠٥.
(١١) فهرسة ابن خير ٣٢١.
(١٢) فهرسة ابن خير ٣٢٤.
(١٣) فهرسة ابن خير ٣٣٠.
(١٤) فهرسة ابن خير ٣٣٨.
(١٥) فهرسة ابن خير ٣٤٦.
(١٦) فهرسة ابن خير ٤٠٢.
(١٧) فهرسة ابن خير ٤٠٣.

فأكثر[١]، ومما أخذه عنه الكامل للمبرد قراءة عليه[٢]. وحدث بشرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام إجازة عنه[٣]، وقرأ عليه كتاب النوادر للقالي[٤]، والبيان والتبيين للجاحظ[٥]، وخلق الإنسان لثابت[٦]، وحدث عنه بشعر أبي تمام[٧] وبشعر أبي الطيب المتنبي[٨].

وكان أبو العلاء عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو الخطاب، من أهل العلم والأدب والذكاء، والهمة العالية في طلب العلم، كتب في الأندلس فأكثر، ثم رحل إلى المشرق، فاحتفل بالجمع والرواية، ودخل بغداد فحدث عن أبي القاسم الأفليلي[٩].

وممن لازم الأفليلي وروى عنه فأكثر ابن طالب أحمد بن عبدالله التميمي. فأضحى في قرطبة ممن يختلف إليه، وتقرأ كتب الأدب عليه، وكان ثقة ديناً، ورعاً كثير الصلاة متواضعاً[١٠].

وممن روى عن الأفليلي أيضاً أبو بكر خازم بن محمد بن خازم المخزومي من أهل قرطبة (٤١٠ ـ ٤٩٦ هـ)، الذي كان وافر الأدب، وله تصرف في اللغة وقول الشعر، إلا أن الأدب كان الأغلب عليه، وعلى الرغم من أن بعض العلماء كانوا يضعفونه في الرواية مثل أبي عبدالله بن محمد بن فرج الفقيه،

---

(١) الذيل والتكملة لكتاب الصلة والموصول السفر الخامس القسم الأول ص ١٤٢ وقد أورده باسم العز بن أحمد بن هارون.

(٢) فهرسة ابن خير ص ٣٢١.

(٣) فهرسة ابن خير ص ١٨٦.

(٤) فهرسة ابن خير ص ٣٢٣.

(٥) فهرسة ابن خير ص ٣٢٤.

(٦) فهرسة ابن خير ص ٣٦٤.

(٧) فهرسة ابن خير ص ٤٠٢.

(٨) فهرسة ابن خير ص ٤٠٣.

(٩) جذوة المقتبس ص ٧٢٥ ترجمة رقم ٣١٧.

(١٠) بغية الملتمس ترجمة رقم ٧٣٣ والصلة ١/٦٣ ـ ٦٤.

وأبي مروان بن سراج، إلا أن الناس كانوا يجتمعون إليه ويسمعون منه [1].

أما ابن النبّاهي أبو محمد عبدالله بن أحمد من أهل مالقة، فقد ارتحل إلى قرطبة ولازم أبا القاسم الأفليلي، فأخذ عنه كثيراً، وكان عالماً بالآداب والصفات والأشعار، معجباً بشيخه الأفليلي، مخلصاً له، إذ انبرى للرد على ابن حزم الظاهري فيما تعقب به ابن الأفليلي في شرحه شعر المتنبي [2].

وليس بخاف ما في عدد هؤلاء التلاميذ وتميّز قدراتهم في اللغة والأدب، ورفعة منزلتهم في أزمانهم، من شاهد ثبت على مكانة شيخهم أبي القاسم، إذ غدا الناس يـروون عنهم ما رووا عن شيخهم في غـرب العالم الإسـلامي وشرقه، خاصة شعر أبي تمام وأبي الطيب.

---

(١) الصلة ١/١٨٠ ترجمة رقم ٤١٢.

(٢) الصلة ١/٣٨.



أبو القاسم الأفليلي والحياة الأدبية في قرطبة

وكما شهد أبو القاسم الأفليلي بعمره المديد دولة الإسلام في الأندلس تتقلب بها الأحوال، وتعبث بها الأهواء، فهوت بها إلى هاوية الانحدار، فقد وقف على الحركة الشعرية في قرطبة موزعة بين طريقة العرب التي حاول القالي بدخوله الأندلس إعادة صياغة الذوق الأدبي على هدى منها، ومذهب المحدثين الذي مكن له في الأندلس العائدون إليه من الشرق أو المرتحلون إليه منه، فضلاً عن أحوال الأندلس الاجتماعية والحضارية.

وعاصر أبو القاسم الأفليلي من شعراء الاتجاهين عدداً كبيراً عجت بهم جنبات قرطبة، فمن شعراء طريقة العرب أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني، وأبو جعفر اللمائي. ومن شعراء المحدثين يوسف بن هارون الرمادي، وعبادة ابن ماء السماء ت ٤٢١ هـ، وابن شهيد وابن حزم، وابن زيدون... الخ.

وصلة أبي القاسم بهؤلاء الشعراء كانت عن طريق الحياة العامة في قرطبة بمجالسها ومنتدياتها وما يدور فيها من أدب وفن، أو عن طريق اتصال هؤلاء الشعراء بمراكز الحكم التي تعاورت على قرطبة وكان للأفليلي فيها الجاه أو المركز أو التقدير.

ولعل أبا القاسم الأفليلي رغب في أن يثمر هذه الصلات العامة والخاصة في كتاب أدبي، فشرع في جمع مادته، فصار «عنده من أشعار أهل بلده قطعة صالحة».



ويغلب على الظن أن هذه الأشعار لو قدّر لها أن ترى النور، لكانت مختارات شعرية أندلسية رائعة تمثل ذوق أبي القاسم وعقله واتجاهه، خاصة أنه «كان أشد الناس انتقاداً للكلام ومعرفة برائعه»(١).

وتحديد ميل أبي القاسم الأدبي، أو الوقوف على اتجاهه الفني، لا نطلبه في شعره الذي وصفه الحجاري بأنه «بارد النظم»، ولا فيما كان يتكلم في معانيه من شعر الجاهليين أو شعر المفضليات أو شعر ذي الرّمة مما رواه ويشاكل بضاعته اللغوية، ويكشف عن طريقه الفحول في استخدام الأداة واللغة في عصور الاحتجاج اللغوي، ولكننا ندركه في اهتمامه بشعر أبي تمام وأبي الطيب المتنبي، إذ «كان عظيم السلطان عليهما، شديد العناية بهما»(٢) وكلاهما لا يفارق طريقة العرب في أخذه بمذهب المحدثين، وهي المنهج الذي ميزوه بقولهم «لبس ديباجة المحدثين على لامة العرب» وإن لم يكن أبو تمام واضحاً في ذلك وضوح المتنبي.

ويأتلف أبو القاسم الأفليلي في ميله هذا مع الذوق الأدبي العام في قرطبة خاصة والأندلس عامة في القرن الخامس الهجري، الذي أشار ابن بسام إليه في قوله: «على أن أكثر أهل وقتنا وجمهور شعراء عصرنا إليها يذهبون»(٣).

ولم يكن هذا الميل الأدبي لدى أبي القاسم الأفليلي لينازع في طغيان ما استقر في طبيعته واتجاهه اللغوي، الذي ما فتىء ظاهراً على ممارساته الأدبية والنقدية، مما ترك أثراً سيئاً على علاقته بمعاصريه من الأدباء، ويمكن أن نلمس ذلك في الخصومة التي اشتدت بينه وبين ابن شهيد، فغدا كثير الوقوع فيه، والتندر به، ويقول في ذلك: «فكل علم يزعمه قبض يده، وهو أشدهم ضنانة بألا يكون في الأندلس محسن سواه، ولا مجيد حاشاه، وكان الرأي

---

(١) الصلة ٩٣/١ ترجمة رقم ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الذخيرة القسم الثاني المخطوط ص ٤٩٤.



عندي له، أن يسكن أرض جلِّيقيّة، أو قطراً أبعد عن الإسلام، حتى لا يسمع فيه لخطيب ذكراً، ولا يُحسُّ لشاعر ركزاً، فينعم هناك فرداً، وليست شيبته شيبة أديب، ولا جلسته جلسة عالم، ولا أنفه أنف كاتب، ولا نغمته نغمة شاعر»[١].

واتخذ ابن شهيد أبا القاسم الأفليلي خصماً يمثل جماعة المعلمين أو طبقة المؤدبين، الذين كان يرى فيهم جانباً من أزمة الإبداع الأدبي في الأندلس؛ لأن بضاعتهم الحفظ والنقل، دون الاجتهاد في توجيه الأدب وتعزيز بوادره وتجديده، يقول ابن شهيد: «وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو وضبط كلمات من اللغة، يحنون على أكباد غليظة، وقلوب كقلوب البعران، ويرجعون إلى فطن حمئة، وأذهان صدئة، لا منفذ لها في شعاع الرّقة، ولا مدّب لها في أنوار البيان»[٢].

ويحرس ابن شهيد على أن يظل صوته في هذه الخصومة الأعلى والأقوى، فغيب عنا حقيقة نقد أبي القاسم في نماذجه التطبيقيّة، إلا أنه أقر بموضوعية هذا النقد وإصابته فيما تناول من شعره، ولذلك كانت مرارة الإحساس في ردّه على من طلب منه الصبر على ما صدر من ابن الأفليلي لمكانته وعلمه، إذ يقول: «وهل كان يضر أنف الناقة، أو ينقص من علمه، أو يفل من شفرة فهمه، أن يصبر لي على زلة تمر به في شعر أو خطبة، فلا يهتف بها بين تلاميذه، ويجعلها طرمذة من طراميذه»[٣].

وأياً كان الرأي في أسباب هذه الخصومة ووجهها من الحق[٤]. فإن بعض أبعاد شخصيّة أبي القاسم الأفليلي الجسميّة تبدت من خلال وصف ابن شهيد له في رسائله التي تندر به فيها.

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٤١.
(٢) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٠٥ ط القاهرة.
(٣) رسالة التوابع والزوابع ١٣١.
(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابي تيارات النقد الأدبي في الأندلس ص ٩٣ - ٩٨.



فأبو القاسم متوسط الطول، ربعة، ذو أنف كبير ظاهر الكبر، أشمط الشعر، في مشيته ظلع أو ما يشبه العرج، جاء ذلك في قول ابن شهيد: «وأما أبو القاسم الأفليلي، فمكانه من نفسي مكين، وحبه بفؤادي دخيل، على أنه حامل علي، ومنتسب إليّ، فصاحا: يا أنف الناقة بن معمر، من سكان خيبر! فقام إليهما جني أشمط ربعة، وارم الأنف، يتظالع في مشيه، كاسراً لطرفه، وزاوياً لأنفه[1]».

ومع الاحتراس بأن هذه الصفات توكأ عليها ابن شهيد لينتقم بها من خصمه، بالتهكم به، وتقبيح صورته، إلا أن ابن شهيد ساواه بنفسه وبالجاحظ في علّة شكلية قعدت بهم جميعاً عن الوصول إلى المناصب الكتابية، فيقول: «إن إفراط جحوظ عينيه قعد به عنها، كما قصّر بي أنا فيها ثقل سمعي، وبأبي القاسم ورم أنفه، إذ لا بد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه، وأذن ذكية تسمع منه حسه، وأنف نقي لا تذم أنفاسه عند مقاربته»[2].

وفي استكمال جوانب شخصية أبي القاسم الأفليلي تجدر الإشارة إلى ما سبق ذكره من أنه كان معتداً بنفسه، شديد التعصب لرأيه، جدلاً. يقول ابن حيان عنه: «وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده، أو نشب فيه، يجادل عليه، ولا يصرفه صارف عنه»[3].

ولأبي القاسم صفات حميدة، فقد كان كما يقول ابن بشكوال: «صادق اللهجة، حسن الغيب، صافي الضمير، حسن المحاضرة، مكرماً لجليسه»[4].

---

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٧٤.
(٢) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٤٣.
(٣) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٢٨١.
(٤) الصلة ١/٩٣.



آثاره:

اجتهد أبو القاسم الأفليلي في تحقيق مكانة علمية لنفسه، شهد برفعتها وتفردها معاصروه، يقول ابن حيان: «بذ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية والمشاركة في بعض معانيها»[(١)] وقال عنه الحميدي: «وكان مع علمه بالنحو واللغة يتكلم في معاني الشعر وأقسام البلاغة والنقد لها»[(٢)].

لكن هذه المكانة التي عمادها معرفة لغوية وأدبية ونقدية وبلاغية لم تثمر في تصانيف لغوية أو تآليف أدبية، فظلم أبو القاسم الأفليلي نفسه وعلمه قبل أن يظلمه ابن شهيد حين عدّه مقصراً، فأغلظ له القول في تناوله له، إذ يقول: «ومن دليل تقصير عصابة المعلمين أنهم لا يقدمون أن يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفاً، ولا تغزر مادتهم أن ينشئوها تأليفاً، وإنما تفسو به أنفاسهم فسواً بين تلاميذهم، ولا يقدر أن يزيد في النفخ ضراطاً يسمع، فهم في ذلك أمثال الجنادب وقرناء الخنافس... ولا تروى لهم نادرة، ولا تؤثر عنهم شاردة»[(٣)].

وكل ما عرف لأبي القاسم من آثار ما يلي:

١ - شرح معاني شعر المتنبي

قال ابن حيان: «وما بلغني أنه ألف شيئاً إلا كتابه في شعر المتنبي»[(٤)] ويدفع كلام ابن حيان هذا ما جاء عن ابن بشكوال في قوله: «كان عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي الطيب المتنبي، كثير العناية بهما، على عنايته الوكيدة لسائر كتبه»[(٥)].

---

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.
(٢) جذوة المقتبس ص ٣٣٤.
(٣) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٤٤.
(٤) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.
(٥) الصلة ٩٣/١.



٢ ـ مختارات شعرية لأهل الأندلس

قال ابن بشكوال: «وكان عنده من أشعار أهل بلده قطعة صالحة، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ومعرفة برائقه»[١]، فأبو القاسم يملك أدوات الانتخاب الفني والنقد الأدبي.

ويغلب على الظن أن هذا الاختيار متأثر بحماسة أبي تمام ومنحاه فيها، وقد يكون من توجيه الأفليلي وتأثيره إقبال تلميذه الأعلم الشنتمري على حماسة أبي تمام والعناية بها ترتيباً واختياراً وشرحاً، فعدّ بذلك صاحب حماسة أيضاً.

٣ - (حواشي) كتاب الغريب المصنف وكتاب الألفاظ وغيرهما.

قال ابن بشكوال: «وعنى بكتب جمة كالغريب المصنف وغيرهما».

وإخال عمل الأفليلي في هذين الكتابين وغيرهما من كتب اللغة مقتصراً على عمل المُحَشِّي في العادة، من شرح وتفسير وتعليق، بما يجدد أثر الكتاب، وقد شهر الأندلسيون في تناول كتب المشارقة نذكر من ذلك طرر الوقشي وابن السيد البطليوسي على كتاب الكامل.

٤ ـ ديوان أبي تمام صنعة ورواية

إذ جمع أبو القاسم الأفليلي في إخراج هذا الديوان بين رواية القالي والصولي، وقد ظل هذا الديوان أثيراً في التداول في الأندلس والمغرب عن طريق تلاميذه الذين سبقت الإشارة إلى روايتهم لشعر أبي تمام عنه، مثل أبي مروان عبد الملك بن سراج، والعز بن بقنة والأعلم الشنتمري وأبي بكر خازم ابن محمد بن خازم القرطبي يقول أبو القاسم الأفليلي واصفاً صنعته لهذا الديوان في نهاية إحدى مخطوطاته: «كمل في هذا الشعر جميع ما تضمنته القراطيس التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي من شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وذكر أبو علي أنها بخط يد أبي تمام واستقرت

(١) الصلة ٩٣/١.



عند صاحب الشرطة أبي القاسم بن سيد، وصارت إليّ من جهته؛ وكذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو علي من شعر أبي تمام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه على أبي محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه، وأقرأه ذلك رواية عن علي بن مهدي الكسروي عن أبي تمام حبيب بن أوس، واستقر السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمان، وصار إليّ من جهته إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن مضاء، واستعرته من ابنه، وأضفت إلى ذلك ما ألفيته زائداً في الكتب التي استقرت بخط أبي علي وروايته في خزانة المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر، وأخرج إلي الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف، رحم الله جميع المذكورين وعفا عنهم، وأضفت إلى ما نقلته من الأصول المذكورة ما ألفيته زائداً في رواية محمد بن يحيى الصولي مما أشبه ما تقدم في حسن الصناعة واختيار الألفاظ. والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد وسلم»[1].

٥ ـ شعره ورسائله

شعر أبي القاسم الأفليلي غلبته الصنعة والتعمل، فغدا نظماً فاتر العاطفة، بارد الوقع والأثر، قال الحجاري يصف أدبه: «كان بارد النظم والنثر، لم يندر له من شعره إلا قوله:

صحبت القطيع ونادمته   وأصبحت في شربة ذا انقطاع
وأبصرت أنسي به وحده   كأنس الرضيع بثدي الرضاع

قال: وهو القائل في يحيى بن حمّود من قصيدة يكفي منها ما يكفي من الترياق:

أنت خير الناس كلهم   يابن من ما مثله بشر
فإذا ما لحت بينهم   قيل هذا البدو والحضر

(١) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٥٨٤ نقلاً عن «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» د / محمد ابن شريفة ص ١٦ ـ ١٧.



قال: وأنشدتهما لأحد الأدباء، فقال لي عندما سمع عجز الأول، ورأى ترادف الميمات: هذه عقد ذنب العقرب، فلما سمع الثاني، قال: سبحان من أخلى خاطر هذا الرجل من التوفيق»[1].

وهذا النص صريح الدلالة على شعر أبي القاسم الذاتي والغيري وقيمته، فلا أثر للموهبة في هذا الشعر، ولا ملمح فيه للطبع أو الفن ذي الشفافية الذي يكشف عن رؤية الشاعر ومعاناته للتجربة، بل إنه نتاج رصف المعاني والمباني من غير انفعال في وزن شعري. وبذلك يمكن توجيه كلام ابن حيان «وعدم علم العروض ومعرفته مع احتياجه إليه وإكمال صناعته به، فلم يكن له شروع فيه»[2].

ولعله ما قصد إليه ابن شهيد في هجومه على المعلمين وشعرهم لفقدانه البديهة والارتجال (الموهبة والطبع)، إذ يقول: «ومن علم من خلق هذه العصابة إذ لمحتنا أبصارهم، قابلونا بالملق، وهم منطوون على حسد وضيق، فإذا جمعتنا المحافل، وضمتنا المجالس، تراهم إلينا مبصبصين، وعن الأخذ في شيء من تلك المعاني زائفين. . .

وفي مجالس الملوك عند أنسها وراحتها، فإنه يقع فيها ويجري لديها ما لا ينفع له الاستعداد، ولا ينفذ فيه غير الطبع والغريزة المتدفقة فترى الجواد السابق إذ ذاك متشوفاً بأذنه، باحثاً لكديد الإحسان بيده، طامح النظر، صهصلق الصهيل، وأهل الصنعة خرس، لا يسمع لهم جرس، ولا شيء عندهم غير حسو الكاس، وشم الآس، وتنفس الصعداء، قد اصفرت ألوانهم، وقلصت شفاههم، كأنهم من رجال عذرة»[3].

ولم يكن نثر أبي القاسم الأفليلي في رسائله الديوانية أحسن حالاً من

---

(١) المغرب في حلى أهل المغرب ١/٧٤.

(٢) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨٢.

(٣) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢١٠.



شعره، لأنه كان يصدر فيها عن طريقة المعلمين المتكلفين، ولم يجر في أساليب المطبوعين، ولذلك زهد المستكفي بالله فيه، حين وقع كلامه جانباً من البلاغة، ولذلك لم ترو رسائله، شأنها شأن أشعاره، إذ لم يكن فيها ما يغري أو يختار، يقول ابن شهيد معتمداً هذه القضيّة الفنيّة في هجومه على أبي القاسم: «ومن العجب في أمره، أن كل كاتب كتب للسلاطين عندنا، وكل شاعر مدحهم، رويت أشعاره ورسائله غير أبي القاسم وحده، على أنه إنما يجلس للتعليم على هذا المعنى، وربما عرّض بأن يؤخذ منه شيء من أشعاره ورسائله، ولا يجيبه تلميذ، والمحروم محروم، ولو أنه اشترى الزبيب لصبيان المساجد، وقشور الجوز لصبغ شفاه خراجيات الخانات...»(١).

وإذا كانت الحَيْطة تقضي ألا يؤخذ ابن شهيد حجة في الإثبات؛ لأنه خصم يبالغ في تكبير العيوب، ويتسقط الأخطاء، فلا يأبه بالمحاسن وإن تبدت، فإن موافقة بعض هذه الاتهامات لحال الأفليلي في أدبه الإنشائي (الشعر والرسائل) من جهة، واتساقها مع نظرات النقاد والرواة الثقات من جهة أخرى ـ تعطي إذا هذبت من السخرية والتهكم ـ نقداً ـ صائباً لهذا الجانب من آثاره.

على أنني قصرت الإصابة في هذا النقد على أدبه الإنشائي (الشعر والرسائل) دون نثره التأليفي الذي أضفى عليه قيمة أدبية فنيّة؛ بما أجرى فيه من لمسات العناية في انتقاء اللفظ، وصقل العبارة وتوقيعها بالسجع والإزدواج، وبيان ذلك في موضعه من الفصل الرابع في هذه الدراسة.

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٤٢.



الفصل الثاني

شرح شعر المتنبي للأفليلي

- عنوان الكتاب ونسبته إليه.
- زمن تأليفه.

شرح ديوان المتنبي

حظي ديوان المتنبي بعناية العلماء والأدباء الذين تداولوه بالشرح، فتركوا أكثر من أربعين شرحاً مطولاً ومختصراً[1]، بل نحواً من ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً[2].

ويعد أبو الفتح عثمان بن جني أقدم شراح هذا الديوان بكتابيه الفسر الصغير والفسر الكبير، اللّذين أثارا حركة نقدية تصويبيّة لفهم ابن جني، أما الفسر الصغير أو تفسير أبيات المعاني أو الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، فقد انبرى له عدد من الشروح لدفع فهمه ونقده منها[3]:

١ - الفتح على أبي الفتح لابن فورجة (٤٠٠ - ٤٥٠ هـ).
٢ - تتبع أبيات المعاني التي تكلم عليها ابن جنى للشريف المرتضى.
٣ - الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني.

واستنهض الفسر الكبير عدداً آخر من أهل المعاني واللغة في تعقب ابن جني والرد عليه، ومن هؤلاء[4]:

١ - التنبيه على خطأ ابن جني لعلي بن عيسى الربعي (ت ٤٢٠ هـ).
٢ - التجني على ابن جنى لابن فورجة.

---

(١) وفيات الأعيان ج ١/١٢٥.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٢٥٩.
(٣) المتنبي في آثار الدارسين د. عبدالله الجبوري ص ٣٦٧.
(٤) المرجع نفسه ص ٣٦٤.



٣ ـ الرد على ابن جني لأبي حيان التوحيدي.
٤ ـ قشر الفسر لأبي حيان التوحيدي.
٥ ـ المآخذ على شراح ديوان المتنبي للأزدي الحمصي عز الدين أحمد بن علي (ت ٦٤٤) تتبع فيه شروح ابن جني، المعري، الكندي، التبريزي، الواحدي.

وتتوالى بعد ابن جنى شروح عديدة، استأنست به، وجعلت منه أساساً في توضيح المعنى وتفصيله أحياناً، أو غايرته وانتحت بالمعنى منحى بعيداً جديداً أحياناً أخرى، ومن هذه الشروح شرح أبي الفضل العروضي (٤١٦ هـ)، ومعجز أحمد لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩) وشرح الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) وشرح الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، والتكملة في شرح ديوان المتنبي لأبي علي الصقلي والنظام في شرح ديوان أبي تمام والمتنبي لابن المستوفي الأربلي (٦٤٧ هـ).

ويعد النظام أهم شروح المتنبي لأنه جمع كثيراً من شروح سابقيه، فهو ينص على مصادره، فضلاً عن شخصية متميزة في التوفيق بين الشروح أو مغايرتها بفهم جديد، والترجيح بين الروايات المختلفة، ونقد المعاني، ولولا اقتصاره على الشعر المشكل لكان أوفى مصدر لشعر المتنبي.

على أن صاحب كشف الظنون يرى أن شرح الواحدي «أجل شروح المتنبي نفعاً، وأكثرها فائدة، وليس في شروحه (ديوان المتنبي) مع كثرتها مثله»[1].

وللأندلس مشاركة في شرح ديوان المتنبي متميزة بأسبقيتها للمشرق، فضلاً عن استقلالها بالفهم والنهج، فأول شراحه أبو عبدالله محمد بن أبان بن (سيد) سعيد بن أبان الأندلسي اللخمي، من أهل قرطبة (ت ٣٥٤ هـ)، له

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ٨٠٩/١.



شرح لديوان المتنبي[1]. تلاه أبو القاسم الأفليلي (ت ٤٤١ هـ)، فابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في شرح المشكل من ديوان المتنبي، فالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) فابن السيد البطليوسي (ت ٥٢٨ هـ).

شرح أبي القاسم الأفليلي

ومعنى ما سبق أن أبا القاسم الأفليلي يحتل مركزاً متقدماً في الأندلس، ويشارك المشارقة في الاحتفاء بشعر أبي الطيب الذي أثار خصومة حادة بين أنصاره وخصومه، فغدا ظاهرة متفردة في الأدب العربي خلال القرن الرابع الهجري وما تلاه أيضاً.

عنوان الكتاب ونسبته إليه:

لا يعرف عنوان شرح أبي القاسم الأفليلي هذا على وجه التحقيق، فتسميتهُ متباينة بين المصادر، فهو في بعضها، خاصة المتقدم منها، شرح شعر المتنبي، وفي بعض آخر ـ خاصة المتأخر منها ـ شرح ديوان المتنبي.

وأقدم إشارة إلى هذا الشرح نجدها عند ابن حيان (ت ٤٦٩ هـ) نقلها عنه ابن بسام صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وهي قوله: «وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا كتابه المتنبي لا غير»[2].

وقال ابن حزم في رسالة في فضل الأندلس «ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد الأفليلي لشعر المتنبي، وهو حسن جداً»[3].

(١) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ٥٢٧/١ نقلاً عن المتنبي في آثار الدارسين ٣٦٢.
(٢) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.
(٣) نفح الطيب ١٧٣/٤.



وذكره الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) في جذوة المقتبس «وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي، قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: وهو كتاب حسن»[١].

وذكره البكري وهو بصدد تحديد العذيب وبارق فقال: «وقال إبراهيم ابن محمد في شرحه لشعر أبي الطيب عند قوله:

تذكرت ما بين العذيب وبارق

العذيب: ماء لبني تميم، وكذلك بارق، وديار تميم إنما هي اليمامة»[٢].

ونقل ابن سعيد في المغرب عن ابن حيان قوله «وما بلغني أنه ألف شيئاً إلا كتابه في شعر المتنبي»[٣].

هذا هو عنوان الكتاب في المصادر الأندلسية المعاصرة لأبي القاسم الأفليلي «شرح شعر المتنبي».

وفي المصادر المشرقية المتأخرة عن زمن الأفليلي غلب على الكتاب «شرح ديوان المتنبي» قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ): «وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي حسن جيد»[٤].

وقال القفطي: «وله كتاب شرح فيه معاني المتنبي وهو كتاب حسن»[٥].

وقال ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ): «شرح ديوان المتنبي شرحاً جيداً»[٦].

---

(١) جذوة المقتبس ١٥١.

(٢) معجم ما استعجم ٩٢٧/٣.

(٣) المغرب في حلى أهل المغرب ٧٢/١.

(٤) معجم الأدباء ج ٥/٢.

(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة ج ١٨٣/١ ـ ١٨٤.

(٦) وفيات الأعيان ج ٣٣/١.

وقال الفيروزآبادي (ت ٨١٧): «شرح ديوان المتنبي شرحاً نفيساً»[١].

وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ): «وله شرح ديوان المتنبي، ولم يصنف غيره»[٢].

وقال ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) «وشرح ديوان المتنبي شرحاً جيداً، وهو مشهور»[٣].

وفي نسخ الكتاب المخطوطة ما يؤكد العنوان الذي جاء في المصادر الأندلسية وهو شرح شعر أبي الطيب المتنبي. ففي نهاية مخطوطة لندن المكتوبة ٦٧٤ هـ. جاء ما نصه: «انتهى السفر الثالث من شعر أبي الطيب المتنبي رحمه الله، وهو الأول من شرح ابن الأفليلي رحمه الله».

وفي مخطوطة الرباط المكتوبة سنة ٩٧٥ هـ جاء فيها على الورقة الأولى: «الحمد لله السفر الأول من شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي شرح أبي القاسم بن الأفليلي».

وفي نهاية مخطوطة الخزانة العامة بالرباط المكتوبة سنة ١١٢٨ هـ كتب ما يلي: «انتهى السفر الأول من شرح أبي القاسم الأفليلي على شعر أبي الطيب المتنبي في مدح الأمير سيف الدولة».

ومن نافل القول الإشارة إلى أن هذا الشرح لأبي القاسم الأفليلي، فقد أثبتت المصادر المشار إليها سابقاً ذلك، فضلاً عن مخطوطات هذا الشرح، على الرغم من أننا نفتقد الدلالة الخاصة على أبي القاسم خلال الشرح نفسه، كما جرت عادة السلف في مؤلفاتهم بقولهم: قال فلان بن فلان، أو قال أبو فلان.

(١) البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٩.

(٢) بغية الوعاة ١/٤٢٦.

(٣) شذرات الذهب ٣/٢٦٦.



زمن تأليفه.

إن أقدم مخطوطات شرح أبي القاسم الأفليلي التي بين أيدينا يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٦٧٤ هـ، ومعنى ذلك أننا نفتقد النسخة التي كتبت بخط المؤلف أو في حياته، وليس في المخطوط ما يدل على شيء من ذلك أثناء الشرح، إذ تختفي شخصيّة الشارح تماماً في هذا الكتاب.

ويطرح ليفي بروفنسال مطلع القرن الحادي عشر الميلادي زمناً لشرح الأفليلي فيقول: «وقبل الأعلم شرح أستاذه الأفليلي في قرطبة في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، ديوان المتنبي»(١)

وهذا الطرح لزمن تأليف أبي القاسم لشرحه وإن كان ضرباً من التخمين من غير تحديد وتعيين للسنوات الخمس أو العشر الأولى من مطلع القرن الخامس الهجري، فإنه يحظى بجانب من الإصابة والصواب إذا أخذنا بالرأي الذي يقول إن ابن حزم كتب رسالته في فضل الأندلس عام ٤٢٠ هـ(٢)، وقد أفسح فيها مجالاً لذكر شرح الأفليلي والثناء عليه(٣).

ولم يرد ذكر رسالة التوابع والزوابع في فضائل الأندلس عند ابن حزم، بما يشعر أنها لم تكن موجودة آنئذٍ، فتاريخها بعد هذا الزمن ٤٢٠ هـ، يقول ابن حزم عن صديقه ابن شهيد: «ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد؛ صديقنا وصاحبنا، وهو حي بعد، لم يبلغ سن الاكتهال، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسان عمرو وسهل»(٤).

(١) الحضارة العربية في إسبانيا ص ٨٢.
(٢) شارل بلا bibliographe et apologiste de l'Espagne musulman ج ١٩ ص ٩٤ سنة ١٩٥٤ نقلاً عن ديوان ابن شهيد ليعقوب زكي ص ٣٣.
(٣) نفح الطيب ١٧٣/٤.
(٤) نفح الطيب ١٧٨/٣.



ولكن ابن شهيد الذي وضع رسالته ما بين عام ٤١٦ ـ ٤٢٠ هـ على أبعد احتمال[١]، لم يشر إلى شرح الأفليلي، ولو كان موجوداً لما توانى عن تنقصه، وتسديد سهام النقد إليه في رسائله الأخرى أيضاً، خاصة أنه عدّ تجنب المعلمين التأليف دليل تقصيرهم وعجزهم، يقول: «ومن دليل تقصير عصابة المعلمين أنهم لا يقدمون أن يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفاً، ولا تغزر مادتهم أن ينشئوها تأليفاً. . . .».

ومن الممكن أن يكون ابن شهيد أغفل شرح أبي القاسم الأفليلي قصداً إلى النيل من مكانته، وتسفيه شخصيته الممثلة للمعلمين في قرطبة، فهل أدرك ابن شهيد في هذا الشرح تميزاً عن أسلوب أبي القاسم في رسائله، فآثر إظهار معائبه دون الإبانة عن محاسنه؟

ونقرأ خبراً في ترجمة الأعلم الشنتمري مفاده: أنه «ساعد شيخه ابن الأفليلي على شرح ديوان المتنبي»[٢] فإذا علمنا أن الأعلم رحل إلى قرطبة للتلقي عن الأفليلي عام ٤٣٣[٣]، وجدنا أنفسنا أمام تاريخين لوضع هذا الشرح وإخراجه؛ أحدهما: قبل سنة ٤٢٠ هـ وثانيهما: بعد عام ٤٣٣ هـ.

وقد ذهب الدكتور محمد بن شريفة إلى أن الأفليلي أخذ في شرحه لديوان المتنبي في آخر حياته، إذ توفي قبل أن يكمل هذا الشرح الذي أنهى منه النصف تقريباً، فأتمّه الأعلم الشنتمري بشرح قصائد الصبا في شعر المتنبي، وبذلك فسرّ الدكتور محمد بن شريفة مساعدة الأعلم شيخه[٤].

ومع أنني لست معه في فهم المساعدة على أنها الإتمام والإكمال، إذ ثمة فرق واضح بين الفعلين ودلالتها، فإن ما سبق ذكره من أخبار يحمل على

(١) ديوان ابن شهيد ص ٤٤.

(٢) نكت الهميان ص ٣١٤ وفيات الأعيان ج ٦١/٢٠ وإنباه الرواة ٦٠/٤.

(٣) الصلة ٦٨١/٢.

(٤) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص ١١١. وانظر دليله النقلي من ديباجة الاعلم لشرح شعر الصبا للمتنبي.



التساؤل هل يمكن أن يكون أبو القاسم الأفليلي وضع شرحه لشعر المتنبي مرتين؟

ليس هناك ما يمنع هذه المعاودة في التأليف تصويباً واستدراكاً، وفي نتاج السالفين وتآليفهم ما يدل على ذلك، صنع ذلك الجاحظ في البيان والتبيين وابن دريد في الجمهرة، والشريف الرضي في نهج البلاغة[1]، والثعالبي في اليتيمة، وابن خفاجة الأندلسي في ديوانه. ويكاد الدارس لمخطوطات شرح شعر المتنبي يقطع بأن يد أبي القاسم الأفُليلي تناولته مرتين، مستعيناً بدليل ظني وآخر يقيني، أما الدليل الظني فهو مراجعة ابن حزم لهذا الشرح وتعقبه له في نقده المفقود «التعقيب على الأفليلي في شرحه لديوان المتنبي»[2] فلعل أبا القاسم وجد عند ابن حزم صواباً في توجيه، وحقاً في نقد، فراجع شرحه مفيداً ومعيداً.

أما الدليل اليقيني فمصدره الفروق الجوهرية بين نسخة لندن المتقدمة التاريخ ٦٧٤ هـ، ونسخة الرباط (وما نسخ عنها) المتأخرة تاريخ الكتابة ٩٧٥ هـ، ويمكن تحديد هذه الفروق بما يلي:

١ ـ شرح المفردات اللغوية:

فقد شرح ابن الأفليلي المفردات اللغوية الغريبة في مقدمة شرح المعنى في نسخة لندن، في حين لم تشرح هذه الألفاظ في نسخة الرباط، ولا نستطيع أن نحمل كاتب نسخة الرباط مسؤولية التصرف في النص كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين بقوله: «إن صاحب نسخة الرباط لعب قليلاً بالنّص»[3] وذلك لسببين:

---

(١) انظر تحقيق النصوص ونشرها عبد السلام هارون ص ٣٣ ـ ٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨/١٩٧.

(٣) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ص ١٠٣.



أولهما: أن شرح المفردات الذي جاء في نسخة لندن في مقدمة الشرح، جاء أحياناً في نهاية الشرح في نسخة الرباط، مثال ذلك الفهاق في قول المتنبي:

والذي يضرب الكتائب حتى تتلاقى الفهاق والأقدام

«والفهاق: جمع فهقة، وهو العظم الذي يكون على اللهاة»[1].

وفي قول المتنبي:

فإن يقدم فقد زرنا سمندو وإن يحجم فموعدنا الخليج

ففي نسخة لندن فسرت الألفاظ التالية في مقدمة الشرح: «سمندو: حصن يتوسط بلاد الروم، والإحجام: التأخر، والخليج: ما انجر إلى القسطنطينية من البحر»[2].

ويقع هذا التفسير للمفردات في نهاية الشرح في نسخة الرباط.

والتزام أبي القاسم الأفليلي بتقديم شرح المفردات بدءاً، لم يمنعه من مغايرة هذا النهج وتفسير المفردات في نهاية الشرح أحياناً أو في أثناء الشرح، وأحسب هذا من آثار محاولته الأولى في الشرح، ومن أمثلة ذلك ما جاء في بيت المتنبي:

بلغت بسيف الدولة النور رتبة أنرت بها ما بين غرب ومشرق

قال أبو القاسم في شرحه: «ثم يقول: بلغت بسيف الدولة الذي هو نور في دهره، وضياء في عصره، رتبة من المدح، ومنزلة من جليل الوصف، أضاءت في جميع الأرض، وأنرت بها ما بين الشرق والغرب. ويقال: أنار الرجل المكان: إذا ظهر الضياء فيه»[3].

---

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٥ ونسخة الرباط ورقة ٨.

(٢) انظر نسخة لندن ورقة ٣٩ ونسخة الرباط ورقة ٤٦.

(٣) انظر نسخة لندن ورقة ٧٩، وانظر مثالاً آخر في الورقة ١٤.



وفي قول المتنبي:

مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه ولا حملت فيها الغراب قوادمه

فسرت القوادم في نهاية البيت أيضاً.

ومن المفردات ما جاء تفسيره أثناء الشرح، كما في الطمو في قول المتنبي:

إذا طما البحر المحيط فقل له دع ذا فإنك عاجز عن حاله

قال الأفليلي: «ثم قال: وإذا طما البحر المحيط، وطمّوه: ارتفاعه، فقل له: دع ما تظهره، فكرم سيف الدولة يغمرك، ومواهبه تحقرك، وأنت عاجز عن رتبته، ومقصر عن جلالته ورفعته»[1].

وثانيهما: اتفاق نسخة لندن ونسخة الرباط في تفسير المفردات في مقدمة الشرح في بعض الأبيات، خاصة إذا كان أمر المفردة متعلقاً بقضيّة لغوية أو نحوية. ويشير هذا إلى أن أبا القاسم ربما كان معنياً في محاولته الأولى بإزالة الغموض الذي يعتور الكلمة، والإشكال الذي يتعلق بالتركيب، ومن أمثلة ذلك قول المتنبي:

وهان فما أبالي بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالي

قال الأفليلي: «قال: وهان: يريد: رمي الدهر له برزاياه، فحذف الرمي لدلالة قوله: رماني عليه، وأضمر ثقة بما قدّمه من التفسير؛ لأنه لما قدم وصف حاله، ورمي الدهر له، قال: وهان، يريد: وهان ذلك، وإضمار ما يقدم حسن في الكلام، ثم ذكر أنه لا يبالي بما طرقه من الرزايا، بتتابعها، فهو لا يجزع لها لتيقنه أن الجزع غير نافع فيها»[2].

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٢٣.

(٢) انظر نسخة الرباط ورقة ٩.



ومن أمثلة ذلك التعليل بجواز تثنية أب في قول المتنبي:

تسل بفكر في أبيك فإنما بكيت فكان الضحك بعد قريب

قال الأفليلي: «وقوله في أبيك، يريد: في أبويك، فثنى الأب على لفظه، ولم يرده إلى أصله، وقد روى الفراء ذلك، وذكر أن من العرب من يقول إذا ثنى الأب والأخ في الرفع أبان وأخان، وفي النصب والخفض أبيّن وأخيين....»[1].

٢ ـ استدراك شرح بعض الأبيات في نسخة لندن، مما لم يشرح في نسخة الرباط، من ذلك قول المتنبي:

لقيت العفاة بآمالها وزرت العداة بآجالها
وأقبلت الروم تمشي اليـ ـك بين الليوث وأشبالها
إذا رأت الأسد مسبية فأين تفر بأطفالها[2]

٣ ـ تهذيب شرح الأبيات تهذيباً يتناول صقل العبارة بالتجويد، تقديماً وتأخيراً، أو زيادة توضح المعنى، وقد جرى التغيير في التركيب والجملة، وبنية الشرح كاملة، من ذلك ما جاء في شرح قول المتنبي:

تسر بالمال بعض المال تملكه إن البلاد وإن العالمين لكا

ففي نسخة الرباط قال الأفليلي: «ثم قال: تسر بمالك من يملكه كملكك له، وتصرفه كتصريفك إياه، فكأنك إنما تسر بمالك مالك، وتهب لمالك مالك، والبلاد طاعتك، وأهلها رعاياك، والعالمون ممتثلون لأمرك، متصرفون على حكمك».

وشرح هذا البيت بتعديل وتهذيب وزيادة في نسخة لندن، إذ يقول

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٥٥ ونسخة الرباط ورقة ٦٠ ومثالاً آخر نسخة لندن ورقة ٦٠.
(٢) انظر نسخة لندن ورقة ٧٥ ونسخة الرباط ورقة ٧٧وانظرمثالاً آخرالبيت ١٦من القصيدة ٣٢.



الأفليلي: «ثم قال تسر بما تهينه من مالك من تهبه له من قصادك وخولهم، وهم في وقوعهم تحت ملكك، وتصرفهم تحت أمرك، على حسب نهيك وأمرك، كمالك الذي تنفرد بملكه، وتتحكم في أمره، فأنت تسر بمالك مالك، ويوقرك من لا يخرج عن ملكك، فالأرض في قبضتك، وعامروها أهل طاعتك»[1].

ولا سبيل إلى إسناد هذا الفارق بين النسختين إلى فعل النساخ وما يدور فيه من مستوى ثقافتهم وإدراكهم وقدرتهم، لأن الفارق يتجاوز لفظاً أو تركيباً إلى إعادة صياغة المعنى صياغة جديدة مع الانتفاع بما سبق من شرحه.

ولست أنكر أن كثيراً من الفروق في الألفاظ والتراكيب قد لا تتعدى عمل النساخ، كالتحريف الذي جاء في شرح قول المتنبي:

لا عدم المشيَّعَ المشيِّعُ ليت الرياح صنع ما تصنع

ففي نسخة الرباط: «يقول لا عدم سيف الدولة هذا العبد النجيب، والوالي النصيح، ثم أقبل على سيف الدولة، فقال: ليت هذه الريح تحتذي حذوك، وتفعل فعلك» وفي نسخة لندن: «يقول: لا عدم سيف الدولة هذا العبد المحب، والوالي الناصح، ثم أقبل على سيف الدولة فقال: ليت هذه الريح تحذو حذوك وتفعل فعلك[2]».

إن بين المحب والنجيب، والناصح والنصيح رابطة قربى في الهيئة والشكل، على الرغم مما بين كل كلمتين من فارق في المعنى والبناء. والأمر يتعدى مثل هذين الموضعين إلى كثرة ملحوظة بدت ظاهرة في الفروق بين الألفاظ وبين التراكيب أيضاً، وقد أشرت إلى ذلك في حواشي التحقيق، وكثرة ذلك تغني عن الإشارة إليه أو إيراده.

(١) انظر نسخة لندن ورقة ٣٢ ونسخة الرباط ورقة ٣٨.
(٢) انظر نسخة لندن ورقة ٣١ ونسخة الرباط ورقة ٣٧.



٤ ـ تجزئة الشرح وتقسيمه إلى سفرين مختلفين في حجمهما وعدد قصائدهما.

فقد انتهت نسخة لندن بنهاية القصيدة (٥٩) التي مطلعها:

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر

وورد في نهايتها: «انتهى السفر الثالث من شعر أبي الطيب رحمه الله وهو الأول من شرح ابن الأفليلي.... يتلوه في أول الرابع بمشيئة الله وعونه:

وقال يصف دخول الرسول أيضاً:

دروع لملك الروم هذى الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل

وانتهت نسخة الرباط بنهاية شرح القصيدة (٦٩) التي مطلعها:

إن يكن صبر ذي الرزية فضلا تكن الأفضل الأعز الأجلا

وذيلت هذه النسخة بالقول: تم القصيد بحمد الله، يتلوه:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلالا

والفارق في هذه التجزئة بين النسختين عشر قصائد، تحوي على (٣٢٩) بيتاً، إذ شملت نسخة لندن بقصائدها (٥٩) على (١٠٦٤) بيتاً، وشملت نسخة الرباط بقصائدها على (١٣٩٣) بيتاً.

وأياً كانت دلالة هذا الفارق العددي في هذه التجزئة، وأياً كانت نسبية حجم السفر وعدد أوراقه بين المؤلفين والنساخ، فإن في اختلاف هاتين النسختين دليلاً على محاولتين مختلفتين جوهرياً في عدد القصائد، وتباين الشرح وعبارته، وزمن البدء، وتاريخ المعاودة فيه.

ويرد هنا سؤالان على هاتين المحاولتين عن واقع القسمة فيهما:

أولهما: إذا كانت المحاولة الأولى قد أنهت السفر الأول بنهاية السيفيات تقريباً (عدا تسع قصائد) أفيكفي ما تبقى من شعر المتنبي؛ الكافوريات أو المصريات والعضديات، للنهوض بالسفر الثاني في مساواته بالسفر الأول؟



وثانيهما: إذا كانت المحاولة الثانية قد ضمنت السفر الأول ثلاثة أسفار من شعر المتنبي، فهل في ذلك دليل على أن الأفليلي بدأ بشعر الصِّبا عند المتنبي في هذه المحاولة؟

إن في هامش الورقة الأولى من نسخة الرباط ما يشي بحدود المحاولة الأولى واحتمال بدايتها بالسيفيات، فقد جاء ما نصه: «أول القصيدة التي شرح الأفليلي من كلام أبي الطيب المتنبي رحمهم الله».

ولعل مما يعزز هذا الاحتمال بداية وانتهاءً أمرين:

أولهما: ما جاء في نهاية مخطوط الرباط المنسوخ سنة ١١٢٨ هـ «انتهى السفر الأول من شرح أبي القاسم الأفليلي على شعر أبي الطيب في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبدالله».

ثانيهما: أن صاحب التبيان (ابن عدلان)[1] في شرح ديوان المتنبي نصّ

---

(١) نسب مصطفى جواد هذا الكتاب إلى عفيف الدين أبي الحسين علي بن عدلان (٥٨٣ - ٦٦٦ هـ) ودلل على ذلك بأدلة هي في مجموعها صائبة في نفي نسبة الكتاب إلى أبي البقاء العكبري (انظر مجلة المجمع العلمي - دمشق - مجلد ٢٢ ص ٤٣ - ٤٤ سنة ١٩٤٧).
وأضيف إلى أدلة نفيه دليلين: **أولهما**: أنني قارنت بين شرح كثير من الأبيات التي وردت منسوبة لأبي البقاء في النظام لابن المستوفي، وبين ما ورد في التبيان، فلم أجد تطابقاً أو تقارباً، من ذلك شرح قول المتنبي.

ولسنا نرى لهباً هاجه ... فهل هاجه عزك الأقعس

قال أبو البقاء في شرحه: «أي لم يظهر لنا ما ألهب المجمر، فلعل ذلك من هبتك» (النظام ١١٩/٢) وشرح البيت في التبيان: «المعنى: يقول: نحن لا نرى ناراً هيجت ريح الند، فهل هاجه عزك الثابت، أو المرتفع العالي» (٢٠٦/٢) وفي قول المتنبي:

(لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحب ما لم يبق مني وما بقي)

قال أبو البقاء العكبري: «أي سبب عناء قلبي في الماضي والمستقبل، ملاحة عينيك وقيل لأجل عينيك...» (النظام ٢٠٤/٢) وفي التبيان شرح منقول من أبي القاسم الأفليلي: «يقول لمحبوبته لعينيك، وما تضمنتاه من السحر، وأثارتاه من لوعة....» (٣٠٤/٢).
وثانيهما: أن مذهب أبي البقاء العكبري في النحو متأثر بمذهب البصريين إلى حد كبير، أما صاحب التبيان، فالمذهب الكوفي غالب عليه، إذ يكثر من قوله: «ذهب أصحابنا -



في نقله على أقوال ابن الأفليلي فيما يقارب عشرين موضعاً، كلها في سيفيات المتنبي وما بعدها، فمن المصريات قول المتنبي في مدح أبي شجاع فاتك[1] سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة:

= الكوفيون» (٢/١١٢)، وكقوله: «وهذا جائز عند أصحابنا الكوفيين، والبصريون لا يختارونه» (٤/١١٥).

غير أن أدلة نسبة الكتاب إلى ابن عدلان والتي أوردها مصطفى جواد بحاجة إلى إثبات، فلا يعني قوله: «قال أبو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان: الرواية الصحيحة مثل بالرفع» (التبيان ٤/٢٠١) دليلاً على أنه أثبت نفسه، بتسمية اسمه على أنه صاحب الكتاب، لأسباب:

أولها: أنه أورد مثل هذا القول في إسناده لغيره، كقوله «قال الشريف هبة الله بن الشجري الحسني: فيه سؤال في الإعراب بين كفى بجسمي نحولاً وبين كفى بالله» (التبيان ٤/١٨٦).

ثانيها: إن طريقة صاحب التبيان في دفع آراء غيره، أو إثبات رأيه، لا تُعْنَى بالنص على شخصه بالتسمية، فهو يرد على ابن القطاع فيما ذهب إليه من أن ظاهر أحد الأبيات هجاء سيف الدولة بقوله: «الأسد: وهي جمع أسد، معدود في البهائم، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم، وأقول: الأسد مثلهم، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة...» (٤/١١٦)، وفي رده على الأخفش قال: «وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير» (٢/١٠٥) وقال في دفعه لرأي الواحدي «وليس المتنبي من أهل الأوصاف، وهي كالقطعة التي وصف بها كلام ابن العميد. انتهى كلامه. قلت: إنما المتنبي ممن يحسن الأوصاف في كل فن...» (٤/١٦٥).

ثالثها: أن هذا النص على ابن عدلان لم يرد في كتاب التبيان إلا مرة واحدة، فلماذا لم يكن لهذه المرة نظائر في الإشارة والتخصيص.

أما قول مصطفى جواد: «إن ابن عدلان ألف الشرح الكريم البارع الجسيم لديوان المتنبي... وألف أيضاً (نزهة العين في اختلاف المذهبين). والروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة) فلا دليل عليه من المصادر التي ترجمت له، وغاية ما ذكرت له من المصنفات إنما يتعلق بحل الألغاز مثل «عقلة المجتاز في حل الألغاز» ومصنف حل المترجم ألفه للملك الأشرف (انظر الوافي بالوفيات ٣/٤٣ ـ ٤٤، بغية الوعاة ٢/١٧٩، الأعلام ٤/٣١٢) على أن صديقه ابن خلكان لم يخصه بترجمة منفردة.

وإلى أن يكشف التحقيق عن صاحب هذين الكتابين، فسيظل لمصطفى جواد جهده الذي لا ينكر في محاولة البحث عن تحقيق صاحب التبيان.

(١) هو أبو شجاع فاتك الملقب بالمجنون، وهو رومي أسر وربي في فلسطين، ثم أخذه الأخشيد من سيده في الرملة كرهاً بلا ثمن فأعتقه صاحبه، وكان في أيام كافور مقيماً بالفيوم، ويقول ابن خلكان إنها كانت إقطاعاً له. (انظر وفيات الأعيان ٤/٤٧ ـ ٥٠) ط دار صادر.



يروى صدى الأرض من فضلات ما شربوا   محض اللقاح وصافي اللون سلسال

نقل صاحب التبيان ما نصه: «وقال ابن الأفليلي: يروي عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من اللبن والخمر، وما يتابع لهم من الألطاف والبر، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض مقام السقي، وما يحمل لها من المطر»[1].

لكن الباحث في شرح صاحب التبيان لشعر الصِّبا عند المتنبي لا يظفر بأية إشارة إلى ابن الأفليلي، فهل في هذا دليل على عدم شرحه لهذه القصائد قبل اتصاله بسيف الدولة، لتفاوت شعر المتنبي بين المرحلتين[2]؟ أم أن الأمر في عدم الإشارة لا يعدو الاستحسان والانتخاب؟

وينازع في الأمرين السابقين ويدفع الاحتمال فيهما، إشارة إلى شرح الأفليلي لشعر الصبا، وذلك في تعقيبه على قصيدة المتنبي:

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمي وحالي عنده ألم

بقوله: «ولما أنشد هذه القصيدة وانصرف، كان في المجلس رجل يعاديه، فكتب إلى أبي العشائر على لسان سيف الدولة كتاباً إلى أنطاكية يشرح له فيه ذكر القصيدة، وأغراه به، فوجه أبو العشائر عشرة من غلمانه، فوقفوا قريباً من باب سيف الدولة في الليل، وأنفذوا إليه رسولاً على لسان سيف الدولة... فضرب أحدهم بالسيف فقطع الوتر، وبعض القوس، وأسرع السيف في ذراعه، فوقفوا عليه، وسار وتركهم، فلما يئسوا منه، قال أحدهم نحن غلمان أبي العشائر، فلذلك قال:

ومنتسب عندي إلى من أحبه   وللنبل حولي من يديه حفيف

---

(١) التبيان ٣/٢٨٢ وانظر مثالاً آخر ٣/٢٨٤.

(٢) ذهب الواحدي وصاحب التبيان وبعض من تناول شرحه إلى أنه لو طرح أبو الطيب شعره في صباه لكان أولى به.



هي خمسة أبيات قد تقدمت وألحقت بمدح أبي العشائر، وقد كنا شرطنا على رأسها أن نشرحها هاهنا»[1].

ويرفع من شأن هذه الإشارة وجودها في كل من نسختي الرباط ولندن، ومن عجب أن الأفليلي لم يشرح هذه الأبيات الخمسة في هذا الموضع، بل لم يذكر الأبيات، فلعله قصد بقوله «شرطنا على رأسها أن نشرحها هاهنا» تفصيل القول في شرح مقدمتها في هذا الموضع لأنه أليق به وألصق.

ويؤكد الدكتور محمد بن شريفة أن أبا القاسم الأفليلي لم يشرح شعر الصبا عند المتنبي معتمداً في ذلك على مقدمة الأعلم الشنتمري في شرح قصائد الصبا من شعر أبي الطيب المتنبي، إذ أن ابن الأفليلي توفي قبل أن يكمل شرح الديوان حيث إنه لم يشرح منه إلا نحو النصف من جملة شعر المتنبي، وبقي عليه قسم من شعره، وهو الذي قاله في صباه، فنهض تلميذه بشرحه ليكون كما يقول في المقدمة: «هذا الشرح موصولاً بشرحه المذكور، ومضافاً إلى تأليفه المشهور،» فيكمل بذلك جميع الشعر مشروحاً، ويذهب الأعلم إلى أن الغاية من تكملته شرح أستاذه بشرحه هي «أن يستغني بهما عن شرح أبي الفتح ابن جنى وغيره»[2].

٥ ـ إفراد الأبيات بالشرح وجمعها.

عمد أبو القاسم في محاولته الأولى إلى إفراد كل بيت بالشرح غالباً، وربما جمع أبياتاً ثلاثة أو أربعة معاً. إلا أن جمعه للبيتين معاً هو الأكثر، غير أن ذلك لا يتعدى الخمسة عشر موضعاً. ولا يتبع أبو القاسم في هذا الجمع خطة دقيقة، فقد يطلب البيت الأول تفصيل فكرته في البيت التالي له،

---

(١) انظر القصيدة ٣٥ من هذا الشرح.

(٢) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص ١١١ ـ ١١٢.



فيكون جمع البيتين صائباً، كما في قول المتنبي:

يـعـللهـا نـطاسي الـشـكـايـا وواحـدهـا نـطاسي المـعـالي
إذا وصـفـوا لـه داء بـثـغـر سـقـاه أسـنـة الأسـل الـطوال

وقول المتنبي أيضاً:

ولـيـسـت كـالإنـاث ولا الـلواتي تـعـد لهـا الـقـبـور من الحـجـال
ولا مـن في جـنـازتهـا تجـار يـكـون وداعـهـا نـفض الـنـعـال

وقد يجمع بين البيتين، وجامع المعنى بينهما لا يتأتى إلا بتأول وتدقيق، كما في جمعه البيتين التاليين:

وإني لممنـوع المقـاتـل في الـوغـى وإن كنت مبـذول المقـاتـل في الحب
ومن خلقـت عينـاك بـين جفـونـه أصاب الحدور السهل في المرتقى الصعب

وفي عدد المرات المعدودة التي جمعها أبو القاسم في نسخة الرباط ما يدل على عدم تبصره وعنايته بـالرابـطة القويـة التي تكثر بـين أبيات المتنبي وفي شعره، فلم يعط منهجه هذه الظاهرة كبير عناية، ولكنه في محاولته الثانية رسخ وحدة الأفكار والمعاني.

على أن الأفليلي أبقى على ما يشير إلى توحد المحاولتين وذلك بإبقائه على اللازمة الفاصلة بين كل بيت وذلك في قوله: «يقول... ثم قال» أو «ثم وصف» وقلما يفارق ذلك بمزج المعاني مزجاً يشعر بوحدتها واتساقها.

مما سبق يتبدى ميلي إلى عدّ نسخة الرباط نتاج محاولة الأفليلي الأولى، ونسخة لندن تهذيب محاولته الثانية في الشرح، وذلك لأسباب عدّة تميزت بها هذه النسخة، إذ غلب عليها التحسين والتهذيب والاستدراك.

القسم الأول

الفصل الثالث

منهج أبي القاسم الأفليلي في شرح شعر المتنبي



منهج أبي القاسم الأفليلي في شرح شعر المتنبي

اعتمد أبو القاسم الأفليلي المنهج التاريخي في تناوله قصائد شعر أبي الطيب المتنبي، فتدرج بها وفق تسلسلها الحدثي، إذ اعتنى بتحديد الزمن الخاص بالقصائد؛ يومها وشهرها وسنتها. فالقصيدة الأولى على سبيل المثال من هذا المجموع الشعري يقول في التقديم لها: «قال أبو الطيب يمدح الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبدالله بن حمدان عند نزوله أنطاكية، ومنصرفه من الظفر بحصن برزويه، في جمادى الأخيرة من سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وهي أول ما أنشده».

وأبو القاسم الأفليلي بذلك يجري مجرى أكثر معاصريه ممن تناول ديوان المتنبي بالشرح كالخوارزمي (ت ٣٨٣)، وأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩) والواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، لكنه يخالف أقدم شراح المتنبي من رواته وهو أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ)، الذي رتب الديوان ترتيباً أبجدياً تبعاً لقوافيه.

وأحاط أبو القاسم الأفليلي في نهجه بقضايا شعر المتنبي التي عني بها من تدارس شعره قديماً وحديثاً؛ مثل مقدمات قصائده، لغته الشعرية، تشكيله الفني، إشكال معانيه، مبالغاته، سرقاته. وانعطاف الأفليلي إلى هذه القضايا من خلال الشرح إنعطاف واعٍ لطبيعتها، ويحمل جوانب ثقافته وفكره النقدي.



مقدمات القصائد:

يمهد الأفليلي لقصائد المتنبي بمقدمات تطول أحياناً فَتُشَكِّل تعريفاً دقيقاً بالأحوال الخاصة للنص من حيث أعلامه وأماكنه وأحداثه، وتقصر أحياناً أخرى فتكون إطلالة عامة على النص، تحدد مناسبته، وتؤلف بينه وبين جوّه العام. وفي هذا التعريف العام أو الخاص دلالات لازمة لإضاءة جوانب خفيّة متعددة، لا يقوم بحاجتها، ولا يفي بغرضها تفسير غوامض الألفاظ، وتحليل ارتباط التراكيب والجمل.

وهذه المقدمات من إملاء أبي الطيب المتنبي على رواة ديوانه[1]، كما يفهم من قول ابن جنى في مقدمة شرحه الديوان: «على أنني سأذكر ما شجر بيني وبينه من المباحثة وقت قراءتي ديوانه عليه، إلى سوى ذلك مما أحصره من تلخيص وإيضاح شاهد، وأشرح ما التبس من شعره، . . . وأتنكب اعتراف ذكر الأخبار المأثورة عنه في نظم ديوانه لشهرته»[2]

واستعان بجانب من هذه الأخبار في تفسير بعض المعاني كقول المتنبي:

وجدتموهم نياماً في دمائكم كأن قتلاكم إياهم فجعوا

قال ابن جنى: «حدثني المتنبي لما هزم سيف الدولة الدمستق جال المسلمون بين القتلى ينظرون من به رمق قتلوه، وكب المشركون عليهم فقتلوهم، فلهذا قال هذا، أي هم من قتلاكم قعود»[3].

ويكاد الأفليلي يتفرد بتكامل هذه المرويات، وتمام هذه المقدمات، من بين

---

(١) ذهب إلى ذلك د. عبد الوهاب عزام من غير دليل في قوله: «وأحسب هذا كله من إملاء المتنبي على رواة ديوانه» ذكرى أبي الطيب المتنبي ص ٢٦.

(٢) ديوان شعر أبي الطيب المتنبي صنعة أبي الفتح عثمان بن جنى مخطوط مصور عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٣ أدب ورقة ٤.

(٣) ديوان شعر أبي الطيب صنعة ابن جنى ورقة ١٦٧.



الثقات من الشراح الذين رووها، ويمكن تأكيد ذلك بمراجعة شرح كل من ابن جنى وأبي العلاء المعري والواحدي، ففي القصيدة التي مطلعها:

تذكرت ما بين العذيب وبارق   مجر عوالينا ومجرى السوابق

قدّم ابن جنى لها بقوله: «وقال يذكر إيقاع سيف الدولة رحمه الله ببني عقيل وقشير والعجلان وكلاب لما عاثوا في نواحي أعماله، وقصده إياهم وإهلاك من أهلكه منهم، وعفوه عمن عفي عنه، بعد تضافرهم وتصارفهم وتحالفهم على قتاله»(١).

وقال أبو العلاء مقدماً لها بقوله: «تجمعت عامر بن صعصعة وعقيل وقشير وعجلان أولاد كعب بن ربيعة بن عامر بمروج سلمية، وكلاب بن ربيعة بن عامر ومن ضامها بماء يقال له الزرقا بين خناصرة وسورية، ونمير بن عامر بذي دينار من الجزيرة، وتشاكوا ما يلحقهم من سيف الدولة، وتوافقوا على التزام فيما بينهم؛ شغله من كل ناحية، والتضافر إن يقصد طائفة منهم، وبلغه ما عملوا عليه، وأقل الفكر فيهم فأطغاهم كثرة عَددِهم وعُدَدهم، وسولت لهم أنفسهم الأباطيل، واستولى على تدبير كعب عقيلها، وحسن ذلك لهم قواد كان في عسكر سيف الدولة، فسار إليهم وظفر بهم، فقال أبو الطيب ويذكر ما جرى ويمدحه سنة أربع وأربعين وثلاثمائة»(٢).

ونقل الواحدي ما جاء عند ابن جنى فقال: «وقال يذكر إيقاع سيف الدولة ببني عقيل وقشير وعجلان وكلاب، لما عاثوا في نواحي أعماله، وقصده إياهم، وإهلاك من أهلكه منهم، وعفوه عمن عفى عنه، بعد تضافرهم وتضامهم»(٣).

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٨٥.

(٢) معجز أحمد ورقة ٤٥.

(٣) ديوان المتنبي شرح الواحدي ج ٢ / ٥٥٩ ـ ٥٦٠.



ويمكن إدراك الفارق الكبير بين هؤلاء الثقات الثلاث فيما رووا وأبي القاسم الأفليلي، بمقابلة هذه المقدمة القصيرة بما جاء من صفحات متعددة من القصيدة رقم (٦٦) من هذا الشرح.

أما مقدمة غزوة المصيبة التي وقعت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، والتي قتل من المسلمين فيها زهاء مائة ألف فارس، والتي مطلعها:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع   إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

فقد قدم لها ابن جنى بقوله: «وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث، ويصف الحال شيئاً فشيئاً، وسيأتيك مفصلاً»(١) ولا يعنى التفصيل أكثر مما سبق ذكره من خبر مقتضب في تفسير معنى بيت كما مرّ في تفسيره لقول المتنبي:

وجدتموهم نياماً في دمائكم   كأن قتلاكم إياهم فجعوا

وفصّل أبو العلاء المعري في معجز أحمد في مقدمة هذه القصيدة تفصيلاً وافياً تطابق فيه مع أبي القاسم الأفليلي حرفاً بحرف(٢).

ونقل الواحدي كلام ابن جنى فقال: «وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث، ويصف الحال شيئاً فشيئاً مفصلاً»(٣).

هذه الموافقة في بعض المرويات تعزز القول بالأصل الواحد لها في صدورها عن المتنبي، وهذه المخالفة تنبىء بتصرف رواة ديوان المتنبي بهذه الأخبار، فإذا كان ابن جنى وهو أحد رواة ديوان المتنبي قد اختصر ذلك كما

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي صنعة ابن جنى ورقة ١٦٥.

(٢) معجز أحمد لأبي العلاء المعري ورقة ٣٤ - ٣٥ وتجدر الإشارة إلى موافقة المعري للأفليلي في مقدمات القصائد ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٦٩ من هذا الديوان.

(٣) شرح الواحدي ٢/٤٥١.



أشار في مقدمة شرحه[1]، فلعل رواية الأفليلي للديوان (عن ابن العريف الحسين بن الوليد عن أبي بكر الطائي عن المتنبي)[2] والتي هي إحدى طرق رواية الديوان المتعددة، تميزت بالدقة في النقل والإتقان في الضبط من لدن المتنبي حتى أبي القاسم الأفليلي الذي كان «رأساً في اللغة والشعر إخبارياً علامة» فيما يصفه ابن العماد الحنبلي[3]، ويقول عنه ابن بشكوال «كان ذاكراً للأخبار وأيام الناس»[4].

اللغة الشعرية:

لا سبيل إلى الشك في المفردات اللغوية ومعانيها التي تفردت بها نسخة لندن دون النسخ الأخرى، خاصة أن هذه المفردات قد نصّ على وجودها في مصدرين؛ أحدهما أندلسي معاصر لأبي القاسم الأفليلي، وثانيهما مشرقي متأخر عنه.

فقد نقل البكري في معجم ما استعجم عن ابن الأفليلي شرحاً وتحديداً لموقع العذيب، فقال: «والعذيب بضم أول، تصغير عذب، واد بظاهر الكوفة... وقال إبراهيم بن محمد في شرحه لشعر أبي الطيب عند قوله:

تذكر ما بين العذيب وبارق

العذيب: ماء لبني تميم، وكذلك بارق، وديار بني تميم إنما هي «اليمامة»[5]. ونقل صاحب التبيان في شرح ديوان المتنبي معاني كثير من الألفاظ

(١) من الغريب حقاً أن مخطوطة شرح ديوان المتنبي لابن جنى نسخة المكتبة الأحمدية ـ حلب رقم ١١٥٧ متوافقة ومتطابقة تماماً مع مقدمات ابن الأفليلي، على النقيض من نسخة دار الكتب بما يوحي بتصرف الرواة في النقل.

(٢) فهرسة ابن خير الأشبيلي ص ٤٠٣.

(٣) شذرات الذهب ٢٦٦/٣.

(٤) الصلة ٩٣/١.

(٥) معجم ما استعجم ٩٢٧/٣.



من أبي القاسم الأفليلي، وقد نص على ذلك أحياناً، وأغفل الإشارة إليه أحياناً أخرى، ففي قول المتنبي:

تساوت به الأقتار حتى كأنه   يجمع أشتات الجبال وينظم

نصّ صاحب التبيان عليه فقال: «قال ابن الأفليلي: الأقتار: الغبار»[1].

وفي قول المتنبي:

أجل من ولد الفقاس منكتف   إذ فاتهن وأمضى منه منصرع

قال صاحب التبيان: «الفقاس: قال ابن جنى: هو الدمستق، كأنه لقيه، قال الواحدي: هو جدّه، وقال ابن الأفليلي: هو رئيس جيش الروم»[2].

وتحديد أبي القاسم الأفليلي للدلالة اللغوية تحديد مركز وفيه قصد، فلا انعطاف إلى تعدد الدلالات، ولا إشارة إلى تباين الاحتمالات، غير أن ذلك لم يمنعه من مدّ طلق المعنى إلى فوائد منظورة في فقه المعنى، كما في قوله: «وطلع النخيل أول ما ينعقد فيه من ثمرته، وتنشق عنه أغشيته، فسمي ذلك العقد حينئذٍ طلعاً، وتسمى الأغشية المنشقة كافوراً»[3].

ويحترس أحياناً فيشير بإيجاز شديد إلى معنى آخر إذا كان مخالفاً لما ذهب إليه، كما في تفسيره الدخال في قول المتنبي:

فلا غيضت بحارك يا جموماً   على علل الغرائب والدخال

---

(1) التبيان ٣/٣٥٧.

(2) التبيان ٢/٢٢٨.

(3) انظر القصيدة ٣٩ بيت رقم ١.



قال: «والدخال ها هنا: أن تشرب الإبل ثم تثار فتعرض على الماء، وقد يقال بخلاف ذلك»[١].

ويتجاوز أبو القاسم الأفليلي أحياناً الدلالة المعجميّة العامة إلى الدلالة الأسلوبية الخاصة بالسياق، كما في لفظ الأمين في قول المتنبي:

كم حشاشة بطريق تضمنها للباترات أمين ما له ورع

قال: «. . . الأمين الذي يصدق فيها وليه، وأراد ها هنا به القيد»[٢].

والسِّيد في قوله:

موقعه في فراش هامهم وريحه في مناخر السيد

الذئب، وأشار به إلى «النوع»[٣] دون عموم الجنس للصفة الخاصة بهذا النوع من الذئاب.

وهذه القلة في الإشارة الخاصة بدلالة السياق، يقابلها كثرة العناية بدلالة اللفظ القائمة على المشابهة والمجاز، والأفليلي حاذق في التمييز بين ما كان في استعماله العربي المطرد من الحقيقة وإن كان عنصر المشابهة أصلاً فيه، وما كان تطويراً في دلالة المشابهة. فمن الصنف الأول الجريال في قول المتنبي:

ولقد خبأت من الكلام سلافهُ وسقين من نادمت من جرياله

قال ابن الأفليلي: «والجريال: صبغ أحمر، وما اشتدت حمرته من الخمر يسمى جريالاً على المشابهة»[٤].

ومن الصنف الثاني الغمر في قول المتنبي:

(١) انظر القصيدة ٥ بيت رقم ٤٢.
(٢) انظر القصيدة ٢٨ بيت ٢٧.
(٣) انظر القصيدة ١٢ بيت ١٢.
(٤) انظر القصيدة ١٥ بيت ٥.



وخوضه غمر كل مهلكة للذمر فيها فؤاد رعديد

قال ابن الأفليلي: «الغمر: مجتمع الماء، فاستعار ذلك في الحرب»[1].

ومن ذلك أيضاً العصف والإنهواء في قول المتنبي:

عصفن بهم يوم اللقان وسقنهم بهنزيط حتى ابيض بالسبي آمد
وألحقن بالصفصاف شابور فانهوى وذاق الردى أهلاهما والجلامد

قال ابن الأفليلي: «الانهواء: لحاق الأعلى بالأسفل، وعصفت الريح بالشي: إذا اقتلعته واشتد ذهابها به، فاستعار ذلك أبو الطيب لهذه الخيل»[2].

ولعل عناية الأفليلي هذه، مرامها التنويه بشاعرية المتنبي في قدرتها على إثراء لغة التعبير الشعرية، مما أكسب الألفاظ دلالات ذات حداثة وجدة، وطرافة تعبيرية أصيلة.

وعلى الرغم من حرص الأفليلي على تفسير الألفاظ تفسيراً معجمي الدلالة العامة، إلا أن هذا التفسير قلما يعتمده في تحليله البيت الشعري، بل يعمد إلى ألفاظ المتنبي فيمكّن لها في ذلك بمرادف أو نظير، وكأنه في هذا إنما يؤكد على أن معنى اللفظة يحدده السياق الخاص بالبيت من جهة، وأن اختيار المتنبي للغته من الدقة ما يجعله طاغياً على نثر شعره وتحليله وتفسيره من جهة أخرى، فلا سبيل إلى التغيير والتبديل؛ لأن في ذلك إخلالاً بقوة الدلالة؛ ويتبدى ذلك في قول المتنبي:

يمد يديه في المفاضة ضيغم وعينيه من تحت التريكة أرقم

قال الأفليلي: «المفاضة: الدرع، والضيغم: الأسد، والتريكة:

---

(١) انظر القصيدة ٣٠ بيت ٢٦.

(٢) انظر القصيدة



البيضة، والأرقم الحيّة. فيقول: إن هؤلاء الفتيان الذين ذكرهم، كلهم أسد في شدته، أرقم أفعوان في بسالته، يمدّ في درعه يدي أسد، قوة وشدة، ويمد تحت تريكته عيني أرقم، إقداماً وشجاعة»[1].

وفي قول المتنبي:

وإذا وكلت إلى كريم رأيه في الجود بان مذيقه من محضه

قال: «المذيق: المحنوط، والمحض: الخالص، ثم قال: إذا وكلت إلى الكريم في رأيه الجود، كشف لك حقيقته، وأبان لك يقينه، وعرفت بما يبديه لك فضل ما بين المذيق والمحض، وفرق ما بين المشوب والصفو»[2].

وقد يخرج الأفليلي عن هذه الضمنية في الإعجاب إلى الإعلان عن حسن اختيار المتنبي لألفاظه، فيتحسس لموقعها حسناً، ويلتمس لاختيارها علّة لطيفة، كما في نبت الربا في قول المتنبي:

أين أزمعت أيهذا الهمام نحن نبت الربا وأنت الغمام

«وهو من آنق النبت، ولذلك ضرب الله المثل به، فقال تعالى **﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّة بربوة أصابها وابل﴾** وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام، وأشده افتقاراً إليه؛ لأنه لا يقيم فيه، ويسرع الإنسكاب عنه، ولهذا شبه أبو الطيب حاله به»[3].

واعتمد المتنبي الطلال من بين سائر الأمطار في قوله:

تحجب عنك رائحة الخزامى وتمنع منك أنداء الطلال

«لأنها أسمحها في الروض، وقطرها برقته يثبت على طاقات النور،

(1) انظر القصيدة ٢٥ بيت ٢٩.
(2) انظر القصيدة ١١ بيت ٣.
(3) انظر القصيدة ٢ بيت رقم ١.



ويرسخ بلينه في الأرض»[1] واعتمد المارن في قوله:

ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع

«من بين سائر الوجه؛ لأن العرب تفعل ذلك، فتقول: أرغم الله أنف فلان - فتقصد الأنف من بين سائر الوجه»[2].

وللغة في شعر المتنبي حركة بنائية دقيقة عميقة تقوم على القلب والحذف والإضمار والإفراد والجمع وما إلى ذلك من ركائز تعبيرية، وقواعد لغوية، يقصدها بمعرفة متميزة بالإحاطة والشمول، حتى عدَّ ابن السيد البطليوسي شعره حجة في العربية يأتلف مع عصر الاحتجاج ولا يختلف عنه[3]. وأدرك ذلك كله أبو القاسم الأفليلي فحرص على بلورة هذه الحركة من خلال طريقة العرب فرسخها في جانبين: التكوين اللغوي، والتشكيل الفني.

١ - التكوين اللغوي

نبه الأفليلي على مغايرة المتنبي للألفاظ التي يتداولها الشعراء، وقصده أحياناً إلى الألفاظ التي لم يفقدها عدم تعاورها في الاستعمال الأصالة والدقة، كما في البُخْل والبَخَل في قوله:

هو الشجاع يعدُّ البخل من جبن هو الجواد يعد الجبن من بَخَلِ

قال الأفليلي: «البخل والبخل لغتان»[4].

والتوراب في قول المتنبي أيضاً:

(١) انظر القصيدة ٤ بيت رقم ٢٣.
(٢) انظر القصيدة ٢٨ بيت رقم ٤.
(٣) انظر تفصيل ذلك في تيارات النقد الأدبي في الأندلس ٤٠١ - ٤٠٣.
(٤) انظر القصيدة ٦ بيت رقم ١٥.



أيـفطمه الـتـوراب قـبـل فـطامـه ويـأكـله قـبل الـبلوغ إلى الأكـل

«لغة في التراب»[1].

ولا يخرج انتخاب المتنبي للغته الشعرية عن طريقة العرب خاصة فيما ينتاب اللفظ من حركة لغوية إعلالية أو إبدالية، فالأوالي في قول المتنبي:

يـدفـن بـعـضـنـا بـعـضـاً ويمشي أواخـرنـا عـلـى هـام الأوالي

«الأوائل، إلاّ أنه قلب، والعرب تفعل ذلك»[2].

ويعتقي في قوله:

لا يـعـتـقـي بـلـد مسراه عـن بـلـد كـالمـوت لـيس لـه ري ولا شبـع

«بمعنى يحبس، وهو مقلوب من عاق يعوق، كأن أصله يعتاق، فقلب إلى يعتقي»[3].

واتّار في قوله:

ومـا قبـل سيف الـدولـة أتّـار عـاشق ولا طـلـبـت عند الـظلام دخـول

بمعنى أدرك ثأره «وهو افتعل من الثأر، فأبدل من الثاء تاءً لتقارب مخرجهما من الفم، ثم أدغم إحدى التائين في الأخرى، فقال: أتّار»[4].

ويلتصق المتنبي بطريقة العرب كذلك فيما ينسج من تركيب لغوي، أو فيما يقيم من علاقات تبادلية بين الجمل الشعرية، كما في قوله:

أحـسن مـا يخـضـب الحـديـد بـه وخـاضـبيـه الـنـجيـع والـغـضـب

(١) انظر القصيدة ٨ بيت رقم ٢٣.
(٢) انظر القصيدة ٤ بيت رقم ٣٦.
(٣) انظر القصيدة ٢٨ بيت رقم ١١.
(٤) انظر القصيدة ٥٠ بيت رقم ١٢.



فهو يريد كما يرى الأفليلي: «أحسن ما يخضب به الحديد النجيع، وأحسن خاضبيه الغضب، فجمع بين الخبرين والمخبر عنهما، ثقة بفهم السامع، والعرب تفعل ذلك، قال الله عز وجل ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ يريد: لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضله في النهار»[1].

وموقف أبي القاسم الأفليلي المعجب بأبي الطيب المتنبي حمله على الدفاع عن لغته الشعرية، إذ أبدى حرصاً على إلحاق حركتها بطريقة العرب، فأنهض القرين والنظير فيها لما قد يفهم منه الشذوذ والندور والمجاوزة في شعره، من غير إخلال يعيِّنه أو اتهام بإفساد ينقده، على الرغم من التحليل اللغوي الذي ينهجه، والإفاضة في طلب النظير الذي يتلمسه.

يقول المتنبي:

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده ألم

ويقول أبو القاسم الأفليلي محللاً ومشابهاً ومدافعاً: «وا: حرف ينادى به كما ينادى بيا، وحرَّ قلباه: اسم مضاف منادى، كان أصله واحرّ قلبي، فأبدل من الياء ألفاً، رغبة في الخفة، والعرب تفعل ذلك في النداء، واستجلب هاء السكت، وأثبتها في الوصل كما تثبت في الوقف، والعرب تفعل ذلك في الشعر، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها، وللعرب في ذلك فعلان؛ منهم من يحركها بالضم تشبيهاً بهاء الضمير، فيقول: واحر قلباه، أنشد في ذلك يعقوب عن الفراء:

يا مرحباه بحمار عفراءْ إذا أتى قربته لما شاء
من الشعير والحشيش والماء

(١) انظر القصيدة ٤٤ بيت رقم ١.



ومن العرب من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً في الكلام عند التقاء الساكنين، أنشد على ذلك يعقوب:

يا رب يا رباه إياك أسل   عفراء يا رباه من قبل الأجل

وهذه اللغة التزم أبو الطيب»[1].

والتعريف بحركة اللغة في شعر المتنبي من خلال طريقة العرب بالمقارنة من غير اتهام، أو المقايسة من غير دفع صريح، ألزمت الأفليلي بموقف جانب فيه التقريظ والإعلان عما حسن في هذه الحركة اللغوية مقابلاً موقفه في الدفاع؛ بمعنى أن دفاع الأفليلي وإن أعاد إلى حركة اللغة في شعر المتنبي الأصالة بالتصاقها بطريقة العرب، فقد خلا من الإشادة والتنويه بالإجادة، تماماً كموقفه مما جاد وحسن في الجملة الشعرية عنده، وأحسب أنه متوازن في منهجه، مقتصد في نقده، متعادل في دفاعه، ولذلك فإن غاية ما نجده لديه في هذا المجال ترديد لمقولات أهل اللغة من النحاة إذا تطابقت القاعدة المطردة مع المثال قصداً أو مصادفة، مما لا يعد نقداً، من ذلك الحذف في قول المتنبي:

وهان فما أبالي بالرزايا   لأني ما انتفعت بأن أبالي

«قال وهان، يريد رمي الدهر له برزاياه، فحذف الرمي لدلالة قوله رماني الدهر عليه، وأضمر ثقة بما قدمه من التفسير، لأنه لما قدّم وصف حاله، ورمي الدهر له، قال: وهان يريد: وهان ذلك، وإضمار ما يقدم ذكره حسن في الكلام»[2].

وفي قول المتنبي:

ومالي إذا ما اشتقت أبصرت دونه   تنائف لا اشتاقها وسباسبا

(1) انظر القصيدة ٣٤ البيت الأول.

(2) انظر القصيدة ٤ بيت رقم ٧.



قال الأفليلي: «وسمى تلك العوائق تنائف وسباسب على سبيل الاستعارة، وحذف إليه من الكلام وهو ينوي ذكره، لما في الكلام من قوة الدلالة عليه»[1].

مصادر أبي القاسم اللغوية

ومصادر أبي القاسم الأفليلي في احتجاجه للغة المتنبي منوعة؛ منها: القرآن الكريم، وقد احتج به في مواضع عدة من شرحه، من ذلك جمع الفرقدين في قول المتنبي:

أحبك يا شمس الزمان وبدره   وإن لامني فيك السهى والفراقد

«وهما النجمان النيران من النعش، وجمعهما وهما اثنان؛ لأن التثنية ضرب من الجمع، وقد يخبر عنهما كما يخبر عن الجميع، قال الله عز وجل «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم، قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا» فأخبر عن الاثنين كما أخبر عن الجميع، وذلك كثير في كلام العرب»[2].

وعلى الرغم من حضور الآيات القرآنية في شرح الأفليلي، فلا أثر للاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في هذا الشرح، فهل يعني هذا أن أبا القاسم الأفليلي لا يعد الحديث النبوي مصدراً من مصادر الاحتجاج؟! أم أنه يقتدي في ذلك بسيبويه الذي أقلّ من الاستشهاد بالحديث[3].

واحتجاج أبي القاسم الأفليلي بالشعر أكثر من احتجاجه بالقرآن

(١) انظر القصيدة ٣٥ البيت رقم ٢.

(٢) انظر القصيدة ٣٠ البيت رقم ٤١.

(٣) انظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي د/ خديجة الحديثي ط دار الرشيد- بغداد ١٩٨١.



الكريم، فقد احتج بشعر للفرزدق، وطرفة بن العبد، والمتوكل الليثي، وأبي الأخرز الحماني، النواح الكلبي، وأبي ذؤيب الهذلي ولأحد شعراء بني تميم، فضلاً عن بعض الشعر المجهول القائل أو المصنوع فيما قال سيبويه، ونقله عنه. ومن أمثلة ذلك تثنية الجمع في قول المتنبي:

مضى بعدما التف الرماحان ساعة كما يتلقى الهدب في الرقدة الهُدْبا

قال الأفليلي: «وثنى الجمعين، لأنه جعلهما حيزين، فثناهما، كأن كل واحد منهما اسم على حياله، والعرب تفعل ذلك، قال الشاعر:

فتنازلا فتوافقت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مخدّع

فثنى الخيل، وهي جمع، لما جعلها حيزاً بنفسه»[1].

واستعانة أبي القاسم الأفليلي بأقوال العلماء وآرائهم جد قليل، فقد نقل عن ابن السكيت والأصمعي في تفسير الألفاظ وتوضيحها، وعن الفراء وسيبويه في اللغة وحركتها، غير أنه أكثر من النقل عن سيبويه معززاً دفاعه عن المتنبي، كما في تثنية أب في قوله:

تسل بفكر في أبَيْكَ فإنما بكيت فكان الضحك بعد قريب

قال ابن الأفليلي: «وقوله في أبيك» يريد: في أبويك، فثنى الأب على لفظه، ولم يرده إلى أصله، وقد روى الفراء ذلك، وذكر أن من العرب من يقول إذا ثنى الأب والأخ في الرفع أبان وأخان، وفي النصب والخفض أبين وأَخَيْن، ويقول في الجمع في الرفع: أبون وأخون، وفي النصب والخفض أبين، وأَخَيْن، وأنشد سيبويه في جمع أب جمع السلامة على لفظه لفصيح العرب:

فلما تَبَيَّن أصواتنا بكين وفديننا بالأبينا

(١) انظر القصيدة ٣٢ البيت رقم ٢٩.



وليس تثنية أب على لفظه بأعجب من جمعه جمع السلامة على ذلك».

ويقبس أبو القاسم الأفليلي في دفاعه عن لغة المتنبي من المذهب البصري في النحو، فهو يتبنى آراءهم، ويسوق حججهم، ويأخذ بأدلتهم، ويكثر من الاعتماد على كتاب سيبويه فيما يناقش من قضايا أو يعرض من رأي.

٢ ـ التشكيل الفني

لا يختلف موقف أبي القاسم الأفليلي في هذا الجانب التعبيري من لغة المتنبي عن موقفه في التكوين اللغوي، وإن تميّز بخطوة نوعية في هذا المجال، إذ أبدى استحساناً إيجابياً لما حواه الشعر من ألوان تشكيلية بلاغية، وعلى الرغم من اتحاد موقفيه في الإشادة بالمتنبي ولغته التعبيرية، فإن أبا القاسم الأفليلي تنازع استحسانه لشعر المتنبي نزوع تعليمي هوّن من توجهه النقدي، وتطبيقه الفني.

وإعجاب أبي القاسم الأفليلي بالتشبيه المركب يطغى على خلافه من ألوان البلاغة، لأنه عنده أرفع وجوه البديع بفنونه المختلفة، وغاية الإبداع فيه الإصابة فيما تقع عليه المشابهة، كما في قول المتنبي:

نجني الكواكب من قلائد جيده ... وتنال عين الشمس من خلخاله

«شبه جواهر عقود محبوبه بالكواكب، ولمعان خلاخله بعين الشمس، وذكر أنه بات يجني الكواكب من تلك القلائد، بتناوله لها، وينال عين الشمس من تلك الخلاخل، بلمسه إياها، فأحرز صواب التشبيه فيما شبه، مما لا زيادة عليه في حسن المنظر، وامتناع الموضع»[1].

---

(١) انظر القصيدة ١٢ بيت رقم ٤.



وللتشبيه المركب معياران في الجودة عند ابن الأفليلي، أحدهما: التعدد وثانيهما: التمثيل. فمن التعدد قول المتنبي:

تهدي نواظرها والحرب مظلمة   من الأسنة نار والقنا شمع

فهو «مما شبه فيه شيئين بشيئين في بيت واحد، أصح تشبيه، وذلك غاية الإبداع»(١).

ومن التمثيل قول المتنبي:

كل يريد رجاله لحياته   يا من يريد حياته لرجاله
دون الحلاوة في الزمان مرارة   لا تختطى إلا على أهواله

قال الأفليلي في تحليله: «يقول: دون حلاوة الظفر، ولذة بلوغ الأمل، مرارة من الغرر، ومشقة من الخطر، لا تتجاوز تلك المرارة إلا بمقارعة أهوال الزمان وشدتها، والتعرض لمحنتها وصعوبتها، وضرب هذا مثلاً فيما قدّمه، والمثل أرفع وجوه البديع»(٢).

ويلحق بذلك المثل السائر، ومثاله في شعر المتنبي قوله:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

قال ابن الأفليلي: «وهذا مثل سائر، والمثل من أرفع أبواب البديع»(٣).

ولا يخفى صدور أبي القاسم الأفليلي عن دائرة المحسوس فيما آثره من تشبيهات، على أنه لا يخرج في التشبيه المتعدد المحسوس عن مقاييس أهل اللغة، وذوقهم من سابقيه في القرن الثاني الهجري، مما هو معروف عند

(١) انظر القصيدة ٢٨ بيت رقم ٢١.
(٢) انظر القصيدة رقم ١٢ بيت رقم ٤٠.
(٣) انظر القصيدة ٣٠ بيت رقم ٣٢.



خلف الأحمر والأصمعي في ثنائهما على تشبيه امرىء القيس «كأن قلوب الطير رطباً ويابساً. . .» و«له أيطلا ظبي وساقا نعامة. . .»[1].

ويتسق أبو القاسم الأفليلي في تذوقه للتشبيه واستحسانه له كذلك مع منحى عصره فيما اتجه وتخيّر، إذ أفاض أبو هلال العسكري في نماذج هذا الفن في كتابه[2] الذي وضعه سنة أربع وتسعين وثلاثمائة.

والاستعارة عند أبي القاسم الأفليلي من البديع أيضاً، شأنها شأن التشبيه، وترتبط الإشارة إليها بالكناية في كثير من الأحيان، ولعله يقصد بذلك إلى الاستعارة المكنية أو الاستعارة بالكناية كما في قول المتنبي:

يا ماء هل حسدتنا معينه   أم اشتهيت أن ترى قرينه

قال أبو القاسم: «كنى بالمعين عن البذل، على سبيل الاستعارة»[4]، ومن ذلك قول المتنبي:

وإذا تعثرت الجياد بسهله   برّزت غير مُعَثَّرٍ بجباله

إذ «كنى بالسهل عما قرب من الكلام، وبالجبال عما غمض منه، وبالجياد عن أهل الإحسان، فاستعار هذه الألقاب أحسن استعارة، وأشار إلى إحسانه أبدع إشارة وكل ذلك من بديع الكلام»[4].

وقول المتنبي:

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

(١) الكامل للمبرد ٢/٣٦.

(٢) انظر الصناعتين ٢٥٥ ـ ٢٥٧ وقد سُمِّي طلب التشبيه المتعدد عند المتأخرين بالتدبيج.

(٣) انظر القصيدة ٥٤ بيت رقم ٢.

(٤) انظر القصيدة ٢ بيت رقم ١٣ وانظر مثالاً آخر على ارتباط الكناية بالاستعارة البيت ٤٦ من القصيدة ٥.



«أشار بجفن الردى إلى عظيم ما اقتحم سيف الدولة، وبنومه إلى إعراضه مع ذلك عنه، فأطلق الإشارة، وأحسن الاستعارة»[1].

والاستعارة في شعر أبي الطيب المتنبي حسنة ما دام بينها وبين الاستعمال الحقيقي صلة رحم، أو رابطة نسب، وإن لم تكن ظاهرة ظهوراً مميزاً، ولذلك نبه أبو القاسم الأفليلي على ما كاد يحيد عن الحسن تنبيهاً غير ملحق العيب أو الخلل، كقوله في بيت المتنبي:

وريع لـه جيش العـدو ومـا مشى   وجاشت له الحرب الضروس وما تغلي

قال ابن الأفليلي: «جاشت القدر: إذا غلت وهاجت، . . . وجرى الكلام في جاشت على الاستعارة، وإن كان ما وصفه غير مشهور الحقيقة»[2].

ويكاد أبو القاسم الأفليلي أحياناً يصيب خاصية المتنبي في بناء الصورة الشعرية نماءً وتكاملاً، حين يعقد صلات بين استعارة وأخرى، أو اتصال الاستعارات بعضها ببعض، فمما نبه إليه في البيت الواحد قول المتنبي:

ضممت جناحيهم على القلب ضمّة   تموت الخوافي تحتها والقوادم

قال ابن الأفليلي «ولما استعار الجناحين لمجنبتي الجيش، وصل الاستعارة في الخوافي والقوادم، فأشار بها إلى فرسان المجنبتين الذين باتوا يقلون الجهتين، وينهضون الناحيتين»[3].

ومما تحسسه في أكثر من بيت قول المتنبي:

ورب جواب عن كتاب بعثته   وعنوانه للناظرين قتام
تضيق به البيداء من قبل نشره   وما فض بالبيداء عنه ختام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة   جواد ورمح ذابل وحسام

(١) انظر القصيدة ٦٤ بيت رقم ٢٢.
(٢) انظر القصيدة ٨ بيت رقم ٢٢.
(٣) انظر القصيدة ٦٤ بيت رقم ٢٥.



إذ يقول: «. . . وأجرى الاستعارة في الفض والخاتم على نحو ما تقدم له من ذكر الجواب والعنوان، ثم وصل الاستعارة على ذلك فقال: حروف هجاء الناس في ذلك الجواب الذي هو هذا الجيش الموصوف؛ جواد ينهض فارسه، ورمح يقدم حامله، وحسام يصول صاحبه»(١).

ولما كانت القصيدة بنية متكاملة، يحرص الشاعر في تشكيله لها على تحقيق الانسجام والتلاحم بين مختلف العناصر المكونة لها، كتآخي المفردات، وحسن جرس الألفاظ وانسجام ترديد الإيقاع، ومهارة ترتيب الأصوات وتنظيمها، فإن أبا القاسم الأفليلي في شرحه وإن غاب عنه هذا المفهوم الحديث الشامل، فلم يغب عنه جانب من خصوصية فن المتنبي الشعري، حين ركز عنايته على إظهار أدوات فنية، بعضها له أبعاد تشكيليّه في الموسيقى والإيقاع، كالطباق والجناس والتقسيم والتصدير والتتميم، وبعضها الآخر ذو تأثير كبير في أداء المعنى وتوضيحه وتركيزه، كالإشارة والاستطراد والاستثناء.

وعلى الرغم مما عرف عن المتنبي من إيثاره للطباق، هذا اللون الفني البديعي، وشغفه به وعشقه له وإحسانه في المقابلة بين الأضداد(٢). فإن ما أشار إليه أبو القاسم الأفليلي من هذا اللون قليل غير متناسب وهذه الكثرة، فتعداد إشاراته إليه لا تتجاوز المرات الخمس من ذلك قول المتنبي:

كل يوم لك احتمال جديد ومسير للمجد فيه مقام

«ولقد أبدع بالمطابقة بين المسير والمقام»(٣).

وكأني بأبي القاسم الأفليلي وقد أقل الإشارة إلى الطباق في شعر المتنبي إنما قصد التنويه بما كان نتاج الطبع منه، إذ نجده يشترط انتظام الكلام وتطلبه له كما في قول المتنبي:

---

(١) انظر القصيدة ٦٥ الأبيات ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٢) مع المتنبي د. طه حسين ص ٥٠ .

(٣) انظر القصيدة ٣ البيت رقم ٥.



لـه من كريم الـطبع في الحـرب منتضٍ   ومن عـادة الإحسـان والصفـح غـامـد

قال أبو القاسم ابن الأفليلي: «وأبدع بالمطابقة بين منتض وغامد، والمطابقة أن يقترن الشيء بضده على انتظام من الكلام»[1].

أو لعل أبا القاسم جعل مرماه العينة المحدودة التي تفيد في التعلم، وتغني الإشارة القليلة إليه عن التفصيل والإفاضة، وقد جاءت هذه الغاية واضحة في تناوله للطباق كما في المثال السابق وفي غيره، فالجناس في قول المتنبي:

من تغلب الغـالبـين النـاس منصبـه   ومن عـدي أعـادي الجبن والبـخـل

قال ابن الأفليلي فيه: «وجانس بين تغلب والغالبين، وبين عدي وأعادي الجبن. والمجانسة اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى، وذلك من أبواب البديع، وقد بيناه فيما تقدم»[2].

والتصدير أو ردّ العجز على الصدر في قول المتنبي:

ولـو زلـتـم ثـم لم أبـكـكـم   بـكـيـت عـلى حـبـي الـزائـل

وضّحه بقوله: «واستفتاحه بقوله «ولو زلتم» وتقفيته بعد ذلك بالزائل، باب من أبواب البديع يعرف بالتصدير»[3].

وقول المتنبي:

للسبي مـا نكحـوا، والقتـل مـا ولـدوا   والنهب مـا جمعـوا، والنـار مـا زرعـوا

«ومثل هذا التصنيف باب من البديع يعرف بالتقسيم»[4].

---

(١) انظر القصيدة ٣٠ البيت رقم ١٦.
(٢) انظر القصيدة ٣٦ بيت رقم ٢١.
(٣) انظر القصيدة ٢ بيت رقم ٤.
(٤) انظر القصيدة ٢٨ بيت رقم ١٤.



ومن التتميم قول المتنبي:

فلما نَشَفْنَ لقين السياط   بمثل صفا البلد الماحل

قال أبو القاسم موضحاً علاقة التتميم بمعنى البيت: «فلما نشف عرف هذه الخيل على ما التبس به من الغبار، لقيت سياط الفرسان من جلودها بمثل الحجر الأملس، الذي يكون في البلد الممحل، وهو البعيد العهد بالمطر، وذلك أبلغ في يبسه وجفوفه، وهذه الزيادة التي تطلب بها الغاية، وكان يتم الكلام دونها، باب من أبواب البديع يعرف بالتتميم»[1].

وأبو القاسم الأفليلي مشايع للمتنبي في هذا التشكيل منتصر له، ولئن أضرب صفحاً عما جرى من نقد صنعته الفنية في الأخبار المتداولة، فلم يذكرها في شرحه، فقد غطى عليها باستحسانه لها قلباً لما نقدوه، ودفعاً لما تمحلوه وعابوه، ويتبدى ذلك على سبيل المثال في قول أبي الطيب المتنبي:

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

«حكي أن سيف الدولة استنشد أبا الطيب هذه القصيدة، وكان معجباً، فاندفع أبو الطيب ينشدها، فلما بلغ إلى قوله وقفت... إلى آخر البيتين قال سيف الدولة: إن صدر البيتين لا يلائم عجزهما، كان ينبغي أن تقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف   ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال أبو الطيب: لما ذكرت الموت أتبعته ذكرى الردى لتجانسها، ولما كان

(١) انظر القصيدة ٥ بيت رقم ١٦.



وجه الجريح المنهزم لا يخلو من العبوس وعينه من البكاء، قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم للمطابقة بينهما»[1].

قال أبو القاسم الأفليلي مستحسناً جانباً من هذين البيتين: «وأشار بجفن الردى إلى عظيم ما اقتحم سيف الدولة، وبنومه إلى إعراضه مع ذلك عنه، فألطف الإشارة، وأحسن الاستعارة»[2].

ولئن كان في هذه النماذج التطبيقيّة التي عني بها أبو القاسم الأفليلي قدر من الدلالة الواضحة على إدراك بعض الظواهر الأسلوبية في شعر المتنبي، فإننا لا نستطيع أن نوجد لهذه العناية في التطبيق متعلقاً غير البديع فناً تشكيلياً للفظ أو المعنى أو لكليهما معاً، أما أن في هذه الألوان طاقات نفسية ودفقات شعورية[3]، فذلك ما لا تشي به الدلالة المقيدة غالباً في تناول القدماء، وإن كان تركيزها يحمل ملامح نقدية معبرة عن الاستجابة التأثرية الشعورية لديهم.

المعاني

على الرغم من تناول أبي القاسم الأفليلي بالشرح لكل بيت مفرداً أو مجتمعاً مع غيره في بعض الأحيان، ونصه على وحدة البيت بقوله «ثم قال» لازمة متكررة بين الأبيات، فقد أوجد بين معاني أبي الطيب صلة بالربط بين المعاني العامة للأبيات، كما في قول المتنبي:

فيا شوق ما أبقى ويا لي من الهوى ... ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا
لقد لعب البين المُشتُّ بها وبي ... وزودني في السير ما زوّد الضبا
ومن تكن الأسد الضواري جدوده ... يكن ليله صبحاً ومَطْعمُهُ غصبا

(١) معجز أحمد ورقة والتبيان ٣٨٦/٣.
(٢) انظر القصيدة ٦٤ البيت رقم ٢٢.
(٣) انظر لغة الحب في شعر المتنبي ص ٣١٠ - ٣٣٦.



فقد ربط ما بين غزله وما شرع فيه من معنى جديد في البيت الثالث بقوله: «ولما ذكر انقطاع الأسباب بينه وبين محبوبته، وتقلب الأحوال به وبها، وتصريف الزمان له ولها، أخذ في ذكر ما تصرف فيه، فقال. . .»[1].

وكثيراً ما يوجد العلاقة بين الأبيات بقوله: «وقال مؤكداً لما قدّمه» ومن ذلك شرحه لأبيات المتنبي:

نزلت على الكراهة في مكان بعدت عن النُّعامى والشمال
تحجّب عنك رائحة الخزامى وتمنع منك أنداء الطلال
بدار كل ساكنها غريب طويل الهجر منبت الوصال

قال شارحاً للبيت الأول: «نزلت مكرهة في منزل بعدت فيه عن الرياح مع شدّة هبوبها. . .» وفي البيت الثاني «ثم أكد ذلك بأن قال: تحجب عنك رياح الرياض العبقة. . . .» وفي البيت الثالث قال: «ثم أكد بيان ما أبهمه فقال: بدار من القبر ساكنها غريب، وقاطنها فقير، من حل فيها امتنع وصاله، ومن صار إليها أنبتت حباله»[2].

وضمّن أبو القاسم الأفليلي هذا الربط قيمة نقدية حين دلل على حسن انتقال المتنبي من فكرة إلى أخرى، وخروجه من غرض إلى غرض آخر، كما في قول المتنبي:

وهبت السلو لمن لامني وبت من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثاكل
ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل

قال أبو القاسم معقباً على الأبيات الأولى، ومقدماً لشرح البيت الثالث: «ثم خرج إلى وصف أمر أبي وائل أحسن خروج، فقال: ولو كنت

(١) انظر القصيدة ٣٢ البيت رقم ١٢.
(٢) انظر القصيدة ٤ البيت رقم ٢٢ ـ ٢٤.



أسير غير الحب، ومغلوباً في غير سبيل العشق؛ لاحتلت بحيلة أبي وائل في الاستتار، وضمنت لآسري ضمانه من الفكاك، وسلكت في الاحتيال عليه سبيله»[1].

وفي قول المتنبي:

لقيت بدرب القلة الفجر لقية | شفت كمدي والليل فيه قتيل
ويوماً كأن الحسن فيه علامة | بعثت بها والشمس منك رسول
وما قبل سيف الدولة اثّار عاشق | ولا طلبت عند الظلام ذُحُول

قال أبو القاسم الأفليلي في العلاقة بين هذه الأبيات، خاصة البيت الثاني والثالث: «فجعل صفة هذا اليوم سبباً للترفع لمحبوبته، وإبانة عن جلالة قدرها، وعلو محلها، وخرج إلى المدح بألطف سبيل، ووصل إليه أحسن وصول»[2].

ولما كان المتنبي يعتمد الاستطراد لوناً بديعياً يحمّله طاقة فنية في الربط بين المعاني، واتصال الأفكار، كان انعطاف أبي القاسم إليه بالتوضيح تحقيقاً لوشائج القربى بين المعاني، من ذلك قول المتنبي:

خليلي إني لا أرى غير شاعر | فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة | ولكن سيف الدولة اليوم واحد

قال أبو القاسم الأفليلي مفسراً ومعقباً: «ثم قال لصاحبيه: فلا تعجبا لذلك، فالسيوف كثيرة في ظاهرها، موجودة عند الطلب لها، ولكن سيف الدولة المحامي عن حوزتها، المدافع عن بيضتها، واحد لا يشاكل، ومفرد لا يماثل، فلا تنكرا أن تكثر الأشعار في ظاهرها، وأنفرد في الحقيقة بقولها، كما

(١) انظر القصيدة ٥ الأبيات ٧ ـ ٩.
(٢) انظر القصيدة ٥٠ الأبيات ١٠ ـ ١٢.



أن السيوف كثيرة في عدتها، وسيف الدولة منفرد بفعلها، وهذا الخروج باب من البديع يعرف بالاستطراد»[1].

وفهم أبي القاسم هذا، غير بعيد عما حدّ به أبو هلال العسكري الاستطراد في تعريفه له بالقول: «هو أن يأخذ المتكلم في معنى، فبينا يمرّ فيه، يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه»[2].

واستعانة أبي القاسم الأفليلي بالأخبار نادر في شرحه لأبيات المتنبي، ولكنه قد يقدم لشرح بعض الأبيات بمعارف مفيدة تتعلق بمقصود المتنبي، كما في ذكره الضب في قوله:

لقد لعب البين المشت بها وبي   وزودني في السير ما زود الضَّبَّا

قال أبو القاسم الأفليلي: «تقول العرب: إن الضب يستنشق الريح فيغنيه عن الماء، وإنه لهذا أصبر الحيوان على العطش، وبحسب حاجته إلى الريح يرتقبها، وبضرورته إليها يعتني بطلبها... وعشاق العرب يفعلون ذلك، ويذكرونه في أشعارهم، فأشار أبو الطيب بذكره الضب إلى هذا المعنى أحسن إشارة، ودلّ عليه أبين دلالة»[3].

ولم يلتفت أبو القاسم الأفليلي إلى منهج ابن جني ومن شايعه من الشراح في تعزيز شرحهم للمعاني، بما أسنده ابن جنى إلى المتنبي سؤالاً وجواباً، كما في شرحه لقول المتنبي:

شَفَنَّ لخمسٍ إلى من طلبن قبل الشفون إلى نازل

قال ابن جني: «سألت أبا الطيب عن هذا البيت، فقال: نظرت خيلك ومسيرها خمساً إلى من طلبته، يعني الخارجي، قبل أن تنظر إلى إنسان

(١) انظر القصيدة ٣٠ بيت ١٤ - ١٥.

(٢) الصناعتين ص ٤١٤.

(٣) انظر القصيدة ٣٢ بيت رقم ١١.



نزل من فرسانها عنها، أي أدامت السير خمساً حتى لحقت الخارجي الذي فسره أبو الطيب»[1].

ولا مجال لنفي إفادة أبي القاسم الأفليلي من هذه الإجابات في توجيه شرحه الوجهة المقصودة لجواب المتنبي، ولا سبيل لنفي إطلاعه على شرح ابن جني، ولكنه غاير المنهج فتغير أسلوب العرض ومذهب الفهم، ودليل هذا شرح الأفليلي للبيت السابق بقوله: «فيقول: إن خيل سيف الدولة أدركت بغيتها قبل أن ينزل فرسانها عن ظهورها، وأنها نظرت بعد خمس ليالٍ من ركضها إلى من طلبته، قبل نظرها فيها إلى نزول من حملته، وأشار بذلك إلى فرسان هذه الخيل، لم يفتروا في الركض، حتى أوقعوا بالقوم الذين أسروا عليهم»[2].

ويحفز الأفليلي أحياناً في المتلقي لشرحه مشاركة، ويحمله على المتابعة، بإثارة بعض المفارقات في شعر المتنبي، كما في قوله:

ضلالاً لهذي الريح ماذا تريده وهدياً لهذا السيل ماذا يؤمم

إذ يقول ممهداً لشرحه: «ثم دعا على الريح ولم يدع لها، ودعا للسيل ولم يدع عليه؛ لأن الريح اعترضت سيف الدولة في مسيره، ولم تسعده على شيء من أموره، والسحاب وإن كان رام ثنيه بوبله، ووعر طريقه بسيله، فإنما تلاه متعلماً من جوده، وصحبه مسعداً له على رأيه، قاضياً لذمام القبر الذي قصده، ومروضاً بسقياه للربع الذي اعتمده، فيقول: ضل سعي هذه الريح، ووفق لهداه هذا السيل، ماذا تريده هذه، وماذا يقصده هذا، حين يعترضان سيف الدولة في مسيره، ويجاهران بالخلاف على أمره»[3].

(١) شرح ابن جنى ورقة ٢٠٦.
(٢) انظر القصيدة ٥ بيت رقم ١٧.
(٣) انظر القصيدة ٢٥ البيت رقم ١٩.



مثل هذه الإثارة بلا نظائر في شرحه، فلم يلتفت إلى قيمتها أسلوباً في تعميق معاني أبي الطيب، أو إثراء تحليله بها، لكن اتجاهه المطرد في التحليل كان متجهاً إلى تبصر مقاصد أبي الطيب البعيدة، ومراميه الفكرية التي توحي بها الألفاظ، وتسرّ بها التراكيب، ولذلك كان معنى المعنى، أو المعنى الأبعد، مدار تفسيره وتحليله، ففي قول أبي الطيب:

إذا شدَّ زندي حسن رأيك في يدي ضربت بنصل يقطع الهام مغمدا

قال ابن الأفليلي: «ثم قال إذا شدَّ زندي في يدي حسن رأيك، وانهض قوتي كريم اعتنائك، ضربت بسيف من إكرامك، تقطع الهام هيبة ذكره، وتنقد له الرؤوس في غمده، يشير إلى ما هو عليه من الاعتزاز به، والاستغناء يتقبله له، **واستعار من لفظه ليدل بذلك على ما فسرناه من قصده**»[1].

وفي قوله أيضاً:

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه فما يقول لشيء ليت ذلك لي

قال: «ثم قال: تقصر الأماني عن بلوغ قدره، وتصغر عند جلالة أمره، وتصبح صرعى دون إدراك مجده، فما يتمنى في الرفعة أكثر مما يبلغه، ولا يحاول في الفضل ما يزيد على ما يفعله، **وهذه العبارة وإن لم يأت عليها لفظه، فهي مفهومة منه، وغير خارجة عنه**»[2].

وليس يخفى ما في عناية أبي القاسم الأفليلي بمعنى المعنى أو المعنى البعيد، من حسن فهم لخاصية شعر المتنبي في تكثيف المعاني وتركيزها في لفظ وجيز[3]، فضلاً عن اللمح والوثب في عرضه لها، ولذلك كان استحسان ابن الأفليلي للإشارة كثيراً في شعره، كما في قول أبي الطيب:

(١) انظر القصيدة ٥٧ البيت رقم ٣٤.
(٢) انظر القصيدة ٣٦ البيت رقم ٢٧.
(٣) انظر ذكرى أبي الطيب ص ٣١٦.



ما كان نومي إلا فوق معرفتي   بأن رأيك لا يأتي من الزلل

قال أبو القاسم: «يقول ما كان نومي حين موجدتك، وطمأنينتي في مدة عتبك وتسخطك، إلا فوق ما كنت أتيقنه من معرفتي بأن رأيك لا يستنزله الساعون ببغيهم، ولا يحيلونه بكذبهم، وكني بالنوم عن سكون نفسه، وتمهده لمعرفته بسيف الدولة عن حسن ظنه، فأشار إلى ما قصده ألطف إشارة، وعبر عنه أحسن عبارة»[1].

ومن كمال عناية ابن الأفليلي بالمعنى ووسائل تكثيفه، تركيزه على الاستثناء لوناً بديعياً ذا وظيفة فنية في الإثارة، لقبول المعنى وترسيخه، ذلك أن الشاعر بالاستثناء يعمل على تأكيد المعنى الذي يريده بإثارة لغوية، قد يتوقع السامع ضدها، فيأتي الاستثناء مخيباً للمتوقع، ومحققاً لقصد آخر رمى إليه الشاعر، ومن ذلك قول المتنبي:

ولم يكفها تصويرها الخيل وحدها   فصورت الأشياء إلا زمانها

قال أبو القاسم مقارباً للفهم الذي قدمنا: «يقول: ولم يكف تلك الصناع أن صورت الخيل مع ما صورته، وصنعتها مع ما صنعته، حتى تصرفت في الأشياء فمثلتها، وكثرت منها وأظهرتها، فلم يعدم المتأمل لتلك الصنائع، والمشاهد لتلك البدائع، إلا الزمان بصورته، ومشاهدته بمثاله، والزمان لا صورة له، فدل بقوله؛ أنها لم يفتها إلا ما لا صورة له، عن أنها استوفت الصور بجملتها، ومثلتها بعامتها، وهذا من البديع يعرف بالاستثناء»[2].

وعلى الرغم من اهتمام الأفليلي بمعنى المعنى، ووسائل المتنبي في توصيله، فقد مرّ بالمعاني المشكلة في شعره مروراً كريماً عابراً، من غير أن يلفت النظر

(١) انظر القصيدة ٣٦ بيت رقم ٣٩.
(٢) انظر القصيدة ٣٣ بيت رقم ٣.



إليها أو يتلبث عندها، بل كان شأنها شأن الأبيات الأخرى في منهج التحليل والتفسير، فلم يحمله الإشكال فيها على التردد في الفهم أمامها، أو إثارة التعدد في احتمالات المعنى حولها، وهو موقف غاير فيه أغلب من عرض لأبيات المعاني في شعر المتنبي، ومثال ذلك:

وأنبت فيهم ربيع السباع فأثنت بإحسانك الشامل

قال الأفليلي: «ثم قال: وأنبت من أجسادهم ربيع السباع، فأخصبت في لحومها إخصاب السائمة في ربيعها، فأثنت بما عمّها من فضلك، وشملها من إحسانك، وأجرى أكثر لفظ هذا البيت على الاستعارة»[1].

وفي قول المتنبي المشكل:

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

قال أبو القاسم الأفليلي: «وفيها هنالك أيضاً خصر لطيف تثبت الأبصار فيه، وتتردد لحسنه عليه، ويكثر الإعجاب منها به، حتى كأن عليه منها نطاقاً يشمله، ووشاحاً يعمه»[2].

ويعرض البيت لابن بسام فيقول: «أي إذا رأته لم تنصرف عنه، وأدامت النظر إليه استحساناً والتذاذاً به، ويحتمل أن يريد أنها تؤثر فيها الأبصار، وتنطبع فيه لنعمته وبضاضته، وإن كان التأثير والانطباع لا يكون إلا مع المباشرة والاتصال، وهذه مبالغة وتغال، ويحتمل أن يريد أن الأبصار تتراءى فيه لصفائه وصقالته، كما يتراءى في سائر الأجسام الصقيلة، وهذا أشبه بقوله (كأن عليه من حدق نطاقاً) لأن ظاهر النطاق ينبغي أن يكون مما يلي الرائي لا مما يلي المنتطق»[3].

(١) انظر القصيدة ٥ بيت رقم ٤٤.
(٢) انظر القصيدة ١٤ البيت رقم ١٠.
(٣) سرقات المتنبي ومشكل معانيه ص ٦٦.



ولا يعني تمييز الأفليلي بالثبات في الفهم وعدم التردد أمام المعنى بالقطع بالمقصود، أن نحيف على منهج ابن بسام ومن جرى من الشراح على شاكلته، لأن إيراد الأوجه المتعددة جانب طبيعي عند من يقصدون تفسير العمل الأدبي بالكشف عن صلات الشاعر الفكرية والشعورية بالحياة[1].

وتعد السيفيات أحسن قصائد المتنبي[2]، إذ عكست نضج تجربته الفنية، وحملت سجيته الطربة للحرب والضرب والغلب[3]، فضلاً عن آماله العربية والإسلامية في التطلع إلى المنعة والقوة والعزة، إلا أن معانيه فيها لا تخلو من شائبة مبالغة أو مجاوزة لحدودها، ولا تصفو من غير تأثر بما سبقه من معان شعرية أو نثرية، فماذا كان موقف أبي القاسم الأفليلي من ذلك إيجاباً وسلباً؟

لا يعدم قارىء شرح الأفليلي وجود تعليق أو استدراك له على بعض المعاني بما يكسبها عمقاً وتوجيهاً إيجابياً، ومثال ذلك البيتين التاليين:

نبكي لموتانا على غير رغبة	تفوت من الدنيا ولا موهب جزل
إذا ما تأملت الزمان وصرفه	تيقنت أن الموت ضرب من القتل

قال أبو القاسم الأفليلي: «يقول: نبكي موتانا، ونحزن لهم، ونكثر الأسف لفراقهم، ونحن نتيقن أن لا يفوتهم من الدنيا ما يرغب في مثله، ولا يمنعون منها ما يجب أن يتنافس في نيله، لأنها بجملتها غرور، وتمتع من بقي فيها بصحبتها يسير. ثم قال: إذا تأملت الزمان وصروفه، وتدبرت الدهر وخطوبه، تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذي يتوقعه من القتل؛ لأن الأمرين متساويان في مكروههما، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة بهما، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره، وهذا يوجب

(١) انظر تيارات النقد الأدبي في الأندلس ص ١٩٢.
(٢) الصبح المبني عن حيثية المتنبي ص ٩٨.
(٣) ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ص ٣٠٦.



الزهد في الدنيا، ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الأسف عليها»[1].

فالملاحظ أن أبا القاسم أعطى من ذاتيته وفكره ما أضفى على معنى المتنبي ودعوته بعداً فكرياً، إذ التعليل «لأنها بجملتها غرور، وتمتع من بقي فيها بصحبتها يسير» وقوله «وهذا يوجب الزهد في الدنيا، ويدعو الى الإعراض عنها، وقلة الاسف عليها» توجيهان قد يحتملها البيتان، ولكنهما استدراك أبي القاسم وإحساسه.

وفي قول المتنبي أيضاً:

ويختلف الرزقان والفعل واحد إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

نجد حضور أبي القاسم بفكره واعتقاده وإحساسه أيضاً، إذ يقول: «ثم قال: قد يختلف الرزقان وتتباين الفائدتان، والفعل واحد، والتناول متفق، حتى يذنب الرجل فيما يحسن غيره به، ويخطىء فيما يصيب سواه في مثله، كركاب البحر الذين يتفق فعلهم، ويختلف في التجارة والهلاك أمرهم، هذه أحوال الزمان، والسبيل في مقاصد الإنسان»[2].

المبالغة في شعره

أما مبالغات المتنبي فقد خلع عليها الأفليلي صفات فنية حين جعلها من مستلزمات الشعر ومقتضيات أغراضه وغاياته، فعطف بعضها إلى طريق اللغة والمجاز، وألحق بعضاً آخر بتزيد الشعراء وتصوراتهم في تحقيق مرامي الأغراض الشعرية، فمما جاءت المبالغة فيه من طريق اللغة والمجاز قول المتنبي:

إن كان قد ملك القلوب فإنه ملك الزمان بأرضه وسمائه

الشمس من حساده والنصر من قرنائه والسيف من أسمائه

أين الثلاثة من ثلاث خلاله من حسنه وإبائه ومضائه

(١) انظر القصيدة ٨ البيت رقم ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) انظر القصيدة ٣ البيت رقم ٣٤.



الذي «يريد أنه ملك جملته؛ لأنه رفع من أخمله، وأغنى من أفقره، وعمّ الناس بإحسانه، وشملهم بإنعامه، وهذا على سبيل التجوز وما يتزيد الشعراء فيه من القول... ثم قال: أين هذه الثلاثة مع جلالة أمرها، ورفعة قدرها من جلال خلاله الثلاثة، التي هي على نحوها لجلالة الفضل؛ لأن الشمس تطلع وتغرب، والنصر يقل ويكثر، والسيف ينبو ويقطع، وحسنه ثابت لا يعدم، وعزه رائد لا ينقص، ومضاؤه نافد لا يدفع، وهذه طريقة من المجاز، يحسنها للشعراء ما يحاولونه من بلوغ غايات المدح، وما يتعارف من مثلها في اللغة»[1].

ومما أدركه الأفليلي في شعر المتنبي من طريق الكناية في المبالغة، ولم يخرج عن أسلوب العرب ومنهجهم في التعبير، قول المتنبي:

فجاز له حتى على الشمس حكمه   وبان له حتى على البدر ميسم

قال أبو القاسم: «ثم قال فجاز حكمه حتى حكم على ما لا يجوز الحكم عليه، وبان وسمه حتى وسم ما لا يبين الوسم فيه، وجعل ذكر الشمس والبدر كناية عن هذه العبارة، والعرب تفعل ذلك، تصف الممدوح بالقدرة على ما لا يقدر أحد عليه في الحقيقة؛ ليوجب له بذلك غاية القوة، وأبعد نهايات القدرة»[2].

ومما جاء في شعر المتنبي من كذب المبالغة على طريقة الشعراء قوله:

وقد زعموا أن النجوم خوالد   ولو حاربته ناح فيها الثواكل
وما كان أدناها لو أرادها   وألطفها لو أنه المتناول

«يريد أن سعده يقرب له ما لا يقرب مثله، ويبلغه إلى ما لم يبلغه أحد قبله، وهذا من تزيد الشعراء الذين يستجيزون فيه الكذب، لما يحاولونه من

(١) انظر القصيدة ٤٦ الأبيات ٤ ـ ٦.
(٢) انظر القصيدة ٢٥ البيت رقم ٥.



بلوغ غايات المزح، ويرومونه من استيفاء أرفع منازل الوصف»[1].

فالمبالغة عند أبي القاسم الأفليلي مقبولة حسنة إذا جرت في طرائق التعبير المجازي في اللغة، القاصد إلى التزيين والتحسين واستيفاء المعنى والغرض، وهي مقبولة أيضاً، وإن كان الكذب أساسها، ما دام الشاعر يعطفها إلى طريقة الشعراء؛ طريقة العرب في تقريبها، وتسويغ الكذب فيها عن طريق أدوات تعبيرية، مثل لو التي أقام المتنبي بيته عليها في المثال السابق، ولولا، وكأن. . . الخ.

وليس بخاف أن هذا القبول بقدر ما يحمل من دلالة على وعي بطبيعة الشعر والصنعة الفنية فيه، فإنه يحمل بالقدر نفسه إعجاب أبي القاسم الأفليلي ببلاغة المتنبي ودفاعه عنها وتسويغه لها.

وإذا كان أبو القاسم الأفليلي قد وفق في إيجاد المسوغ للمبالغة في شعر المتنبي، بالإشارة إلى طريقة الشعراء على وجه العموم من غير أن يضرب لذلك أمثلة، فقد جانبه التوفيق حين سوى بين بيت للنابغة وقول المتنبي:

كأنها تتلقاهم لتسلكهم فالطعن يفتح في الأجواف ما تسع

قال الأفليلي شارحاً ومقايساً[2]: «ثم قال: كأنما تتلقى هذه الخيل الروم لتسلك أجسادهم، وتتخذ طرقاً في جسومهم، فطعن فرسانها فيهم يفتح ما يسعهم، ويخرق ما لا يضيق بهم، وليس هذا في الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف سيوف بني جفنة:

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحُباحِب[3]

(١) انظر القصيدة ٦٠ البيت رقم ٣٢، ٣٣.

(٢) انظر القصيدة ٢٨ البيت رقم ٢٠.

(٣) الحباحب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء، وقد اختلف الشراح في تحديد مصدر الشرر في البيت، أهو من حوافر الخيل في صكها الحجارة أم من السيوف.



حقاً أن بيت النابغة من الإفراط كما قال الأصمعي[1]، ولكنه لا يستوي في ذلك مع بيت المتنبي، الذي يزيد عليه في الإفراط، لكن الأنسب أن يسوى بيت المتنبي[2] بقول قيس بن الخطيم:

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

السرقات

وأما تأثر المتنبي بمعاني من سبقه من الشعراء فقضيّة كان أبو القاسم الأفليلي متزناً في تناولها في هذه السيفيات، فهو لم ينكر تأثره بغيره، أو تناوله لمعانيهم، ولكنه اقتصد في الدلالة على ذلك، إذ ماز المشترك العام من المعاني الذي تداولته الشعراء فغدا طريقة مسلوكة مقصودة، عما هو خاص نادر أو مبتدع، فمن العام المشترك قول المتنبي:

أيدري الربع أي دم أراقا وأي قلوب هذا الركب شاقا

قال أبو القاسم دالاً على ذلك: «الشعراء تذكر أن الحزن إذا أفرط، والبكاء إذا اتصل، امتزج الدم بالدمع، فتلاه في جريه، وانحدر في أثره»[3].

وبراعة الشاعر ومهارته في صنعته قادرة على إحالة العام المشترك من المعاني إلى مبتدع نادر؛ بما يضفي عليه من ذاتيته «وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر، فتشترك الجماعة في الشيء المتداول، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب، أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره، فبريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع»[4] ويلاحظ هذا التفاضل في قول المتنبي:

---

(١) ديوان النابغة صنعة ابن السكيت تحقيق د. شكري فيصل ص ٦١.

(٢) انظر التبيان ٢/٢٢٧.

(٣) انظر القصيدة ١٤ البيت رقم ١.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٨٦.



أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل   دعا فلباه قبل الركب والإبل

قال أبو القاسم الأفليلي: «أشار إلى نفسه وبعض الإبل بالحنين، وأشار إلى ناقته، والشعراء يصفون مطاياهم بالحنين إلى ديار الأحبة، كما يصفون بذلك أنفسهم. وقد كشف أبو الطيب هذا المعنى حيث يقول:

إثلث فإنا أيها الطلل   نبلى وترزم تحتنا الإبل[1]

وقد يظل للمتقدم فضيلة السبق إلى المعنى والإبانة عنه على الرغم من تداوله واشتهاره عند المتأخرين، وقد فطن إلى ذلك أبو القاسم الأفليلي في قول المتنبي:

دون السهام ودون الفر طافحة   على نفوسهم المقورة المزع

قال الأفليلي: «وقصد السهام من بين سائر السلاح مشيراً إلى غلبة هذه الخيل لهم في أول القتال؛ لأن الرمي في القتال أول الحرب، وقد بين ذلك زهير بقوله:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا أطعنوا   ضارب حتى إذا ضاربوا اعتنقا

فأخبر بأن هذه الخيل صرعتهم في أول الحرب، ومنعتهم ما راموه من الفر»[2].

على أن أبا القاسم الأفليلي لم يتهم المتنبي بالأخذ أو السرق فيما عرض له من شعره، ولا نصّ على ذلك بلفظه، وكل ما أشار إليه في هذا الشأن عبّر عنه بـ (ألمّ) أو «نحو» أو «أجمل ما فسره»، والنحو الإلمام والإجمال وإن كانت مصطلحات غير محددة الدلالة على السرق، إلا أنها تعني وقوعه الجزئي في المعنى دون اللفظ، ومن أمثلة ذلك عند الأفليلي قول المتنبي:

(١) انظر القصيدة ٣٦ بيت رقم ١.

(٢) انظر القصيدة ٢٨ بيت رقم ٢٢.



تساوت به الأقتار حتى كأنه يجمع أشتات الجبال وينظم

الذي يعني «تساوت بهذا الجيش العجاجات، فصار ما يثور منها في الجبل الصلد، كالذي يثور منها في القرار الرخو، يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرته، ويحطها بعظمه... وألم بقول النابغة:

جيش يظل به الفضاء معضلاً يدع الأكام كأنهن صحارى[1]

والإلمام أهون ما يوجه لبيت المتنبي؛ لأنه أخذ المعنى وجرى به في صياغة لفظية مجانبة لصياغة النابغة، فقوله «يجمع أشتات الجبال وينظم» هو معنى قول النابغة (يدع الأكام كأنهن صحارى»، لكن تصور المتنبي لعمل الجيش كان في تعبير أجود، إذ تخيله جامعاً منظماً لاتصال ما يثور من عجاج في الجبل والسهل.

واتساقاً مع منهج أبي القاسم الأفليلي في عدم اتهام المتنبي بالسرقة صراحة وتخفيفه من القول بها، غاير موقف كثير من النقاد السابقين، إما بالصمت حيال كثير من الأبيات التي وقع فيها السرق، وإما بتوجيه السرق وجهة خاصة، فمما صمت حياله قول المتنبي:

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

المأخوذ من قول مسلم بن الوليد[2]:

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً إذا تغير وجه الفارس البطل

ومما وجهه ابن الأفليلي وجهة خاصة قول المتنبي:

هو الشجاع يعد البخل من جبن هو الجواد يعد الجبن من بخل

(١) انظر القصيدة ٢٥ بيت رقم ٢٧.

(٢) الوساطة ص ٣١٠ ـ وانظر باب السرقات في الوساطة.



الذي «دل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد، وأجمل ما فسره أبو تمام بقوله[1]:

وإذا رأيت أبا يزيد في وغى ونـدى ومبدىء غارة ومعيدا
يقرى مرجيه مشاشة ماله وشبا الأسنة تغرة ووريدا
أيقنت أن من السماح شجاعة وعلمت أن من الشجاعة جودا

فعلى الرغم من أن بيت المتنبي معدود في سرقاته من أبي تمام[2]، فقد عدّ ابن الأفليلي صنع المتنبي فيه من الفن، إذ أنه تصرف بالمعنى فأجمله وركزه، فلم يخل به، بل زاد عليه بهذه العلاقة التبادلية بين البخل والجبن، بإيقاع موسيقي متردد بين العجز والصدر.

وفي قول المتنبي:

له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جماجمه

قال: «ذكر أن الطير تصحب خيله اعتياداً؛ لكثرة وقائعها على نحو قول النابغة[3]:

إذا ما غزا بالجيس حلّق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

وبذلك غاير الأفليلي من سبقه من النقاد الذي جعلوا بيت النابغة مصدراً لقول المتنبي:

سحائب من العقبان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه

(١) انظر القصيدة ٦ بيت رقم ١٥.
(٢) الوساطة ص ٢٢٧، وعده العميدي مسروقاً من قدامة بن موسى الجمحي في قوله:
شجاع يرى الأحجام كفراً فيتقى وسمح يرى الافضال فرضاً فيفضل
وما يتناهى القوم في وصف مدحه ولكنني أبغي اختصاراً فأجمل
(الإبانة عن سرقات المتنبي ص ٨١).
(٣) انظر القصيدة رقم ١ البيت رقم ٢٧.



فقرنوه به وبغيره من الشعراء كالأفوه الأودي، وحميد بن ثور الهلالي، وأبي نواس، وأبي تمام في قوله[1]:

وقد ظلت عقبان أعلامه ضحى ... بعقبان طيرٍ في الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها ... من الجيش إلا أنها لم تقاتل

والرأي ما ذهب إليه أبو القاسم الأفليلي، سواء فيما اختاره مصدراً لمعنى المتنبي، أو فيما وجه به معنى المتنبي وأنه نحو من قول النابغة، أما باقي الشعراء «فكلهم قصر عن النابغة، لأنه زاد في المعنى ودلّ على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر، وإن كان أبو تمام قد زاد في المعنى. وإنما المحسن المتخلص المتنبي حيث يقول: له عسكرا خيل.... البيت»[2].

وإذا كان أبو القاسم الأفليلي دقيقاً مصيباً في النماذج السابقة، فأظنه جانب الصواب إذ عدّ قول المتنبي:

وهب الذي ورث الجدود وما رأى ... فعالهم لابن بلا أفعاله

نحواً من قول المتوكل الليثي[3]:

لسنا وإن كرمت أوائلنا ... يوماً على الأحساب نتكل

لأنه من المتداول بين الشعراء، فقد تناوله الخريمي والبحتري وأبو الطيب في أكثر من موضع في شعره، لكن القديم منه ما جاء عند المتوكل الليثي[4].

وكان المنتظر من أبي القاسم الأفليلي أن ينعطف إلى معاني أبي تمام

(١) انظر الوساطة ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
(٢) رسالة التوابع والزوابع ١٣٣.
(٣) انظر القصيدة رقم ١٢ البيت رقم ٣٣.
(٤) انظر الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٧١.



وشعره موازناً بشعر أبي الطيب المتنبي لسببين، أولهما: كثرة اتهام السابقين من النقاد له بالإغارة على معاني أبي تمام. وثانيهما: ما عرف به أبو القاسم الأفليلي من أنه كان «عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي، وأبي الطيب المتنبي، كثير العناية بهما خاصة»[1].

وإذا استثنينا الإشارة السابقة التي أجمل أبو الطيب ما فسره أبو تمام، فإن شرح أبي القاسم يخلو من آثار هذه العناية والسلطان على شعر أبي تمام، على الرغم من أن كثيراً من أبيات المتنبي في السيفيات مصدرها شعر أبي تمام كقوله:

أعدوا رماحاً من خضوع فطاعنوا بها الجيش حتى رد غرب الفيالق

من قول أبي تمام[2]:

فحاط له الإقرار بالذنب روحه وجثمانه إذا لم تحطه قنابله

وقول المتنبي:

وما في سطوة الأرباب عيب ولا في ذلة العبدان عار

من قول أبي تمام[3]:

خضعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عار

ولست أعفي بعض هذه الإشارات من التمحل والتجني على أبي الطيب، وغير بعيد عن الاحتمال أن يكون أبو القاسم الأفليلي أهملها ملتفتاً إلى هذا، لكن هذا الموقف الصامت المتجاهل لكل ذلك، مما لا يتناسب ومنهج القوامة الذي يقضي بالإشارة إلى ذلك، ثم يلتمس لموضوعيته النقدية تأويلاً مرضياً، أو تخريجاً مبعداً.

(١) الصلة ١/٩٣.

(٢) الوساطة ص ٢٩٢.

(٣) الوساطة ص ٢٩٣.



القسم الأول

الفصل الرابع

أثر شرح أبي القاسم الأفليلي وقيمته

أثر شرح أبي القاسم الأفليلي في الشرّاح

أثنى ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد على شرح أبي القاسم الأفليلي لديوان المتنبي بقوله: «ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد الأفليلي لشعر المتنبي، وهو حسن جداً» وعدّه من فضائل أهل الأندلس التي فاخر بها أهل المشرق، لكن هذا الثناء وإن سلّم لأبي القاسم الأفليلي بعموم الفضل، ونظمه في سلسلة أهل العلم ومشاركة المبدعين، إلا أنه لم يحمه من خصوص التقويم والنقد، فقد استدرك ابن حزم على هذا الشرح بمؤلف «التعقيب على الأفليلي في شرحه لديوان المتنبي»[1].

وإذا كنا لا نعرف ماهية هذا التعقيب ولا مرتكزاته ومجالاته؛ لأنه ما زال مفقوداً، فإنه آثار حمية الدفاع عن أبي القاسم الأفليلي نجدها عند عبدالله ابن أحمد المعروف بالنبّاهي تلميذ أبي القاسم من أهل مالقة، وكان عالماً بالآداب واللغات والأشعار، فكتب ردّاً على أبي محمد بن حزم فيما انتقد على الأفليلي في شرحه لشعر المتنبي[2].

ومثل هذا التدافع النقدي نافع في إضفاء قيمة على هذا الكتاب على نحو ما، من حيث بيان عيوبه، أو إظهار مناقبه وخصائصه، وهو مفيد بعد ذلك في إثراء الحركة الأدبية والنقدية في القرن الخامس الهجري وتقويمها.

وترك شرح أبي القاسم صدى واضحاً في بعض شراح شعر أبي الطيب

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٨ ص ١٩٧.
(٢) الصلة لابن بشكوال ١/٢٨٣.



المتنبي خاصة في صقلية ومصر، فابن القطاع[1] ينقل عن ابن الأفليلي فيما تناوله من شرح لأبيات المتنبي فمن ذلك قوله:

ولو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

«قال ابن القطاع: قال ابن الأفليلي في شرح هذا البيت: يريد شموس كل يوم يقتلهم فيه»[2].

ويبدو أن أبا علي الحسين بن عبدالله الصقلي المغربي قد اطلع على شرح أبي القاسم الأفليلي وأفاد منه، وتأثر بطريقته في تناول بعض الأبيات، من ذلك قول المتنبي:

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل

قال أبو علي الصقلي: «الفطام منع الطفل من الرضاع، والتوارب لغة في التراب»[3].

وقال الأفليلي: «الفطام: منع الصبي من الرضاع، والتوراب لغة في التراب»[4].

وفي قول المتنبي:

ضلالاً لهذا الريح ماذا تريده وهدياً لهذا السيل ماذا يؤمم

(١) هو أبو القاسم علي بن جعفر بن علي التميمي السعدي الصقلي (ت ٥١٥) له آثار في اللغة والأدب، منها كتاب الأفعال، وشرح ديوان المتنبي، والدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ـ والموجود من شرحه لشعر المتنبي شرح بعض الأبيات في دار الكتب المصرية برقم ٢٧ ش. (انظر أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين ص ٣٨٢ ومصادره).

(٢) التبيان ١/٨٣.

(٣) التكملة في شرح ديوان المتنبي لأبي علي الصقلي مصور عن الأصل المخطوط في مكتبة ولي الدين بتركيا رقم ٢٦٨٨ ورقة ٢٧١. وقد طبع هذا الشرح محققاً وصدر عن دار عمار في عمان ـ ولم يقع تحت يدي إلى الآن.

(٤) انظر القصيدة ٨ بيت رقم ٢٣ من هذا الشرح.



قال أبو علي الصقلي: «ودعا للريح بالضلال؛ لأنه يزعم أنها ما أرضت سيف الدولة، وأرادت أن تثنيه عن قصده، ودعا للسيل بالهدى، لأنه زعم أنه جاء مع سيف الدولة يزور قبر أمه، ويسقي تربتها»[١].

ويقول أبو القاسم الأفليلي: «ثم دعا للريح ولم يدع لها، ودعا للسيل ولم يدع عليه، لأن الريح اعترضت سيف الدولة في مسيره، ولم تسعده على شيء من أموره، والسحاب وإن كان رام ثنيه بوبله، ووعّر طريقه بسيله، فإنه تلاه متعلماً من جوده، وصحبه مسعداً له على رأيه، قاضياً لذمام القبر الذي قصده، ومروضاً بسقياه للربع الذي اعتمده»[٢].

وفي قول المتنبي:

وقبـل يـرى من جـوده مـا رأيتـه ويسمـع فيـه مـا سمعت من العـذل

قال أبو علي الصقلي: «ويجوز في قوله «ويسمع فيه ما سمعت من العذل»، الرفع والنصب، فالرفع على أنه لما حذف أن رفع عملها، والنصب على أنه حذفها وأبقى عملها ليدل عليها. وبيت طرفة:

ألا أيهـذا الـزاجـري احضر الـوغى وأن أشهـد اللذات هـل أنت مخلدي

يروى برفع أحضر ونصبه، كذا الأصل فيه أن أحضر الوغى، ثم حذف أن، وعليه حمل بيت أبي الطيب أيضاً»[٣].

ويقول ابن الأفليلي: «وحذف أن من كلامه وهو يريدها في قوله (وقبل يرى) والعرب تفعل ذلك، قال الشاعر:

ألا بهذا الزاجري أحضر الوغى

(١) التكملة في شرح ديوان المتنبي لأبي علي الصقلي ورقة ٣٠٢.
(٢) انظر القصيدة ٢٥ بيت رقم ١٩.
(٣) التكملة في شرح ديوان المتنبي لأبي علي الصقلي ورقة ٢٧١.



يريد أن أحضر، «فحذف لدلالة الكلام على ما أراد»[1].

وأفاد صاحب التبيان من شرح ابن الأفليلي إفادة عظيمة، وعدّه من مصادره في شرحه، ونص على شرح بعض الأبيات بقوله: «قال ابن الأفليلي». وعلى الرغم من أن نصه على الأفليلي كان في عشرين موضعاً، إلا أن ما نقله من شرحه حرفياً يجاوز الثلاثمائة بيت، فضلاً عما أخذه من شرحه جزئياً وكان في خمسة وسبعين موضعاً تقريباً.

ومعنى ذلك أن هذا الشرح معتمد أساس لدى صاحب التبيان إلى جانب ابن جنى والواحدي اللذين أكثر النص عليهما، على أن تحديد هذا النقل والأخذ يكشف عن مصدر هام في تحقيق شرح التبيان[2]، الذي آثر صاحبه أن يعمي على حقيقته، فأوهم أنه من تحليله وتفسيره وتذوقه.

وبدهي أن هذا النقل والأخذ يتجاوز مجموع العدد الذي أشرت إليه (قريب من ٤٠٠) بيت، إذا أضفنا إليه القصيدتين اللتين سبقت الإشارة إلى النصّ فيهما على أبي القاسم الأفليلي أو ما يكشف عنه السفر الثاني من هذا الشرح عند التحقيق.

والنقل عن أبي القاسم يتخذ أشكالاً عدة، فهو إما نقل للألفاظ ومعانيها، أو نقل للقضيّة اللغوية، أو نقل للمعنى والشرح، أو نقل للمعنى والقضيّة الفنية فيه. فمما جاء النقل فيه للفظ والمعنى والقضيّة اللغوية شرح قول المتنبي:

إن استحسنت وهو على بساط   فأحسن ما يكون على الرجال

---

(١) انظر قصيدة ٨ بيت رقم ٢٤.

(٢) أعلن في نشرة معهد المخطوطات ـ الكويت ـ عن تسجيل رسالة بعنوان «التبيان للعكبري دراسة وتحقيقاً لمحمد نجيب قباوة ـ جامعة دمشق ١٩٨٤.



قال صاحب التبيان: «استحسنت: أراد استحسنته، فحذف الهاء للعلم به، والمفعول به كثيراً ما يحذف، وأنشد سيبويه:

فأقبلت زحفاً على الركبتين ... فثوب لبست وثوب أجر

أراد لبسته وأجره، فحذف المفعولين، لدلالة الكلام عليهما.

المعنى: يقول: إن استحسنت هذا السلاح وهو على بساط، فأحسن ما يكون إذا لبسه الرجال وأظهر فضله القتال»[1].

وقال أبو القاسم الأفليلي في شرح هذا البيت: «وقوله: «إن استحسنت وهو على بساط» أراد: إن استحسنته، فحذف الهاء لقوة دلالة الكلام عليها، والعرب تفعل ذلك، أنشد سيبويه في مثل ذلك:

فأقبلت زحفاً على الركبتين ... فثوب نسيت وثوب أجر

يريد: نسيته وأجره، وحذف الهاء لدلالة الكلام عليها، فيقول: إن استحسنت هذا السلاح وهو على بساط، فأحسن ما يكون إذا لبسته الرجال، وأظهر فضله القتال»[2].

ومما وقع لصاحب التبيان من نقل اللفظ والمعنى والنزعة التعليميّة ما جاء في قول المتنبي:

تلقى الوجوه بها الوجوه وبينها ... ضرب يجول الموت في أجواله

قال في التبيان: «الأجوال: النواحي؛ الواحد: جول.

المعنى: أنه وصف الساعة، فقال: إن وجوه الأبطال الذين لا ينكصون يلقى بعضها بعضاً، وبينها ضرب شديد، وجلاد وكيد، يكثر فيه الموت،

(١) التبيان ٣/٩٤.

(٢) انظر القصيدة ٤٣ البيت رقم ٥.



ويجول في نواحيه، وجانس بقوله: يجول وأجواله؛ لأن حروف يجول والأجوال واحد، والمعنى في الكلمتين مختلف، وهذا في الكلام هو التجنيس»[1].

وقال ابن الأفليلي: «الأجوال: النواحي، واحدها جول.

ثم وصف تلك الساعة، فقال: إن وجوه الأبطال الذين لا ينكصون، يلقى بعضها بعضاً، وبينها ضرب شديد، وجلاد وكيد، يكثر الموت فيه، ويجول في نواحيه، وجانس بقوله يجول الموت في أجواله، لأن حروف الأصل في يجول وفي أجواله واحدة، والمراد بالكلمتين مختلف، واتفاق هذا في الكلام هو التجنيس، وهو من البديع»[2].

ونقل صاحب التبيان المعنى والدقائق الفنية في قول المتنبي:

وإذا تعثرت الجياد بسهله   برّزت غير معثر بجباله

فقال: «المعنى: يقول: إذا بعد سهل الكلام على أهل الإحسان، وصعب انقياده لهم، لصعوبة المقامات التي توجب ذلك، برّزت هناك غير مقصر في غوامض القول، ولا متعثر في بدائع الشعر، وكنى بالسهل عما قرب من الكلام، وبالجياد عن أهل الإحسان، فاستعار هذه الألقاب أحسن استعارة، وأشار إلى إحسانه أبدع إشارة، وهذا من بديع الكلام»[3].

ويقول ابن الأفليلي: «ثم قال: وإذا بعد سهل الكلام على أهل الإحسان، وصعب انقياده لهم، لصعوبة المقامات التي توجب ذلك، برزت هنالك غير مقصر في غوامض القول، ولا متعثر في بدائع الشعر، وكنى بالسهل عما قرب من الكلام، وبالجبال عما غمض منه، وبالجياد عن أهل

---

(١) التبيان ٥٧/٣.

(٢) انظر القصيدة ١٢ البيت رقم ١١ من هذا الشرح .

(٣) التبيان ٥٧/٣.



الإحسان، فاستعار هذه الألقاب أحسن استعارة، وأشار إلى إحسانه أبدع إشارة، وكل ذلك من بديع الكلام»(١).

وقد يأخذ صاحب التبيان شرح أبي القاسم الأفليلي جزئياً، بأن يعمل فيه الزيادة أو الحذف أو التقديم والتأخير، ومما جاءت الزيادة عليه قول المتنبي:

على عاتق الملك الأغر نجاده وفي يد جبار السموات قائمه

فبعد أن وجه رواية الفتح والضم لميم الملك في البيت قال: «المعنى: يقول هو سيف يتقلده الخليفة (على إحدى الروايتين)، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله، وعلى الرواية الأخرى، هو سيف على عاتق المملكة، نجاده يتزين به الملك، فهو من الملك في أرفع مواضعه، ومن تأييد الله بالجد الذي يمضيه في أعلى مواقعه، وإذا كان كذلك، اكتنفه نصره، وساعدته أقداره، فيحنئذ يبلغ مراده من أعدائه...»(٢). فمن قوله «فهو من الملك في أرفع مواضعه إلى قوله وساعدته أقداره» مأخوذ من شرح أبي القاسم الأفليلي(٣).

ومن تمويه صاحب التبيان أنه يفرق بين معنى ومعنى، في شرح البيت الواحد بما يشعر بتعدد الرؤية في فهم البيت، كأن يقول المعنى... والمعنى، أو المعنى... وتلخيص المعنى، وما المعنى والمعنى أو تلخيص المعنى إلا فهم أبي القاسم الأفليلي مجتمعاً فجعله صاحب التبيان متعدداً، من ذلك قول المتنبي:

أقلُّ بلاءً بالرزايا من القنا وأقدم بين الجحفلين من النبل

قال صاحب التبيان: «المعنى: يقول: إن رهط سيف الدولة أقل

(١) انظر القصيدة ١٢ البيت رقم ١٣.
(٢) التبيان ٣/٣٤١.
(٣) انظر القصيدة رقم ١ البيت رقم ٣٨.



بالرزايا مبالاة من الرماح المتوقعة، وأقعد بين الجيشين المتقابلين من السهام المرسلة.

والمعنى: لا يبالون بما يصيبهم، كما لا يبالي بها من لا يعرفها، وقوله من القنا، لأنه جماد لا يعرف الرزايا، فشبههم لجراءة أنفسهم، وجلدهم على الرزايا إذا طرقتهم بالرماح والسهام التي تصيب ولا تصاب، وتهاب ولا تهاب»[1].

وإذا حذفنا من الشرح السابق «وقوله من القنا، لأنه جماد لا يعرف الرزايا، الذي لا يقدم ولا يؤخر في المعنى، كان المعنى؛ هو شرح أبي القاسم الأفليلي إذ يقول: «إن رهط سيف الدولة أقل مبالاة بالرزايا من الرماح المتوقعة، وأنفذ بين الجحفلين المتقاتلين من السهام المرسلة، فشبههم لجرأة أنفسهم، وجلدهم على الرزايا إذا طرقتهم بالرماح والسهام، التي تصيب ولا تصاب، وتهاب ولا تهاب»[2].

ولئن كان فيما مضى من نماذج بعض دلالة على احتفال صاحب التبيان بشرح أبي القاسم الأفليلي وأهميته لديه، فإن مما يرفع درجة هذا الاحتفال، ويزيد في هذه الأهمية، تفرد أبي القاسم بشرح بعض القصائد أو بعض الأبيات من غير قرين مساعد في الشرح، أو اقترانه بعلمين شهيرين في هذا المجال هما: ابن جني والواحدي.

ففي القصيدة التي يرثي بها أبا الهيجاء ومطلعها:

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل   وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي

وتعداد أبياتها اثنان وثلاثون بيتاً، اعتمد صاحب التبيان على شرح أبي القاسم حرفياً بما في ذلك شرح الألفاظ أحياناً، واستعان بابن جنى وابن

---

(١) التبيان ٣/٤٦.

(٢) القصيدة ٨ البيت رقم ١١.



فورجه في البيت التاسع والعشرين، وفي البيت الثلاثين أضاف شرح ابن جنى إلى شرح ابن الأفليلي، وفي شرح البيت التاسع عشر استعان بشرح الواحدي منفرداً، أما في شرح البيت السابع والعشرين فعقب بجملتين من شرح الواحدي دون أن يسميه بعد شرح الأفليلي، واستعان به في شرح البيت الثاني والثلاثين مع شرح أبي القاسم الأفليلي[1].

والجداول التالية توضح مدى استعانة صاحب التبيان بشرح الأفليلي ونسبته إلى الشراح في ذلك.

جدول رقم ١

مطلع القصيدة:

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل   وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي

الشراح	.	ابن جني	ابن فورجه	الواحدي	الأفليلي
رقم القصيدة	١٧٨				
عدد أبياتها	٣٢				
مرات الشرح المتفرد		-		٣	٢٧
مرات الشرح المشترك		٢	١	١	٤

(١) انظر التبيان ٣/٤٣ ـ ٥٢.

جدول رقم ٢

مطلع القصيدة:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل   وعاه فلباه قبل الركب والإبل

الشراح		ابن جنى	ابن فورجه	الواحدي	الأفليلي	ابن القطاع
رقم القصيدة	١٨٢					
عدد أبياتها	٤٨					
مرات الشرح المتفرد					٣٧	
مرات الشرح المشترك		٣	٤	٣	٧	١

وتفسير المشترك في هذا الجدول كما يلي:

الأفليلي والواحدي مرتان.

الأفليلي مع ابن جنى مرة واحدة.

الأفليلي مع ابن فورجة مرة واحد.

الأفليلي مع ابن فورجة والواحدي مرة واحدة.

الأفليلي مع ابن فورجة وابن جنى مرة واحدة.

الأفليلي مع ابن فورجة وابن جنى وابن القطاع مرة واحدة.

جدول رقم ٣

مطلع القصيدة:

ليـالي بـعـد الـظاعـنـين شكـول   طـوال وليـل العـاشقـين طـويـل

الشراح		ابن جنى	ابن فورجة	الواحدي	الأفليلي	ابن القطاع	أبو الفضل العروضي
رقم القصيدة	١٨٧						
عدد أبياتها	٦٥						
مرات الشرح المتفرد					٥٤		١
مرات الشرح المشترك		٥	٢	٤	١		

وتفسير المشترك في هذا الجدول كما يلي:

الأفليلي والواحدي ثلاث مرات.

الأفليلي وابن جنى وابن فورجة وابن القطاع مرة واحدة.

الأفليلي وابن جنى والواحدي مرة واحدة.

ابن جنى وابن فورجة مرة واحدة.

وتجدر الإشارة إلى أن صاحب التبيان في القصائد الثلاث السابقة لم ينسب إلى الأفليلي شرحه فيما استعان به، على الرغم من عدد المرات الذي يصل إلى مائة وثماني عشرة مرة، إلا مرة واحدة في القصيدة الثالثة. ولست أدري إن كان النص على الأفليلي في مقدمة الشرح، أو النص عليه عرضاً نادراً، يكفي في عدم اتهامه بنحل شرح غيره قصداً!

ولا يقال إن عدم التوثيق عند صاحب التبيان ليس خاصاً بابن الأفليلي، إذ لم ينسب ما أخذه من شرح ابن جنى والواحدي وغيرهما في مرات عديدة، لأن النص على هذين الشارحين ظاهرة واضحة في شرح التبيان.

قيمة شرح أبي القاسم الأفليلي

ومن المهم في هذا المجال أن نشير إلى أن فضيلة التميز لشرح الأفليلي ظاهرة على نظرائه من الشراح الذين جمعهم به صاحب التبيان، ومن أمثلة ذلك قول المتنبي:

نجوت بإحدى مهجتيك جريحة   وخلفت إحدى مهجتيك تسيل

قال في شرحه: «يريد أن الدمستق ضرب في وجهه في هذه الوقعة، فمضى هارباً، وأسر ابنه، فجعل مهجته مجروحة، وإن كانت الجراحة لا تكون إلا في البدن، لأنها تسري إلى الروح، وقوله «تسيل» قال أبو الفتح: يعني أن ابنه يذوب في القيد هماً وغماً.

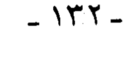
وقال الواحدي: ليس قول أبي الفتح بشيء، وإنما المعنى أنه يقتل فيسيل دمه.

والمعنى: أنه يخاطب الدمستق فيقول: أنت وابنك كالشيء الواحد، ومهجتاكما كالمهجة المفردة، وإن كنت نجوت بمهجتك بعد الجرح الذي نالك، وخزي الفرار الذي لحقك، فقد تركت مهجتك الثانية في قبض الأسر سائلة، ولحقيقة الهلاك مباشرة، فما أدرك ابنك أدركك، وما لحقه فقد لحقك»[1].

وإذا أضربنا صفحاً عن نسبة صاحب التبيان جزءاً من هذا الشرح دون تمامه إلى الواحدي[2]، وعدم نسبته إلى أبي القاسم الأفليلي الشرح الواقع بعد

(١) التبيان ٣/١٠٦.

(٢) انظر ديوان المتنبي شرح الواحدي ج ٢/٥٢٠.





قوله: والمعنى، فإن شرح أبي القاسم الأفليلي يتميز على ابن جنى والواحدي بإدراك العمق النفسي في التوحد بين الأب والابن في المشاعر والأحاسيس، فما أصاب أحدهما أصاب الآخر.

وفي قول المتنبي:

ولا ترد الغدران إلا وماؤها   من الدّم كالريحان تحت الشقائق

كان فهم الأفليلي متميزاً أيضاً بين الشراح الذي اعتمد عليهم صاحب التبيان.

«قال أبو الفتح: لكثرة ما قتل من الأعداء جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم، والماء يلوح من خلال الدم، فالريحان تحت الشقائق؛ لأن ماء الغدير أخضرُ من الطحلب، فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق.

وقال ابن فورجة: لا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه، واحمرّ الماء من دم الأعداء، كما قال بشار:

فتى لا يبيت على دمنة   ولا يشرب الماء إلا بدم

ويجوز[1] أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة، ولا تقتحم مياهها شاربة، إلا وتلك المياه تحت ما يسفكه من دماء أعدائه، كالريحان في خضرته، إذا استبان تحت الشقائق، واستولت بحمرتها على جملته، وأشار بخضرة بالماء إلى صفائه وكثرته، ونبه بذلك على جمومه، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه صفته، وترد منه ما هذه حقيقته»[2].

فإذا كان ابن فورجة (٤٠٠ ـ ٤٥٠ هـ) تطابق في فهمه مع جانب من

---

(١) انظر القصيدة ٦٦ البيت رقم ٤٣.
(٢) التبيان ٢/٣٣٠.



فهم ابن الأفليلي وهو عادة خيل سيف الدولة في الشرب من المياه التي احمرت من سفك دماء الأعداء؛ فإن مغايرته في هذا الفهم بدلالة الخضرة التي فسّرها بصفاء الماء وكثرته وجمومه، تدل على ذوق يقصد إلى ما وراء الدلالة الظاهرة في ورود الخيل، وخضرة الماء.

والحق أن لأبي القاسم الأفليلي في شرح هذه السيفيات شخصيّة متميزة مصدرها ثقافته وذوقه وذكاؤه وفهمه، إذ كان معتداً بذاته كثيراً وقد «بذ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي»، «متصدراً بالأندلس يقرىء علم الأدب، ويُقْرَأُ عليه، ويختلف فيه إليه، . . . ويتكلم في معاني الشعر وأقسام البلاغة والنقد لها»، «عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي الطيب المتنبي».

ولذلك لم نجد في شرحه ذكراً لأحد من شراح المتنبي ممن سبقه إليه، شأن المتأخر في إفادته من المتقدم، وكما هي عادة بعض من شرح ديوان المتنبي مثل الواحدي الذي أخلى كثيراً من الأبيات من شرحه، وأقام مكانه قول ابن جنى أو ابن فورجة.

ولا يعني ما سبق أنني أباعد بين أبي القاسم الأفليلي والإطلاع على جهد من سبقه، ولكني قصدت إلى استقلالية فهمه، وتميّز اتجاهه، ولذلك أسقط اعتراض غيره، وإن كان خاطئاً، ولم يأبه لرأي من سبقه وإن كان صائباً. وفي قول المتنبي التالي مثال على ذلك إذ يقول:

الشمس من حساده والنصر من قرنائه والسيف من أسمائه
أين الثلاثة من ثلاث خلاله من حسنه وإبائه ومضائه

«قال أبو الفتح: يقول: أين حسن الشمس من حسنه، وأين النصر من إبائه، وأين مضاء السيف من مضائه، أي إذا أتي أمر، قصر السيف عن عزيمته وإبائه. وكأنه رجع في هذا البيت عما أعطى له في البيت الذي قبله، ولو قال وأين بالواو لكان أغرب؛ لأن الواو تخلط الثاني بالأول، ولا تجعل لأحدهما مزية



على الآخر في التقدم والتأخر، وإذا لم يأت بالواو صار الكلام كأنه منقطع، ألا ترى إلى قول الراجز:

«يا فقعسا وأين مني فقعس»[1].

ولم يلتف أبو القاسم الأفليلي إلى اعتراض ابن جنى ونقده في شرحه لهذا البيت إذ يقول: «ثم قال: أين هذه الثلاثة مع جلالة أمرها، ورفعة قدرها من جلال خلاله الثلاثة، التي هي على نحوها لجلالة الفضل، لأن الشمس تطلع وتغرب، والنصر يقل ويكثر، والسيف ينبو ويقطع، وحسنه ثابت لا يعدم، وعزه زائد لا ينقص، ومضاؤه نافد لا يدفع.

وهذه طريقة من المجاز يحسنها للشعراء ما يحاولونه من بلوغ غايات المدح، وما يتعارف من مثلها في اللغة»[2].

لكن أبا القاسم أدرك علة المفارقة في البيتين التي أقام عليها المتنبي التباين بين ما قدّم من معان حسيّة متغيرة في البيت الأول، وما أخر من قيم جمالية معنوية ثابتة في البيت الثاني، وقد وصل أبو القاسم إلى ذلك بحسن تودده للمعاني بعمق صلاتها من غير حاجة إلى قسرية إعمال اللغة وسطوة قاعدتها.

ويؤيد أبا القاسم الأفليلي فيما ذهب إليه المتأخرون من الشراح مثل ابن المستوفي وأبي البقاء العكبري، إذ يقول ابن المستوفي: «قال المبارك بن أحمد، والصحيح أنه أراد أين حسن الشمس من حسنه، وأين النصر من إبائه ومن امتناعه؛ لأنه إذا أبى شيئاً كان أوفى من النصر، وأين مضاء السيف من مضائه؛ لأن السيف به نباء أو كل، وهو لا ينبو ولا يكل ـ. . . . وقال أبو البقاء العكبري: قالوا: وكان الأحسن أن يقول وأين بالواو وليختلط هذا

---

(١) النظام في شرح المتنبي وأبي تمام ج ١ ورقة ٢٦.

(٢) انظر القصيدة ٤٦ البيتين ٥ ـ ٦.



البيت بما قبله، وكأن كلامه مستقل بنفسه، ولـه نظائـر في الشعر بـالواو. وحذف الواو هنـا يسير لا يضعف المعنى بـه، لأنه مـذكور عقيب الأشيـاء الثلاثة، وفي الثلاثة الألف واللام وهما للمعهود السابق، فنزل ذلك منزلة الواو، وأعاد من مع البدل. والذي قاله أبو الفتح أولى وأكثر في الشعر»[١].

وعلى الرغم من وضوح شخصيّة الأفليـلي في شرحه فقـد ظلمه ابن المستوفي إذ لم ينقل عنه شيئاً، ولم يشر إليه أية إشارة، على كثرة المصادر التي أخذ عنها، والشراح الذين نصّ على أسمائهم من سابقي الأفليلي ومعاصريه وممن تأخروا في أزمانهم عنه، مثل ابن جنى، الواحدي، ابن فورجـة، أبي العلاء المعري، العروضي، أبي البقاء العكبري، أبي زكريا الخطيب التبريزي، الشريف المرتضى، صاحب فتق الكمائم أبي عـلي الحسن به عبـدالله المغربي الصقلي.

فيقول ابن المستوفي في مقدمة النظام «والناس في شعره اثنان؛ محام عنه مفرط، ومتعصب عليه مفرط، وكلاهما متجاوز به حدّه، غال فيه حكمه، دفاعاً عنه وتحاملاً عليه، وهم مع ذلك عن معانيه أشد سؤالاً وأكثر في كل مقام مقالاً، وأنا أجمع من أقوال العلماء في ذلك ما وافى البحث عنه إليه، ووقفني العلم به عليه، مختصر مـا أورده بوسـع جهدي، ومصححـه بقدر طاقتي، وناسبه إلى قائله، ومسنده إلى ناقله...»[٢].

ويقول ابن المستوفي في موضع آخر «... ولما كتبت ذلـك نظرت في كتاب أبي زكريا لأنقل منه إلى هنا ما يحسن نقله»[٣].

وعلى ذلك فهل عدّ ابن المستوفي أبا القاسم الأفليلي أحد طرفي النزاع

---

(١) النظام في شرح المتنبي وأبي تمام ج ١ / ورقة ٢٦.
(٢) النظام ج ١ ورقة ١
(٣) النظام ج ٢ ورقة ٧٣.



في المحاماة عن أبي الطيب بإفراط؟ أم أنه لم يجد عند الأفليلي ما يحسن نقله؟!.

لا نستطيع أن نخلي الشروح التي نقل عنها ابن المستوفي من التعصب لأبي الطيب، وكذلك فإن بعضاً مما نقله منها لا كبير غناء فيه، إذ لا يجاوز الجملة المقتضبة البسيطة، لكن كثيراً منها كانت معرضاً للغة وتطبيق قواعدها واستعراض أحكامها، فضلاً عن ذكر للمآخذ ودفع لها، وهو ما لم يأبه له ابن الأفليلي أساساً في شرحه.

وللرواية في شرح أبي القاسم الأفليلي أهمية خاصة، فهو معتمد لإحدى الطرق المتقدمة التي روي بها ديوان المتنبي في الأندلس، قال ابن خير الأشبيلي: «حدثني به الوزير أبو بكر محمد بن هشام بن محمد المصحفي، قال: قرأته على أبي رحمه الله، وأخبرني به عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن قادم وأبي يحيى زكريا بن بكر بن أحمد بن الأشج الغساني، والأشج هو أحمد، يكنى أبا جعفر، وأبي القاسم الحسين بن الوليد، يعرف بابن العريف، كلهم عن أبي الطيب المتنبي. قال أبو بكر المصحفي: أما ابن قادم وابن الأشج فعن المتنبي، وأما ابن العريف فعن أبي بكر الطائي عن المتنبي»[1].

وأخذ أبو القاسم الأفليلي ديوان المتنبي عن ابن العريف، قال ابن الأفليلي: «قرأته على أبي القاسم الحسين بن الوليد، ويعرف بابن العريف، عن أبي بكر الطائي، وإبراهيم المغربي، كلاهما عن أبي الطيب»[2].

وعن أبي القاسم الأفليلي أخذ ثقات الرواية في الأندلس إذ حدث به أبو مروان عبد الملك بن سراج عن الأفليلي، وحدث به الأعلم الشنتمري أبو

---

(1) فهرسة ابن خير الأشبيلي ص٤٠٣ - ٤٠٤ وروى ديوان المتنبي في الأندلس عن أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني عن أبي الحسن علي بن الحارث البياري عن أبي الطيب.

(2) فهرسة ابن خير الأشبيلي ص٤٠٣.



الحجاج يوسف بن سليمان النحوي قراءة عليه، وحدث به الوزير أبو تميم العز بن محمد بن أبي موسى بقنه[1].

ولأسلوب أبي القاسم الأفليلي مميزات تجعله ظاهراً متفرداً بين شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، فكما حرص على الأداء المفهم باللفظ البسيط السهل، فإنه كان أشد حرصاً على التعبير الأدبي ذي الألفاظ المنتقاة، والتراكيب ذات الأبعاد الإيقاعية الفنية. ويتبدى انتقاء اللفظ في شرحه لقول المتنبي:

تنكسهم والسابقات جبالهم وتطعن فيهم والرماح المكائد

قال الأفليلي: «ثم وصف حال أولئك، فقال: تنكسهم والخيول جبالهم، يريد أنهم لا يتعاطون مقاتلتك بالخيل، وإنما يعتصمون منك بالجبال، فهي خيلهم، واستنزالهم منها تنكيسهم، ونقل الكلام على سبيل الاستعارة، ثم قال: وتطعن فيهم بغير الرماح لأنهم يعجزون عن مبارزتك، فتستعمل فيهم من مكائدك ما تفتح معه حصونهم، وتوجه إليهم من تدبيرك ما تصدع به قلوبهم، فتنزلهم مما ارتفعوا إليه بعزمك، وتطعن فيهم حيث تحرزوا منك برأيك»[2].

ويغلب السجع والمزاوجة بين الجمل على صياغة أبي القاسم الأفليلي، بما يكسب شرحه طابعاً أدبياً، يتردد فيه إيقاع موسيقي مقصود دون تصيّد أو تكلف غالباً، يقول في شرح قول المتنبي:

فيا أيها المطلوب جاوره تمتنع ويا أيها المحروم يممه ترزق

«ثم يقول: فيا أيها الخائف المطلوب، والمروع المحروب، جاور سيف الدولة تمتنع بعزه، وتأمن من المخاوف بما يمده عليك من ظله، ويا أيها

(١) فهرسة ابن خير ص٤٠٣.
(٢) انظر القصيدة ٣٠ بيت رقم ٢٢.



المحروم في قصده، والمضيق عليه في رزقه، يممه تسعد بقصده، وتتقدم المكثرين بما يشملك من فضله»[1].

والصنعة في هذا النثر التأليفي مقصودة عند أبي القاسم، فغدا شرحه أدباً إنشائياً يعمل فيه براعة في الاشتقاق البديعي وتصعيد المعنى من خلال ذلك. ونلمس ذلك في تناوله لقول المتنبي:

طلبتهم على الأمواه حتى تخوف أن تفتشه السحاب

«ثم يقول له: طلبت بني كلاب على الأمواه التي هي مظان الأعراب في ارتحالها، ومنازلها عند انتقالها، فبلغت غايات تلك الفلوات النائية، ودوخت أقاصي تلك الرمال الشاسعة، وقرب عليك منها ما يقرب مثله، وفعلت في التوصل إليها ما لا يمكن غيرك فعله، ونلت من ذلك ما ليس السحاب بأبعد منالاً منه، ولا يخرج بشدة الامتناع عنه، ودلّ بقوله (تخوف أن تفتشه السحاب) على هذه العبارة»[2].

إن النظرة في قوله «قرب... ما يقرب، وفعلت... ما لا يمكن غيرك فعله، ونلت... ما ليس السحاب بأبعد منالاً منه» تنبىء عن قصد في تصعيد المعنى وتشقيقه لفظياً بما يحقق له التحسين والتزيين للصياغة والأسلوب.

ولا يخفى ما وراء هذا التشكيل الفني بالسجع والمزاوجة والاشتقاق البديعي من معنى، وفائدة بيانية، وأكثر هذا التزيين يجري في شرحه مجانباً للتكلف، لكن الإبانة قد تتعثر بالتزيين والصنعة فيكون التكلف في اصطياد السجع لديه أحياناً، من ذلك شرحه لقول المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قلائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

(١) انظر القصيدة ٤٢ بيت رقم ٤٠.
(٢) انظر القصيدة ٦٣ بيت رقم ٤.



إذ يقـول: «ومـا الـدهـر إلا من رواة أشعـاري التي هي كـالعقــود والأطواق، والقلائد في الأعناق، فإذا قلت شعراً فالدهر ينشده مرفعاً بـه، ويرويه قصيداً له، ويبقيه ما بقيت الأيام، ويخلده ما أعملت الأقلام»[1].

فالإحساس غير خاف بثقل القلائد في الأعناق، التي حشرت من غير معنى لتناسب العقود والأطواق، والتكلف باد على قوله «ويخلده ما أعملت الأقلام» وإن كان المعنى محتملاً لها، إذ جاءت لإحداث التناغم مع «ويبقيه ما بقيت الأيام».

غير أن هذا التكلف البادي أحياناً على شرحه لا ينازع في اطراد مهارته الفنية في اختيار العبارة الرائقة المقبولة ذات الدلالـة على المقصـود والمعنى، وهذا لا يتناكر مع ما نعت به ابن حيان رسائله حين قال «واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي بعد ابن برد، فوقع كلامه جانباً من البلاغة، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلفين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين فزهد فيه»[2] لأن تولي أبي القاسم الأفليلي لهذا المنصب دليل امتياز أدبي كان ظاهراً به، وشارة اتجاه جمالي كان مُمَثَّلاً في نتاجه، فرشحه ذلك لهذا المنصب الذي كانت دولة الخـلافة الأنـدلسية تجـري سننها عـلى الاهتمام بـه في مكاتبـاتها الرسمية[3]، ومثل هذه المكانة تحمـل الكثيرين عـلى حسد صـاحبه وتكبـير هفواته، وتصيّد زلاته.

وأياً كان الرأي في طريقة أبي القاسم الكتابية فـإن شرحه لشعـر أبي الطيب المتنبي يظل صورة للفن في النثر التأليفي الذي ماز القرن الخامس الهجري في الأندلس عن نظيره الأدب العربي في المشرق، حين جرت التآليف الأدبية في الأندلس كالبديع في وصف الـربيع، والـذخيرة في محـاسن أهل الجزيرة، تحمل أناقة التعبير في اللفظ المنتقى، والصياغة الموقعة.

(١) انظر القصيدة ٥٧ بيت رقم ٣٦.

(٢) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٢٨١.

(٣) ديوان ابن شهيد - يعقوب زكي ص ١٥.



القسم الثاني

تحقيق

شرح شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي

لأبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري

المعروف بابن الأفليلي ت ٤٤١ هـ

النسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب

أربع نسخ وهي:

١ ـ مصورة عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن*، ورقمها ٤٣٥٦، ومسطرتها (١٤×٢٠) سم، وتقع في ١٠٣ لوحة في كل لوحة واحد وعشرون سطراً، مكتوبة بخط نسخي جيد مشكول، وناسخها أحمد بن عطا الله بن يوسف بن حفاظ، قال في الصفحة الأخيرة: «وافق فراغه يوم الجمعة التاسع والعشرون من صفر سنة أربع وسبعين وستماية، كتبه العبد الفقير إلى عفو ربه ورحمته، أحمد بن عطا الله بن يوسف بن حفاظ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، والحمد لله وحده، وصلاة على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً».

وهي أقدم النسخ الموجودة لشرح الأفليلي، وتمتاز على باقي النسخ بأنها جمعت البيتين معاً أو الثلاثة، ومهد فيها للشرح بمعاني المفردات اللغوية في الأبيات، ولكنها ناقصة في أولها عن نسخة الرباط وفاس شرح خمسة عشر بيتاً، إذ تبدأ بقوله «وأبكي بالمشيب، فكيف توقيه! وإنما يهدم ما بناه، ويأخذ ما أعطاه، وأن العمر إنما تكملته بالصبا والكبر، والشباب والشيب. . .» وهو ما يقابل الورقة الرابعة من مخطوطة الرباط، والورقة الخامسة من مخطوطة فاس.

وتعداد قصائدها تسع وخمسون، إذ جاء في آخرها ما نصه: «انتهى السفر الثالث من شعر أبي الطيب المتنبي رحمه الله، وهو الأول من

* أهدى إلي هذه النسخة الأستاذ إبراهيم أبو رحمة الذي صورها بوساطة أخيه الدكتور خليل أبو رحمة جزاهما الله خيراً.



شرح ابن الأفليلي رحمه الله، والحمد لله على ذلك كثيراً، وصلى الله على محمد وعلى آل محمد أولاً وأخيراً ـ يتلوه في أول الرابع بمشيئة الله وعونه. وقال يصف دخول الرسول أيضاً:

دروع لملك الروم هذي الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل

وهي تقابل اللوحة ١٠٤ من مخطوطة الرباط.

وفيها سقط من اللوحة الخامسة مقابلاً باللوحة ٨ ـ ١١ من نسخة الرباط ويحوي على شرح ٤٤ بيتاً، وسقط آخر في اللوحة ٣٨ قوامه ٢٥ بيتاً، وفيها آثار أرضه، وطمس طولي وآخر عرضي في لوحات متعددة، أما الطمس الطولي ففي اللوحتين ٨٦، ٨٧، وأما الطمس العرضي ففي اللوحتين ١٢، ١٣، ٩٢، ٩٣. وفيها آثار أرضة في ورقة ١٢؛ ولذلك لم أتخذ هذه النسخة أصلاً على الرغم من قدمها، وخصائص كتابتها، وزيادة شرح المفردات فيها.

ورمزت لهذه النسخة بحرف (ل)

٢ ـ مصورة عن الأصل المحفوظ في الرباط رقم (D ٤٣٧) تقع في ١٣٦لوحة، وعدد الأسطر متباين بين يمين اللوحة ويسارها، إذ يتراوح في يمينها ما بين ١٣ ـ ١٥ سطراً وفي يسارها ما بين ١٧ ـ ١٨ سطراً، وتاريخ نسخها سنة ٩٧٥ هـ، وجاء في الصفحة الأخيرة منها «فرغ منه على يد كاتبه عبيدالله واقل عمر بن موسى بن عبدالله، وفي تاريخ أوائل ذي القعدة الحرام عام خمسة وسبعين وتسعمائة».

وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي مشكول، ولكنه غير واضح الشكل، وسقط منها الصفحة الأولى فاستدركها أحدهم ـ لعله مالكها ـ بخط مغربي أيضاً، إلا أنه مغاير لخط المخطوطة. وهي تبدأ بما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم ـ صلى الله على سيدنا ونبينا محمد ـ قال أبو الطيب يمدح الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبدالله بن حمدان عند نزوله أنطاكية ومنصرفة عن

الظفر بحصن برزويه في جمادى الآخِرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وهي أول ما أنشده، رحم الله الجميع بمنه.

وفي هامش الصفحة الأولى ما يدل على أن هذه الصفحة المستدركة هي بداية شرح أبي القاسم الأفليلي إذ جاء فيها ما نصه: «أول القصيدة الذي شرح الأفليلي من كلام أبي الطيب رحمهم الله».

وعلى صفحة الغلاف ورد اسم الكتاب ومالكه: الحمد لله شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي شرح أبي القاسم بن الأفليلي - ملكه الله لعبده المختار بن عبدالله بن أحمد بالشراء الصحيح عام ١٢٨٨هـ.

ويشتمل السفر الأول في هذه النسخة على تسع وستين قصيدة من سيفيات المتنبي، وقد ختم هذا السفر بما يشير إلى السفر الثاني الذي يليه، تم القصيد بحمد الله يتلوه:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

وقد كتبت بعض الجمل إعجاباً وتعليقاً على بعض الأبيات، وهي من شروح المالك كقوله في لوحة ٤ «تأمل هذه الأشعار يا أخي ما أوقعها» تقريظاً لقول المتنبي:

ومل القنا مما تدق صدوره ومِلٌ حديد الهند مما تلاطمه
سحاب من العقبان تزحف تحته سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه

وعلى الرغم من مزايا هذه النسخة في التمام بدءاً وختاماً، واشتمالها على تسع وستين قصيدة، فلم أتخذها أصلاً؛ لنقصها مما شملته نسخة ل من المفردات وشروحها.

ورمزت لهذه النسخة بحرف (ر).

٣ - مصورة عن الأصل المحفوظ في خزانة جامعة القرويين بفاس (٤٠/٦٠٠) مسطرتها (٢٠ × ٢٧) سم وتقع في ١٤٨ لوحة أو ٢٩٧ صفحة



وعدد الأسطر ما بين ١٦ ـ ١٨ سطراً، وخطها مغربي قديم نفيس واضح لكنه غير مشكول.

هذه المخطوطة ناقصة من أولها لوحتين، إذ تبدأ في أثناء شرح القصيدة الأولى من السيفيات وبالتحديد بشرح البيت الرابع «ثم دعا على نفسه مستبصراً في مذهبه، بأن يبلى بلى الأطلال الدارسة، ويتغير تغير الرسوم العافية...».

وتخلو هذه النسخة من تاريخ النسخ واسم الكاتب، وقد جاء في نهايتها. تم القصيد بحمد الله تعالى، يتلوه:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

وتتفق هذه النسخة مع نسخة الرباط باشتمالها على عدد القصائد نفسه، وفي بعض الأخطاء الإملائية وتجاوز بعض الألفاظ قصداً أو سهواً، بما يرجح نسخها عن مخطوطة الرباط، لكنها ذات عيوب كتابية إملائية، وقفز عن بعض الأسطر، وطمس في بعض آخر.

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ف).

٤ ـ قطعة مصورة عن الأصل المحفوظ في الرباط رقم ١١٢٨ هـ وتقع في (٩) لوحات فقط، وعدد أسطرها ٢٦ سطراً، مكتوبة بخط مغربي واضح جميل مشكول، وتم نسخها في «يوم الخميس الموفي عشرين من نهاية ذي القعدة عام ١١٢٨ على يد عبدالله بن محمد السجتي».

وتبدأ هذه القطعة بالقصيدة التي مطلعها:

طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندى ووغى بحار

وهي تقابل القصيدة ٦٧ من مخطوطة الرباط رقم ٤٣٧، وتشتمل هذه القطعة المخطوطة على ثلاث قصائد كاملة.



وقد رمزت لها بحرف (ط).

٥ ـ التبيان في شرح ديوان المتنبي (مطبوع) المنسوب لأبي البقاء العكبري، وقد جعلته نسخة مُعِيْنَة، إذ وجدته ينقل شرحاً لقصائد بكاملها نقلاً حرفياً، أو ينقل نقلاً جزئياً للشرح، وقد سبقت الإشارة إلى مدى استعانة صاحب التبيان بشرح أبي القاسم، وأن هذه الاستعانة تجاوزت الخمسين وثلاثمائة موضع لتقترب من الأربعمائة موضع.

وقد رمزت لهذا المطبوع بحرف (ت).

منهج التحقيق

حققت شرح أبي القاسم بن الأفليلي معتمداً على النسخ الأربع التي سبق الحديث عنها، فضلاً عن كتاب التبيان، وبعض مخطوطات شرح ديوان المتنبي خاصة في تحقيق مقدمات القصائد الطويلة، وقد سلكت في ذلك منهجاً حدوده كما يلي:

أولاً : كان إخراج (النص المختار) هو الغاية التي هدفت إليها، خاصة أنني لم أستطع اعتماد أي من النسخ السابقة أصلاً، لأن كثيراً من أسباب النقص أو السقط نازع في ذلك. على أنني راعيت ما جاء في نسخة (ل) فاعتمدته غالباً؛ لقدمها أولاً، ولتفردها بالزيادة في شرح المفردات ثانياً، ولتشابه نسختي (ر) و(ف) ثالثاً. إلا أن تتفق هاتان النسختان المتشابهتان مع المطبوع (ت)، فيترجح ما جاء فيهما على ما جاء في (ل).

ثانياً : بما أن النص المختار هو غاية هذا التحقيق، فقد اعتمدت كل زيادة جاءت في النسخ الثلاثة ل، ر، ف ما دامت متصلة بالمعنى، متآلفة معه، وإذا لم تتسق مع سياق الشرح أثبتها في الهامش وأشرت إليها.

ثالثاً : عملت على تخريج ما ورد في الشرح من آيات قرآنية وأبيات شعرية ورجزية، فما كان منسوباً إلى صاحبه من الشعر، أشرت إلى ديوانه إن وجد، وأما من ليس له ديوان، فقد بحثت عن مظانه المختلفة من كتب اللغة والأدب.

رابعاً : ضبطت النص بالشكل التام، على الرغم من ضبط الناسخ له في نسخة (ل)، إذ وجدت كثيراً من الألفاظ غير صحيحة الضبط، خاصة فيما يتعلق بأسماء الأماكن، والقصائد العشر الأخيرة.

خامساً : شرحت بعض الألفاظ الغريبة في الهامش مما لم يشرحه الأفليلي في الأبيات، أو فيما وقع في شرحه لها، واعتنيت بالأماكن من حيث ضبطها وموقعها، واعتمدت في ذلك كله على لسان العرب والقاموس المحيط ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم.

سادساً : تقويم رواية أبي القاسم الأفليلي لشعر المتنبي، بمعارضتها برواية الثقات من رواة شعره، مثل ابن جنى، أبي العلاء المعري، الواحدي، ابن المستوفي الأربلي وصاحب التبيان الذي روايته هي رواية ابن جنى إذ يقول «ورواية ابن جنى بها قرأت الديوان»[1].

سابعاً : حاولت استدراك بعض الكلمات التي سقطت من خلال الشرح لعيب في النسخ، وكان السياق مقتضياً لها.

ثامناً : قمت بترقيم الأبيات الشعرية في القصيدة الواحدة ترقيماً يسهل تعدادها والرجوع إليها.

ثامناً : قوّمت في بعض الأحيان شرح الأفليلي بشرح آخر مختصر، للإبانة عن وضوح شرح الأفليلي وإصابته، أو غموضه وعدم الوفاء بمتطلبات الدقة والإصابة، واستعنت في هذا المجال بشرح ابن جنى والواحدي وابن المستوفى الأربلي.

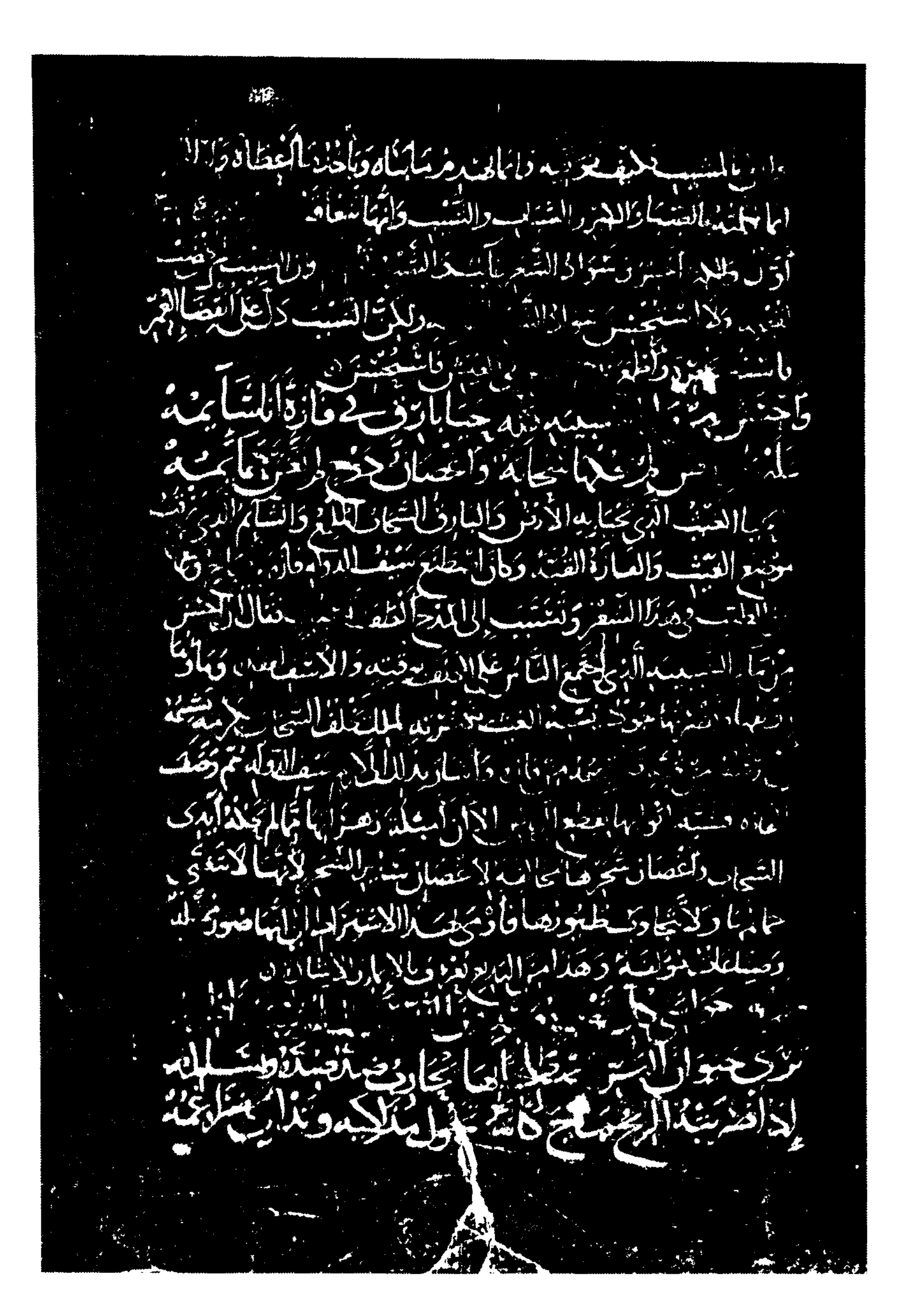
---

(١) التبيان ١/٣ و٣/٣.



تاسعاً : حاولت الدلالة جمع أبيات مخطوطة لندن بوضع إشارة ⌜ في أول الأبيات و ⌞ في نهاية شرحها.

عاشراً : ألحقت في مقدمة شرح كل بيت ما ورد من شرح لمفرداته المجتمعة معاً في نسخة (ل) ولم يكن في ذلك صعوبة في توزيع هذه المفردات، لأن شرح المفردات كان مرتباً متسلسلاً تبعاً للأبيات غالباً، إلا في مواضع معدودة محدودة لم يتبع نظام تسلسل الألفاظ تبعاً لتسلسل أبياتها المجتمعة.



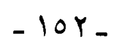
نموذج رقم (١) الورقة الثالثة من نسخة ل

نموذج رقم (٢) الورقة الأخيرة من نسخة ل





نموذج رقم (٣) الورقة الأولى من نسخة د



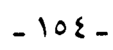


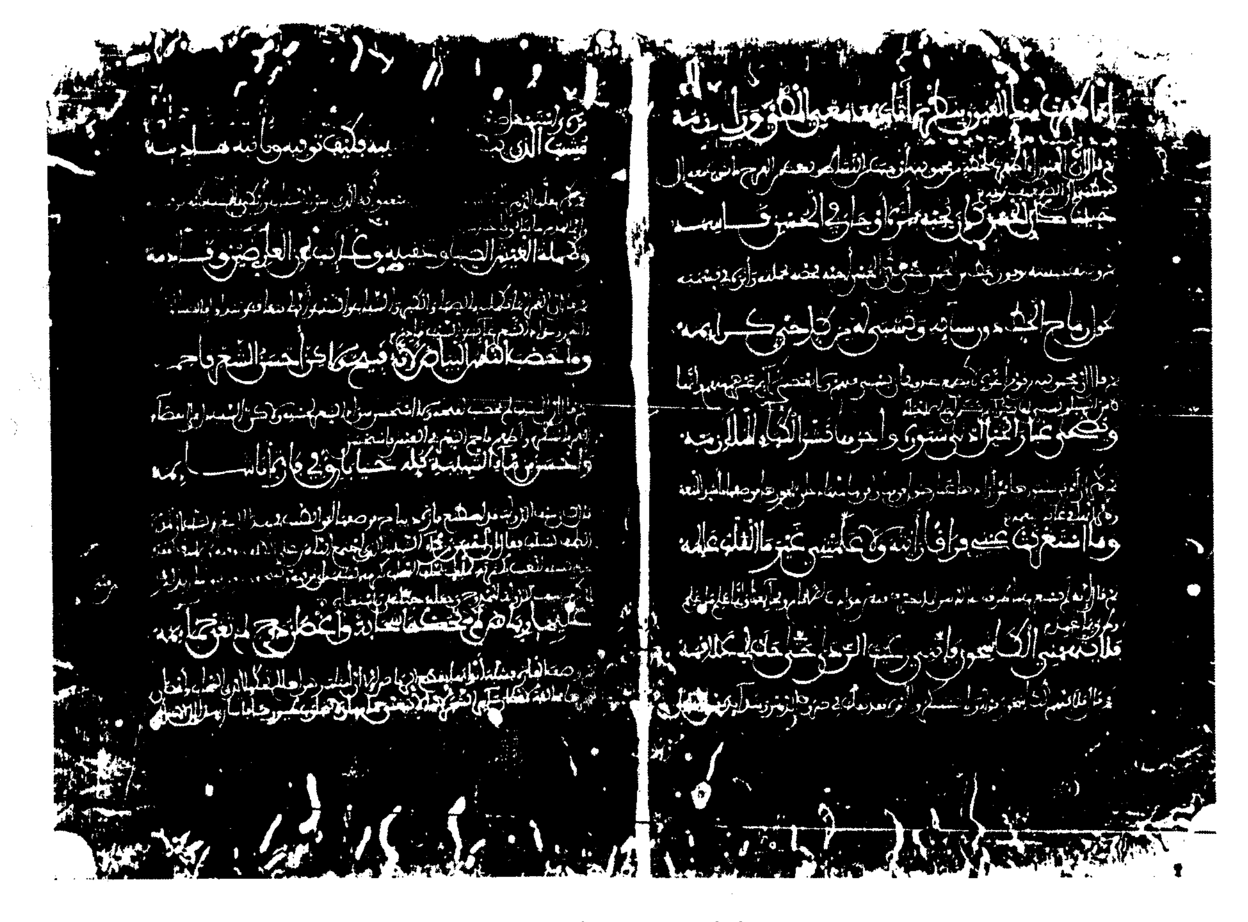
نموذج رقم (٤) الورقة الأخيرة من نسخة (ر)





نموذج رقم (٥) الورقة الثالثة من نسخة ف





نموذج رقم (٦) الورقة الخامسة من نسخة ف

نموذج رقم (٧) الورقة الأخيرة من نسخة ط



بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد

- ١ -

قَالَ أبو الطيِّب يَمْدَحُ الأميرَ سيفَ الدَّولةِ أبا الحَسَنِ عليَّ بنَ عَبْدِاللهِ بنَ حَمْدانَ عندَ نزولِهِ أَنْطَاكِيَةَ، [ومُنْصَرَفِه][١] من الظَّفَرِ بِحصْنِ بَرْزُوْيَه[٢]، في جُمَادَى الأَخِيْرَةِ من سَنَةِ سَبْعٍ وثلاثِينَ وثَلاثِمائةٍ، وهي أوَّلُ ما أَنْشَدَهُ. رَحمَ اللَّهُ الجميعَ بِمَنِّهِ.

١ [٣]-وفاؤُكما كالرَّبعِ أَشْجاهُ[٤] طاسِمُه[٥] بأن تُسْعِدا والدَّمعُ أَشْفَاهُ[٦] ساجِمُهْ

يقولُ: وفاؤُكما لي بالإسْعَادِ عَلَى الحبِّ كهـذا الرَّبعِ، الَّذي أَشْجَاهُ

(١) كذا في ت، ومطموسة في ر

(٢) حصن برزويه بالفتح وضم الزاي وسكون الواو وفتح الياء، حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، يضرب به المثل في بلاد الإفرنج بالحصانة، تحيط بها أودية من جميع جوانبها (معجم البلدان ١/ ٥٦٥).

(٣) جاء في هامش ر «أول القصيدة التي شرح الافليلي من كلام أبي الطيب المتنبي رحمهم الله» وقد وضع عليها علامة (صح).

(٤) أشجاه: أشده شجواً وحزناً، وقد توهمه ابن خالويه حين سمع القصيدة فعلاً ماضياً فقال: «يا أبا الطيب، إنما يقال شجاه، فقال أبو الطيب اسكت فما وصل الأمر إليك، قلت: إنما قصد أبو الطيب «أشجاه»: أكثره شجاً، لا الفعل الماضي». (نزهة الألباء ص ٢٩٩).

(٥) الطاسم: الدارس.

(٦) كذا في ف وفي رواية الواحدي والعكبري أيضاً، وفي ر «أسفاه».

للنَّفْسِ ما ذَهَبَ من آثارِهِ، وعَفَا من رُسُومِهِ، ووَفَاؤكما كذلك، وإذا عُدِمْتُ إسْعَادَكُما جَلَسْتُ أسْتَشْفِ بالدَّمعِ الذي هو جَنَّةُ المَحْزونِ. وأشفاهُ[1] سَاجِمه[2] كما أنَّ وفاءَكما أشجاه للنَّفْسِ ذاهِبُهُ[3].

٢ ـ وما أنا إلاَّ عاشقٌ كُلُّ عاشقٍ أعقُّ[4] خَلِيْلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لائِمُهْ

ثُمَّ قال، مُبَيِّناً لِعُذْرِه، وطاعِناً على صاحِبَيْهِ في لَوْمِهِ: ومَا أنا إلاّ عاشِقٌ، يُريدُ: أنَّه كمن تَقَدَّمَهُ من العُشَّاقِ، وكلُّ عاشِقٍ أعَقُّ خَلِيْلَيْهِ المُصافِيَيْنِ الذي يُؤْثِرُ لَوْمَهُ، وَيَسْتَجِيدُ عَذْلَه، فَلأشكُرُ ما أكْرَهُهُ من لَوْمِكُما، وأرْغَبُهُ من إسْعَادِكما.

٣ ـ وقد يَتَزَيا بالهَوَى غَيْرُ أهْلِهِ وَيَسْتَصْحِبُ الإنْسانُ من لا يُلائِمُهْ

ثُمَّ أكَّدَ مَلامَةَ صاحِبَيْهِ، بأنَّهما مَنَعاهُ ما يُمكِنُهما من إسْعادِهِ، بِظَاهِرٍ يتكلَّفَانِهِ لَهُ وإن لم يَعْتَقِدَاهُ، فقد يَتَزَيًا بالهوَى غَيْرُ أهلِهِ، ويَسْتَصْحِبُ الإنسانُ من لا يُوافِقُه على رَأْيِهِ.

٤ ـ بَلِيْتُ بِلَى الأطْلالِ إنْ لَمْ أقِفْ بها وُقوفَ شَحِيْحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خاتِمُهْ

ثُمَّ دَعا[5] على نَفْسِهِ، مُسْتَبْصِراً في مَذْهَبِهِ، بأنْ يَبْلى بِلَى الأطْلالِ

(١) في ر «أسفاه».
(٢) الساجم: السائل.
(٣) قال ابن جني في معنى هذا البيت: «كنت أبكي الربع وحده، فصرت أبكي وفاءكما معه، ولذلك قال «وفاؤكما كالربع» أي كما ازددت بالربع وبوفائكما وجداً زدت بكاء». (التبيان ج ٣٢٦/٣).
(٤) ساقطة من ر.
(٥) يقابل صفحة ٣ التي يبدأ بها مخطوط فاس.



الدَّارِسَةِ، وَيتَغيَّرَ تَغيُّرَ الرُّسُومِ العَافِيَةِ[١]، إنْ لَمْ يَقِفْ بِدِيَارِ أَحِبَّتِهِ، مُتَتَبِّعاً[٢] لها، ومُعْتَنِياً بها[٣]، وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ خَاتَمُهُ في التُّربِ. واعتَمَدَ خَاتَمَهُ؛ لأَنَّه صَغِيرُ[٤] الجِرْمِ، مُهِمُّ الأَمْرِ، فَلِصِغَرِهِ[٥] يَخْفَى مَوْضِعُهُ، ولاهْتِمَامِهِ يُحِبُّ[٦] تَتَبُّعَهُ. واشْتَرَطَ ضَيَاعَهُ في التُّربِ[٧] ليكونَ تَطَلُّبُهُ فيه، وهو مَوْضِعُ آثارِ الدِّيارِ، وَرُسُومِ الأَطلالِ.

٥ - كَئِيْباً تَوَقَّاني العَوَاذِلُ في الهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الخَيْلِ حَازِمُهْ

ثُمَّ يقولُ: إنَّه يَقِفُ في هَذِهِ الأَطْلاَلِ كَئِيْباً مَحْزُوناً، يَتَوَقَّاهُ[٨] عَاذِلُهُ، وَيَتَخَوَّفُهُ لائِمُهُ، كما يَتَوَقَّى[٩] الذي يَحْزِمُ الفَرَسَ الرَّيِّضَ[١٠] صَوْلَتَهُ، وَيَحْذَرُ نَفْرَتَهُ[١١].

٦ - قِفي تَغْرَمِ الأُولى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتي بِثَانِيَةٍ وَالُمتْلِفُ الشَّيءَ غَارِمُهْ

ثُمَّ خَاطَبَ مَحْبُوبَتَه، فاستَوْقَفَها ليطْلُبَ لَحْظَتَه الأُولى لها، بِمُهْجَتِهِ التي أَتْلَفَتْها؛ لأَنَّ الُمتْلِفَ غارمٌ. واشْتَرطَ اللَّحظَةَ الأُولى، يُشِيرُ بذلكَ إلى تَنَاهي

(١) في ر «ويتغير تغيراً برسوم العافية».
(٢) في ر «متبعاً» وفي ت «متوجعاً لها».
(٣) كذا في ف، ت وفي ر «معشياً بها».
(٤) كذا في ف، ت، وفي ر «مصغر».
(٥) كذا في ف، ت وفي ر «فأصغره».
(٦) كذا في ت وفي ف «يجب» ومطموسة في ر.
(٧) كذا في ر، ف وفي ت «التراب».
(٨) كذا في ت، وفي ر، ف «يتوقعه».
(٩) في ر، ف «يتوقع»
(١٠) الرَّيض: من الأضداد، المذلل من الخيل، والصعب منها الذي يشد حزامه لأنه لم تستحكم رياضته.
(١١) في ت «كما يتوقى الذي يحزم الريض من الخيل صولته، ويتخوف نفرته».

حُسْنِ مَحْبُوبَتِهِ؛ لأنَّ من أتْلَفَ المُهَجَ في أوَّلِ لَحْظَةٍ فهو من الحُسْنِ في أرْفَعِ مَرْتَبةٍ.

٧ ـ سَقَـاكِ وَحَيَّـانـا بِـكِ اللَّهُ إنَّمـا عَـلَى الْعِيسِ نَوْرٌ والخُدُودُ كَمائِمُهْ

ثُمَّ دَعَا لِمَحْبوبَتِهِ بالسُّقْيَا، رِعايةً لها، وتَمَنِّي قُرْبِها، شَغَفاً بها، ثُمَّ مَاثَلَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ أحسنَ مُماثَلَة؛ مَثَّلَ الخُدُورَ المُشْتَمِلَةَ عَلَى أحِبَّتِهِ بالأكْمَامِ[١] المُشْتَمِلَةِ عَلى النَّوْرِ، ومَثَّلَ حُسْنَ أحِبَّتِهِ بِحُسْنِ النَّوْرِ، فَمَاثَلَ بَيْنَ سَاتِرَينِ مُسْتَطْرَفَيْنِ، وَمَسْتُورَيْنِ مُسْتَحْسَنَيْنِ.

٨ ـ وما حَاجَةُ الأظْعَانِ حَوْلَكِ في الدُّجَى إلى قَمَـرٍ مـا واجِـدُ لَـكِ عَـادِمُـهْ

ثُمَّ ذَكَرَ أنَّ الأظْعَانَ[٢] حَوْلَ مَحْبُوبَتِهِ لا تَحْتَاجُ إلى الاسْتِنَارَةِ بِقَمَرٍ؛ لأنَّها تَسْتَغْنِي بِضِيَائِها، وَتَسْتَنِيرُ بِحُسْنِها، ولا يَعْدَمُ القَمَرَ مَنْ وَجَدَها.

٩ ـ إذَا ظَفِـرَتْ مِنْـكِ العُيُـونُ بِنَـظْرَةٍ أثَابَ بها مُعْيِي المَـطِيِّ وَرَازِمُـهْ[٣]

ثُمَّ قالَ: إنَّ العيُونَ إذا ظَفِرَتْ بِلَحْظَةٍ من مَحْبُوبَتِهِ أوْجَبَتْ من النَّشاطِ، وَبَعَثَتْ من الفَرَحِ، ما يَثُوبُ مَعَهُ إلى المُعْيِي[٤] نَشْطَتُهُ، وإلى الضَّعيفِ قُوَّتُهُ.

١٠ ـ حَبِيبٌ كَـأنَّ الحُسْـنَ كـان يُحِبُّهُ فَـآثَـرَهُ أوْ جَـارَ في الحُسْنِ قـاسِمُـهْ

ثُمَّ وَصَفَ حَبِيْبَتَهُ بِوُفُورِ الحَظِّ من الحُسْنِ، حَتَّى كَأنَّ الحُسْنَ أحَبَّـهُ، فَخصَّهُ بِجُملَتِهِ وَآثَرَهُ في قِسْمَتِهِ[٥].

(١) الأكمام: جمع كُمّ: وهو وعاء النَّوْر.

(٢) الأظعان: جمع ظَعِيْنة، وهي المرأة في الهودج.

(٣) الرازم من الإبل: من قام من الاعياء والهزال فلم يتحرك.

(٤) ساقطة من ف.

(٥) «فخصه ... قسمته» مطموس في ر.

١١ ـ تَحُولُ رِمَاحُ الخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ   وَيُسْبَى[١] لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ

ثُمَّ قالَ: إنَّ مَحْبُوبَتَهُ مِنْ قَوْمٍ أَعِزَّةٍ، لا يَطْرَحُ عدوٌّ في أن يَسْبيَ[٢] فيهم، ولا تَعْتَصِمُ كرائمُ غَيْرِهم مِنْهُم، وإنَّها تَأْمَنُ السَّبْيَ، ويُسْبَى[٣] لها كرائمُ الأَحْيَاءِ.

١٢ ـ وَيُضْحَى غُبَارُ الخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ   وآخِرُهَا نَشْرُ الكِبَاءِ[٤] المُلازِمُهْ

ثُمَّ ذَكَرَ: أَنَّ أَدْنَى سُتورِها مِمَّن أَرادَها غُبارُ خُيولِ قَوْمِها، وأَقْرَبَها منها دُخانُ بُخُورِها[٥]، فَوَصَفَها بأَشَدِّ المَنعَةِ، وذكَرَ أَنَّها في غايةِ النِّعْمَة.

١٣ ـ وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ   ولا عَلَّمَتْنِي غَيْرَ ما الْقَلْبُ عَالِمُهْ

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ لم يَسْتَغْرِبْ ما طَرَقَهُ به الدَّهْرُ من فِراقِ أَحِبَّتِهِ[٦]، لِما تَصَرَّفَ فيهِ مِنْ حَوادِثِ الأَيَّامِ وفَجَائِعِها، وإنَّما عُلِّمَ ما[٧] عَلِم، وطُرِقَ بما عَهِدَ.

١٤ ـ فَلا يَتَّهِمْنِي الكَاشِحُونَ فَإِنَّنِي   رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِي عَلاَقِمُهْ

ثُمَّ قالَ: فلا يَتَّهِمِ الكاشِحُونَ[٨] قَوْلَه، ولا يَسْتَنكِروا أَمْرَهُ، فَقَدْ تَقَلَّبَ في صُروفِ الدَّهرِ وشَدَائِدِهِ حَتَّى استَحْلَى مُرَّهُ، واسْتَسْهَلَ صَعْبَهُ.

---

(١) في رواية التبيان «ويُسْبَى».

(٢) في ت «يغير».

(٣) كذا في ف، ت وفي ر «وتسبى».

(٤) الكِباءُ: العودُ الذي يُتَبَخَّرُ به.

(٥) في ر، ف «بحورها» وهو تصحيف.

(٦) «من فراق أحبته» ساقطة من ف.

(٧) في ت «بما».

(٨) الكاشحون: جمع كاشح وهو مضمر العداوة لأنه يطوي كشحه عليها فيسترها.

١٥ ـ مُشِبُّ الـذي يَبْكي الشَّبَـابَ مُشِيْبُـهُ   فَكَيْفَ تَـوَقِّيـهِ وَبَـانِيْـهِ هَـادِمُـهْ

ثُمَّ ذكَرَ تَقلُّبَ الدَّهرِ بأَهْلِهِ، وَتَصْرِيفِهِ لهم بِطَبْعِـهِ، وأَنَّهُ الـذي سَرَّ بالشَّبابِ وأبْكى(*) بالَمشِيبِ، فكيفَ تَوَقِّيهِ! وإنَّما يَهْدِمُ ما بَنَاهُ، ويأْخُـذُ ما أعْطاهُ.

١٦ ـ وَتَكْمِلَةُ العَيْشِ الصِّبَـا وَعَقِيْبُـهُ   وغَـائِبُ لَـوْنِ العَـارِضَـيْنِ وَقَـادِمُـهْ

ثمَّ قالَ: إنَّ العُمْرَ إنَّما تَكْمِلَتُهُ بالصِّبَا والكِبَرِ، وَالشَّبَابِ والشَّيْبِ، وإنَّها تَتَعاقَبُ وتَتَداولُ؛ فالصِّبَا أوَّلُ، والكِبَرُ آخرُ، وَسَوَادُ الشَّعَرِ غَائبٌ، والشَّيْبُ قَادِمٌ.

١٧ ـ ومـا خَضَبَ النَّـاسُ البَيَـاضَ لأَنَّـهُ   قَبِيْـحٌ ولكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْـرِ فَـاحِمُـهْ

ثمَّ قالَ: إنَّ الشَّيْبَ(١) لم يُخْضَبْ لِقُبْحِهِ، ولا اسْتُحْسِنَ سَوادُ الشَّعَرِ لِنَفْسِهِ(٢)، ولكنَّ الشَّيْبَ دَلَّ على انقِضَاءِ العُمْرِ فاسْتُكْرِهِ، وأَطْمَعَ فَاحِمُ الشَّعْرِ في العَيْشِ فاسْتُحْسِنْ.

١٨ ـ وأَحْـسَنُ مِـنْ مَـاءِ الشَّـبِيْبَـةِ كُـلِّهِ   حَيَـا بـارِقٍ في فَـازَةٍ أَنَـا شَـائِمُـهْ(٣)

الحَيَـا: الغَيْثُ الذي تَحْيَـا به الأَرْضُ، والبـارِقُ: السَّحابُ الُملْمِـعُ، والشائِمُ الذي يَرْقُبُ مَوْضِعَ الغَيْثِ، والفَازَةُ القُبَّةُ(٤).

(*) من هنا يبدأ مخطوط لندن.

(١) كذا في ل، ف وفي ر «المشيب»

(٢) كذا في ل، وفي ر، ف «لحسنه».

(٣) في ر، ف «بارق» بالرفع.

(٤) «الحيا... القبّة» زيادة في ل.

وكانَ[١] سَيْفُ الدَّولةِ قد اصطنَعَ فَازَةَ دِيْباجٍ فَوَصَفَها[٢] أبو الطَّيِّبِ في هذا الشِّعرِ، وتَسَبَّبَ إلى المدح أَلْطَفَ تَسَبُّبٍ[٣]، فقالَ: إنَّ أحسَنَ من ماءِ الشَّبِيْبَةِ الذي اجتَمَعَ النَّاسُ على الكَلَفِ بِوَقْتِهِ، والأَسَفِ لِفَقْدِهِ[٤]، جودُ يُشْبِهُ الغيثَ بكَثْرَتِهِ، لَمِلِكٍ يَخْلُفُ السَّحابَ بِكَرَمِهِ، نَشِيمُه: أي: نَرْقُبُه[٥] من قُبَّةٍ، ونَنْتَجِعُهُ[٦] من فَازَةٍ. وأَشارَ بذلكَ إلى كَرَمِ سَيفِ الدَّولةِ الممدوحِ، وجَعَلَهُ حَياً على الاسْتِعَارَة[٧].

١٩ ـ عَلَيْهـا رِيَـاضٌ لم تَحُكْهَـا سَحَابَـةٌ   وأَغْـصَـانُ دَوْحٍ لم تَغَنَّ حَمَـائِمُـهْ

ثُمَّ وَصَفَ الفَـازَةَ، فَشَبَّه أَثْـوَابَهـا بِقِـطَعِ الـرِّيَـاضِ، إلاّ أنَّ أَمْثِلَةَ زَهَرَاتِها[٨] لم تَحُكْهُ[٩] أيدي السَّحابِ، وأغصانُ شَجَرها مُخَالِفَةٌ لأَغْصَانِ سَائِرِ الشَّجر[١٠]؛ لأَنَّها لا تَتَغَنَّى حَمَائِمُها[١١]، ولا تَتَجاوَبُ طُيُورُها. فَأَوْمَى[١٢] بهذا[١٣] الاشتِراطِ إلى أَنَّها صُوَرٌ مُمَثَّلَةٌ، وصِناعاتٌ مُؤَلَّفَةٌ، وهذا من البَديعِ يُعْرَفُ بالإيماءِ والإشارةِ[١٤].

(١) في ر، ف «قال: كان سيف الدولة».
(٢) في ل «وكان اصطنع سيف الدولة فازة ديباج وصفها».
(٣) في ت «وتشبب إلى المدح بأحسن تشبب» وهو تصحيف.
(٤) زاد في ل «وماؤها رونقها ونضرتها».
(٥) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يرقبه».
(٦) كذا في ر، ف، ت وفي ل «وينتجعه».
(٧) «الممدوح... الاستعارة» زيادة في ر، ف.
(٨) في ر، ف «زهراها».
(٩) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «تحكها».
(١٠) في ت «الأشجار».
(١١) في ر، ف «لا يتغنى حمامها».
(١٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فأشار».
(١٣) زاد في ر، ف «إلى».
(١٤) زيادة في ل، ت.

٢٠ - وَفَوْقَ حَواشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لم يُثَقَّبْهُ نَاظِمُهْ

السِّمْطُ: السِّلْكُ المُعَلَّقُ المنظومُ، والمُوَجَّهُ: المُسْتَقْبَلُ[١].

ثُمَّ ذَكَرَ[٢]: أَنَّ كُلَّ ثَوْبٍ يُسْتَقْبَلُ من هذهِ الفَازَةِ فوقَ حَواشِيهِ سُمُوطُ لآلِىءَ تَجْتَمِعُ غَيْرَ مَثْقُوبَةٍ، وتَتَأَلَّفُ[٣] غَيْرَ مَنْظُومَةٍ، يومِئُ[٤] بهذا الاشْتِراطِ[٥] إلى أَنَّها لآلِئُ أَمْثِلَةٍ، لا لآلِئُ حَقِيْقَةٍ.

٢١ - تَرَى حَيوانَ البَرِّ مُصْطَلِحاً[٦] بها يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ ويُسَالِمُهْ

ثُمَّ ذَكَرَ ما تَشْتَمِلُ عَليهِ أَثْوَابُ[٧] هذه الفَازَةِ مِنَ التَّصاويرِ، وأَنَّ الأَضْدَادَ من حَيوانِ البَرِّ تَبْدو فيها[٨] إذا سَكَنَتْ مُصْطَحِبَةً[٩] مُتسالِمَةً، وإذا اضطربَتْ مُخْتَلِفَةً مُتَواثِبَةً.

٢٢ - إذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّه[١٠] تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَراغِمُهْ

المَذَاكي: الخيلُ المُسِنَّة، وَتَدْأَى: تَتَهَيَّأُ للوثوبِ، والضَّراغِمُ: الأُسْدُ[١٢].

---

(١) «السمط... المستقبل» زيادة في ل.

(٢) في ل «فيريد».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وتأتلف».

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «فيومىء».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بهذه الإشارة».

(٦) في ر، ف «مُصْطَحِباً» وهو تحريف.

(٧) في ل «أمثلة» وفي ر «أبواب» وهو تصحيف ولعل ما أثبته الصواب إذا ورد تعيينها في شرح البيت التالي.

(٨) في ر، ف «يبدو فيه».

(٩) في ر، ف: مضطجعة.

(١٠) في ر، ف «كأنما».

(١١) «المذاكي... الأسد» زيادة في ل.

ثُمَّ يقـولُ [١] : إذا حَرَّكتِ الـرِّيحُ شَيْئـاً من هذه الأثواب، أراكَ [٢] المـذاكيَ من خَيْلِهِ في هَيْئَةِ المُتجـاوِلـةِ، والضَّراغِمَ من أُسْدِهِ [٣] في هَيْئـةِ المُتَصاوِلةِ.

٢٣ ـ وفي صُـورَةِ الرّومِيِّ ذِي التَّـاجِ ذِلَّـةٌ   لأَبْلَجَ [٤] لا تِيجَـانَ إلاَّ عَمـائِمُـهْ

الأَبْلَجُ: النَّقِيُّ ما بينَ الحاجِبَيْنِ، وهو من صِفاتِ السَّادَةِ [٥].

فَيَقولُ[٦]: إنَّ في أَمْثِلَةِ ذلكَ الدِّيبَاجِ صـورةَ سيفِ الدَّولـةِ، وصورةَ مَلِكِ الرُّومِ وقد تَخَاضَعَ له، وتَذَلَّلَ على عَادَتِهِ، وأَنَّ ملكَ الرُّومِ، وإن كانَ مُتَوَّجاً فإنَّ التِّيجَانَ في الحقيقَةِ العَمائِمُ التي هي زِيُّ سيفِ الدَّولةِ، وأن أَرْفَعَ الزِّيِّ زِيُّ[٧] مَنْ تكونُ لَهُ الغَلَبَةُ، وَتُعْرَفُ فيه القُدْرَةُ[٨].

٢٤ ـ تُـقَـبِّـلُ أَفْـوَاهُ المُـلُوكِ بِسَـاطَـهُ   ويَـكْـبُرُ عَـنْـهَـا كُـمُّـهُ وَبَـراجِـمُـهْ

البَراجِمُ: رؤوسُ السُّلامياتِ من ظاهِرِ الكَفِّ، إذا قَبَضَ القابِضُ يَدَهُ نَشَزَتْ وارتَفَعَتْ، واحِدَتُها بُرْجُمة[٩].

ثُمَّ أخَذَ في مَدْحِهِ، ووَصْفِ حَالِهِ، فقالَ: إنَّ الملوكَ يَتواضَعونَ عن تَقْبيلِ

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «أرتك».

(٣) «من أسده» زيادة في ل.

(٤) في رواية الواحدي «لأَبْلَخ» قال: «وعنى بالأبلخي سيف الدولة، ويروى بالجيم...».

(٥) «الأبلجُ... السادة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ت «وإن رفع الرأي رأي» وهو تحريف.

(٨) «وأن أرفع... القدرة» زيادة في ل.

(٩) البراجم.... برجمة» زيادة في ل.

يَدِهِ وكُمِّهِ، وَيَقتَصِرُون عَلى تَقْبِيلِ بِسَاطِهِ، إعظاماً لِقَدْرِهِ، واعتِرَافاً بِفَضْلِهِ[1].

٢٥ ـ قِيَاماً لمن يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ وَمِنْ بَيْنِ أُذْنَي كُلِّ قَرْمٍ[2] مَوَاسِمُهْ.

ثُمَّ ذَكَرَ[3] أنَّ الملوكَ يَقومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ إعظاماً لَهُ، وأنَّ أَدَبَهُ[4] يُبَصِّرهم من جَهْلِهم، ويَشْفِيهم من دائِهم، وأنَّ مِلْكَهُ لِقُرومِهم[5] وذَوي الأَقْدارِ مِنْهم، يَقُومُ[6] مَقَامَ السِّمَةِ بَيْنَ آذانِهم، والوَسْمُ في الأَعناقِ والأَيْدي غايَةُ اسْتِذْلَالِ المالِكِ لِمَن مَلَكَهُ، وقد فَعَلَ ذلكَ الحَجَّاجُ بِقَوْمٍ مِنْ عَجَمِ السَّوادِ؛ ولذلِكَ قالَ الفَرَزْدَقُ في بَعْضِ مَنْ طَعَنَ على نَسَبِهِ من العَرَبِ:

لو كانَ حَيّاً لَهُ الحَجَّاجُ ما وُجِدَتْ كَفَّاهُ سَالِمَةً من نَقْشِ حَجَّاجِ[7]

٢٦ ـ قَبَائِعُهَا تَحتَ المَرَافِقِ هَيْبَةً وأَنْفَذُ مِمَّا في الجُفُونِ عَزَائِمُهْ

القَبائِعُ: رؤوسُ السُّيوفِ، واحِدَتُها قَبِيعَةٌ[8].

ثُمَّ ذَكَرَ[9] أنَّ الملوكَ لإعظَامِها له[10]، تَعْتَمِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ على قَبَائِعِ سُيُوفِها، وعَزَائِمُهُ أَنْفَذُ مما في جُفُونِها.

---

(١) في ت «لفضله».

(٢) في ر، ف: «أدنى كل قوم».

(٣) في ل «يريد».

(٤) في ل «أدبهم».

(٥) القروم: جمعُ قَرْم: وهو السَّيد.

(٦) في ر، ف «يقومون».

(٧) لم أجده في ديوانه ونسبه المبرد لشاعر آخر (الكامل ٢/٩٧).

(٨) «القبائع... قبيعة» زيادة في ل.

(٩) في ل «فيريد».

(١٠) «لإعظامها له» زيادة في ر، ف.



٢٧ ـ لَـهُ عَسْكَـرا خَيْـلٍ وَطَـيْرٍ إذا رَمَى بِهَـا عَسْكَـراً لم تَـبْقَ إلاَّ جَمَـاجِمُـهْ

ثُمَّ ذَكَرَ[1] أنَّ الطَّيرَ تَصْحَبُ خَيْلَهُ اعتيادَاً[2] لِكثرةِ وقائِعِها، على نَحو قَوْلِ النَّابغةِ[3]:

إذا ما غَـزَوا بـالجَيْشِ[4] حلَّق فَـوْقَهمْ عَصَـائبُ طَـيْرٍ تَهْتَـدي بِعَـصَـائِبِ

فَكأَنَّها لِملازَمَتِها عَسْكَرِهُ[5] من عَـدِيدِ جَيْشِـهِ[6] وحَشَمِهِ، فـإذا رَمَى عَسْكَراً بِخَيْلِهِ وَطَيْرِهِ أَهْلَكَهُ، ولم يَبْقَ منه غيْرُ[7] جَماجم أَهْلِهِ.

٢٨ ـ أَجِـلَّتُهـا مـن كُـلِّ طَـاغٍ ثِيَـابُـهُ وَمَـوْطِئُهَـا مِنْ كُـلِّ بَـاغٍ مَـلاَغِمُـهْ

ثُمَّ[8] ذَكَرَ قُدْرَتَهُ على أعاديهِ، واسْتِعْلاءَهُ على مُخَالِفيهِ، فقالَ: إنَّ جِلالَ خَيْلِهِ من ثِيابِ طُغاتِهم، ومواطِئَها مَلاَغِمُ أفواهِهم، مُشيراً بذلِكَ إلى قَتْلِهم، والَملاغِمُ: ما حَـوْلَ الفَمِ[9]، وليسَ تَتِمُّ هذه الصِّفَـةُ التي ذكرَ إلاَّ بَعْـدَ الإمعانِ في قَتْلِهم[10]، وإهلاكِـهِ لهم[11]، وبلوغِ[12] الغايةِ في الظُّهورِ عليهم.

---

(١) في ل «يريد».

(٢) في ر، ف: «اعتياداً».

(٣) ديوان النابغة ص: ٤٢.

(٤) في ر، ف «غزى»، وفي الديوان «في الجيش».

(٥) «لملازمتها عسكره» زيادة في ر، ف.

(٦) «جيشه» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «إلاّ».

(٨) زيادة في ر، ف.

(٩) «والملاغم... الفم» زيادة في ل

(١٠) «الإمعان في قتلهم» زيادة في ل.

(١١) «إهلاكه لهم» زيادة في ر، ف.

(١٢) في ر، ف «وبلوغه».

٢٩ ـ فقد مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغيرُه   وَمَلَّ سَوَادُ الليلِ مِمَّا تُزاحِمُهْ

ثمَّ ذكرَ[١]: أنَّهُ لا يَزالُ يُغِيرُ في الصُّبحِ، ويَسْري في اللَّيلِ، ويُطاعِنُ بالرِّماحِ حتَّى تَتَكسَّرَ صُدُورُها، ويُلاطِمُ بالسُّيوفِ حتَّى يُملَّها[٢].

٣٠ ـ ومَلَّ القَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورَه   وَمَلَّ حَدِيدُ الهِنْدِ مِمَّا تُلاطِمُهْ

٣١ ـ سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ تَزْحَفُ تَحْتَهَا   سَحَابٌ إذا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوارِمُهْ

ثمَّ وَصفَ جيوشَهُ وكَثْرَتَها، وَصُحْبَةَ الطَّيرِ[٣] لها[٤] وملازمَتَها، فَشبَّه العِقْبَانَ لِكَثْرَتِها بِسَحائِبَ[٥] مُسْتَعْلِيةٍ، تَحْتَها سَحابٌ من جُيوشِهِ، إذا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا سيوفُهُ من دِماءِ أَعْدَائِهِ[٦]، وألحَمتْ طُيُورُهُ[٧] أجْسَادَهم. وحَذَفَ من هذا في لَفْظِهِ ما دَلَّ عليه بإشارَتِهِ.

٣٢ ـ سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيْتُهُ   عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوائِمُهْ

المُؤْيَدَاتُ: المُثْقَلاتُ[٨].

ثُمَّ ذَكَرَ نَفْسَهُ[٩]: أنَّه سَلَكَ صُروفَ الدَّهْرِ بِتَقَلُّبه فيها، حَتَّى لَقِيَ سيفَ

---

(١) في ل: «يريد».
(٢) في ر، ف «ويكسر بالمطاعنة صدر الرماح؛ ويلاطم بالسيوف حتى يبلغ من ذلك المبلغ المملَّ».
(٣) في ر، ف «وصحبه جمل الطير».
(٤) ساقطة من ر، ف.
(٥) في ر، ف «سحاب».
(٦) في ر، ف «أعاديه».
(٧) في ل «طيورها».
(٨) «المؤيدات: المثقلات» زيادة في ل.
(٩) «ثم ذكر نفسه» زيادة في ر، ف، وفي ل «يريد».

الدّولةِ[1] مُمْتَطياً لِعَزمٍ قد أثْقَلَ وفورُهُ قوائِمَهُ. وجَرَى هذا على سَبيلِ الاسْتِعارَةِ.

٣٣ ـ مَهَالِكَ لم تَصْحَبْ بِهَا الذِّئبَ نَفْسُهُ ولا حَمَلَتْ فِيهَا الغُرابَ قَوَادِمُهْ

ثُمَّ وَصَفَ ما تَقَلَّبَ فيهِ من خُطُوبِ الدَّهرِ، قَبْلَ لِقَائِهِ سَيْفِ الدَّولةِ[2]، فَشَبَّهَها بالمَهالِكِ من القِفَارِ[3]، التي لا تَصْحَبُ الذِّئْبَ فيها نَفْسُهُ مَعَ جُرْأَتِهِ عَليها، ولا تَحْمِلُ الغُرابَ فيها قَوادِمُهُ مَعَ اعتيادِهِ لها.

والقَوَادِمُ: صُدورُ ريشِ جَنَاحِ الطَّائِرِ، أربعٌ في كلِّ جَناح[4].

٣٤ ـ فَأَبْصَرْتُ بَدْراً لا يَرَى البَدْرُ مِثْلَهُ وخَاطَبْتُ بَحْراً لا يَرَى العِبْرَ عَائِمُهْ

عِبْرُ النَّهرِ: شَطُّهُ[5].

ثُمَّ ذكرَ[6]: أنه أبْصَرَ مِنْ سَيْفِ الدَّولةِ؛ مَمدوحِهِ،[7] بَدْرَ كَرَمٍ، ومَوْلَى نِعَمٍ، يَسْتَعْظِمُ البَدْرُ أمْرَه، وَيَقْصُرُ دُونَه، ولا يَعْهَدُ مِثْلَهُ، وخَاطَبَ بَحْراً لا يُبْصِرُ العائِمُ شَطَّه، ولا يُدْرِكُ النَّاظِرُ[8] سَاحِلَهُ.[9]

٣٥ ـ غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بِلاَ وَاصِفٍ والشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهْ

(١) في ر، ف «الممدوح».
(٢) في ر، ف «الممدوح».
(٣) في ر، ف «الفلوات».
(٤) «والقوادم... جناح» زيادة في ل.
(٥) «عبر النهر: شطه» زيادة في ل.
(٦) في ل «فيريد».
(٧) زيادة في ر، ف.
(٨) ساقطة من ر، ف.
(٩) في ل «آخره».

الطَّماطِمُ: أصواتٌ لا يَسْتَبِينُ لَفْظُها[1].

ذَكَرَ[2]: أَنَّه[3] غَضِبَ له من جَلالَةِ أَوْصَافِهِ، وَتَقْصِيرِ وُصَّافِهِ، وَشَبَّهَ ما كانَ يُمْدَحُ بِهِ من الشِّعرِ قَبْلَهُ بالطَّماطِمِ، التي هي[4] أَصْواتٌ لا تُفْهَمُ، واخْتِلَاطاتٌ لا تُعْلَمُ، فوجَّهَ إلى قَصْدِهِ عَزْمَهُ، وأَعْمَلَ في امتداحِهِ نَفْسَهُ.

٣٦ ـ وكُنْتُ إذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً   سَرَيْتُ فَكُنْتُ السِّرَّ واللَّيْلُ كَاتِمُهْ

يقولُ[5]: إنَّه لِنَفاذِ[6] عَزْمِهِ، وشِدَّةِ جَلَدِهِ، إذا قَصَدَ أَرْضاً بعيدَةً إدَّرَعَ اللَّيلَ، واسْتَتَرَ بهِ، وواصَلَ السُّرى فيه، وكانَ مَوْضِعُهُ من اشتِمَالِ الليلِ عليه، والخَفَاءِ فيهِ[7]، مَوْضِعَ السِّرِّ من حامِلِه، والضَّميرِ المصُونِ من كاتِمِهِ.

٣٧ ـ لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِماً   فَلاَ الْمَجْدُ مُخْفِيهِ ولا الضَّرْبُ ثَالِمُهْ

ثُمَّ أَخذَ[8] في المَدْحِ، فقالَ: إنَّ المجدَ قد أَعْلَمَ سَيْفَ الدَّولَةِ، مُبَاهياً بِجَلالَتِهِ، وَوَاثِقاً بِصَرَامَتِهِ، فلا المجدُ يُخْفِيه لِتزَيُّنِهِ[9] بمَوْضِعِهِ، ولا الضَّربُ يَثْلِمُهُ لِحَسَبِهِ[10] وكَرَمِهِ.

٣٨ ـ عَلَى عاتِقِ الْمَلْكِ الأَغَرِّ نِجَادُهُ   وفي يَدِ جَبَّارِ السَّمواتِ قَائِمُهْ

(١) «الطماطم... لفظها» زيادة في ل.
(٢) زيادة في ر، ف.
(٣) في ل «وإنَّه».
(٤) في ف «هو».
(٥) في ر، ف «قال».
(٦) في ف «نفاد».
(٧) «والخفاء فيه» زيادة في ر، ف.
(٧) في ر، ف «وأخذ».
(٨) في ف «لتزيينه».
(٩) في ر «لمحسبه».

ثُمَّ (١) أخذَ لهُ صِفاتٍ من اسْمِهِ، أبانَ بها جَلاَلَةَ قَدْرِهِ، فَقَالَ: إنَّهُ من المُلْكِ في أَرْفعِ مَواضِعِهِ، ومن تَأْيِيد اللهِ عَزَّ وجَلَّ (٢) في المَحَلِّ (٣) الذي تُمْضِيهِ (٤) فيه يَدُهُ، وإذا كانَ كذلكَ، اكتنَفَهُ نَصْرُهُ، وساعَدَتْهُ أَقْدارُه.

٣٩ ـ تُحَارِبُهُ الأعْدَاءُ وَهْيَ عِبَادُهُ(٥) وَتَدَّخِرُ الأمْوَالَ وَهْيَ غَنَائِمُهْ

ثمَّ قَالَ: الأعْداءُ(٦) تُحارِبُهُ وهي عِبادُه، والعِبادُ: جَمْعُ عَبْدٍ على قياسِهِ(٧)؛ لأنَّ قُدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ قُدْرَةُ المالِكِ على عَبْدِهِ، وَتَدَّخِرُ الأمْوالَ وهي غَنَائمُ لَهُ؛ لأنَّها غَيْرُ مُمْتَنِعَةٍ عَلَيْهِ.

٤٠ ـ وَيَسْتَكْبِرُون الدَّهْرَ والدَّهْرُ دُونَهُ وَيَسْتَعْظِمُونَ الموتَ والموتُ خَادِمُهْ

ثُمَّ قالَ(٨): فمالَهُم يَسْتَكْبرونَ الدَّهرَ، والدَّهرُ(٩) دونَهُ؛ لأنه مُسْتَعْمَلٌ بِحَسَبِ إرادَتِهِ، تُقَرِّبُ لهُ فيهِ السَّعَادَةُ بُغْيَتَهُ، وَيُسَهِّلُ عليهِ الإقبالُ رَغْبَتَه، وكذلِكَ يَسْتَعظِمونَ الموتَ، والموتُ يَخْدُمُهُ؛ لأَنَّه يُفْنِي أَعْدَاءَهُ، وَيَبْتُرُ(١٠) أَعْمَارَهُم، وَيُقَلِّلُ عَدَدَهم، وَيُيَسِّر اللهُ ذلكَ له، وَيَنْتَقِمُ من أعدائِهِ به.

(١) ساقطة من ل.
(٢) «عز وجل» زيادة في ل.
(٣) في ت «ومن تأييد الله بالجد».
(٤) في ر، ف «يمضيه».
(٥) في رواية التبيان «عبيده».
(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف وفي ل «فالاعداء».
(٧) «والعباد: جمع عبد على قياسه» زيادة في ل.
(٨) «قدرته عليهم» ساقطة من ف، وفي ر «عليها».
(٩) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(١٠) ساقطة من ف.
(١١) في ر، ف «ينشر» وفي ت «يدمر».

٤١ ـ وإن الـذي سَـمَّى عَـلِيّـاً لَـمُنْصِفٌ   وإنَّ الـذي سَمَّـاهُ سَيْفَـاً لَـظَالِـمُهْ

و[١]لـمَّا ذَكَرَ أَنَّ الدَّهرَ طَوْعُهُ، والموتَ مُعِيْنُه، قَضَى بالظُّلم على مَنْ سَمَّاهُ سَيْفاً؛ لِتَقْصِير السَّيْفِ عَنْهُ، وبالإِنْصَافِ عَلَى مَنْ سَمَّاه عَلِيّاً؛ لِمُشَاكَلَة العُلُوِّ لَهُ، وَجَعَلَ هذا الاسمَ، وإنْ كَانَ عَلِيّاً[٢] عَلَماً مَخْصُوصاً، صِفَةً مُشْتَقةً لهُ، تُشَاكِلُ حَالَهُ، وتوافِقُ حَقِيْقَتَهُ.

٤٢ ـ ومـا كُـلُّ سَيْفٍ يَقْـطَعُ الهـامَ حَـدُّهُ   وتَقْـطَعُ لَـزْبَـاتِ الـزَّمَـانِ مَكَـارِمُـهْ

ثمَّ أَكَّدَ ذلكَ بقولِهِ: أَنَّهُ لا يُوجَدُ سَيْفٌ غَيْرُهُ يَقْطَعُ الهامَ حَدُّهُ، ويُوْجِبُ الخِصْبَ فَضْلُهُ، وتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمانِ مَكارِمُه، وهي الشَّدَائِدُ[٣]، فَبَيَّنَ أَنَّ فَضْلَهُ على السَّيْفِ فَضْلٌ ظَاهِرٌ، وشَرَفُهُ عليه شَرَفٌ بَيِّنٌ، وأَنَّهُ يُقَصِّرُ[٤] عَنْهُ، ويَتَواضَعُ دُونَهُ.

---

(١) الواو زيادة في ر، ف.

(٢) «علياً» زيادة في ل.

(٣) «وهي الشدائد» زيادة في ل.

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يصغر».

وقَالَ يمْدَحُهُ، وقد عَزَمَ الرَّحيلَ عن أَنْطَاكِيَةَ:

١ - أَيـنَ أَزْمَعْـتَ أَيُّـهـذا الهُـمَـامُ   نَحْنُ نَبْتُ الـرُّبَـا وأَنْتَ الْغَـمَـامُ

اُلمزْمِعُ: اُلمعْتَزِمُ، والرُّبا: جَمْعُ رَبْوَةٍ، وهي الأَكَمَةُ[١].

فَيَقولُ[٢]: أينَ أَزْمَعْتَ على[٣] الرَّحيلِ عَنَّا أَيُّها اَلمِلكُ، ونحنُ الذينَ أَظْهَرتْهُم نِعَمُكَ، إِظْهَارَ الغَمامِ لِنَبْتِ الـرُّبَا، وهـو مِنْ آنقِ النَّبْتِ، ولذلـكَ ضَرَبَ اللَّهُ تعالى اَلمثَل بهِ، فقالَ تعالى:[٤] «وَمَثَلُ[٥] الذينَ يُنْفِقونَ أَمْوالَهم ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وتَثْبِيْتاً من أَنْفُسِهم، كَمَثلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابها وابلٌ»[٦].

وهُوَ مَعَ ذلكَ أَقْرَبُ النَّبْتِ مَوْضِعاً من الغَمَامِ، وأَشَدُّهُ افتِقَاراً إليه[٧]؛ لأَنَّهُ لا يُقِيمُ فيه، ويُسْرِعُ الانسِكابَ عَنْهُ، ولهذا[٨] شَبَّهَ أبو الـطَّيِّبِ حالَـهُ بهِ[٩]

(١) «المزمع... الأكمة» زيادة في ل، والأكمة: التل

(٢) كذا في ل وفي ر، ف «يقول»

(٣) في ر، ف «عن».

(٤) «تعالى» زيادة في ل

(٥) في ل «مثل».

(٦) «مثل الذين... وابل» زيادة في ل، وفي ر، ف «ولذلك ضرب الله تعالى المثل به، فقال كمثل جنة بربوة الآية» وفي ت «ولهذا ضرب الله به المثل في قوله: كمثل جنة بربوة اصابها وابل» والآية ٢٦٥ من سورة البقرة.

(٧) ساقطة من ر، ف.

(٨) في ل، و ر، ف.. «ولهذا ما».

(٩) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «تشبَّه المتنبي به في حالته».

٢ ـ نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيـ ـكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الأَيَّامُ

ثُمَّ ذَكَرَ: أَنَّ الزَّمَانَ ضَايَقَهُ فِي الاقتِرَابِ من سيفِ الدَّولةِ، ولم يَسْمَحْ لَهُ بِهِ، وخَانَتْهُ الأيَّامُ فيهِ؛ لاتِّصالِ حَرَكاتِهِ، وكَثْرَةِ غَزَواتِهِ.

٣ ـ فِي سَبِيلِ الْعُلاَ قِتَالُكَ والسِّلْـ ـمُ وَهَذا الْمَقَامُ والإجْذَامُ

السِّلْمُ: الصُّلحُ، وأوَّلُه يُكسَرُ ويُفتَحُ، فَمَنْ كَسَرَهُ ذكَّرَه، ومن فَتحَهُ أنَّثَهُ، والإجذامُ: الإسراعُ[1].

فيقولُ[2]: إنَّ قِتَالَ سَيْفِ الدَّولةِ[3] وَسِلْمَهُ، وإقَامَتَهُ ورِحْلَتَهُ في طريقِ المَجْدِ وسَبيلِ الكَرَمِ، وإنَّه لا يَأْلَفُ مِنْ ذلكَ إلاَّ ما شَرَّفَ قَدْرَهُ، وأظْهَرَ فَضْلَه.

٤ ـ لَيْتَ أَنَّا إذا ارتَحَلْتَ لَكَ الخَيْـ ـلُ وَأَنَّا إذا نَزَلْتَ الخِيَامُ

ثُمَّ قالَ: لَيْتَ أَنّي ومَن يَتَّصِلُ بي نتحَمَّلُ[4] من مؤونَتِك[5] ما تَتحَمَّلُهُ[6] الخَيْلُ عِنْدَ رِحْلَتِكَ، ونَنُوبُ[7] في صِيانَتِك عن الخِيامِ عندَ إقَامَتِك، رَغْبَةً في الشَّرَفِ بِقُرْبك[8]، والقَضاءِ لِحُقوقِ فَضْلِكَ.

٥ ـ كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ

(١) «السلم... الإسراع» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) في ر، ف «الممدوح».

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «يتحمّل».

(٥) في ت «موقرتك» وهو تحريف.

(٦) في ف «تحمله».

(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «وينوب».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «التشرف بك».

ثُمَّ ذَكَرَ[1]: أنه لا يَنْفكُّ مِنْ مِرحْلَةٍ وغَزْوَةٍ، يُرِفُّهُ المَجدُ فيها بِتَعَبِهِ[2]، وَيُجِمُّهُ بَتموُّنِهِ، فَيُوجِبُ ذلك[3] انفِرَادَهُ بهِ، واجْتِيازَهُ لَهُ. ولقد[4] أبدَعَ بالْمطَابَقَةِ بَيْنَ المسيرِ والْمُقَامِ

٦ - وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ في مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

ثُمَّ قالَ: وإذَا عَظُمَتِ النُّفوسُ، وارْتَفَعَتِ الهِمَمُ، سَهُلَ في مُرَادِها الشَّدِيدُ، وَقَرُبَ البَعِيدُ، وَتَعِبَتِ الأَجْسَامُ، واسْتُكْرِهَ الْمُقَامُ.

٧ - وَكَذا تَطْلُع البُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلَقُ البُحُورُ العِظَامُ

وكَذلِكَ[5] البُدورُ إِنَّما تَطْلُعُ علينا سَائِرَةً، وَتَبْدُو لأَعْيُنِنا رَاحِلةً، والبحرُ يَمُدُّ[6] وَيَحْسُرُ[7]، وَيَهيجُ وَيَضْطَرِبُ، فَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ عَظُمَ شَأْنُه، كَثُرَ تَمَوُّنُهُ، ولم يَسْتَقِرَّ بهِ مَوْضِعُهُ. والبدورُ جَمْعُ بَدْرٍ[8]، وكأَنَّه جَعَلَ بَدْرَ كلِّ شَهْرٍ بَدْراً على حِيَالِهِ.

٨ - ولَنَا عَادَةُ الجَمِيلِ من الصَّبْـ ـرِ لَوَ أَنَّا سِوَى نَوَاكَ نُسَامُ

ثُمَّ[9] يَقولُ: نحنُ أهلُ الصَّبرِ والحِفَاظِ[10]، والْمُعْتَادُونَ لِذلكَ، لو أَنَّنا

(١) في ل «يريد».
(٢) في ر «تبعنه» وساقطة من ف.
(٣) في ر، ف «بذلك».
(٤) ساقطة من ر، ف.
(٥) في ر، ف «ثم قال وكذا».
(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «والبحور تَمُدُّ».
(٧) في ت «ويجزر».
(٨) «والبدور جمع بدر» زيادة في ل وساقطة من ر، ف.
(٩) زيادة في ر، ف.
(١٠) في ر، ف «الحفاظ والصبر».

نُطْرَقُ بِغَيْرِ نَوَاكَ، وَنُعَرَّضُ لِغَيرِ بُعْدِكَ، ولكنَّ ذلكَ مِمَّا يَخْذُلُ الصَّبْرُ فيه مُحَاوِلَهُ، ولا يُسْعِدُ عَلَيْهِ طَالِبَهُ.

٩- كُلُّ عَيْشٍ ما لَمْ تُطِبْهُ حِمَامُ كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلاَمُ

ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، بِأَنْ ذَكَرَ: أَنَّ الْعَيْشَ فِي غَيْرِ جَنَبَتِهِ مَوْتٌ، والحَيَاةَ إِذَا لم تَطِبْ بِقُرْبِهِ حِمَامٌ، والشَّمْسَ إذا لم تتأيَّدْ بِضِيَائِه ظُلْمَةٌ، والنَّهَار إذا لم يَسْتَمِدَّ بِبَهْجَتِهِ[1] سُدْفَةٌ[2]، ومن كَانَتْ هذه حَالُه، فالصَّبْرُ مَعْدُومٌ عِنْدَ فَقْدِه.

١٠ - أَزِلِ الوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الخَمِيسُ اللُّهَامُ

الخَمِيسُ: الجَيْشُ، واللُّهَامُ: الذي يَلْتَهِم الأَرْضَ بكَثْرَتِهِ، والالتِهامُ: الابْتِلاعُ[3].

فيقولُ[4]: أَزِلْ بِقُدومِكَ عَلَيْنا الوَحْشَةَ التي أَوْجَبَها رَحِيلُكَ عَنَّا، يا مَنْ بِمَوْضِعِهِ يَأْنَسُ الجَيْشُ الكَثِيرُ، والذي يَعْتَدُّ الجَيْشُ بِشَجَاعَتِهِ[5] أَكْثَرَ من اعْتِدَادِهِ بجمَاعَتِهِ. وأَبْدَعَ بالْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الأُنْسِ والوَحْشَةِ[6].

١١ - وَالَّذي يَشْهَدُ الوغى سَاكِنَ القَلْـ ـبِ كَأَنَّ القِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ

ثُمَّ قَالَ: والذي يَشْهَدُ الحَرْبَ، رابِطَ الجَأْشِ، ثَابِتَ النَّفْسِ، غَيْرَ

(١) في ر، ف «بهجته».
(٢) السُّدْفَةُ: طائفة من الليل.
(٣) «الخميس.... الابتلاع» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «ثم يقول».
(٥) في ر، ف «شجاعته».
(٦) «وأبدع... والوحشة» زيادة في ر، ف.

حَافِلٍ[١] بِشِدَّتِها، ولا مُشْتَغِلٍ بِمَخُوفِ عَاقِبَتِها، حَتَّى كَأَنَّ قِتَالَهُ فيها ذمامٌ[٢] يَقْضِيه، وَفَرْضٌ يُؤَدِّيهِ.

١٢ ـ والَّــذي يَضْــرِبُ الكَتَــائِبَ حَتَّى تَتَــلاَقَى الــفِهَــاقُ والأَقْــدَامُ

الفِهاقُ: جَمْعُ فَهْقَةٍ، وهو العَظْمُ الذي يكونُ على اللَّهاةِ[٣].

ثُمَّ ذَكَرَ: أنَّ سَيفَ الدَّولةِ يَضْرِب كَتَائِبَ أَعْدَائِهِ[٤]، حَتَّى تَطَأَ الأَقدَامُ فِهَاقَ فُرْسَانِها[٥]، فَتَتَلاَقَى حِيْنَئِذٍ. وأَشَارَ بذَلِكَ إلى قَتْلِهم، وسُقُوطِ رؤوسِهم عن أَجْسادِهم.

١٣ ـ وإذَا حَــلَّ سَــاعَــةً بِمَكَــانٍ فَــأَذَاهُ عَــلَى الــزَّمَــانِ حَــرَامُ

يُرِيدُ[٦]: أَنَّ سَيْفَ الدَّولةِ إذا حَلَّ بِبَلَدٍ أَقَلَّ إِحْلاَلٍ[٧]، أَجَارَهُ عَلَى الدَّهرِ، وكَشَفَ[٨] عنه صُروفَهُ، وحرَّم عليه أذاهُ، وأَمِنَ بِبَرَكَتِهِ، وجَانَبَهُ المكْرُوهُ بِسَعَادَتِه.

١٤ ـ والــذي تُنْبِــتُ[٩] البِــلادُ سُرُورٌ والَّــذي تُمْــطِرُ الــسَّحَــابُ مُــدَامُ

---

(١) في ر، ف «قافل».

(٢) الذِّمام: الحق والحرمة.

(٣) «الفهاق... اللهاة» جاء في ر، ف في نهاية شرح البيت.

(٤) في ر، ف «ثم ذكر أن سيوفه تضرب رقاب أعدائه».

(٥) في ف «مريانها».

(٦) في ر، ف «ثم أراد».

(٧) في ر، ف «إن الممدوح إذا احتل بالبلد أقلَّ احتلال».

(٨) كذا في ل وفي ت «كفَّ» وهي تحريف وفي ر، ف «حجب».

(٩) في رواية التبيان «ينبت».



ثُمَّ قالَ[1]: فكأَنَّ السُّرورَ نَباتُ ذلكَ البَلَدِ لِكَثْرَتِهِ فيه، وكأَنَّ المُدَامَ سَحابُهُ؛ لِظُهورِ فَرَحِ أَهْلِهِ بِهِ.

١٥ - كُلَّما قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا كَرَماً ما اهْتَدَت[2] إليه الكِرامُ

يُرِيدُ[3]: أَنَّه يَبْلُغُ في الكَرَمِ ما لا تُرْتَقَبُ[4] الزِّيَادَةُ فيهِ، ويَفْعَلُ منه كُلَّ ما تَنْتَهِيَ المعرفَةُ إليه، فإذا قِيلَ هذا غَايَةُ الكَرَمِ، أَبْدَعَ فيه ما لا عَهدَ لأَحَدٍ بِمِثْلِهِ، ولا يَبْلُغُه كَرِيمٌ بِجُهْدِهِ.

١٦ - وَكِفَاحاً تَكِعُّ[5] عَنْهُ الأَعَادِي وَارْتِيَاحاً يَحَارُ فيه الأَنَامُ

ثُمَّ قَالَ[6]: وَكَذَلِكَ يُظْهِرُ فِي الحَرْبِ جِلاَدَاً تَنْكُصُ الأَعداءُ مِنْهُ عَلَى أَعْقَابِها، وَتَفِرُّ مِنْهُ على وجُوهِها، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَرْتَاحُ للكَرَمِ ارتِياحاً، تَحَارُ العُقُولُ فيهِ، وتَعْجَزُ الأَنامُ عَنْهُ.

١٧ - إِنَّما هَيْبَةُ المُؤَمَّلِ سَيْفِ الدْ دَوْلَةِ المُلْكِ في القُلوبِ حُسَامُ

١٨ - فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي وَكَثِيرٌ من البَلِيغِ السَّلامُ

ثُمَّ ذَكَرَ: أَنَّ في القُلُوبِ من هَيْبَتِهِ[7]، ما يُشْبِهُ السَّيفَ في نَفَاذِهِ، ثُمَّ قَالَ: فالشُّجَاعُ مُقَصِّرٌ عن مُبَاطَشَتِهِ، وكَثِيرٌ لَهُ تَوَقِّيهِ، والبَلِيغُ مُنْقَطِعٌ عن مُفَاتَحَتِهِ، ويُسْتَعْظَم لَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ.

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في رواية التبيان «اهتدى».

(٣) في ر، ف «ثم أراد».

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «ترتغب».

(٥) تكع: تعجز.

(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٧) في ف «هيبلته».

وَقَالَ عِنْدَ مَسِيرِهِ عَنْها:

١ - رُوَيْدَكَ أَيُّها المَلِكُ الجَلِيلُ   تَأَيَّ[1] وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ

يَقولُ: تَمَهَّلْ أيُّها المَلِكُ في رَحِيْلِكَ، وتَرَفَّقْ في سَيْرِكَ[2]، واجْعَل ذلِكَ مما تَعْتَدُّ[3] به في نَوالِكَ، عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِك[4]، وهِبَاتِك للمُشْتَمِلينَ بِنِعْمَتِكَ.

٢ - وَجُودُكَ[5] بِالمُقامِ وَلَوْ قَليلاً   فَمَا فِيما تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ

وقالَ: وجُودُكَ في أن يُقِيمَ، ولو قَليلاً، نَتَعَلَّلُ فيه بِقُرْبِكَ، وإن كانَ لا قَلِيْلَ فيما تُنِيلُهُ، ولا يَسيرَ فيما تَسْمَحُ به.

٣ - لأَكْبِتَ حَاسِداً وأَرَي[6] عَدُوّاً   كَأَنَّهما وَدَاعُكَ والرَّحِيلُ

يقولُ له: تَرَفَّقَ في رَحِيْلِكَ؛ لأَكْبِتَ بذَلِكَ حاسِداً يُشْبِهُ وَدَاعَكَ، وعَدُوّاً يُشْبِهُ رَحيلَكَ، فَشَبَّه الحاسِدَ بالوَداعِ، وكِلاهُما ذو ظاهِرٍ ولا حَقِيْقَةَ لهُ، والعَدوَّ بالرَّحيلِ، وكلاهُما مُعْلِنٌ بمَكْرُوهِهِ، فَشَبَّهَ شَيْئَينِ بِشَيْئَينِ أَصحَّ تَشْبيهٍ، وهذا أَرْفَعُ وجوهِ البَديعِ.

٤ - وَيَهْدَأَ ذا السَّحَابُ[7] فَقَدْ شَكَكْنا   أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لكمْ قَبِيلُ[8]

---

(١) تأيَّ: ترفَّق، وهي رواية ابن جني، وفي رواية الواحدي «تأنَّ».
(٢) في ت «مسيرك».
(٣) كذا في ر، ت، وفي ف «تغترد».
(٤) «عند أهل بلدك» ساقطة من ت.
(٥) في رواية التبيان بالفتح على تقدير فعل مضمر «أوْلنا» (انظر ج ٣/٣)
(٦) أرى: أوجع رئته.
(٧)في ر، ف بالكسر وهو تحريف.
(٨) الحيا: المطر، والقبيل: العَشيرة.



ثُمَّ سَأَلَهُ انْتِظَارَ سُكونِ المَطَرِ وَهُدوئِهِ، إذ كَانَ قد اتَّصَلَ منه ما لا يُشْبِهُ إلا جُودَ الممدوحِ، حتى شَكَّكَهُ[1] في مَنْ يَسْتَحِقُّهُ من الفَرِيقَيْنِ؛ تَغْلبُ قَوْمُهُ أَمْ حَيَا السَّحَابِ الذي هو يُشْبِهُهُ.

٥ - وَكُنْتُ أَعِيبُ عَـذْلاً في سَمَـاحٍ فهـا أنـا في السَّمَـاحِ لَـهُ عَـذُولُ

ذَكَرَ: أَنَّه كانَ يَعِيبُ العَذْلَ في[2] السَّمَاحِ، حَتَّى رأَىَ جُودَ المَمْدُوحِ، فَرَأَى من إفراطِهِ، ما أَوْجَبَ عَلَيْهِ أن يَأْتِيَ في عَذْلِه عَلَى جُودِهِ، ما كان يَنْهَى عَنْهُ.

٦ - وَمَـا أَخْشَى نُبُـوَّكَ عـن طَـريـقٍ وَسَيْفُ الـدَّوْلـةِ المَـاضِي الصَّقِيـلُ

ثمَّ قـالَ: إنَّه لم يَنْهَهُ عَنِ الرَّحيـلِ في المَطَرِ إلاَّ رَغْبَـةً في الاسْتِكْثَارِ منه[3]، لا[4] خَوْفاً لِنُبُوِّهِ[5] عن وَحْلِ الطَّريقِ وخُصُوبَتِهِ، فهو سَيفُ الدَّولةِ الماضي حَدُّهُ، الصَّقيلُ مَتْنُهُ.

٧ - وَكُـلُّ شَـوَاةِ غِـطْرِيـفٍ[6] تَمَـنَّى لِسَيْـرِكَ أَنَّ مَـفْـرِقَهَـا السَّبِيـلُ

يُرِيدُ: أَنَّ الطُّرَقَ تَتَشَرَّفُ به، وتَأْتِي عـلى جَمِيعِ الـوجوهِ لَـهُ، حَتَّى أَنَّ رُؤوسَ السَّادةِ تَوَدُّ أَنَّ مَفَارِقَها بَدَلٌ من طُرُقِهِ، لِتَزْدَادِ شَرَفاً بِسَيْرِهِ فيها، ورِفْعَةً باقترابِهِ منها.

(١) قصد أبو الطيب بهذا الشّك المبالغة في جود سيف الدولة وقبيلته تغلب، بالتسوية بين كثرة المطر وكثرة الجود.

(٢) ساقطة من ف.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) زاد في ف «لأنه لا».

(٥) نَبَا السيف عن الضريبة نَبْواً ونَبْوَة: كَلَّ، والمقصود الرجوع عجزاً عن قطع الطريق.

(٦) الشَّوَاةُ: واحدة الشوى، وهي عظم الرأس فوق الدماغ، والغِطْرِيف: السيد الشريف، السَّخي السَّري، والمقصود رؤوس السادة.

٨ ـ وَمِثْلُ العَمْقِ[١] مَمْلُوءٍ[٢] دِمَاءً مَشَتْ[٣] بِكَ في مَجَارِيهِ الخُيُولُ

يَقُولُ: ما أَخْشَى نُبُوَّكَ عن هذه الوَادي[٤] الْمُعْتَرِضِ لكَ، ولو أَنَّهُ مُلِئَ من دِمَاءِ وَقَائِعِكَ، فَمَشَتْ [٥] بكَ خيُولُكَ في مَجَاريهِ، فَكَيْفَ أَخْشَى عليك سَيْلَهُ [٦]. ؟

٩ ـ إِذَا اعتَادَ الفَتَى خَوْضَ المَنَايَا فَأَهْوَنُ ما يَمُرُّ بِهِ الوُحُولُ

ثُمَّ قالَ: إِنَّ مَنْ اعتَادَ أَن يَخُوضَ غَمَراتِ المَنَايا، فَأَهْوَنُ ما يُعَانِيهِ [٧] خَوْضُ الماءِ والطِّينِ؛ وهما الوَحَلُ.

١٠ ـ وَمَنْ أَمَرَ الحُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ أَطَاعَتْهُ الحُزُونَةُ والسُّهُولُ

قَالَ: مَنْ أَطَاعَتْهُ الحُصُونُ المُمْتَنِعَةُ فافْتَتَحها، والقِلاعُ المُتَصَعِّبَةُ فَتَمَلَّكَها[٨]، أَطَاعَتْهُ لا مَحَالَةَ حُزونُ[٩] الطُّرُقِ وسُهُولُها، وتَمَكَّنَ له قَرِيبُها وَبعِيدُها.

---

(١) العَمْق: عَمْق أنطاكية، وهو موضع تنصب إليه مياه كثيرة لا تجف إلا في الصيف، وامتداده بين حلب وانطاكية (انظر معجم ما استعجم ٩٦٨/٣، ومعجم البلدان والمشترك وضعاً ٣١٦).

(٢) في رواية الواحدي «ومثلَ العَمْقِ مملوءً» بالنصب وفي رواية التبيان وهي رواية ابن جنى «ومثلِ العَمْقِ مملوءٍ» بالخفض عطفاً على «وما أخشى نبوّك عن طريق». أما الرفع فعلى الابتداء. وفي شرح البيت ما يدل على أن الرواية المختارة «ومثلِ» بالخفض.

(٣) وكذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «جرت».

(٤) في ت «لا أخشى عليك من نبوك عن هذا الوادي».

(٥) في ت «لمشت».

(٦) ساقطة من ف.

(٧) كذا في ت وفي ر، ف «يعاينه».

(٨) في ت «المستصعبة فملكها».

(٩) الحُزون: جمع حَزْن وهو ما غلظ من الأرض وخشن وارتفع.

١١ - أَتَخْفُـرُ كُـلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيَـالي[١]   وَتُـنْشِرُ كُـلَّ مَـنْ دَفَـنَ الخُـمُـولُ!

قالَ: أتُجيرُ[٢] كلَّ مَنْ رَمَتْهُ اللَّيَالي بِصُرُوفِها، وَقَصَدَتْهُ بِخُطُوبها، وتُحْيي كُلَّ مَنْ سَقَطَ ذِكْرُهُ، ودَفَنَهُ خُمُولُهُ، فَتُجِيرُ ذلكَ بِحمَايَتِكَ لَهُ، وتُحْيي[٣] هذا بإكرامِكَ إيَّاه[٤]؟

١٢ - وَنَـدْعُـوكَ الحُسَـامَ وهَـلْ حُسَـامٌ   يَـعِيْشُ بِـهِ مِـنَ المـوتِ القَـتِيـلُ!

قـالَ: وَنَدْعُـوكَ سَيْفاً، والسَّيفُ يُعْـدِمُ الحَيَاةَ، وأَنْتَ تُعِيـدُها، وهـو يُتْلِفُها[٥]، وأنت تَهَبُهَا، فَكَيْفَ نُسَمِّيكَ بما فِعْلُكَ[٦] ضِدُّ فِعْلِه، وَقَدْرُكَ فَوْقَ قَدْرِه؟.

١٣ - وَمَـا لِـلسَّيْـفِ إلاَّ الـقَـطْعَ فِـعْـلُ   وأَنْتَ القَـاطِـعُ الـبَرُّ الـوَصُـولُ

قـالَ: وما للسَّيْفِ فِعْـلُ غَيْرَ قَـطْعِهِ، وأَنْتَ تَقْـطَعُ أَعادِيـكَ، وتَصِلُ مُؤَمِّليـكَ[٧]، وتَسُرُّ[٨] قُصَّادَكَ، وتَحُوطُ رَعِيَّتَـكَ، فَتَشْرَكُهُ[٩] في أَرْفَـعِ أَحْوَالِهِ[١٠]، وَتَنْفَرِدُ دونَهُ بأَرْفَعِ أَحْوالِكَ، وأَجَلِّ[١١] أَوْصَافِكَ.

---

(١) في ر، ف «المنايا» وفي شرح البيت ما يدل على التحريف.
(٢) في ت «أنت تجير».
(٣) في ت «وتحييه بكرامتك».
(٤) زاد في ت «فتضمه إلى إحسانك، وتَعُمُّهُ بإنعامك».
(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «وأنت تعيدها وتتلفها».
(٦) في ت «فكيف نسميك سيفاً وفعلك».
(٧) في ف «موليك» وهوتصحيف، وفي ت «تصل مؤمليك، وتقطع أعاديك» بالتقديم والتأخير.
(٨) في ت «وتبر».
(٩) كذا في ت، وفي ر، ف «تشركه».
(١٠) زاد في ت «وهو القطع».
(١١) كذا في ت، وفي ر، ف «لأجل».

١٤ ـ وأَنْتَ الفَارِسُ القَوَّالُ صَبْراً   وقد فَنِيَ التَّكَلُّمُ والصَّهِيلُ

يَقُولُ: أنتَ الفارِسُ الثَّابِتُ النَّفْسِ، الرَّابِطُ الجَأْشِ، الدَّاعِي إلى الصَّبْرِ، إذا طَاشَتِ العُقُولُ، وَخَرِسَتِ الأَلْسُنُ، فلم يَقْدِرِ[١] الأَبْطَالُ على الكَلامِ، ولا الخَيْلُ على الصَّهيلِ.

١٥ ـ يَحِيْدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وفيهِ قَصْدٌ   وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وفيهِ طُولُ

ثُمَّ قالَ: إنَّ في هذا المَقَامِ تَنْهَبُكَ الأَبْطَالُ، فَتَحِيدُ رِمَاحُهُم عَنْكَ مَعَ استِقَامَتِها، وتَقْصُرُ عَنْ أَن تَنَالَكَ مَعَ طُولِها[٢]؛ يُرِيدُ: أَنَّه لا يَتَعَاطَى الفُرسَانُ مُطَاعَنَتَهُ، ولا تَمْتَثِلُ[٣] مُقَاوَمَتَه.

١٦ ـ فلو قَدَرَ السِّنَانُ على لِسَانٍ   لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ

يَقُولُ: فلو أَنَّ سِنَانَ الرُّمحِ يَنْطِقُ، لَصدَّقَ ما أَصِفُهُ من هَيْبَتِهِ لَكَ، ولَقَالَ بِمِثْلِ ما أَقُولُ من ذلك، لِتَرْفِيعِهِ بكَ.

١٧ ـ وَلَوْ جَازَ الخُلودُ خَلَدْتَ فَرْداً   ولَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ

يَقولُ: ولو[٤] أَنَّ الدُّنيا خَلَّدَت أَحَداً لِتَزَيُّنِها بِهِ، وما جَمَعَهُ اللَّهُ من الفَضَائِلِ لَهُ[٥]، لكُنْتَ أَنتَ[٦] ذَلِكَ المُخَلَّدُ، لِعُلُوِّ قَدْرِكَ، وجَلالَةِ أَمْرِكَ، ولكنَّ الدُّنيا ليسَ لها خَليلٌ تُؤَاخِيه[٧]، ولا أَحَدٌ تُبْقِيهِ[٨] وَتُصَافِيهِ.

---

(١) في ت «تقدر».

(٢) في ر، ف «ويقصر أن ينالك».

(٣) في ت «ولا تَتَمَثَّلُ»

(٤) في ف «لو».

(٥) في ت «وما جمعه الله فيه من الفضائل».

(٦) ساقطة من ت.

(٧) في ت «توافيه».

(٨) في ت «تتقيه».

وَتوفِّيَتْ أمُّ سَيْفِ الدَّولةِ بمَيَّافَارِقِين، وَوَرَدَ خَبَرُها إلى حَلَب، وأبو الطَّيبِ بأنطاكِيَة، فَقَالَ هذه القَصِيْدَةَ، وأَنْشَدَها سَيْفَ الدَّولةِ بِحَلَبَ في جُمَادَى الآخرةِ، سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وثلاثمائةٍ.

١ - نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ والعَوَالي[١] وَتَقْتُلُنا المَنُونُ بلا قِتَالِ

يقولُ: نُعِدُّ صَوارِمَ السُّيوفِ، وعَوَالِيَ الرِّماحِ، لِمُنازَلَةِ الأَعْدَاءِ، ومُدَافَعَةِ الأَقْرانِ، وتَخْتَرِمُنَا المَنِيَّةُ[٢] دُونَ قِتَالٍ أَوْ نِزَالٍ، لا يُمْكِنُنا حِذَارُها، ولا يَتَهيَّأُ لنا دِفَاعُها.

٢ - وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالي[٣]

قالَ: وَنَرْتَبِطُ عِتَاقَ الخَيْلِ وسَوَابِقَهَا، وَنُكْرِمُها باسْتِقْرابِ مَرَابِطِها، وهي مَعَ ذلكَ لا تَعْصِمُنَا بِجُهْدِها واسْتِفْرَاغِها من عُقُوبَةِ الدَّهرِ لَنَا، وخَبَبِ لَيَاليهِ في آثارِنا، بل ذلك العَفْو يَغْلِبُ جُهْدَهَا، ويُعْجِزُ أَبْعَدَ غاياتِ سَعْيِنَا.

٣ - وَمَنْ لم يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيماً وَلَكِنْ لا سَبِيْلَ إلى الوِصَالِ

يقولُ: إنَّ النُّفوسَ[٤] مَجْبُولَةٌ على عِشْقِ[٥] الدُّنيا، مَعَ التَّيَقُّنِ بِسُرْعَةِ

---

(١) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن. والعوالي: الرِّماح.

(٢) في ت «والموت يخترم نفوسنا».

(٣) المُقْرَبَاتُ من الخَيْلِ: التي تربط لكرامتها على أصحابها أو لفرط الحاجة إليها والخَبَبُ: ضرب من العدو يراوح فيه الفرس بين يديه ورجليه، على أنه لا يستفرغ الجهد.

(٤) كذا في ر، ت، وفي ف «النفس».

(٥) في ت «حب».



زَوالِها، والتَّحقُّقِ لامْتِناعِ[1] وِصَالِها، وإنَّ سُرورَها يَعْقُبُهُ[2] الحُزْنُ، وحَيَاتَها يَقْطَعُها[3] الموتُ.

٤ ـ نَصِيْبُـكَ في حَيَـاتِـكَ مِنْ حَبِـيبٍ نَصِيبُـكَ في مَنَـامِـكَ مـن خَيَـالِ

يقولُ: إنَّ نَصيبَ الإنْسَانِ من وِصَالِ حَبِيْبِهِ في[4] حَيَاتِهِ، كَنَصِيْبِـهِ من وِصَالِ خَيَالِهِ في مَنَامِهِ؛ لاتِّفَاقِ[5] الأَمْرَينِ في سُرْعَةِ انْقِطاعِهِما، واشْتِبَاهِهِما في صِحَّـةِ[6] زَوَالِهِما، وإنَّ[7] الحَـالـينِ كِـلاَهُمـا يُعْـدَمُ[8]، ويُحَدَّثُ عنه ويُمْتَثَلُ[9]، فما ظَنُّكَ بِحَقٍّ يُشْبِهُ البَاطِلَ، ويَقْظَةٍ يُشَاكِلُها النَّوْمُ.!

٥ ـ رَمَـانِي الـدَّهْـرُ بـالأَرْزَاءِ حَـتَّى فُـؤَادِي في غِشَـاءٍ مـن نِـبَـالِ[10]

ثُمَّ ذَكَـرَ: أنَّ الدَّهْـرَ قَصَـدَهُ بِفَجَـائِعِـهِ، ورَمَـاهُ بمَصَـائِبِـهِ، واعتَمَـدَهُ بسِهَامِهِ[11]، وأَثْبَتَ فيهِ نِصَالَـهُ، حَتَّى صَارَ منهـا في غِشَاءٍ يَشْمُلُه، وَوِعَـاءٍ يَعُمُّهُ.

٦ ـ فَـصِـرْتُ إذَا أَصَـابَـتْـنِي سِهَـامٌ تَكَسَّـرَتِ النِّصَـالُ عـلى النِّصَـالِ

قالَ: فهو إذا أَصَابَهُ الدَّهرُ بَخَطْبٍ من خُطُوبِهِ، وصَرْفٍ من صُرُوفِهِ،

(١) في ت «من امتناع».

(٢) في ف «يعقب».

(٣) في ت «يعقبها».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «حياته».

(٥) في ت «باتفاق».

(٦) في ت «عجلة».

(٧) في ت «فإن»

(٨) في ر، ف «كعدم».

(٩) «ويحدث عنه ويمتثل» ساقطة من ت.

(١٠) الأرزاء: جمع رُزْءٍ وهي المصائب، والغِشاء: ما يغطي الشيء ويشمله، والنِّبال: السِّهام.

(١١) في ت «واعتمد فؤاده بسهامه».

فإن ذلكَ إنَّما يُوافِقُ مِثْلَهُ، ويَفْرَعُ[1] شَكْلَهُ، وكَنَّى بِنِصَالِ السِّهامِ[2] عن اجْتِدادِ[3] الخُطوبِ، وقالَ: إنَّ بَعْضَها يَكْسِرُ بَعْضاً في فُؤَادِهِ، لِتَزَاحُمِها فيهِ، وتَكَاثُرِها عَليهِ.

٧ - وَهَانَ فَمَا أُبَالي بالرَّزَايا لأني ما انتفَعْتُ بأن أُبَالي

قالَ: وهَانَ، يُرِيدُ: رَمْيَ الدَّهرِ لَهُ برزاياهُ، فَحَذَفَ الرَّمْيَ لِدَلالَةِ قَوْلِهِ «رَمَاني الدَّهْرُ» عليهِ، وأَضْمَرَ ثِقَةً بِما قَدَّمَهُ مِنَ التَّفسيرِ؛ لِأَنَّه لَّما قَدَّمَ وَصفَ حَالِهِ، ورمَيَ الدَّهر لَهُ، قالَ «وَهَانَ»، يريدُ: وهَانَ ذلكَ، وإِضْمَارُ ما يُقَدَّمُ ذِكْرُهُ حَسَنٌ في الكَلامِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لا يُبالي بما[4] طَرَقَهُ من الرَّزَايا لِتَتَابُعِها، فهوَ لا يَجْزَعُ لها، لِتَيَقُّنِهِ أَنَّ الجَزَعَ غيرُ نَافِعٍ فيها.

٨ - وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرّاً لأَوَّلِ مَيْتَةٍ في ذَا الجَلالِ

٩ - كَأَنَّ الموتَ لم يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ[5] لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ

ثُمَّ قَالَ: إنَّ النَّاعِيَ[6] لِأُمِّ سيفِ الدَّوْلَةِ أَوَّلُ مَن نَعى مَيِّتَةً في شَرَفِها، ومَفْقُودَةً في مِثْلِ مَنْزِلَتِها[7]، وإنَّ المُصيبَةَ بها أَنْسَتِ المَصائِبَ، وبَعَثَتْ[8] مِن الحُزْنِ ما أَفْقَدَ جَميلَ الصَّبرِ، وأَوْجَبَ أَشَدَّ الجَزَعِ، حَتَّى كأَنَّ الموتَ قَبْلَها لم يَفْجَعْ بَنفْسٍ، ولا خَطَرَ بِبالٍ.

---

(١) يَفْرَعُ: يُطاوِل.

(٢) نِصالُ السِّهام: النصال جمع نَصْل، وهي الحديدة التي في السهم.

(٣) في ت «اشتداد».
واجتداد الخطوب: اشتدادها.

(٤) في ف «لما».

(٥) في ف «يَخْطَر» بفتح الطاء وهو تحريف، خَطَرَ بباله يَخْطِرُ بالكسر ويَخْطُر بالضم إذا ذكره بعد نسيان.

(٦) الناعي: المخبر بالموت.

(٧) في ت «منزلها».

(٨) كذا في ت، وطمس أغلب الكلمة في ر، ف.

١٠ ـ صَـلاَةُ اللهِ خَـالِـقِـنَـا حَـنُـوطٌ   عـلى الـوَجْـهِ الْمُكَفَّنِ بـالجَمَـالِ

ثمَّ قالَ: رَحْمَةُ اللهِ وَمَغْفِرَتُهُ[١] حنوطُ[٢] هذهِ المَيِّتَةِ[٣] التي غَيَّبَها الجَمَالُ كما غَيَّبها[٤] الكَفَنُ، وسَتَرها كما سَتَرها القَبْرُ[٥].

١١ ـ عَلَى المَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً   وَقَبْـلَ اللَّحْـدِ في كَـرَمِ الخِـلاَلِ

ثُمَّ قالَ: عَلَى التي كَانَتْ قَبْلَ أن تُدْفَنَ في التُّرْبِ دَفِيْنَةً في سِتْرِ الصِّيَانَةِ، وقَبْلَ أن تَشْتَمِلَ في اللَّحدِ مُشْتَمِلَةً بالكَرَمِ والدِّيانَةِ، وأَنَّ شَخْصَهَا وإنْ أَبْلاَهُ التُّربُ، وَغَيَّرَهُ الموتُ، فذِكْرُ كَرَمِهِ جَدِيدٌ، وَأَثَرُ فَضْلِهِ ظَاهِرٌ، وشَاهِدُ إِحْسَانِه بَيِّنٌ.

١٢ ـ فَـإِنَّ لَـهُ بِبَـطْنِ الأَرْضِ شَخْصـاً   جَـدِيـداً ذِكْـرُنَـاهُ وَهـو بَـالي

وقال: «ذِكْرُنَاهُ»، فَوَضَعَ الضَّمِيرَ المُتَّصِلَ مَوْضِعَ الضَّمِيْرِ المُنْفَصِلِ، وقَدْ ذَكَرَ سِيبويهُ أنَّ ذلكَ جَائِزٌ في الشِّعْرِ، وأَنْشَدَ عَليه[٦]:

هـمُ الـقَـائـلونَ الخَـيرَ والآمِـرُونَـهُ   إذا مـا خَشُوا من مُحْدَثِ الأَمْرِ مُعْظَمَا

فَوَضَعَ الهاءَ في قَوْلِهِ «والآمرُونَهُ» مَوْضِعَ المُنْفَصِلِ، كَمَا وَضَعَها المُتنبي في قَوْلِهِ «ذِكْرُنَاهُ»[٧].

---

(١) في ت «ورضوانه».
(٢) حنوط: كل طيب يخلط للميت عند غسله.
(٣) في ت «المرأة».
(٤) كذا في ت، ف وفي ر «غيبتها».
(٥) زاد في ت «فكانت مستورة عن أعين الناس».
(٦) كتاب سيبوية ١٨٨/١. قال سيبويه: «وزعموا أنه مصنوع».
(٧) ومعنى البيت: «يقول شَخْصُهُ في القبر بال، وذكرنا له جديد، يريد: أنه يبلى في الأرض، ولا يبلى ذكره» (شرح الواحدي ٢/٣٩٠).

١٣ ـ أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتاً   تَمَنَّتْهُ الْبَوَاقي والخَوَالي[١]

يقولُ: عَزَّى عَنْ عَظيمِ مُصَابِكِ أَنَّ الموتَ طَرَقَكِ ولا بُدَّ مِنْهُ، على سَبيلٍ من الرِّفْعَةِ، وحَالٍ من السُّلْطَانِ والنِّعْمَةِ، يَتمنَّى الموتَ في مِثْلِها كُلُّ مَنْ كَانَ قَبْلَكِ، ومَنْ يَتْلُوكِ بَعْدَكِ.

١٤ ـ وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَيْ يَوْماً كَرِيهاً   يُسَرُّ[٢] الروحُ فيه بالزَّوَالِ

١٥ ـ رِوَاقُ العِزِّ فَوْقَكِ مُسْبَطِرٌّ[٣]   وَمُلْكُ عَليٍّ ابْنِكِ في كَمَالِ

ثُمَّ إنَّكِ لم تَرَيْ في حَيَاتِك يَوْماً تَكْرَهِيْنَه[٤]، ولا شَيْئاً تُسَائِين بِهِ[٥]، وعُوفِيتِ من خُطُوبِ الدَّهْرِ التي يُتَمَنَّى لها المَوْتُ[٦]، فَزُلْتِ ورِوَاقُ العِزِّ مَمْدودٌ عَلَيْكِ، وابْنُكِ كامِلٌ مُلْكُهُ، جَليلٌ قَدْرُهُ.

١٦ ـ سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ في الغَوَادِي   نَظِيرُ[٧] نَوالِ كَفِّكِ في النَّوالِ

ثمَّ قالَ: سَقَى قَبْرَكِ غَيْثٌ وابِلٌ، يَكُونُ مَوْقِعُهُ في السَّحابِ، مَوْقِعَ نَوالِ كَفِّكِ في العَطَاءِ، وأشَارَ بذلكَ إلى أنَّ إِعْطَاءَها[٨] غَايَةُ ما يَطْلُبُهُ المُتَمَنِّي في الكَثْرَةِ.

---

(١) لم يرو أبو القاسم بن الافليلي بيتاً قبل هذا البيت رواه الواحدي وصاحب التبيان وهو:
وما أحدٌ يُخَلَّدُ في البرايا   بل الدنيا تئول إلى زوال

(٢) في رواية التبيان «تُسَرُّ» بالتاء.

(٣) المسبطر: الممتد واسبطَرَّ: اضطجع وامتد.

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «تكرهه».

(٥) «ولا شيئاً تسائين به» ساقطة من ت.

(٦) في ت «وعوفيت من خطوب الدهر فلم تَلْقَيْ ما يُنَغِّصُ عيشك».

(٧) في ر، ف «تطير».

(٨) في ت «عطاءها».



١٧ - لِسَاحِيهِ على الأَجْدَاثِ حَفْشٌ[١] كَأَيْدي الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ المَخَالِي[٢]

ثُمَّ وَصَفَ ذلكَ الغَيْثَ الذي دَعَا لها به، فَقَالَ: لِسَاحِيهِ، وهو وابِلُهُ وغِزِيرُهُ، على الأَجْدَاثِ، وهي القُبورُ، وَقْعٌ يُشْبِهُ بِشِدَّتِهِ وَقْعَ أَيْدِي الخَيْلِ على الأَرْضِ، إذا بَحَثَتْ بها عِنْدَ نَظَرِها إلى العَلَفِ.

١٨ - أُسَائِلُ عَنْكَ بَعْدَكِ كُلَّ مَجْدٍ وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ مِنْكِ خَالي

١٩ - يَمُرُّ بِقَبْرِكِ الْعَافِي فَيَبْكي ويَشْغَلُهُ البُكَاءُ عن السُّؤَالِ

ثُمَّ قال: إنَّ المَجْدَ كانَ مَقْصُوراً عليها في حَيَاتِها، فَصَارَ [مَعْدولاً][٣] عنها بَعْدَ مماتِها، وإنَّ العَافِي، وهو السَّائِلُ، إذا مَرَّ بِقَبْرِهَا، وتَذَكَّرَ ما كانَ يَشْمُلُهُ منها[٤]، وما يَنَالُهُ من فَضْلِها، أَذْهَلَهُ الحُزْنُ[٥] عن الطَّلَبِ، وشَغَلَهُ البُكَاءُ عن السُّؤَالِ.

٢٠ - ومـا أَهْدَاكِ للجَدْوَى[٦] عَلَيْهِ لَوْ أَنَّكِ تَقْدِرينَ على فِعَالِ

يقولُ: وما كانَ أَعْلَمَكِ بطَريقِ الإِفْضَالِ عليه، لو أَنَّ الموتَ أَمْهَلَكِ، والأَفْعَالُ تَتَمَكَّنُ لك.

٢١ - بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوتِ فإنَّ قَلْبِي وإن جَانَبْتُ رَبْعَكِ غَيْرُ سَالي

---

(١) الحَفْشُ: شِدَّةُ الوقعِ.

(٢) المخالي: جمع مِخْلاَة، وهو وعاء يجعل فيه عَلَفُ الدابة من تبن أو شعير.

(٣) ساقطة من ر، ف واقتضاها السياق.

(٤) كذا في ت، وهي ساقطة من ر، ف.

(٥) زاد في ت «البكاء والحزن».

(٦) الجدوى: الإفضال والعطاء.



يقولُ: بِعَيْشِكِ هل سَلَوْتِ عن الحَياةِ، فإني غَيْرُ سَالٍ عن الحُزنِ عَلَيكِ، أذكُرُكِ وإنْ كُنتُ بَعِيداً عن مَوْضِعِكِ، وأَنْدُبُكِ وإن كنتُ مُنْتَزِحاً عن أَرْضِكِ[١].

٢٢ - نَزَلْتِ عَلَى الكَرَاهَةِ في مَكَانٍ بَعُدْتُ عَنِ النُّعامَى[٢] والشَّمَالِ

ثُمَّ قالَ: نَزَلْتِ مُكْرَهَةً في مَنْزِلٍ بَعُدتِ فيه عن الرِّياحِ مَعَ شِدَّةِ هُبوبِها، وقَصَّرَتْ أَنْ تُدْرِكَكِ مَعَ سُرْعَةِ سَيْرِها[٣]، فَدَلَّ على أَنَّها في بَطْنِ الأَرضِ، وأَشَارَ أَبْدَعَ[٤] إشارَة إلى اللَّحْدِ.

٢٣ - تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ الخُزَامَى وتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ الطِّلَالِ

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ بأَنْ قَالَ: تُحْجَبُ عنكِ رياحُ الرِّيَاضِ العَبِقَةِ، وتُمْنَعُ منك أَنْداءُ طِلالِها[٥] المونِقَةِ[٦]، وأَشَارَ بالخُزَامَى والأَنْدَاءِ إلى الرِّياضِ أَحْسَنَ إشَارةٍ، وَدَلَّ على القَبْرِ أَبْيَنَ دَلالةٍ، واعتَمَدَ الطِّلالَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَمْطَارِ؛ لأَنَّها أَسْمَحُها[٧] في الرَّوضِ، وقَطْرُها بِرِقَّتِهِ يَثْبُتُ على طَاقاتِ النَّوْرِ، ويَرْسَخُ بِلِيْنِهِ في الأَرْضِ.

٢٤ - بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِها غَرِيْبٌ طَويلُ الهَجْرِ مُنْبَتُّ الحِبَالِ[٨]

---

(١) في ت «بعيداً عن أرضك..... منتزحاً عن موضعك».

(٢) النُّعامى: ريح الجنوب؛ لأنها أبلُّ الرياح وأرطبها.

(٣) في ت «مسيرها».

(٤) في ت «بأحسن».

(٥) الطِّلال: جمع طَلّ، وهو المطر الضعيف، أو أخف المطر.

(٦) في ت «الموافقة» والمونق: الحسن المعجب.

(٧) في ر، ف «اسحّها»، ولعل ما أثبته الصواب؛ لأن السحّ: الشديد الانصباب، والسماحة واللين أنسب للطل.

(٨) في ف «الجبال» وهو تصحيف.

ثُمَّ أَكَّدَ[1] بَيَانَ ما أَبْهَمَهُ، فَقَالَ: بِدَارٍ من الْقَبْرِ سَاكِنُها غَرِيبٌ، وقَاطِنُها فَقِيرٌ، مَنْ حَلَّ فيها امتَنَعَ وِصالُهُ، ومَنْ صَارَ إليها انبتَّتْ حِبالُهُ[2] .

٢٥ ـ حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ المُزْنِ فِيهِ   كَتُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ المَقَالِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ أمَّ سَيْفِ الدَّولةِ في شَرفِ نَسَبِها، وَعُلوِّ مَنْصِبِها، وطَهَارَةِ نَفْسِها، وصِيَانَتِها في قَوْمِها، كَمَاءِ المُزْنِ، قد تَنَاهَتْ صِيَانَتُها كَتَناهِي صيانَتِه فيه، وارتَفَعَ مَوْضِعُها كارتِفَاعِ مَوْضِعِهِ، وطَابَ عُنْصُرُها كَطِيْبِ عُنْصُرِهِ، وهي مَعَ ذلكَ كَاتِمَةٌ لِسِرِّها، صَادِقَةٌ في قَوْلِها.

٢٦ ـ يُعَلِّلُها نِطَاسِيُّ الشَّكَايا   وواحِدُها نِطَاسِيُّ المَعَالي[3]

٢٧ ـ إذا وَصَفُوا لَه دَاءً بِثَغْرٍ   سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوالِ[4]

أَخْبَرَ: أَنَّها تَعَلَّلتْ بِطَبِيْبٍ عَالَجَها، وقَدْ وَلَدَتْ طَبِيبَ المَكَارِمِ، وَوَاحِدِيَّ الفَضَائِلِ، وأَنَّهُ إذا وُصِفَتْ له عِلَّةٌ[5] بِثَغْرٍ شَفَتْ مِنْ دَائِها أَسِنَّتُه، وأَمِنَتْ مَخَافَتَها سُيُوفُهُ، وَلكِنَّ المَنِيَّةَ لا تُدْفَعُ بِقُدْرَةٍ، ولا يُعْتَصَمُ منها بِمَنَعَةٍ[6].

٢٨ ـ وَلَيْسَتْ كَالإِنَاثِ ولا اللَّوَاتي   تُعَدُّ لَهَا القُبُورُ من الحِجَالِ

٢٩ ـ ولا مَنْ في جَنَازَتِها تِجَارٌ   يَكُونُ وَدَاعُها نَفْضَ النِّعَالِ

(١) زاد في ف «ما بيان» وهو تحريف.

(٢) في ف «حياله».

(٣) في ر، ف «نطامي» وهو تحريف.

(٤) سقط هذا البيت من ر، ف، وفي الشرح ما يدل على موضعه هذا.

(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «خلة» وهو تحريف.

(٦) في ت «ولكن الموت لا يدفع بقدرة، ولا يعتصم منه بمنعة».

يقولُ[1]: لَيسَتْ كالإناثِ اللّوَاتي تُنقَضُ بالجِبْلَةِ[2]، ويُتمنّى[3] موتُهنّ للسُّتْرَةِ؛ لأنّها عاشَتْ ظاهِرَةَ الإحْسَانِ، ومَاتَتْ مُرْتَفِعَةَ المَكَانِ، وولَدَتْ مَلِكاً تَشْرُفُ المُلوكُ بِخِدْمَتِه، ويَتَصَرَّفُونَ على حَسَبِ إرادَتِهِ، فَهُمْ كانوا أهْلَ جِنازَتِها، لا التُّجّارُ الذين يَمْتَطُونَ إلى المَشاهِدِ[4] أقْدامَهم، ويَنْفُضُونَ عندَ انصِرافِهم نِعالَهُمْ.

٣٠ ـ مَشَى الأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً   كَأَنَّ المَرْوَ من زِفِّ الرِّئالِ

حَوْلَيْها: بمَعْنَى حَوْلَها، تقولُ العَرَبُ: حَوْلَكَ وحَوْلَيْكَ وحَوالكَ وحَوالَيْك، كلُّ ذلكَ بمَعْنًى واحدٍ، والمَرْوُ: حِجارةٌ بيضٌ بَرّاقةٌ تكونُ فيها النّارُ، والزِّفُّ: صَغيرُ الرِّيشِ، والرَّأْلُ: وَلَدُ النَّعامَةِ، وجَمْعُهُ رِئالٌ[5].

فيقولُ[6]: إنَّ الأمراءَ مَشَوْا في هذِهِ الجِنَازَةِ حُفاةً مُتَحَزِّنينَ، قد مَلَكَتْهُمُ الهَيْبَةُ، وأفْرَطَتْ عَلَيْهِم الجَلالَةُ، حَتَّى صَارُوا يَطَئُون[7] المَرْوَ ولا يَتألّمونَ به[8] كما لا[9] يتألّمُ زِفَّ الرِّئالِ مَنْ وَطِأَهُ.

٣١ ـ وأَبْرَزَتِ الخُدُورُ مُخَبَّآتٍ   يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الغَوالي

النِّقْسُ: المِدادُ[10].

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) في ر، ف «بالجملة» والجِبْلَةُ: الخِلْقة.
(٣) في ل «نتمنّى».
(٤) «إلى المشاهد» ساقطة من ر، ف.
(٥) «حوليها... وجمعه رئال» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم قال».
(٧) في ر، ف «يمطؤون».
(٨) ساقطة من ر، ف.
(٩) ساقطة من ر، ف.
(١٠) «النقس: المداد» زيادة في ل.

وأبْرزتِ الخُدُورُ من نَوادِبِ هَذِه المَيِّتَةِ وَحَشَمِها، مُخبَّآتٍ غَذَّتْهُنَّ النَّعْمَةُ، وأنْشَأتْهُنَّ الرَّفَاهِيَةُ، فَهُنَّ يَضَعْنَ النَّقْسَ مِنْ وجُوهِهِنَّ مَوْضِعَ الغَالِيَةِ[1].

٣٢ ـ أَتَتْهُنَّ المُصِيْبَةُ غَافِلاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ في دَمْعِ الدَّلالِ

الدَّلالُ: الدَّالَّةُ[2].

يقول[3]: أَتَتْهُنَّ المُصِيبةُ على حِيْنِ غَفْلَةٍ، ولم يَكُنَّ مِنَ المَصَائِبِ على عادةٍ، فَهُنَّ يُظْهِرْنَ الدَّلالَ مَعَ الحُزْنِ، وَيُبْدِينَ الوَلَهَ[4] مَعَ الحُسْنِ.

٣٣ ـ وَلو كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

يقولُ[5]: لَو كَمُلَ النِّساءُ كَمالَ هذهِ المفقُودَةِ، واحْتَزْنَ ما احتازَتْهُ مِنَ الفَضْلِ، لَبَانَ فَضْلُ النِّساءِ على الرِّجَالِ، فَرُبَّ تَأْنِيثٍ يَقْصُرُ التَّذْكِيرُ عَنْهُ، ولا يَبْلُغَ مَبْلَغَهُ، ولا يَنالُ مَوْضِعَهُ[6].

٣٤ ـ وَمَا التَّأْنِيثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ولا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلالِ

ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ بأَنَّ الشَّمْسَ مُؤَنَّثَةٌ، والفَضْلُ لَها، والقَمَرَ مُذكَّرٌ، ولَيْسَ يُعْدَلُ بها.

٣٥ ـ وأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ الفَقْدِ مَفْقُودَ المِثالِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ أعظَمَ المَفْقُودينَ فَجِيْعَةً[7]، وأَجَلَّهُمْ مُصِيْبَةً، مَنْ فُقِدَ

(١) الغوالي: جمع غالية، وهو نوع من الطيب.

(٢) «الدَّلال: الدَّالَّة» زيادة في ل.

(٣) زيادة في ر، ف، وفي ل «وأتتهن».

(٤) في ت «الذلة» والوله: الحزن أو ذهاب العقل حزناً.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) «فرب تأنيث. . . موضعه» جاء في ت شرحاً للبيت رقم ٣٤.

(٧) في ت «فجعة».



مِثالُهُ قَبْلَ فَقْدِهِ[1]، وعُدِمَ نَظِيْرُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، وهذهِ[2] المَفْقُودةُ كَذلِكَ؛ إنَّها لم يُماثِلْها أَحَدٌ في فَضائِلِها مدَّةَ حَياتِها، فَعَظُمَتِ الفَجْعَةُ[3] بها عِنْدَ مَماتِها.

٣٦ ـ يُدَفِّنُ بَعْضُنا بَعْضاً وَتَمْشِي[4] أَوَاخِرُنا عَلَى هَامِ الأَوَالي

الأَوالي: بِمَعْنَى الأوائِلِ، إلاَّ أنه قَلَبَ، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلِكَ[5].

فيقولُ: [6] إنَّ الإنسانَ مَجْبولٌ على السَّلْوةِ، مَطْبوعٌ على الإعراضِ عن الرَّزِيَّةِ، فالحَيُّ يَدْفِنُ المَيِّتَ سالياً[7]، والآخِرُ يَطَأُ قَبْرَ الأَوَّلِ ناسِياً[8]، والمَصِيرُ[9] واحِدٌ، والاغترارُ زائِدٌ[10].

٣٧ ـ وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّوَاحي كَحِيلٍ بالجَنَادِلِ والرِّمَالِ

ثُمَّ قالَ: وكَمْ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ نُقِلَ عَنْها إلى لَحْدِهِ، وذي رَفاهِيَةٍ أُخْرِجَ منها إلى قَبْرِهِ، وذِي عَيْنٍ مَحْبوبةٍ مُزَيَّنَةٍ عُوِّضَتْ بالبِلَى مِنْ زَيْنِها، وبالتُّرابِ مِنْ كُحْلِها.

٣٨ ـ وَمُغْضٍ كَانَ لا يُغْضِي لِخَطْبٍ وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ في الهُزَالِ

الهُزَالُ: سُوءُ الحالِ[11].

---

(١) كذا في ل، ت، وساقطة من، ف.

(٢) ساقطة من ت.

(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «الفجيعة».

(٤) في رواية التبيان «وتمشي».

(٥) «الأوالي... ذلك» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «يقول».

(٧) ساقطة من ر، ف، ت.

(٨) ساقطة من ر، ف، ت.

(٩) في ر، ف «والمسير».

(١٠) في ر، ف «زائل».

(١١) «الهزال: سوء الحال» زيادة في ل.

ثُمَّ قَالَ: وربَّ مَنْ كانَ لا يُغْضِي لِلخُطوبِ لِرِفْعَةِ قَدْرِهِ، قد (١) ثَنَى الموتُ طَرْفَهُ، وَغَيَّرَ جِسْمَهُ، وربَّ مَنْ كَان يَحْذَرُ الضُّرَّ، وَيَتَوَقَّعُ الفقْرَ، قد عَاجَلَهُ المَوْتُ فَأَبْلاهُ قَبْلَ ما كان يَحْذَرُهُ، واخْتَرَمَهُ قَبْلَ الذي كان يَتَوَقَّعُهُ. والإغْضَاءُ: تَقْرِيبُ ما بَيْنَ الجُفُونِ[٢].

٣٩ ـ أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِد بِصَبْرٍ وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ

الاسْتِنْجَادُ: الاستِعَانَةُ[٣].

فَيقولُ لسيفِ الدَّولَةِ[٤]: اسْتَعِنْ بالصَّبرِ، وأَنْتَ أَهْلُهُ، وأَثْبَتُ من الجِبَالِ فيهِ.

٤٠ ـ وَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّيْ وَخَوْضَ الموتِ في الحَرْبِ السِّجالِ

الحَرْبُ السِّجالُ: التي تَتَداولُ فيها الغَلَبَةُ، وذلك أَدْعَى إلى شِدَّتِها[٥]. ثُمَّ قالَ: وأنتَ أَهْلُ العَزَاءِ؛ لِأَنَّ العَزاءَ منكَ يُتَعَلَّمُ، والجَديرُ بالصَّبرِ؛ لأَنَّ الصَّبْرَ إليكَ يُنْسَبُ، وبكَ يُقْتَدَى في الإقدامِ على المَوْتِ، والنَّفاذِ في غَمَراتِ الحَرْبِ[٦]، والاستِقْلالِ بِشَدَائِدِها، والقِيامِ بها عند تَساجُلِهَا.

٤١ ـ وَحَالاتُ الزَّمانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ في كُلِّ حَالِ

فَحالاتُ الزَّمانِ تَخْتَلِفُ عَلَيْكَ[٧] بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والشِّدَّةِ والرَّخاءِ،

---

(١) في ر، ف «وقد».

(٢) «والإغضاء... الجفون» زيادة في ل.

(٣) «الاستنجاد: الاستعانة» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال: أسيف الدولة».

(٥) «الحرب... شدتها» زيادة في ل.

(٦) في ت «الموت» وهو تحريف.

(٧) في ت «تتلون حالات الزمان عليك».

وحَالُكَ لا تَختَلِفُ[1] في كَرَمِ نَفْسِكَ، ونَفاذِ عَزْمِكَ. وما يَتَكَفَّلُ اللهُ بِهِ من جَميلِ العَاقِبَةِ لَكَ.

٤٢ - فـلا غِيْضَتْ بِحَارُكَ يـا جَمُـومـاً عـلى عَلَلِ الغَـرَائِبِ والـدِّخَـالِ

غَيْضُ الماءِ: ذهَابُهُ، والجمومُ: البِئْرُ الغَزيرَةُ، والعَلَلُ: الشُّربُ الثَّاني، والدِّخَالُ: هاهنا أن تَشْرَبَ الإبلُ ثُمَّ تُثَارُ فَتُعْرَضُ على الماءِ، وقد يُقالُ بِخِلافِ ذلكَ، والغَرائِبُ من الإبلِ: المُسْتَضِيفَةُ إلى إبلِ أهلِ الماءِ من غيْرِها[2].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ[3]: لا أعْدَمَ اللَّهُ العُفَاةَ جَزِيْلَ عَطائِكَ، ومُتَتابِعَ إحْسَانِكَ، يا بَحْرَ كَرَمٍ[4] يَتَدَفَّقُ مَعَ كَثْرَةِ الوَارِدينَ لَهُ، ويَزيدُ مَعَ تَرَادُفِ الشَّارِعِينَ فيهِ، فَيَنَالُ منه[5] الغريبُ القاصِدُ، كما يَنالُ القَريبُ القاطِنُ، وَضَرَبَ لِذَلِكَ مَثلاً من السُّقْيا، فَشَبَّهَهُ بالمَوْرِدِ الغَزيرِ الذي يَكْثُرُ مَعَ تَتابعِ[6] الشُّربِ فيه، ولَيْسَ تَصِيرُ[7] الغَرائِبُ من الإبلِ إلى العَلَلِ والدِّخالِ إلاَّ عن غُزْرِ المَوْرِدِ، وبُلوغِ إبِلِ الماءِ[8] إلى غَايَةِ الرِّيِّ.

٤٣ - رَأَيْتُـكَ في الَّـذيـنَ أرَى مُـلُوكـاً كـأنَّـكَ مُسْتَقِيـمٌ في مُحَـالِ

٤٤ - فـإن تَـفُـقِ الأنَـامَ وأنـتَ منهُـمْ فـإنَّ المِسْـكَ بَعضُ دَمِ الغَـزَالِ

---

(١) كذا في ل وت وفي ر، ف «يختلف».
(٢) «غيض، الماء... من غيرها» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «ثم قال يخاطبه».
(٤) في ت «لأنك بحر».
(٥) في ر، ف، ت «وينال».
(٦) في ل «ترادف».
(٧) في ر، ف «تصل».
(٨) كذا في ل، وفي ر، ف «وبلوغ الأبل الماء».

ثُمَّ قالَ: إنَّ بيانَ فَضْلِهِ على المُلوكِ، كَبَيانِ فَضْلِ الاسْتِقَامَةِ على المُحَالِ[1]، والحَقِّ على البَاطِلِ[2]، فإنْ فَاقَ[3] الأَنَامُ وهو مِنْهُم، وفَضَلَهُمْ مَعَ مُشَارَكَتِهِ في الجِنْسِ لَهُم، فالمِسْكُ[4] من دَمِ الغِزْلانِ في أَصْلِهِ، وسَائِرُ دِماءِ الحَيَوانِ يُقَصِّرُ عَنْهُ، ولا يُشبَّهُ[5] بِشَيْءٍ مِنْهُ، ورُبَّ واحِدٍ قد[6] بذَّ أُمَّةً، وبَعْضٌ قد فَاتَ جُمْلَةً[7].

(١) المُحَال: قصد أبو الطَّيِّب المعوجّ. وقد أشار أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي إلى عيب الصنعة في الجمع بين الاستقامة والمحال جمع تضاد، فقال: والمحال ليس ضداً للاستقامة، وإنما ضدها الإعوجاج».

(انظر شرح الواحدي ٣٩٥/٣ والتبيان ٢١/٣).

(٢) «والحق على الباطل» زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «فات».

(٤) كذا في ر، ف، ت وفي ل «فإنَّ».

(٥) في ر، ف «يتشبه».

(٦) كذا في ل، ت وساقطة من ر، ف.

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بذَّ أمته، وفاق جملته».

ونَجَمَ خارِجِيٌّ يُعْرَفُ بابنِ هِرَّةِ الرَّمادِ[١] في كَلَبٍ[٢] بِبَرِّيَّةِ حِمْصَ، فَأَغارَ عَلَى أَطْرافِ حِمْصَ، وصَاحِبُ حَرْبِها أبو وَائِلٍ، تَغْلِبُ بنُ داودَ بنِ حَمْدانَ مِنْ قِبَلِ سَيْفِ الدَّولةِ، وكَانَ قَدْ خَرَجَ من ذلكَ اليومِ كالْمُتنزِّهِ وَحْدَهُ، فأَسَرَهُ الخارِجِيُّ، وطالَبَهُ بِمالٍ، وخَيْلٍ كانَتْ لَهُ سَوابِقَ، فَوَعَدَهُ بها[٣]، واتَّصَلَ الخَبَرُ بسيفِ الدَّولَةِ، فَسَارَ[٤] في جَيْشِهِ، فَما أَراحَ حَتَّى أَوْقَعَ بهِ، وجَعَلَ العَرَبَ على مُقَدَّمتِهِ، فوقَعَتْ بابن هِرَّة الرَّمادِ فَهزَمَها، إلى أَنْ بَلَغَ بِهَا إلى سَيْفِ الدَّوْلةِ، وكان سَيْفُ الدَّولةِ في أَلْفَيْنِ من غِلْمانِهِ ووُجُوهِ رِجَالِهِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَجَميعَ أَصْحَابِهِ، واسْتَنْقَذَ أَبَا وائلٍ، فَقَالَ أبو الطَّيِّبِ - أَنْشَدَهَا في شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثِينَ وثَلاَثِمِائَةٍ.

١ - إلاَمَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ وَلاَ رَأْيَ في الحُبِّ لِلْعَاقِلِ

إلاَمَ: هي إلى التي للْخَفْضِ، دَخَلَتْ على ما التي للاسْتِفْهامِ، فَبُنِيَتْ

---

(١) ابن هرة الرماد: هو أحد القرامطة، خرج على سيف الدولة ومعه قبائل طي وكلب، ولم يستغرق قتال سيف الدولة لهم أكثر من تسعة أيام من سنة ٣٣٧ هـ، وقد طارد سيف الدولة ابن هرة الرماد من منطقة إلى أخرى إلى أن قتله في منطقة يقال لها وادي العرب. وذهب الثعالبي إلى أن هذا القرمطي كان يعرف بالمبرقع، وهو غير المبرقع الذي ظهر في فلسطين وقتل في دمشق سنة ٢٢٧ هـ. وقد وهم الدكتور الشكعة إذ عدّه صاحب الخال، وصاحب الخال قتل بالدكة سنة ٢٩١ هـ. (انظر سيف الدولة الحمداني د. مصطفى الشكعة ومراجعه ص ١٤٩، يتيمة الدهر ٢٤/١، تاريخ ابن خلدون ٥٧٢/٣ تاريخ أخبار القرامطة لابن العديم ص ٦٩-٩٤).

(٢) كَلَبٌ: بالتحريك، بلفظ الداء الذي يصيب من يعضه الكلب.

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «فصار».



مَعَها بِنَاءَ كَلِمةٍ وَاحِدَةٍ، وسَقَطَتْ الألِفُ مِنْ ما استِخْفَافاً، واعتداداً[1] بإلى في الكَلِمةِ المَوْصُولَةِ بها، وكذلكَ يَفْعَلونَ بما التي للاسْتِفْهامِ إذا اتَّصَلَ بها سَائِرُ حُرُوفِ الجرِّ، ولا يَفْعَلونَ ذلكَ بما في الخَبَرِ، وأَخْرَجَهُم إلى ذلكَ كَثْرَةُ الاسْتِعْمالِ، لما في الاسْتِفْهَامِ[2]، والطَّمَاعِيَةُ: مَصْدرٌ بِمَعْنَى الطَّمَعِ، كالعَلاَنيةِ والكَرَاهِيَةِ[3].

فيقولُ: إلى أيِّ شَيْءٍ يَصْرِفُ العَاذِلُ طَمَعَهُ من سُلْوانِ المُحبِّ، وما يَرْجُوهُ مِنْ ذَلكَ مُمْتَنِعٌ، والمَقْصَدُ بَيْنَهُ وبَيْنَ المُحِبِّ مُخْتَلِفٌ؛ لِأَنَّ المُحِبَّ مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، والمُتَعَقِّبُ العاقِلُ مُخْتَارٌ لِنَفْسِهِ، ولا رَأْيَ لَهُ في الحُبِّ الذي يُوجِعُ قَلْبَهُ، ويَشْغَلُ نَفْسَه.

٢ ـ يُرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانُكُمْ   وَتَأْبَى[4] الطِّبَاعُ على النَّاقِلِ

الطِّباعُ والطَّبِيْعَةُ: بِمَعْنًى واحِدٍ، وهما الخَلِيْقَةُ[5].

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ بِقَوْلِهِ، مُخَاطِباً لِأَحِبَّتِهِ: يُرِيدُ العَاذِلُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانَكُم،

(١) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «واعتدوا».

(٢) «كثرة الاستعمال» ساقطة من ر، ف، ت.

(٣) «والطماعية... والكراهية» زيادة في ل.

(٤) كذا في رواية ابن جنى والواحدي، وفي رواية التبيان «ويأبى» وفي ل بالتاء والياء، وفي ر، ف «بالتاء» «قال ابن القطاع: قد أفسد هذا البيت سائر الرواة فرووه «وتأبى» بالتاء وهو غلط لا يجوز... إلا أن الطبع والطباع والطبيعة واحد، والطبع مصدر لا يثنى ولا يجمع، والطبيعة مؤنثة وجمعها طبائع، والطباع واحد مذكر، وجمعه طبُعُ، ككتاب وكتب، وليس الطباع جمعاً لطبع» «انظر التبيان في شرح الديوان ٣/٢٢».

(٥) «الطباع... الخليقة» زيادة ل. وفي ت «وهى»



وقد جَرَى حُبُّكُمْ مِنْهُ مَجْرَى الطبِيْعَةِ، وَحَلَّ فيه مَحَلَّ الخَلِيْقِةِ[1]، والطَّبِيْعَةُ لا تَنْقَادُ لِنَاقِلِها[2]، ولا تَتَأَتَّى[3] لِـمُخالِفِها.

٣ - وَإِنِّي لأَعْـشَـقُ مِـنْ عِـشْـقِـكُـمْ نُحُـولِي وكُـلَّ امْـرِىءٍ[4] نَـاحِـلِ

أَخْبَرَنَا[5] باسْتِبْصَارِهِ في عِشْقِ أَحِبَّتِهِ، وأَنَّهُ لِتَأَكُّدِ نِيَّتِهِ في ذلكَ، يَعْشَقُ نُحُولَ جِسْمِهِ، وَيَأْنَسُ باتِّصالِ سُقْمِهِ، وَيَعْشَقُ كُلَّ نَاحِلٍ، لِمشَاكَلَتِهِ[6] إِيَّاهُ في حَالِهِ.

٤ - وَلَـوْ زُلْـتُـمُ ثُـمَّ لَمْ أَبْـكِـكُـمْ بَـكَيْتُ[7] عـلى حُبِّـيَ الـزَّائِـلِ

ثُمَّ قَـالَ: وَلَوْ زُلْتُمْ وَلَمْ أَبْـكِ على نَـأْيِكُمْ، وأُظهِرِ الأَسَفَ لِفَقْـدِكُمْ، لَبَكَيْتُ لِفَقْـدِ حُبِّكُمْ، وأَسِفْتُ لِعَدَمِ عِشْقِكُمْ، اغتِبَـاطَـاً بـذلـك[8] فِيكُمْ، واسْتِعْذَاباً لما أَلْقَاهُ بِكُمْ. واستفتَاحُهُ بِقَوْلِهِ: «وَلَوْ زُلْتُم»، وَتَقْفِيَتُهُ[9] بَعْدَ ذلك بالزَّائِلِ، بَابٌ من أَبْوابِ البَدِيعِ يُعْرَفُ بالتَّصْدير[10].

٥ - أَيُـنْـكِـر خَـدِّي دُمُـوعي وَقَـدْ جَـرَتْ مِنْـهُ في مَسْلَكٍ سَـائِـلِ

(١) كذا في ل وت، وفي ر، ف «الحقيقة».
(٢) في ف «لنا قبلنا» وهو تحريف.
(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «تأتّى».
(٤) كذا في ل، وفي ر، ف «فتى»
(٥) في ر، ف «ثم أخبر».
(٦) في ت «لمشابهته».
(٧) في ر، ف «فكيف».
(٨) في ر، ف «لذلك».
(٩) في ت «وتعقيبه».
(١٠) في ت «بالضّدين» وهو تحريف.

يَقُول[١]، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ من اسْتِئْنَاسِهِ بِوَجْدِه، واسْتِسْهَالِهِ لِحَالِهِ: أَيُنْكِرُ خَدِّي ما أُسِيْلُ[٢] عَلَيْهِ من الدَّمعِ، وهو يَسْكُنُ من ذلكَ إلى حَالٍ قد عَرَفَها، وَعَادَةٍ قد أَلِفَها، ويَجْرِي مِنْهُ في طَرِيقٍ مَسْلُوكٍ، وسَبِيْلٍ مَعْمورٍ؟ والمسلَكُ السَّائِلُ: الذي يَكثُرُ المرورُ فيه[٣].

٦ - أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ وأَوَّلُ حُزْنٍ عَلى رَاحِلِ

ثُمَّ أَكَّدَ، فَقَالَ: أَهَذا الدَّمعُ أَوَّلُ دَمْعٍ أَذْرَيْتُهُ؟ وهذا الحُزْنُ أَوَّلُ حُزْنٍ شَكَوْتُهُ؟ هذا الذي لا أَعْرِفُ غَيْرَه، ولا أَوَدُّ فَقْدَه.

٧ - وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لامَني وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ في شَاغِلِ

يَقولُ[٤]، مُسْتَبْصِراً في حُبِّهِ، ومُعْرِضاً عن المُتَكَلِّفِ[٥] لِلَوْمِهِ: وَهَبْتُ للأثِمِ لي السُّلُوَّ الذي يَدْعُوني إليهِ، والجَلَدَ[٦] الذي يَحُضُّني عليهِ، وبِتُّ من الشَّوْقِ فيما يَشْغَلُني عن لَوْمِهِ، ويُزَهِّدُني في عَذْلِهِ.

٨ - كَأَنَّ الجُفُونَ على مُقْلَتي ثِيَابٌ شُقِقْنَ علَى ثَاكِلِ

ثُمَّ شَبَّه قِلَّةَ التِقَاءِ جُفُونِهِ على مُقْلَتِهِ، واشْتَغالِهِ[٧] بما يُذْرِيه من عَبْرَتِهِ، بثيابٍ مَشْقُوقَةٍ على ثَاكلٍ مُوجَعَةٍ، وَوَالِهَةٍ مُفَجَّعةٍ، وَشَبَّهَ مُقْلَتَهُ في حُزْنِها[٨]

---

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «ما أُسْيِل».
(٣) «والمسلك... فيه» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «ثم قال».
(٥) في ر، ف «التكلف».
(٦) في ت «والخلوّ».
(٧) ساقطة من ر، ف.
(٨) في ت «مقلتيه في حزنها».

بتلكَ الثَّاكِلِ في وَجْدِها، وَتَبْعِيدَ السَّهرِ لما بَيْنَ جُفونِهِ[1] بتَشْقِيقِ الثَّاكِلِ لِثِيَابِ حِدَادِها. وهذا مما شَبَّه بهِ شَيْئَيْنِ[2] بِشَيْئَيْنِ في بَيْتٍ واحدٍ، وهَوَ مِنْ أَرْفَعِ وجوهِ البَديعِ.

٩ - وَلَوْ كُنْتُ في غَيْرِ أَسْرِ[3] الهَوَى ضَمِنْتُ ضَمَانَ أبي وَائِلِ

ثمَّ خَرَجَ إلى وَصْفِ أَمْرِ[4] أبي وائلٍ أَحْسَنَ خُروجٍ، فقال: وَلَوْ كُنْتُ أسيرَ[5] غَيْرِ الحُبِّ، ومَغْلُوباً في غَيْرِ سَبيلِ العِشْقِ، لاحتَلْتُ[6] بِحِيْلَةِ أبي وَائلٍ في الاسْتِتارِ[7]، وَضَمِنْتُ لآسِري ضَمَانَهُ من الفَكَاكِ[8]، وسَلَكْتُ في الاحْتِيالِ عليه سَبيلَهُ.

١٠ - فَدَى نَفْسَه بِضَمَانِ النُّضَارِ وأَعْطَى صُدُورَ القَنَا الذَّابِلِ

النُّضَارُ: الذَّهبُ[9].

فيقولُ[10]: إنَّ أبا وَائِلٍ ضَمِنَ لآسِرِه أَعْدَاداً من الذَّهَبِ يَفْتَدِي بها، وأَعْطَى عن ذلكَ صُدورَ الرِّماحِ، يُشِيرُ بِذلِكَ[11] إلى جَيْشِ سَيْفِ الدَّولةِ الذي اسْتَنْقَذَهُ.

---

(١) في ر، ف، ت «جفونها».

(٢) في ت «شيئان».

(٣) في ر، ف، وفي رواية التبيان «في أسر غير الهوى» والوزن مستقيم في كلا الروايتين.

(٤) في ر، ف «أمن» وهو تحريف، وساقطة من ت.

(٥) في ت «أسيراً في».

(٦) ساقطة من ر، ف.

(٧) ساقطة من ر، ف، وفي ل «الاستناذ».

(٨) ساقطة من ر، ف.

(٩) «النضار: الذهب» زيادة في ل.

(١٠) في ر، ف «ثم قال».

(١١) ساقطة من ل.



١١ - وَمَنَّاهُمُ الخَيْلَ مَجْنُوبَةً[١] فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلِ

ثُمَّ قَالَ: وَمَنَّاهُم أَنْ يَقُودَ إِلَيْهِم الخَيلَ التي اشْتَرطوا عَلَيْهِ في فِدائِهِ، فَجاءَتْهُم تَحْمِلُ إليهم كُلَّ فَتًى باسلٍ.

والباسِلُ: الشُّجاعُ[٢].

١٢ - كَأَنَّ خَلاَصَ أَبي وَائِلٍ مُعَاوَدَةُ القَمَرِ الآفِلِ

ثمَّ[٣] شَبَّه خَلاَصَ أَبي وَائِلٍ من إِسَارِهِ، بِخُروجِ القَمَرِ من سِرَارِهِ[٤]، ومُعَاوَدَتِهِ للإِمَارَةِ، وما كَانَ عليه من السِّيادَةِ، بِمُعَاوَدَةِ القَمَرِ الآفِلِ لِضِيائِهِ، وَمُرَاجَعَتِهِ لِبَهائِهِ.

١٣ - دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ

ثم قَالَ؛ مُخَاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: دَعَا فَسَمِعْتَ دَعْوَتَه على بُعْدِ مَحَلِّهِ، وأَصْرَخْتَها على انتِزَاحِ مُسْتَقَرِّهِ، وربَّ سَاكتٍ عنك لِبُعْدِهِ كالْمُخاطِب لَكَ[٥]؛ لما يُوجِبُهُ كَرَمُكَ من اهتِمَامِكَ[٦] بِشَأْنِهِ، واعتِنَائِكَ بأَمْرِهِ.

١٤ - فَلَبَّيْتَهُ بِكَ في جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ

---

(١) في ر، ف «مجبوبة».

والخيل المجنوبة: التي ليس عليها فرسان، وإنما تُجنَبُ للحاجة إليها، فلا تركب إلا في وقت الحرب لكرمها. (التبيان ٣/٢٤).

(٢) «والباسل» الشجاع» زيادة في ل.

(٣) زيادة من ر، ف.

(٤) السِّرار: الليلة التي يستسر فيها القمر، أي يخفى، وتكون في آخر الشهر.

(٥) كذا في ل وت، وساقطة من ر، ف.

(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «اهتبالك».

ثُمَّ قَالَ: فَلَبَّيْتَهُ إذ دَعاكَ بِنَفْسِكَ في جَحْفَلٍ،[1] ضَامِنٍ لِفَكِّ أَسْرِهِ، كَافِلٍ بِتَعْجِيلِ نَصْرِهِ.

١٥ ـ خَرَجْنَ مِن النَّقْعِ في عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ في وَابِلِ

النَّقْعُ: الغُبارُ، والعَارِضُ: السَّحابُ، والوَابِلِ: المَطَرُ الكَثيرُ[2].

فيقولُ[3]: إنَّ خيلَ سَيْفِ الدَّولةِ خَرَجَتْ من العَجاجِ، فيما يُشْبِهُ السَّحابَ، وعليها[4] من العَرَقِ الذي أَوْجَبَهُ الرَّكْضُ، فيما يُشْبِهُ غزيرَ المَطرِ، وأَشَارَ بهذا إلى شِدَّةِ الطَّلَبِ.

١٦ ـ فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِيْنَ السِّيَاطَ بِمِثْلِ صَفَا البَلَدِ المَاحِلِ

الصَّفَا: الحَجَرِ الأَمْلَسُ[5].

ثُمَّ قَالَ[6]: فلما نَشِفَ عَرَقُ هذهِ الخَيْلِ على ما التَبَسَ به من الغُبَارِ، لَقِيَتْ سِيَاطَ الفُرسَانِ من جُلُودِها، بمثلِ الحَجَرِ الأَمْلَسِ، الذي يَكونُ في البَلَدِ المُمْحِلِ، وهو البَعِيدُ العَهْدِ بالمطرِ، وذلكَ أَبْلَغُ في يَبْسِهِ وجُفُوفِهِ، وهذه الزِّيادَةُ التي تُطْلَبُ بها الغَايَةُ، وقد كَانَ يَتِمُّ الكَلامُ دُونَها، بابٌ من أبوابِ البديعِ يُعْرَفُ بالتَّتْميمِ.

١٧ ـ شَفَنَّ لِخَمْسٍ إلى مَنْ طَلَبْـ ـنَ قَبْلَ الشُّفُونِ إلى نَازِلِ

---

(١) الجَحْفَلُ: الجيش الكثير.

(٢) النقع... الكثير» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «الصفا.... الأملس» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف: «يقول».

الشُّفُونُ: النَّظَرُ[1].

فَيَقولُ[2]: إنَّ خيلَ سَيْفِ الدَّولَةِ أَدْرَكَتْ بِغْيَتَها، قَبْلَ أن يَنْزِلَ فُرْسَانُها[3] عن ظُهُورِها، وأنَّها نَظَرتْ بَعْدَ خَمْسِ لَيالٍ من رَكْضِها إلى مَنْ طَلَبَتْهُ، قَبْلَ نَظَرِها فيها إلى نُزُولِ[4] مَنْ حَمَلَتْهُ. وأَشَارَ بذلكَ إلى فرْسانِ هذه الخَيْلِ، لم يَفْتُروا في الرَّكضِ، حَتَّى أَوقَعوا[5] بالقَوْمِ الذين أَسَروا عَلَيْهِم[6].

١٨ ـ فَدَانَتْ مَرافِقُهُنَّ الْبَرَى عَلى ثِقَةٍ بالدَّمِ الغاسِلِ

البَرَى: التُّرابُ[7]

ثُمَّ قَالَ: إنَّ هذهِ الخيلَ التي جُهِدَتْ في الطَّلبِ، وتَدَنَّسَتْ جُلُودُها بما تَصَبَّبَ عَنْها من العَرَقِ، وما التَبَسَ بذلكَ من غُبَارِ الرَّهَجِ[8]، قَارَبَتْ مَرَافِقُهُنَّ التُّرابَ[9] بإثارَتِها له، لا بِدَعَتِها[10] فيه، وقد تَيَقَّنَتْ أنَّ دَمَ من تُوقِعُ به يَغْسِلُها، وَخَوْضَها فيه بَعْدَ الظَّفَرِ يُطَهِّرُها.

١٩ ـ وَمَا بَيْنَ كَاذَتَي الْمُسْتَغِيرِ كَما بَيْنَ كَاذَتَي البائِلِ

---

(١) «الشفون: النظر» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) «فرسانها» ساقطة من ر، ف.

(٤) «نزول» ساقطة من ر، ف.

(٥) كذا في ل، وت وفي ر، ف «وقعوا».

(٦) في ت «أسروا أبا وائل». وأسر: شدّ

(٧) «البرى: التراب» زيادة في ل.

(٨) الرَّهَجُ: الغبارُ المثار من الخيل

(٩) في ر، ف «الرهج».

(١٠) الدَّعة: الراحة والطمأنينة.

الكَاذَةُ: لَحْمُ مُؤَخَّرِ الفَخْذِ[1].

ثُمَّ ذَكَرَ: أنَّ هذِه الخيلَ رَكَضَتِ المُدَّةَ التي ذَكَرَها، وبَلَغَتْ من الظَّفَرِ إلى الغَايَةِ التي وَصَفَها، وهي كالمُتَفَحِّجَةِ[2] لِكَرَمِها ونَشَاطِها، لم تَحْتَكَّ كاذَتَاها[3]. ولا تَدَانَتْ عَرَاقِيبُها. وهذا يَحْدُثُ على الخَيْلِ الهُجُنِ عِنْدَ الرَّكْضِ الشَّديدِ، بل كَانَ ما[4] بَيْنَ كَاذَتَيِّ المُغِيرِ منها كالَّذي يَكونُ بَيْنَ كَاذَتَيِّ البَائِلِ، لم تَسْتَحِلْ عن[5] خَلْقِها، ولا اضطَرَبَتْ في شَيءٍ من أَمْرِها.

٢٠ ـ فَلُقِّينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ

الرُّدَيْنِيَّةُ: الرِّماحُ تُنْسَب إلى رُدَيْنَةَ، اسمُ امرَأةٍ كانَتْ تَبِيعُ الرِّماحَ في الجاهِلِيَّةِ، والشَّائِلُ: النَّاقَةُ التي ابتَدَأ حَمْلُها فَخَفَّ لِذَلِكَ لَبَنُها، والمَصْبوحُ من الخَيْلِ: الذي يُسْقَى اللَّبَنَ صَبْاحاً لِكَرَامَتِهِ على صَاحِبِهِ[6].

فيقولُ[7]: إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولةِ بَعْدَ جَهْدِها في الطَّلَبِ، وإغْرَاقِها[8] في الرَّكضِ، لَقِيَتْ مَعَ الخارجيِّ أشِدَّاءَ الأعرابِ[9]، الذين يُطاعِنونَ[10] بالرِّماحِ، وتَغْدُو بهم كَرَائمُ الخَيلِ التي تُؤْثَرُ باللُّبَنِ عِنْدَ قِلَّتِهِ، ويكونُ صَبُوحُها مَعَ شِدَّةِ الحاجةِ إليه.

---

(١) «الكاذة... الفخذ» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «كالمتعججة».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لم تحت كاذاتها».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «عل».

(٦) «الردينيّة... صاحبه» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) في ر، ف «أعراقها» وفي ت «عرقها».

(٩) في ف «العرب» وفي ت «أشد ما يلقاه الأعراب».

(١٠) في ت «يطعنون».

٢١ ـ وَجَيْشَ(١) إمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ   صَحيحِ الإمَامَةِ في البَاطِلِ

وَلَقِيتْ جَيْشاً إمَامُهُ على نَاقةٍ، قد تَيقَّنَ اسْتِهْلاكَ أَصْحَابِهِ دُونَهُ، وامتَثَلَ أنَّ الغَلَبَةَ لَهُ، فَأعْرَضَ لذلكَ عن رُكوبِ الخَيْلِ، وَوَصَفَهُ بِحالَةٍ من كَذِبِهِ في دَعْواهُ، واشْتِهارِهِ بباطِلِهِ.

٢٢ ـ فأقْبَلن يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ   نَوافِرَ كالنَّحْلِ والعاسِلِ

ثم قَالَ(٢): إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولَةِ تَهيَّبَتِ الخارِجيَّ(٣) في أوَّلِ لِقَائِهِ، وانْصَرفَتْ(٤) إلى سَيْفِ الدَّولةِ مُنْحَازَةً بَيْنَ يَدَي الخَارِجِيِّ، كانحِيازِ النَّحْلِ بيْنَ يَدَيْ عَاسِلِها، وافتِراقِها إذا أحسَّتْ بِسَائِرِها.

٢٣ ـ فَلَمَّا بَدَوْتَ لأصْحَابِهِ   رَأتْ أسْدُها آكِلَ الآكِلِ

يَقولُ(٥) لِسَيْفِ الدَّولةِ: فلما بَدَوْتَ لأصحابِ الخارِجيِّ بَعْدَ انحِيازِ أصْحَابِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، رأتْ أسْدُ خَيْلِهِ مِنْكَ أسَدَ الأسُودِ، وآكِلَ الآكِلِ، الذي يَغْلِبُ الغالِبَ، ويَسْتَهْضِمُ القَادِرَ.

٢٤ ـ بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جَائِرٍ   لَه فِيهِمُ قِسْمَةُ العَادِلِ

وَبَدوتَ لهم بِضَرْبٍ عَمَّ جَماعَتَهُم، وشَمِلَ جُمْلَتَهُم، أبْلَغَ فيهم إبلاغَ الجائِرِ، وأفْرَطَ إفْراطَ المُسْرِفِ، وسَوَّى بَيْنَهم فيما نَالَهُم مِنْهُ تَسْويةَ العَادِلِ،

---

(١) في رواية ابن جني والواحدي والتبيان «وجَيْشٍ» بالكسر مجرور بواو ربّ، وبالفتح مفعولاً للَقِين.
(٢) في ر، ف «ثم ذكر».
(٣) في ر، ف «تهيبته».
(٤) في ر، ف «فانصرفت».
(٥) في ر، ف «ثم قال».



وَشَمِلَ جَميعَهُم[1] شُمولَ المُنْصِفِ، وطَابَقَ بَيْنَ الجَوْرِ والعَدْلِ.

٢٥ - وَطَعْنٍ يَجْمَعُ شَذَّانَهُمْ كما اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الحافِلِ

الشُّذَّانُ: القومُ المُتفرِّقون، وشُذَّانُ الحَصَى: ما افتَرَقَ مِنْهُ، والحافِلُ مِنَ الشِّياهِ: التي قد اجتَمَعَ لَبَنُها في ضَرْعِها[2].

ثُمَّ قالَ: وَبَدَوْتَ لهم بِطَعْنٍ جَمَعَ شَذَّانَهُم بِشِدَّتِهِ، وحَصَرَهُم لِمَخافَتِهِ، كما يَجْمَعُ الضَّرْعُ الحَافِلُ دِرَّتَهُ، وَيَحْصُرُ لَبَنَهُ.

٢٦ - إذا ما نَظَرْتَ إلى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ

يقولُ[3] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: إنَّ أَصْحابَ الخَارِجيِّ لما رَأَوْكَ، تَدَاخَلَهُمْ من هَيْبَتِكَ، وأَدْرَكَهُمْ من مَخَافَتِكَ، ما صَارَ فارِسُهمْ مَعَهُ يَعْجَزُ عَمَّا يَبْلُغُهُ الرَّاجِلُ، وَقَوِيُّهم يُقَصِّرُ عما يَفْعَلُهُ الضَّعيفُ.

٢٧ - فَظَلَّ يُخَضِّبُ منها اللِّحَى فَتًى لا يُعِيدُ على النَّاصِلِ

ثُمَّ قالَ: فَخَضَّبَ[4] لِحَاهُمْ بِدِمَائِهِم مِنْكَ فَتًى، لا يَقْصِدُ بِخِضَابِهِ قَصْدَ التَّزيينِ، وإنَّما يَقْصِدُ بهِ[5]. قَصْدَ الإهلاكِ، فَلَيْسَ يَحْفِلُ إذا أَتْلَفَ النَّفسَ بما[6] أَخْطَأَهُ خِضَابُهُ مِنَ الشَّعَرِ. ونُصُولُ الشَّعَرِ: خُروجُهُ من الخِضَاب[7].

---

(١) في ر، ف «جماعتهم».
(٢) «الشذان... ضرعها» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «ثم قال».
(٤) في ر، ف «مخضّب».
(٥) كذا في ر، ف، ت، وساقطة من ل.
(٦) في ر، ف «ما أخطأ خضابه».
(٧) «ونصول... الخضاب» زيادة في ل.

٢٨ ـ ولا يَـسْـتَـغِـيـثُ إلى نـاصِرٍ ولا يَـتَـضَـعْـضَـعُ مِـنْ خَـاذِلِ

ثُمَّ قَالَ: إنَّهُ لا يَسْتَغيثُ إلى نـاصِرٍ يَنْصُرُهُ، لاسْتِغْنَـائِهِ بنَفْسِهِ، ولا يَتَضَعْضَعُ لِخَاذِلٍ يَخْذُلُه، لما يُسْنِدُ إليه من بَأْسه.

٢٩ ـ ولا يَـزَعُ الـطِّرْفُ عـن مُـقْـدَمٍ ولا يَـرْجِـعُ الـطِّرْفَ عن هَـائِـلِ

الوَزَعُ: الكَفُّ، والطِّرفُ: الفَرَسُ الكَريمُ[1].

فيقولُ[2]: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ لا يَكُفُّ فَرَسَهُ عن مُقْدَمٍ[3] لِشَجاعَتِهِ، ولا يَغُضُّ طَرْفَهُ عن هَائلٍ لِجُرْأَتِهِ.

٣٠ ـ إذَا طَـلَـبَ الـتَّـبْـلَ لم يَـشْـأَهُ وإن كَـانَ دَيْـنـاً عَـلَى مَـاطِـلِ

التَّبْلُ: التِّرَةُ[4]، والشَّأْوُ: السَّبْقُ[5].

ثُمَّ قَالَ: إذا طَلَبَ ثَأراً لم يَفُتْهُ، وإن كانَ مُتَعذِّراً أَمْرُهُ، مُمْتَنِعاً مَوْضِعُهُ، وضَرَبَ قَوْلَهُ: «وإن كَانَ دَيْناً على مَاطِلٍ» مَثَلاً في ذلك.

٣١ ـ خُـذُوا مـا أَتَـاكُمْ بِـهِ واعْـذِرُوا فَـإِنَّ الـغَـنِـيـمَـةَ في الـعَـاجِـلِ

ثُمَّ قالَ: هازِئاً بهم: خُذوا ما أَتَاكُمْ به[6] من هذه الوَقْعَةِ مُتَجَوِّزينَ، وتَصَبَّرُوا لِذَلكَ عَاذِرينَ، فإنَّ الغَنِيمةَ فيـما استُعْجِلَ، والغِبْـطَةَ فيما اقتُضِيَ.

(١) «الوزع... الكريم» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) كذا في ل وت، وفي ر، ف «متقدم».
(٤) التِّرةُ: الثار.
(٥) «التبل... السبق» زيادة في ل.
(٦) «به» ساقطة من ر، ف.

وهذا[1] على طَريقِ الهُزْءِ[2] بِهِمْ، والتوبِيْخِ بالوَقْعَةِ[3] التي عَجَّلها سَيْفُ الدَّولةِ لَهم.

٣٢ ـ وإنْ كَـانَ أعـجَبَكُـمْ عَـامُـكُـمْ فَـعُـودوا إلى حِمْصَ في القَـابِـلِ

يَقولُ[4]، على نَحْوِ ما تَقَدَّمَ من هُزْئِهِ[5] بهم: وإن كُنْتُم مُسْتَقِلِّينَ بما[6] نَالَكُم في هذا العامِ من سَيْفِ الدَّولةِ، فَعُودُوا إلى عَمَلِهِ في[7] حِمْصَ في العَامِ القَابلِ، فإنَّهُ يَعُودُ لكم بِمِثْلِ ما أَوْقَعَهُ بكم.

٣٣ ـ فـإنَّ الحُـسَـامَ الخَضِـيـبَ الَّـذي قُـتِـلْـتُـمْ بِـهِ في يَـدِ الـقَـاتِـلِ

ثُمَّ قَالَ: فإنَّ السَّيفَ الخَضِيبَ بِدِمائِكُمْ، المَسْلُولَ لِقَتْلِكُمْ، في يَدِ الذي قَتَلَ جَمَاعَتَكُم، وأَذَلَّ عِزَّكُم[8]، وأَذْهَبَ نَخْوتَكُمْ.

٣٤ ـ يَجُـودُ بِـمِـثْـلِ الـذي رُمْـتُـمُ فَـلَـمْ تُـدْرِكُـوه عـلى السَّـائِـلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ يَجُودُ على سَائِلِهِ بِمِثْلِ الذي رُمْتُمُوه فَأَعْجَزَكُمْ، وَيَسْمَحُ لِقاصِدِهِ بمثلِ الذي حَاوَلْتُمـوهُ فأَهْلَكَكُمْ، ولو سَـأَلْتُمُوهُ لَعَمَّكُم فَضْلُهُ، ولـو قَصَدْتُموه لَشَمِلَكُمْ عَفْوُهُ.

(١) ساقطة من ل.
(٢) في ر، ف «الهزل».
(٣) في ر، ف «الوقيعة».
(٤) في ر، ف «ثم قال».
(٥) في ر، ف «هزله».
(٦) في ل «مُسْتَقْبِلينَ لما».
(٧) «في» ساقطة من ر، ف.
(٨) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «عزّتكم».

٣٥ ـ أَمَامَ الكَتِيبَةِ تُزْهَى بِهِ مَكَانَ السِّنَانِ من العَامِلِ

الزَّهوُ: الكِبْرُ، والعَامِلُ: صَدْرُ الرُّمحِ [١].

فَيَقولُ [٢]: إنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ لإقدَامِهِ، وجُرْأَةِ نَفْسِهِ في صُدورِ خَيْلِهِ، وأوائِلِ كَتَائِبِهِ، تَتِيهُ فُرْسَانُهُ بِهِ، وتُزْهَى بِمَوْضِعِهِ، وإنَّه مِنْها بمكانِ [٣] السِّنَانِ من صَدْرِ الرُّمحِ، والسِّنانُ [٤] الذي لَهُ الفِعْلُ، وبه يكونُ الطَّعْنُ، وسائِرُ الرُّمحِ أَدَاةٌ تُعَضِّدُهُ، وآلَةٌ تُؤَيِّدُهُ.

٣٦ ـ وإنِي لأَعْجَبُ مِنْ آملٍ قِتَالاً بِكُمٍّ على بَازِلِ

البَازِلُ مِنَ الإبلِ: الذي قد ظَهَرَ نابُهُ [٥].

ثُمَّ رَجَعَ إلى الخارجيِّ، فَقَالَ: وإنِّي لأَعْجَبُ مِمَّن يُؤَمِّلُ قِتَالاً بِكُمِّهِ، دُونَ أنْ يَصِلَ شَيْئاً من السِّلاحِ بِنَفْسِهِ، وَيَقْتَحِمُ الحَرْبَ عَلَى جَمَلٍ دُونَ أَنْ يَقْتَحِمَهَا على فَرَسٍ.

٣٧ ـ أَقَالَ لَهُ [٦] اللَّهُ لا تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ

الحَائِلُ مِنَ الخَيْلِ: التي لم تَحْمِلْ [٧].

اللَّهُ أَمَرَهُ بِأَنْ لا يَأْخُذَ لِلحَرْبِ آلَتَها، ولا يَتَأَهَبُ [٨] فيها بِأُهْبَتِها، وأَنْ

(١) «الزهو... الرمح» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) في ل «مكان»

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «البازل... نابه» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «أقال لك».

(٧) «الحائل... تحمل» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «وتتأهبه» و«لا» ساقطة من ت.

لا [1] يَلْقى مُحارِبَهُ[2] بِسَيْفٍ مَاضٍ صَارمٍ، عَلَى فَرَسٍ كَرِيمَةٍ حَائِلٍ؟ واشْتَرطَ الحِيَالَ[3]؛ لأنَّه أَمْكَنُ لِلْجَرْي.

٣٨ ـ إذا ما ضَرَبْتَ به هَامَةً بَرَاها وَغَنَّاكَ في الكَاهِلِ

الكَاهِلُ: أَعْلَى الظَّهْرِ[4].

ثُمَّ قالَ: إذا ضَرَبَ بذلكَ السَّيْفِ هَامَةً بَرَاها بِحِدَّتِهِ[5]، وَنَفَذَ فيها بِصَرَامَتِهِ، وَبَلَغَ إلى الكَاهِلِ فَصَوَّتَ فِيهِ، وَتَخَطَّى الهامَةَ بِقُرْبِها[6] إِلَيْهِ.

٣٩ ـ وَلَيْسَ بأَوَّلِ ذي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِما لَيْسَ بالنَّائِلِ

يَقُولُ[7]: إنَّ هذا الخَارِجِيَّ لَيْسَ فيما حَاوَلَهُ من مُعَارَضَةِ سَيْفِ الدَّولةِ، بأَوَّلِ مَنْ هَمَّ بما يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، ورَامَ ما لا يَجِدُ سَبيلاً إليه.

٤٠ ـ يُشَمِّرُ لِلُّجِّ[8] عَنْ سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ المَوْجُ في السَّاحِلِ

يَقُولُ[9]: إنَّه فيما يَتعاطاهُ[10] من مُقَاوَمةِ جُمْلَةِ جُيوشِهِ، وَعَجْزِهِ عن أَقَلِّها، وما رَامَهُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِشِدَّةِ عزائِمِهِ، وَهَلاَكِهِ بأَيْسَرِها، كَمَن يُريدُ أن

---

(١) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «الآ».
(٢) في ت «الحرب».
(٣) في ر، ف «الحائل».
(٤) «الكاهل... الظهر» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «لحدته».
(٦) في ل «بفريها».
(٧) في ر، ف «ثم قال».
(٨) اللُّجُّ: معظم الماء.
(٩) زيادة في ر، ف.
(١٠) في ر، ف «تعاطاه».

يَخُوضَ لُجَّةَ البَحْرِ، وَيَضْعُفُ عن الوقُوفِ في شَطِّهِ، ويُرِيدُ اقتِحامَ مُعْظَمِهِ، والموجُ يَغْمُرهُ في سَاحِلِهِ، فَيَتعرَّضُ للصَّعْبِ الكَبِيرِ، وهو يَعْجَزُ عن السَّهْلِ الحَقيرِ.

٤١ ـ أمـا لِـلخَـلافَـةِ مـن مُـشْـفِـقٍ عـلى سَيْفِ دَوْلَتِهـا الفَـاصِـلِ[١]

٤٢ ـ يَـقُـدُّ عِـدَاهـا بـلا ضَـارِبٍ وَيَسْرِي إلـيـهـمْ بِـلاَ حَـامِـلِ

يقولُ[٢]: أَمَا لِلْخِلافَةِ من ضَنِينٍ بِسَيْفِ دَوْلَتِها، ومُشْفِقٍ على حَائِطِ جُمْلَتِها، الذي قد بَانَ فَضْلُهُ، وارتُضِيَ[٣] سَعْيُهُ، فهو يَقُدُّ أعداءَهَا دونَ ضَارِبٍ يُنْهِضُـهُ، ويَسْري إِلَيْهم دونَ حَامِلٍ يَنْقُلُه، فإذا[٤] افتَقَرَ السَّيفُ إلى مَنْ يَضْرِبُ بهِ، كانَ هو[٥] مُنْفَرِداً بِفِعْلِهِ، وإذا التَجأَ إلى مَنْ يَحْمِلُه، كانَ هو[٦] مُكْتَفِياً[٧] بِنَفْسِهِ.

٤٣ ـ تَـرَكْـتَ جَمَـاجِمَـهُـمْ في الـنَّـقَـا[٨] وَمَـا يَـتَـحَـصَّـلْنَ[٩] لِـلـنَّـاخِـلِ

النَّقَا: الكَثيبُ من الرَّمْلِ[١٠].

(١) في رواية الواحدي والتبيان «الفاصل» بالصاد.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) في ف «أرضي».
(٤) في ل «إذا».
(٥) ساقطة من ل وت.
(٦) ساقطة من ت.
(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «مُسْتَكفياً».
(٨) في ر، ف «الوغى».
(٩) في رواية التبيان «يتخلَّصن».
(١٠) «النقا... الرمل» زيادة في ل.

فَيقولُ[1] : تَرَكْتَ جَماجِمَ أَصْحَابِ الخَارِجيِّ في النَّقَا، وقد فَارَقَتْ أَجْسَادَهُم، بَعْدَ أن أَوْقَعْتَ بِهَا مِنَ الضَّرْبِ ما هَشَّمَها، وَدَقَّقَ أَجْزاءَها، حَتَّى التَبَسَتْ بالرَّمْلِ، ولم تَتَحصَّلْ لِنَاخِلِها،[2] ولا انفصَلَتْ لِـمُتَأَمِّلِها.

٤٤ ـ وأَنبَتَّ مِنْهُم رَبِيعَ السِّبَاعِ فَأَثْنَتْ بإِحسَانِكَ الشَّامِلِ

ثُمَّ قالَ: وأَنْبَتَّ من أَجسَادِهم[3] رَبيعَ السِّبَاعِ، فَأَخْصَبَتْ في لُحومِها، إِخْصَابَ السَّائِمَةِ في رَبِيْعِها، فَأَثْنَتْ بما عَمَّهَا مِنْ فَضْلِكَ، وَشَمِلَها مِنْ إِحسَانِكَ، وأَجْرَى أكثَرَ لَفْظِ هذا البَيْتِ على الاسْتِعارَةِ.

٤٥ ـ وعُدْتَ إلى حَلبٍ ظَافِراً كَعَوْدِ الحُلِيِّ إلى العَاطِلِ

ثُمَّ قالَ: وعُدْتَ إلى حَلَبَ مُسْتَقَرِّكَ ظَافِراً مُسْتَعْلِياً، فَحَلِيَتْ بَعْدَ العَطَلِ[4] بِعَوْدَتِكَ، وأَنِسَتْ بعد الوَحْشَةِ بأَوْبَتِك.

٤٦ ـ وَمِثْلُ الذي دُسْتَهُ حَافِياً يُؤَثِّرُ في قَدَمِ النَّاعِلِ

دُسْتُ الشيءَ: إذا وَطِئْتَهُ[5]

فيقولُ[6]: ومَثَلُ الذي أَدْرَكْتَهُ بِعفْوِكَ، وتناوَلْتَهُ بأَيْسَرِ سَعْيِكَ، يَعْجَزُ عَنْهُ غَيْرُكَ، وإنْ أَجْهَدَ فيه نَفْسَهُ، ويُقَصِّرُ عَنْهُ، وإن أَخَذَ لَهُ أُهْبَتَهُ، وكَنَى بالحَافِي عن المُسْتَرْسِلِ، وبالنَّاعِلِ عن[7] المُتَأَهِّبِ، وحَمَلَ الكلامَ على الاسْتِعَارَةِ.

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».
(٢) نَخَلَهُ يَنْخُلُه، وتَنَخَّلَهُ صَفّاه واختاره.
(٣) في ر، ف «أجسامهم».
(٤) عطت المرأة عَطَلاً وعطولاً وتَعَطَّلَتْ: إذا لم يكن عليها حُلِيّ.
(٥) «دست... وطئته» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم قال».
(٧) في ل «على».

٤٧ ـ وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَةُ الأَبْلَقِ الجَائِلِ

الشِّيَةُ: العَلاَمَةُ(١)

ثُمَّ قالَ: وكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ ذِكْرُهُ، ومن فِعْلٍ جَليلٍ قَدْرُهُ، قَدْ شَهَرَهُ كَرِيْمُ(٢) أَثَرِكَ، كما تَشْهَرُ الأَبْلَقَ الجَائِلَ(٣) شِيَتُهُ، وَتُبِيْنُهُ عَلاَمَتُهُ(٤).

٤٨ ـ وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى بَغِيضِ الحُضُورِ إلى الواغِلِ

الواغِلُ: الدَّاخِلُ على القومِ في طَعَامٍ أو شَرَابٍ دونَ أن يَدْعُوه(٥).

ثُمَّ قَالَ: وكَمْ لكَ من يَوْمٍ(٦) أَقَمْتَ فيهِ سوقَ الحَرْبِ، وتَنَازَعَ بَنُوهُ شَرَابَ الرَّدَى، وتعاطَوْا كُؤُوسَ الموتِ، فأَبْغَضَ حُضُورَهُ الوَاغِلُ فيه، وَتَكَرَّهَ شدَّتَهُ الصَّالي(٧) بِهِ، وجَرَى هذا الكلامُ على مِثْلِ ما تَقَدَّمَ من الاستِعارَةِ، وهي من أَبْوَابِ البديعِ.

٤٩ ـ تَفُكُّ العُنَاةَ وَتُغْنِي العُفَاةَ وَتَغْفِرُ لِلمُذْنِبِ الجَاهِلِ

العُنَاةُ: الأَسْرَى، والعُفَاةُ: السُّؤَّالُ(٨).

فيقول(٩): تَفُكُّ الأَسْرَى بِبَأْسِكَ، وَتُغْنِي السُّؤَّالَ بِكَرَمِكَ، وَتَغْفِرُ للجاهِلِينَ بِحِلْمِك.

---

(١) «الشيه: العلامة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «جميل»، وفي ت «كرمك».

(٣) البَلَقُ: سواد وبياض، أو كل لون فيه سواد وبياض ومن الخيل: ارتفاع التحجيل إلى الفخذين، والجائل: المتجول المتحرك.

(٤) في ت «كما شهر الأبلق الجائل شيته، وتَبَيَّنُ علامته».

(٥) «الواغل... يدعوه» زيادة في ل.

(٦) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «وكم من يوم لك».

(٧) الصَّالي: الذي يقاسي حرّ النار.

(٨) «العناة... السؤال» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال له».

٥٠ ـ فَهُنَّأَكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ   وأَرضَاهُ سَعْيُكَ في الآجِلِ

ثُمَّ قالَ[١]: فهنَّأَكَ اللَّهُ ما مَنَحَكَ مِنْ نَصْرِهِ، وَزادَكَ فيما آتاكَ مِنْ فَضْلِهِ، وَوَصَلَ ما وَهَبَ لك من ذلك في العَاجِلِ، بما يُرْضِيهِ من سَعْيِكَ في الآجِلِ.

٥١ ـ فَذِي الدَّارُ أَخْوَنُ من مُومِسٍ   وأَخْدَعُ من كِفَّةِ الحَابِلِ

وقَوْلُهُ: «فَذِي الدَّارُ أخونُ مِنْ مُومِسٍ»[٢]، ذي حَرْفٌ يُشَارُ به إلى المُؤَنَّثِ، كما يُشَارُ بذا إلى المُذَكَّرِ، والدَّارُ التي أَشَارَ إليها الدُّنيا، والمومِسُ: المرأةُ الفاجِرةُ، والحابِلُ: الصَّائِدُ، وَكِفَّتُهُ: حِبَالَتُه[٣]. فيقولُ: هذه الدُّنيا أخونُ من الفَاجِرةِ التي تَخْلِفُ من وَثِقَ بها، وأَخْدَعُ من الحِبالَةِ التي تَصْرَعُ مَنْ اطْمَأَنَّ إليها.

٥٢ ـ تَفَانَى الرِّجَالُ على حُبِّهَا   وَمَا يَحْصُلونَ على طَائِلِ

ثُمَّ قال: إنَّ الرِّجالَ[٤] قد تَفانَوا على حُبِّها، ولم يَحْصُلوا على طَائِلٍ من أَمْرِها[٥]، لأَنَّها تَأْخُذُ ما تُعْطِيهِ، وتَهْدِمُ ما تَبْنِيهِ، وتُمِرُّ بَعْدَ حَلاوتِها، وتَعْوَجُّ بَعْدَ اسْتِقَامَتِها، فَمَنْ عَرَفَها رَفَضَها، ومَنْ تَدَبَّرَها[٦] هَجَرَها.

(١) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٢) «وقوله... مومس» زيادة في ر، ف.

(٣) «والمومس... حبالته» زيادة في ل.

(٤) في ل «فالرجال».

(٥) في ت «من أمرها على طائل».

(٦) في ت «قدّرها».

وسارَ سَيفُ الدَّولةِ إلى المَوْصِلِ لِنُصْرَةِ أخيهِ الحَسَنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حَمْدانَ(١) لما قَصدَهُ مِنْ بَغْدَادَ أحْمَدُ بنُ بُوَيْـهِ الدَّيْلَميُّ، لِيَغْلِبَـهُ على أرْضِ المَوْصِلِ، فلما أحَسَّ(٢) الـدَّيْلَمِيُّ بإقْبَـالِ سَيْفِ الدَّولَـةِ، قَارَبَ الحسنَ بنَ عَبْدِ اللهِ، وأجَابَهُ إلى أنْ يَبْعَث إلى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ من خَرَاجِ المَوْصِـلِ بما جَرَت به عادَتُهُ بِبَعْثِهِ، وانصرَفِ عنه إلى بَغْدَادَ دون حَرْبٍ(٣). فقـالَ أبو الطَّيِّبِ في ذلكَ، أنْشَدَها في ذي القِعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وثَلاثِمائةٍ.

١ - أعْـلَى المَمالِـكِ ما يُبْنَى عـلى الأسَـلِ والـطَّعنُ عِنْـدَ مُحِبِّيهنَّ كـالقُبَـلِ

المَمالكُ: جَمْعُ مَمْلَكةٍ، وهي سُلْطَانُ المَلِكِ في رَعيَّتِهِ، والأَسَلُ: الرِّماحُ، والقُبَلُ جَمْعُ قُبْلةٍ(٤).

فيقولُ: أعْلَى الممالِكِ رُتْبَـةً، وأظْهَرُهـا رِفْعَةٍ، مـا بُني على الحَـرْبِ، ودُفِعَ(٥) عَنْهُ بالطَّعْنِ والضَّربِ، وأشارَ بالأَسَلِ إلى هذه العِبارةِ، وما يَكونُ الـطَّعنُ عِنْدَ مـالِكِه، والقِتَالُ عِنْدَ مُحِبِّـهِ(٦) كالقُبَـلِ(٧) المُسْتَعْذَبَةِ، واللذَّاتِ المُغْتَنَمَةِ.

٢ - ومـا تَـقِـرُّ سيـوفٌ في مَمَـالِكِهـا حَتَّى تَقَلْقَلَ دَهْـراً قَبْـلُ في القُلَلِ

(١) «بن عبدالله بن حمدان» ساقطة من ر، ف.

(٢) في ف «حس».

(٣) «قارب... حرب» زيادة في ل، وفي ر، ف «فلما أحسَّ... بارد الحسن الصابر وكف». وبارد: تحريف بادر.

(٤) «المهالك... قبله» زيادة في ل.

(٥) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «دوفع».

(٦) كذا في ر، ف، ت وفي ل «مُحِبِّيه».

(٧) في ت «إلا كالقبل».



التَّقَلْقُلُ: دَوامُ الحرَكَةِ، والقُلَلُ: الرُّؤوسُ، واحِدَتُها قُلَّةٌ، وقُلَّةُ كُلِّ شيءٍ: أَعْلاهُ[1].

ثُمَّ قالَ: وما تَقَرُّ سيوفٌ في دُوَلِها، وتَسْكُنُ في مَمالِكها، حَتَّى تَطُولَ[2] حَرَكتُها في ضَرْبِ رؤوسِ المُخالِفينَ، وتَشْهَرَ[3] آثارُها في قَمْعِ المُعْتَرِضينَ، فحِينَئذٍ تَنُوبُ رَهْبَتُها عن استِلالِها، وتُغْني هَيْبَتُها عن استِعْمالِها، وأَشارَ بذلكَ إلى انصِرافِ الدَّيْلَميِّ دونَ حَرْبٍ، تَهَيُّباً[4] لِسَيْفِ الدَّولةِ.

٣ ـ مِثْلُ الأَميرِ بَغَى أَمْراً فَقَرَّبَهُ طُولُ الرِّماحِ وَأَيْدِي الخيلِ والإبِلِ

يَقولُ، مُصَدِّقاً لما شَرَطَهُ، ومُحَقِقاً لما ذَكَرَهُ: مِثْلُ الأميرِ سَيْفِ الدَّولةِ بَغَى حِمايَةَ المَوْصِلِ، ودَفْعَ الدَّيْلَمِيِّ عنها، فَقَرَّبَ[5] لَهُ ذلكَ طُولُ رِماحِهِ في وقائِعِهِ، وإِسْرَاعُ خَيْلِهِ وإبلِهِ إلى أَعَادِيهِ[6].

٤ ـ وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا[7] هِمَّةٌ زُحَلٌ مِنْ تَحْتِها بِمَكانِ التُّرْبِ من زُحَلِ

ثُمَّ قالَ: وَعَزْمَةٌ اسْتَعْمَلَهَا نافِذَةٌ، بَعَثَتْها مِنْهُ[8] هِمَّةٌ عاليةٌ، يَتَواضَعُ زُحَلُ عن عُلُوِّ مَوْضِعِها، كَتَواضُعِ التُّرْبِ عن عُلُوِّ مَوْضِعِهِ.

٥ ـ على الفُراتِ أَعاصيرٌ وفي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى النَّصرِ مُقْتَبَلِ

---

(١) «التقلقل... أعلاه» زيادة في ل.

(٢) في ت «تكون».

(٣) في ر، ف «ويشتهر» وفي ت «وتشتهر».

(٤) في ت «هيبة».

(٥) في ف «فقر».

(٦) في ت «عادته».

(٧) في ر، ف «بغتتها».

(٨) كذا في ل، ت وساقطة من ر، ف.

الفُراتُ: نَهْرٌ معروفٌ، والأعاصِيْرُ: الـرِّياحُ الكثيـرةُ الغُبَارِ، واحِـدُها إعْصَارٌ، والمُقْتَبَلُ: الذي تَناهى شَبَابُهُ، ولا أَثَرَ فيه للكِبَرِ[1].

فَيَقولُ[2]: إنَّ على الفُراتِ، وهو في حدودِ أَعْمَالِ الدَّيْلَميِّ، غَبَراتٍ من العَجاجِ، تُثيْرُها كَتَائِبُ سيفِ الدَّولةِ، وفي حَلَبَ، دارِ مُسْتَقَـرِّهِ من الشَّامِ[3] تَـوَحُّشٌ منها[4] لِمَلِكٍ، قـد عَوَّدَهُ اللَّهُ الـظهورَ عـلى أَعَادِيه، وَلَقَّاهُ النَّصْرَ في مَقَاصِدِه، مُقْتَبَلٍ[5] في شَبِيْبَتِهِ[6]، مُتَنَاهٍ في قُوَّتِهِ.

٦ - تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الكُتُبَ التي نَفَـذَتْ[7] وَيَجْعَـلُ الخيـلَ أَبْـدالاً من الـرُّسـلِ

ثُمَّ قَالَ: مُشِيراً إلى أَمْرِ الدَّيْلَمِيِّ: يُنْذِرُ أعَادِيهِ بِكُتُبِهِ، ويُعْذِرُ إليهم برُسُلِهِ، فإذا قامَتْ حُجَّتُهُ عَلَيْهم، تَلَتْ أَسِنَّتُهُ كُتُبَهُ، وعاقَبَتْ خُيولُهُ رُسُلَهُ، وكان إيقاعُهُ بهم، بَدَلاً من تَحْذِيره لهم.

٧ - يَلْقَى الملوكَ فـلاَ يَلْقَى سِـوَى جَـزَرٍ وما أَعَدُّوا[8] فـلا يَلْقَى سوى نَفَـلِ

النَّفَلُ: الغَنِيْمَةُ[9].

فَيَقولُ[10]: إنَّ سَيْفَ الدولةِ يَلْقَى الملوكَ إذا خَالَفَتْهُ، فلا[11] يَلْقَى مِنْها

(١) «الفرات... للكبر» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) «من الشام» ساقطة من ت.
(٤) في ت «وحشة لملك»
(٥) في ل «ومقتبل» وفي ت «مقتبلاً».
(٦) في ر «شيبته».
(٧) في ر، ف «وردت».
(٨) في ف «أعادوا».
(٩) «النفل: الغنيمة» زيادة في ل.
(١٠) في ر، ف «ثم قال».
(١١) في ر، ف «فيا».

إلا جَزَرَ سُيوفِهِ، وما أَعَدُّوه (١) من سِلاحِهم وآلاتِهِمْ، فلا يَلْقَى إلا غَنائِمَ جُيوشِهِ، لما عوَّدَهُ اللَّهُ من الظُّهورِ عليهم، والنِّكايَةِ فيهم.

٨ ـ صَانَ الخَلِيفَةُ بالأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ   صِيَانَةَ الذَّكَرِ الهِنْدِيِّ بالخِلَلِ

الخِلَلُ: جُلودُ جُفونِ السُّيوفِ، واحِدَتُها خِلَّةٌ، والخِلَّةُ: كلُّ جِلدٍ مَنْقوشٍ (٢).

ثمَّ قالَ: إنَّ الخليفةَ لَّما عَلِمَ أنه (٣) سَيْفُهُ الذي يَسْطو به، صَانَهُ بالأَبْطَالِ الذين (٤) أَثْبَتَهُمْ في رَسْمِهِ، والحُمَاةِ الذين جَرَّدَهُمْ (٥) لحِفْظِهِ، كما يُصَانُ السَّيفُ الكَرِيْمُ بالجُفُونِ التي يَنْتَقِلُ فيها، والأَغْمَادِ التي يُحْفَظُ بها (٦)، وجَعَلَ هذا الوَصْفَ إشارةً لما شَرَّفَهُ به الخَلِيْفَةُ من تَلْقِيبِهِ بِسَيْفِ الدَّولةِ.

٩ ـ الفَاعِلُ الفِعْلَ لم يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ   والقَائِلُ القولَ لم يُتْرَكْ ولم يُقَلِ

يَقولُ (٧): إنَّ سَيْفَ الدولةِ يَفْعَلُ الذي قَصَّرَ عَنْهُ الفاعِلونَ لِشِدَّتِهِ، وعِظَمِ شأْنِهِ في حَقيقَتِهِ، ويَقولُ القولَ (٨) الذي عَجَزَ القائِلونَ عَنْهُ قَبْلَهُ (٩)، فلم يَقْدِرُوا على مِثْلِهِ، ولا قَصَدُوا إلى تَرْكِهِ.

١٠ ـ والباعِثُ الجيشَ قد غَالَتْ عَجَاجَتُهُ   ضَوْءَ النَّهارِ فَصارَ الظُّهْرُ كالطَّفَلِ

---

(١) كذا في ر، ف، ت وفي ل «أعدوا».

(٢) «الخلل... منقوش» زيادة في ل.

(٣) في ت «أن» ومطموسة في ل.

(٤) في ر، ف «الذي».

(٥) في ت «اختارهم».

(٦) في ت «كما يصان السيف الكريم بالأغماد التي يتخلل فيها والجفون التي يحفظ بها».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) «القول» ساقطة من ر، ف.

(٩) كذا في ر، ف، ت وساقطة من ل.

الغَوْلُ: الإهلاكُ، والطَّفَلُ: وَقْتُ المسَاءِ[1].

ثمَّ قَالَ: وهو البَاعِثُ الجيشَ الشَّدِيدَ بأسُهُ، الكثيرَ عَدَدُهُ، الذي تَذْهَبُ[2] عَجَاجَتُهُ بِضَوْءِ النَّهَارِ، وتَطْمِسُ إشْرَاقَ الشَّمْسِ في وقتِ الظُّهْرِ، حَتَّى تَصِيْرَ[3] على مِثْلِ حالِها في وَقْتِ الغُروبِ، وأشارَ بذلك إلى عِظَمِ الجَيْشِ.

١١ ـ الجـوُّ أَضْيَقُ ما لاَقَاهُ سَاطِعُها   وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيْهِ أَحْيَرُ المُقَلِ

الجوُّ: ما بَعُدَ من الهواءِ، والسَّاطِعُ: المُنْتَشِرُ[4].

فَيقولُ: إنَّ ما بَعُدَ من الهواءِ أَضْيَقُ بساطِعِ هذا الرَّهجِ مما قَرُبَ؛ لأنَّ فيما بَعُدَ تَجْتَمِعُ جُمْلَتُهُ، وتَتَوافى[5] كَثْرَتُهُ، وما قَرُبَ فإنما يَرُدُّه الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيء، فيتخَلَّى[6] مِنْهُ، ولا يَجْتَمِعُ فيهِ، وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ أَحْيَرُ المُقَلِ بهِ؛ لقُرْبِها مِنْ مُسْتَقَرِّهِ، ودُنوِّها[7] من مُجْتَمَعِهِ.

١٢ ـ يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وهيَ نَاظِرَةٌ   فَما تُقَابِلُهُ إلاَّ عَلَى وَجَلِ

ثمَّ قَالَ: إنَّ هذا العَجَاجَ بتَتَابُعِهِ، واتِّصالِهِ وتَرادُفِهِ، يَعْلو على

(١) «الغول... المساء» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «يذهب».

(٣) في ر، ف «ويطمس إشراق الشمس حتى تصير الشمس في وقت الظهر».

في ت «تذهب عجاجته بضوء الشمس، وتطمس إشراقها حتى تصير في وقت الظهيرة».

(٤) «الجو... المنتشر»، زيادة في ل.

(٥) في ت «تتراقى» وفي ر، ف «يتوافى».

(٦) في ت «فينجلي».

(٧) في ف «ودونها».



الشَّمسِ مَعَ ارتفاعِ مَوْضِعِها، وهي ناظِرَةٌ إليه، غَيْرُ مُساوِيةٍ في العُلُوِّ لَهُ[1]، فَتُقَابِلُهُ وَجِلَةً[2] من ذَهَابِهِ بنورِهَا، وتلاحِظُهُ مُشْفِقَةً من اسْتِيلائِهِ على ضَوْئِها، وأشَارَ بما وَصَفَ[3] من كَثْرَةِ هذا العَجَاجِ إلى كَثْرَةِ الجَيْشِ الذي يُثِيرُهُ، وَعِظَمِ الجَمْعِ الذي يَبْعَثُهُ[4].

١٣ ـ قَدْ عَرَّضَ السيفَ دونَ النَّازلاتِ به وظَاهَرَ الحَزْمَ بَيْنَ النَّفسِ والغِيَلِ

المُظَاهَرَةُ: المُعاوَنَةُ، والغِيَلُ: جَمْعُ غِيْلَةٍ: وهي قَتْلُ الخَدِيْعَةِ[5].

فيقول[6] قد عَرَّضَ السَّيفَ دونَ ما يَنْزِلُ به، وجرَّدَهُ فيما يَحْدُثُ عَلَيْهِ، واسْتَعَانَ بالحَزْمِ في دَفعِ الغِيَلِ عن نَفْسِهِ، وأَقَامَهُ حَاجزاً بينَها وَبَيْنَهُ[7].

١٤ ـ وَوَكَّلَ الظَّنَّ بالأَسْرَارِ فانْكَشَفَتْ لَهُ ضَمائِرُ[8] أَهْلِ السَّهْلِ والجَبَلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّه[9] وكَّلَ صَادِقَ ظَنِّهِ بما يَطْويه أَهْلُ السَّهْلِ والجَبَلِ دُونَهُ، فَعَلِمَ ما أسرُّوهُ، وانكَشَفَ لَهُ ما أَضْمَروه، وكذلِكَ الأَلْمَعِيُّ، وهو الحَاذِقُ بالأُمورِ، يُصِيبُ بِظَنِّهِ، حَتَّى كأَنَّهُ مُبْصِرٌ لما غَابَ عَنْهُ، ويَعْلَمُ بِتَقْدِيْرِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ شَاهِدٌ[10] لما بَعُدَ منهُ.

---

(١) «له» ساقطة من ل.

(٢) في ف «فيها بله وحله».

(٣) في ر، ف «وصفه».

(٤) في ر، ف «يتبعه».

(٥) «المظاهرة... الخديعة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «منها ومنه» وفي ت «بينهما».

(٨) في ر، ف «سرائر».

(٩) «ثم قال إنه» زيادة من ر، ف وفي ل «ووكل».

(١٠) كذا في ل، ت وفي ر، ف «سامع».

١٥ ـ هـو الشُّجَاعُ يَعُـدُّ البُخْـلَ من جُبْنٍ   هــو الجَـوادُ يَعُــدُّ الجُبْنَ من بَخَـلِ

البُخْلُ والبَخَلُ: لُغَتَانِ، والإغذَاذُ: الإسراعُ في السّيرِ[1].

فيقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ الشُّجَاعُ المُتَناهي في الشَّجَاعَـةِ، فالبُخْـلُ عِنْدَهُ بابٌ من الجُبْنِ؛ لأنَّ مَنْ سَمَحَ بِنَفْسِهِ لم يَبْخَلْ بكرائمِ مَالِهِ، وهو الجَوَادُ المُتَناهي الجُودِ[2]، والجُودُ بالنَّفسِ غَايَةُ الجُودِ، ومَنْ جَادَ بِنَفْسِه لم يَجْبُنْ عن عَدوِّهِ، ومَنْ كَانَ كـذلكَ، فـالجُبْنُ عِنْدَه بَـابٌ من البُخْلِ، فَـدَلَّ على أنَّ الشَّجَاعَةَ والجُودَ من طريقٍ واحدٍ، وأَجْمَلَ ما فَسَّرَهُ أبو تَمَّامٍ بقولِهِ[3]:

وإذا[4] رأيـتَ أبـا يـزيـدِ في وغـىً   ونـدًى[5] ومُبْـدِيءَ غـارةٍ ومُعِـيْـدا
يَقْـري مُـرَجِّيـه حَشَـاشـةَ مـالِـهِ   وشَـبَـا الأسِـنَّـةِ ثُـغْـرَةً وَوَرِيْـدا
أيقَنْـتَ أنَّ مِنَ السَّمَـاحِ شَجَـاعَـةً   وَعَلِمْتَ[6] أنَّ من الشَّجـاعـةِ جـودا

فبيَّنَ أبو تمامٍ وفَسَّرَ، وجَمَعَ أبو الطَّيِّبِ واختَصَرَ.

١٦ ـ يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْـحٍ غَـيْرَ مُفْتَخِـرٍ   وقَـدْ أغَذَّ إليـهِ غَـيْرَ مُحتَـفِـلِ

ثُمَّ قَالَ: إنَّه يَفْتَحُ الفتوحَ العَظيمةَ فلا يَفْخَرُ بها، ويُسْرِعُ إليها ولا[7] يَحْتَفِلُ بها[8]، اسْتِقْلالاً لِعَظِيمِ[9] ما يَفْعَلُه، وارتِفاعَاً عن تَهَيُّبِ[10] ما[11] يَقْصِدُه.

(١) «البخل... الدولة» زيادة في ل وفي ر، ف «ثم قال إنه».
(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «في الجود».
(٣) ديوانه: ١/ ٤١٨.
(٤) في ف «وإن».
(٥) في ديوانه «ندى ووغى».
(٦) كذا في جميع النسخ وفي الديوان «تدمى وأن».
(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «فلا».
(٨) في ل «لها».
(٩) في ت «لعظم»
(١٠) في ت «نهب»
(١١) في ت «من».

١٧ ـ ولا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بِغْيَتَهُ ولا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ البَطَلِ

يقولُ[١]: إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ[٢] قد قَرَنَ بِسَيْفِ الدَّولةِ مِنْ نَصْرِهِ[٣]، وَأَمَدَّهُ مِنْ عَوْنِهِ، بما لا يَمْنَعُهُ الدَّهرُ مَعَهُ من بِغْيَةٍ، ولا يُجِيرُ عليه مَن اعْتَقَدَ له مَعْصِيَةً، ولا تُحَصِّنُ الدِّرعُ دُونَهُ مُهْجَةَ البَطَلِ إذا خالَفَهُ، ولا تَعْصِمُهُ من الهَلاكِ إذا أَرادَهُ.

١٨ ـ إذا خَلَعْتُ على عِرْضٍ لَهُ حُلَلاً وَجَدْتُها مِنْهُ في أَبْهَى مِنَ الحُلَلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ[٤] إذا خَلَعَ عليهِ حُلَّةً مِنْ شِعْرِهِ، وأَلْبَسَهُ ثوباً مِنْ مَدْحِهِ، وَجَدَ تلك الحُلَّةَ مُتَزَيِّنَةً بِفَضْلِهِ، وذلكَ المدحَ مُتَشَرِّفاً بِقَدْرِهِ، فهو يَرْفَعُ الشِّعْرَ فَوْقَ رِفْعَتِهِ له، وَيَزِينُ المدحَ أكثَرَ من تَزَيُّنِهِ به.

١٩ ـ بذي الغَبَاوَةِ من إنشادِهَا ضَرَرٌ كما تُضِرُّ رياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ ذا الغَبَاوَةِ، وهو الجَاهِلُ، إذا أُنْشِدَ ما يَمْدَحُهُ[٥] بِهِ، وأُسْمِعَ ما يَنْظِمُهُ فيه، بَعُدَ على فَهْمِهُ، وأَثَّرَ ذلكَ في نَفْسِهِ، وانكشَفَ لَهُ قَدْرُ تَقْصِيرِهِ، واسْتَضرَّ بِحسنِ قَوْلِهِ، وبَديعِ شِعْرِهِ، كما يَسْتَضِرُّ الجُعَلُ[٦] برياحِ الوَرْدِ، التي تُؤْذِيه بِطِيْبِها، وتَقْتُلُهُ بِمُضادَّتِهِ لها.

٢٠ ـ لَقَدْ رَأَتْ كلُّ عَينٍ مِنْكَ مالِئَهَا وَجرَّبَتْ[٧] خيرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّولِ

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) «عز وجل» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «قرن من نصره لسيف الدولة».
(٤) زيادة في ل
(٥) في ر، ف «تمدحه».
(٦) الجُعَل: دويبة سوداء معروفة تأوي في النجاسات.
(٧) في ر، ف «وقلّبت».

يُقَالُ: خَيْرٌ وخَيِّرٌ وخَيِّرَةٌ وخَيْرَةٌ، كُلُّ ذلك بِمَعْنًى واحدٍ، قالَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ»[1] بِمَعْنَى خَيِّراتٍ[2].

فيقولُ[3]: لَقَدْ رأَتْ كُلُّ عَيْنٍ من جَمَالِكَ ما بَهَرَها[4]، ومن جَلاَلَتِكَ[5] ما مَلأَها، وَجَرَّبَتْ خَيْرَةُ الدُّولِ، أي: أَفْضَلُ الدُّولِ، منكَ أَفْضَلَ السُّيوفِ.

٢١ ـ فَما تُكَشِّفُكَ الأَعْداءُ عن مَلَلٍ   مِنَ الحُرُوبِ ولا الآراءُ عن زَلَلِ

ثُمَّ قالَ: فما كَشفَتِ الأَعْدَاءُ مِنْكَ، بِطُولِ مُمارسَتِها، مَلَلاً في حَرْبِهَا، ولا أَبْدَتِ الآراءُ مِنكَ، مَعَ تَزَاحُمِها عَلَيْكَ، زَلَلاً في تَناوُلِها[6].

٢٢ ـ وَكَمْ رِجَالٍ بِلا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهم   تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضاً بِلا رَجُلِ

يَقولُ[7]: وكَمْ جَمْعٍ جَمَعَهُ الأَعْداءُ لَكَ، تَغِيبُ الأَرْضُ مَعَ كَثْرَةِ رِجَالِهِ، وَتَخْفَى عَنِ[8] الأَبْصَارِ بِتَزَاحُمِ جُمُوعِهِ، حَتَّى كأَنَّهُمْ رِجالٌ دونَ أرضٍ، أَفْنَيْتَ أَعْدَادَهُم، وقَتَلْتَ جَمْعَهُم[9]، وتَركْتَ مَوْضِعَهم أَرْضاً دونَ رِجَالٍ.

٢٣ ـ مَازَالَ طِرْفُكَ يجري[10] في دِمَائِهِمُ   حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ

---

(١) سورة الرحمن آية ٧٠.

(٢) «يقال... خيرات» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يبهرها».

(٥) في ت «جلالك».

(٦) «في تناولها» ساقطة من ف، وفي ت «ولا أبدت الآراء منك زللاً مع تزاحمها».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «على».

(٩) في ر، ف «جميعهم».

(١٠) كذا في ر، ف، ت، والواحدي، وفي ل «يمشي».

الطِّرْفُ: الفَرَسُ الكريمُ، والثَّمَلُ: السُّكْرُ [1].

ثُمَّ قالَ: مازالَ طِرْفُكَ يَطَأُ[2] دِمَاءَهم، ويَقْتَحِمُ[3] مُعْتَرَكَهُمْ[4]، حَتَّى أَزْلَقَتْهُ الدِّماءُ بِكَثْرَتِهَا، فَمَشَى مَشْيَ الشَّاربِ السَّكْرَانِ، الذي لا يَثْبُتُ بِنَفْسِهِ، ولا يَطْمَئِنُّ في مَشْيِهِ.

٢٤ ـ يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمَ النَّاظِرَيْنِ[5] لَـهُ ... فيما يَرَاهُ وَحُكْمُ القَلْبِ[6] في الجَذَلِ

يَقولُ: يا[7] مَنْ يَسِيرُ، ولَهُ حُكْمُ ناظِرَيْهِ في ألاَّ[7] يُرِيَهُما اللَّهُ إلاَّ ما يَسُرُّهُ، وحُكْمُ نَفْسِهِ في ألاَّ يُعَرِّفَها[8] اللَّهُ إلاَّ ما يُجْذِلُهُ، والجَذَلُ: الفَرَحُ[9].

٢٥ ـ إنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُه ... وُفِّقْتَ مُرْتَحِلاً أو غَيْرَ مُرْتَحِلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ السَّعَادَةَ فيما يَقْضِي به اللَّهُ لَكَ، والتَّوفيقَ فيما تُمْضِي عَلَيه فِعْلَكَ، مُقِيماً كُنْتَ أو ظَاعِناً، مُسْتَقِرّاً أو رَاحِلاً، وأَشَارَ بهذا إلى انْصِرافِهِ عن الدَّيْلَمِيِّ، وقالَ إنَّ الذي فَعَلَهُ اللهُ لَكَ من المُوادَعَةِ التي اختارَها مُحارِبُكَ، قد جَعَلَ لكَ فيه السَّعَادَةَ، وَقَرَنَ لك به الخِيْرَةَ[10].

(١) «الطرف.... السُّكر» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف، ت «يطأ في»، ومطأ فعل متعدٍ بنفسه

(٣) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «يقتحم في» والفعل متعد بنفسه وبحرف الجر.

(٤) في ر، ف، ت «معركتهم».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «النَّاظِرِين»: جماعة النظار إليه. والناظران: عينا الممدوح، ولا ينبغي أن يعدل عن هذه الرواية كما يقول الخطيب التبريزي؛ لأن قوله «وحكم القلب» يشهد أن الناظرين عينا الممدوح. (التبيان ٤١/٣).

(٦) في ر، ف «النفس».

(٧) في ف «وَيَا».

(٨) في ت «يعرّفه».

(٩) «الجذل: الفرح» زيادة في ل.

(١٠) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «الخير».

٢٦ - أَجْرِ الجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيَهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلاَقِكَ الأُوَلِ

يَقُولُ(١): أَجْرِ خَيْلَكَ على ما كُنْتَ تُجْرِيها عَلَيْهِ، من غَزْوِ الرُّومِ، وحمايَةِ الثَّغْرِ، فَقَدْ كَفاكَ اللَّهُ ما كُنْتَ تَحْذَرُهُ على أخيكَ من الدَّيْلَمِيِّ، وخُذْ بِنَفْسِكَ مِنْ ذلكَ فيما تَقَدَّمَ من أَخْلاَقِكَ، وَشَهُرَ(٢) من مَذَاهِبك، واعدِلْ عن السِّلمِ إلى الحَرْبِ، وعن الدَّعَةِ إلى الجِهادِ.

٢٧ - يَنْظُرْنَ من مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَهَا قَرْعُ الفوارسِ بالعَسَّالةِ الذُّبُلِ

الأَحِجَّةُ: جَمْعُ حِجَاجٍ، وهو العَظْمُ الذي يُحِيطُ بالعينِ، والعسَّالةُ: الرِّماحُ التي تَهْتَزُّ لِطُولها، والذُّبُلُ: اليابِسَةُ(٣).

ثُمَّ وَصَفَ حالَ خَيْلِهِ في السَّبيلِ التي نَدَبَهُ إليها، فقال: يَنْظُرْنَ من مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَها قَرْعُ الفَوارسِ لها بالرِّماحِ في حِيْنِ الطِّرادِ، وأَشارَ بذلكَ إلى ما حَضَّهُ عليهِ من غَزْوِ الرُّومِ.

٢٨ - فلا هَجَمْتَ بِهَا إلاَّ عَلَى ظَفَرٍ ولا وَصَلْتَ بها إلاَّ إلى أَمَلٍ

ثُمَّ قالَ، داعياً له: فلا أَقْدَمكَ اللَّهُ إلاَّ على ظَفَرٍ يُظْهِرُكَ به على عَدوِّكَ، ولا أَوْصَلَكَ إلاَّ إلى أَمَلٍ(٤) يُقَرِّبُ لَكَ به مُرَادَك.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ت «شغر» وهو تحريف.

(٣) «الأحجة... اليابسة» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «إلا إلى ما يقرب».

وأمره سَيْفُ الدَّولةِ(١) بالَمسِيرِ مَعَهُ في هذه السَّفْرةِ فقالَ:

١ - سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ النُّوَّارُ(١) وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ المِقْدارُ(٢)

يَقُولُ: سِرْ، جَعَلَ اللَّهُ كلَّ مَحَلٍّ تَحُلُّه رَوْضَةً مُونِقَةً، وحَدِيْقَةً مُمْرِعَةً، وأَجْرَى المَقَاديرَ بما تُرِيدُهُ، وَأَنْفذَ أَحْكَامَهَا بما تُحِبُّه.

٢ - وإذا ارتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلاَمَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ(٣)

الدِّيمَةُ: السَّحابَةُ، والِمدْرَارُ: الغَزيرَةُ(٤).

ثُمَّ قَالَ: وإذا ارْتَحَلْتَ، فَصَحِبَكَ اللَّهُ بِسَلامَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ، وسَقَى بِلاَدَكَ كَيْفَ تَصَرَّفتَ.

٣ - وَصَدَرْتَ أَغْنَمَ صادرٍ عن مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الأَبْصَارُ(٥)

يقولُ(٦): وَرَجَعَكَ اللَّهُ أَظْفرَ رَاجِعٍ عَنْ مَقْصَدِهِ، وأَصْدَرَكَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عن مَوْرِدِهِ، عَزيزاً نَصْرُكَ، مُمْتَدَّةً الأَبْصَارُ نَحْوكَ.

٤ - وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ في العِدَى حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ

وأَرَاكَ دَهْرُكَ في عَدُوِّكَ ما تُحَاوِلُهُ من كَبْتِهِ، وَتَكَفَّلَ لكَ فيهِ بما تَتَمَنَّاهُ

---

(١) «سيف الدولة» ساقطة من ر، ف.

(٢) في رواية التبيان «سر حيث شئت يحلُّه النوار».

(٣) قال المبارك بن أحمد المستوفى ناقداً «ولو جعل المعنى آخر البيت الثاني تتمياً لنصف البيت الأول، وجعل معنى آخر البيت الأول مع أول البيت الثاني، أضاف كل بيت إلى ما يشاكله» (النظام ج ٢ ورقة ٧٠).

(٤) «الديمة... الغزيرة» زيادة في ل.

(٥) روى الواحدي والتبيان البيت الثالث رابعاً والرابع ثالثاً.
(انظر شرح الواحدي ٢/٤٠٦ والتبيان ٢/٨٦).

(٦) في ر، ف «ثم قال».

في[1] أمْرِهِ، حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ تَنْصُرُكَ، باعتِمَادِهَا لَهُ، وخُطُوبَهُ تُعينُكَ، في اغْتِرائِها بِهِ[2].

٥ ـ أَنْتَ الذي بَجِحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِه وتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الأَسْمَارُ

بَجِحَ الرَّجُلُ بالشَّيءِ: إذا كانَ يَهْذي به فَرحاً، والسَّمَرُ: حَدِيْثُ القَومِ بالليلِ[3].

فيقولُ[4]: أَنْتَ الذي كَلِفَ الزَّمانُ بِذِكْرِهِ، وَزُهِيَ بِمَوْضِعِهِ، وتَزَيَّنَ السَّمَرُ بِحَدِيْثِهِ، وحَسُنَ بما تَضَمَّنَهُ من خَبَرِهِ.

٦ ـ وإذَا تَنَكَّرَ فالفَنَاءُ عِقَابُهُ وإذا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الأَعْمَارُ

ثمَّ قالَ: وأَنْتَ[5] الذي يَقْتَرِنُ الفَنَاءُ بِعِقَابِهِ إذا غَضِبَ، وتُسْتَدامُ الحَيَاةُ بِعَفْوِهِ إذا رَضِيَ، فَسُخْطُهُ هُلْكٌ، ورِضَاهُ نَجاةٌ.

٧ ـ وَلَهُ وإنْ وَهَبَ المُلُوكُ مَوَاهِبٌ دَرُّ المُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ

الدَّرُّ: اللَّبَنُ الكثيرُ، والغُبْرُ: بَقِيَّةُ اللَّبنِ في الضَّرْعِ، وجَمْعُهُ أَغْبَارٌ[6].

فيقولُ[7]: إنَّ لِسَيفِ الدَّولَةِ[8]، إذا[9] تُذُوكِرتْ مَوَاهِبُ الملوكِ، مَوَاهِبَ

(١) في ر، ف «من».
(٢) في ر، ف «في اعتنائها به».
(٣) «بجح... بالليل» زيادة في ل.
(٤) في ف، ر «ثم قال».
(٥) «ثم قال وأنت» زيادة في ر، ف.
(٦) «الدَّر... أغبار» زيادة في ل.
(٧) في ر، ف «ثم قال».
(٨) في ر، ف «إن له».
(٩) ساقطة من ف.

عظيمةً، وعَطَايا جَليلةً، كثيرُ مَوَاهِبِ الملوكِ يَقِلُّ عِنْدَها، وعظيمُها يَصْغُرُ فيها، وَضَرَبَ الدُّرَّ[1] مثلاً للكَثِيرِ، والغُبْرَ[2] مثلاً للقَلِيلِ.

٨ - لِلَّهِ قَلْبُـكَ مـا يخـافُ من الـرَّدَى وتخـافُ[3] أنْ يَـدْنُـو إليـك العَـارُ

ثُمَّ قالَ: لِلَّهِ[4] قَلْبُك لا تَهابُ الموتَ وَسَطْوَتَهُ، ولا تَخَافُ الرَّدَى وَشِدَّتَه، وتَخَافُ دُنوَّ العَارِ إليكَ، وتُشْفِقُ من وَصْمَتِهِ، وتَتَوقَّعُ قُبْحَ[5] أُحدوثَتِهِ.

٩ - وَتَحِيدُ عن طَبَعِ[6] الخَلائِقِ كُلِّهِ وَيَحِيـدُ عَنْـكَ الجَحْفَـلُ الجَـرَّارُ

ثُمَّ قالَ: وتَحِيدُ عن جَميعِ ما يُدَنِّسُ الخَلْقَ وَيَعِيبُهُ، والجَحْفَلُ الجَرَّارُ يَحِيْدُ عَنْكَ، وذو[7] البأسِ الشَّديدِ يَفْرَقُ مِنْكَ.

١٠ - يـا مَنْ يَعِزُّ عَـلَى الأَعِـزَّةِ جَـارُهُ وَيَـذِلُّ في[8] سَـطَوَاتِـهِ الجَـبَّـارُ

---

(١) في ل «بالدر».

(٢) في ل «وبالغبر».

(٣) روي هذا البيت بروايات عدّة:

في ر، ف «تخاف... وتخاف».

وفي رواية الواحدي «ما يخاف... ويخاف».

وفي رواية التبيان «ما تخاف... ويخاف».

وفي رواية ابن المستوفى «لله درك ما تخاف... وتخاف».

(٤) في ر، ف «فلله».

(٥) في ر، ف «من قبح».

(٦) في ف «طلع».

والطَّبَعُ: الدَّنَسُ.

(٧) في ل «وذوا».

(٨) في ت «ويذل من».

يَقُولُ [1]: يا أَيُّها المَلِكُ الذي تَتواضَعُ الأَعِـزَّةُ لِجَارِهِ، وَتَذِلُّ المُلوكُ لأَمْرِهِ، وَتَعْتَرِفُ[2] لِجَلالَة قَدْرِهِ.

١١ ـ كُنْ حَيْثُ[3] شِئْتَ فـما تَحُولُ تَنُـوفَةٌ   دُونَ الـلِّقَـاءِ ولا يَـشُطُّ مَـزَارُ

التَّنُوفَةُ: الفَلاَةُ، ويَشِطُّ: يَبْعُدُ [4].

ثُمَّ قالَ[5]: كن كَيْفَ[6] شِئْتَ من الـظَّعْنِ والإقَـامَـةِ، والاسْتِقْـرارِ والرِّحْلَةِ، فما يَمْنَعُني الفَلَواتُ وَتَجَشُّمُهَا من لِقَائِك، ولا يَعُوقُني بُعْدُ المَزارِ، ونَأْيُ المَقْصِد عن صُحْبَتِكَ.

١٢ ـ وَبِـدُونِ مَـا أَنَـا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِـرٌ   يُـنْضَى المَـطِيُّ وَيَقْـرُبُ المُسْـتَـارُ

المُسْتَارُ: مَوْضِعُ المَسِيْرِ[7].

ثُمَّ قَالَ: وبدونِ ما أُضْمِرُهُ من وُدِّكَ، وأعتَرِفُ به من فَضْلِكَ، يَهُونُ الشَّدِيدُ، وَيُسْتَقْرَبُ البَعِيدُ، ويُنْضَى المَطِيُّ، ويُهْجَرُ الوَطَنُ، ويُسْتَسْهَلُ السَّفَرُ، فكيفَ أَمْتَنِعُ مِنْكَ أو[8] أَتَأَخَّرُ على حَالٍ عَنْكَ؟

١٣ ـ إِنَّ الَّـذي خَلَّفْتُ خَـلْفي ضَـائِـعٌ   مَـا لِي عَـلَى قَـلَقِي إليـه خِـيَـارُ

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «يتواضع... ويذل... ويعترف».

(٣) في ر، ف «كيف».

(٤) التنوفة... يبعد» زيادة في ل.

(٥) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٦) في ر «كن كما».

(٧) «المستار... المسير» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «وأتأخر».

يقولُ[1]: إنَّ الذي خَلَّفْتُ مِمَّن يُهِمُّني أَمْرُهُ، وَيَلْزَمُني حِفْظُهُ، ضَائِعٌ بِغَيْبَتي، مُخْتَلٌّ بِمُفارَقَتي، وما لي على قَلَقِي إليه خِيارٌ أُوْثِرُهُ، ولا مُرادٌ اقْصِدُهُ.

١٤ ـ وإذا صُحِبْتَ فَكُلُّ مَاءٍ مَشْرَبٌ   لولا العِيَالُ وكُلُّ أرضٍ دَارُ

ثُمَّ يقولُ[2]: وإذا صَحِبْتُكَ فَكُلُّ ماءٍ أَنْزِلُ بهِ مَشْرَبٌ اسْتَعْذِبُهُ، وكُلُّ أرضٍ أَسِيرُ[3] فيها وَطَنٌ أَتَخَيَّرُهُ، لولا العِيَالُ وَضَيْعَتُهُم، والأَهْلُ وَخَلَّتُهُم.

١٥ ـ إذْنُ الأمِيرِ بِأَنْ أعُودَ إليهِمُ   صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الأَشْعَارُ

ثُمَّ قَالَ: وإذْنُ الأميرِ في أن أعودَ إلَيْهم، وإسْعَافُهُ في أن أُشْرِفَ عَلَيْهم، صِلَةٌ تَسيرُ الأَشْعَارُ بِشُكْرِها، [4]وتَتَقَيَّدُ بما يَضَعُ عِنْدي من فَضْلِها.

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) «ثم يقول» زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «أصير».

(٤) الواو ساقطة من ر، ف.

- ٨ -

وقالَ يَرْثِي أَبَا الهيجاءِ عَبْدَاللهِ بنَ سَيْفِ الدَّولةِ، وَتوفي بِمَيَّا فَارِقِيْنَ*.

أنشَدَها في صَفرٍ سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثِيْنَ وثَلاثِمائةٍ.

١ - بِنَا[١] مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ ما بِكَ في الرَّمْلِ وَهَذا الذي يُضْنِي كَـذَاكَ الذي يُبْـلِي

يَقُولُ: بِنَا مِنَ السُّقْمِ بَعْـدَكَ، والأَسَفِ لِفَقْدِكَ، وَضَنَى الأَجْسَامِ لِمُصِيْبَتِكَ، وتَغَيُّرِهَا لِرَزِيَّتِكَ[٢]، وإِنْ كُنَّا على ظَاهِرِ الأَرضِ، كالـذي بكَ في بَاطِنِها، مِنْ بِلَى جِسْمِكَ، وتَغَيُّرِ التُّرْبِ لِحُسْنِكَ، وهذا الَّذي يُضْنِي أَجْسَامَنَا، كَذَاكَ الذي يَبْلى جِسْمَكَ.

٢ - كَـأَنَّكَ أَبْصَـرْتَ الَّذي بي فَخِفْتَـهُ[٣] إِذا عِشْتَ فاخْتَرْتَ الحِمامَ عَلَى الثُّكْلِ

الحِمَامُ: المَوْتُ، والثُّكْلُ: فَقْدُ الحَبيبِ[٤].

ثُمَّ قَالَ: كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الذي أَلْقَاهُ[٥] من الحُزْنِ عَلَيْكَ، وأُقَاسِيهِ من الوَجْدِ بِكَ، وَعَلِمتَ أن الدُّنيا مَجْبُولَةٌ على فَقْـدِ الأَحِبَّةِ، وإعـدامِ الأَعِزَّةِ، فآثَرْتَ المَوْتَ على الثُّكْلِ، واخْتَرتَ الحِمَامَ على الحُزْنِ.

٣ - تَـرَكْتَ خُـدُودَ الغَـانِيـاتِ وَفَـوْقَهـا دُمُوعُ تُذِيبُ الحُسْنَ في الأَعْيُنِ النُّجلِ

(*) أشهر مدينة بديار بكر وانظر التعريف بها ص ١٧٤
(١) في ف «بمنامنك».
(٢) في ر، ف «لرؤيتك».
(٣) في ر، ف «وعفته» وفي ت «وخفته».
(٤) «الحمام... الحبيب» زيادة في ل.
(٥) في ت «أبقاه» وهو تحريف.

يَقُولُ[1]: تَرَكْتَ خُدودَ الغَانياتِ مِنْ نَوادِبكَ، والْمُنَعَّماتِ من بَواكِيكَ، وفَوْقَها دُموعٌ مَسْفُوحةٌ عَلَيْكَ، مُنْهَمِلَةٌ لِمُصابِكَ، كَأَنَّها ذَوْبُ الحُسْنِ في العُيُونِ البَاكِياتِ بها، وَصَبَابَتُهُ في الجفونِ الْمُذْرِيةِ[2] لها.

٤ ـ تَبُلُّ الثَّرى سُوْداً مِنَ المِسْكِ وَحْدَهُ   وَقَدْ قَطَرَتْ[3] حُمْراً على الشَّعَرِ الجَثْلِ

الشَّعَرُ الجَثْلُ: الكَثيرُ الْمُلْتَفُّ، والعَيْنُ النَّجْلاءُ: الواسِعةُ الحَسَنَةُ، والجَمْعُ[4] نُجُل[5].

ثُمَّ قالَ: يَقْطُرُ من الجُفُونِ والخدودِ على الأَصْدَاغِ، وقد حَمَّرَها الدَّمُ، وَتَبُلُّ الأرضَ من الأصداغِ، وقد سَوَّدَها المِسْكُ. فأَشَارَ إلى حَالِ بَواكيهِ في النَّعيمِ والرِّفعةِ، وما هُنَّ بِسَبِيْلِهِ من حَرِّ الْمُصِيْبَةِ.

٥ ـ فَإنْ تَكُ في قَبْرٍ فإنَّكَ في الحَشَى   وإنْ تَكُ طِفْلاً فالأَسَى لَيْسَ بالطِّفْلِ

يَقُولُ[6]: فإنْ تَكُ في قَبْرٍ قد تَضَمَّنَكَ[7]، ولَحْدٍ قد سَتَرَكَ، فإنَّ مِثالَكَ في القَلْبِ ساكِنٌ، ومَحَلَّكَ في الحَشَا لَطِيفٌ، وإنْ تَكُ طِفْلاً في سِنِّكَ، وصَغِيراً فيما انصرَمَ من عُمُركَ، فإنَّ الرُّزْءَ بِكَ[8] لَيْسَ بالصَّغيرِ، والحُزْنُ عليك لَيْس باليَسيرِ.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «المذية».

(٣) في ر، ف «سقطت».

(٤) في ل «والجميع».

(٥) «الشعر... نجل» زيادة في ل.

(٦) في ر، من «ثم قال».

(٧) كذا في ت، ر، ف وفي ل «ضمنك».

(٨) كذا في ت، ل وفي ر، ف «منك».

٦ - ومِثْلُكَ لا يُبْكَى عَلى قَدْرِ سِنِّهِ ولكِنْ عَلى قَدْرِ المَخِيْلَةِ والأَصْلِ

المَخِيْلَةُ: السَّحابةُ التي يَتأكَّدُ الرَّجاءُ في مَطَرِها، وبها سُمِّيَتْ الدَّلالةُ الصَّادقةُ في الشيءِ مَخِيْلَةً[1].

يقولُ[2]: ومِثْلُكَ لا يُبْكَى على قَدْرِ سِنِّهِ، وما انصرَمَ من يَسيرِ عُمُرِهِ، ولكنْ على قَدْرِ مَخِيْلَةِ نَجابَتِهِ، وما يُتَيَقَّنُ من جليلِ سِيادَتِهِ، وما يُعْلِيهِ من أَصْلِهِ الكريمِ، ويَسْمُو بِهِ[3] من نَسَبِهِ الرَّفيعِ.

٧ - أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الذي مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلاَهُمُ مُهْجَةُ البُخْلِ

يَقولُ[4]: أَلَسْتَ من القَوْمِ الذينَ كَرَمُهُم من سِلاحِهِمْ، ونَدَاهُم من رِمَاحِهِمْ[5]، ومُهْجَةُ البُخْلِ من قَتْلاَهُمْ، فهم يَسْطُونَ على الأَعْدَاءِ بما يَرْتَهِنُونَهُمْ[6] به من الفَضْلِ، وَيَتملَّكونهم بما يُشِيْعُون[7] فيهم من الجُودِ.

٨ - بِمَوْلُودِهِمْ صُمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ في أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ[8]

عِطْفُ الرَّجُلِ: جَانِبُهُ من رَأْسِهِ إلى وِرْكِهِ[9].

---

(١) «المخيلة... مخيلة» زيادة في ل.

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) «ويسمو به» ساقطة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) كذا في ت، ر وفي ل «كرمهم من رماحهم، ونداهم من سلاحهم» وسقطت «ونداهم من سلاحهم» من ف.

(٦) في ت «يرهبونهم» وهو تحريف.

(٧) في ت «يسمعون» وهو تحريف.

(٨) كذا في ل، وفي ر، ف، ت «الفضل»، وهي رواية أخرى، و«صمت» بضم الصاد وفتحها مصدران.

(٩) «عطف... وركه» زيادة في ل.

ومَوْلُودُهم إذا أَصْمَتَتْهُ الحِيْلَةُ، وَمَنَعَتْهُ من الكَلامِ الطُّفُولَةُ [1]، نَطَقَتِ السِّيَادَةُ من أعْطَافِهِ مَنْطِقَ فَضْلٍ [2]، وشَهِدَتْ له مَخَايلُ الكَرَمِ شَهادَةَ عَدْلٍ.

٩ ـ تُسَلِّيهُمْ عَلْيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِم وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عن الشُّغُلِ

يقولُ[3]: يُسَلِّيهُم[4] الكَرَمُ عن مَصَائِبِهم[5]، وَيُوجِبُ لهم الصَّبْرَ في فَجَائِعِهم، وَيَشْغَلُهُم كَسْبُ الثَّنَاءِ عن الشُّغْلِ بِغَيْرِهِ[6]، فَيَحْتَازون[7] من فَضْلِهِ بَحسبِ اعتنائِهم بأَمْرِهِ.

١٠ ـ أَقَلُّ بِلاَءً بالرَّزَايا[8] مِنَ القَنَا وأَقْدَمُ بَيْنَ الجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ

البِلاَءُ: المُبَالاَةُ[9].

فيقولُ[10] إنَّ رَهْطَ سَيْفِ الدَّولةِ[11] أقلُّ مُبَالاَةً بالرَّزَايا[12] من الرِّماحِ المُتَوَقَّعَةِ، وأَنْفَذُ[13] بَيْنَ الجَحْفَلَينِ المُتَقَاتِلَيْنِ[14] مِنَ السِّهام المُرْسَلَةِ،

---

(١) في ت «الطفولية».

(٢) في ر، ف، ت «فضل».

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) في ر، ف «تسليهم».

(٥) في ر، ف، ت «مصابهم».

(٦) في ر، ف «بغيرة».

(٧) في ل «فيختارون».

(٨) في ف «من الرزايا».

(٩) «البلاء: المبالاة» زيادة من ل.

(١٠) في ر، ف «ثم قال».

(١١) «سيف الدولة» ساقطة من ر، ف.

(١٢) في ت «أقل بالرزايا مبالاة».

(١٣) في ت «وأقعد» وهو تحريف.

(١٤) في ر، ف.. «المقاتلين» وفي ت «المتقابلين».

فَشَبَّهَهُمْ[1] لِجُرْأَةِ أَنْفُسِهِم، وَجَلَدِهِمْ على الرَّزَايا إذا طَرَقَتْهُمْ، بالرِّماحِ والسِّهَامِ، التي تُصِيبُ ولا تُصَابُ، وتُهَابُ ولا تَهابُ.

١١ - عَـزَاءَكَ سَيْفَ الـدَّولـةِ المُقْتَـدَى بِـهِ فـإنَّـكَ نَصْـلٌ والشَّـدَائِـدُ لِلنَّصْـلِ

ثُمَّ قَالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: «عَزاءَكَ المُقْتَدى به، فإنَّكَ نَصْلٌ[2]» بِمَعْنى: تَعَزَّ عَزَاءَكَ المُقْتَـدى بِهِ، فَأَنْتَ الأُسْوَةُ في صَبْـرِكَ، والأَوْحَـدُ في كَـرَمِـكَ وفَضْلِكَ، وأَنْتَ سَيْفٌ، والشَّـدَائِدُ للسَّيفِ، يَكْشِفُهـا بِحِدَّتِـه، وَيَنْفُذُ فيهـا بِصَرَامَتِهِ.

١٢ - مُقِيمٌ من الهَيْجَـاءِ في كُـلِّ مَنْـزِلٍ كَـأَنَّكَ مِنْ كُـلِّ الصَّـوارِمِ في أَهْـلِ

يقولُ:[3] أنتَ مُقِيمٌ في كُلِّ مَنْزِلٍ من مَنَازِلِ الحَرْبِ، تَأْنَسُ بها، ولا تَسْتَوْحِشُ لَهَا، حَتَّى كأَنَّ صَوَارِمَهَا أَهْلُكَ، وأَسْلِحَتَها المتَوَقَّعَةَ رَهْطُكَ، تَنْصُرُكَ ولا تَخْذُلُكَ، وتُظْفِرُكَ ولا تَظْفَرُ[4] بكَ.

١٣ - وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْـكَ لِلحُـزْنِ عَبْـرَةً وأَثْبَتَ عَقْـلاً والقُلُوبُ بـلا عَقْـلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ عَبْرَتَهُ تَتَعَاصَى على الحُزْنِ؛ لما هوَ عليهِ من الجَلَدِ والصَّبْرِ، وإنَّـه أَثْبَتُ النَّاسِ عَقْـلاً إذا أَذْهَبَتِ الحَـرْبُ العُقـولَ بِشِـدَّتهـا، وأَذْهَلَتْهـا بِمَخَافَتِها[5]، يُشيرُ بذلكَ إلى اسْتِسْهَالِهِ لِأَمْرِها، واسْتِقلالِهِ بِحَمْلِها.

---

(١) في ر «فشبهوهم».

(٢) «فإنك نصل» زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ت «ولا يُظفَر بك».

(٥) في ف «بمخالفتها».

١٤ - تَخُـونُ المَنَـايـا عَهْـدَهُ في سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الفَـوارِسِ والرَّجْـلِ

السَّليلُ: الوَلَدُ[١].

فيقولُ، مُعَجِّباً[٢] بأمْرِهِ، وَمُنَبِّهاً على جَلاَلَةِ قَدْرِهِ: وإنَّ[٣] الموتَ حَتْمٌ من الله تعالى[٤] على جَميعِ خَلْقِهِ. تُخَالِفُهُ المنايا فَتَخْتَرِمُ نَفْسَ ابنِهِ، وتَخُونُ عَهْدَهُ في سَلِيلِهِ[٥]، وَتَنْصُرُهُ في حَرْبِهِ، وتُطِيْعُهُ عِنْدَ مُوَاقَعَتِهِ بِعَدوِّهِ، وفي هذا شَاهِدٌ على أنَّ الموتَ لا يُدْفَعُ بِقُوَّةٍ، ولا يُمْتَنعُ منه بِرِفْعَةٍ.

١٥ - ويَبْقَى عَـلَى مَرِّ الحَـوادِثِ صَبْـرُهُ وَيَبْـدُو الفِـرَنْـدُ عـلى الصَّقْـلِ

الفِرَنْدُ: وَشْيُ السَّيْفِ[٦].

ثُمَّ قالَ: إنَّ الحَوَادِثَ لا تَذْهَبُ بِصَبْرِهِ، ولا تُخِلُّ بِجَلَدِهِ، ولكنَّها تُبْقِي ذَلِكَ وتُظْهِرُه، وتُبْدِيه وَتُبَيِّنُه، كما يُبْدِي فِرَنْدَ السَّيْفِ صَقْلُهُ، ويَظْهَرُ بِجلاَئِهِ[٧] فَضْلُهُ.

١٦ - ومَنْ كَـانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِـكَ حُـرَّةٍ فَفيـهِ لها مُغْنٍ وفيهـا لـه مُسْـلِي

ثُمَّ قَـالَ: ومَنْ كـانَ ذا نَفْسٍ حُـرَّةٍ كَنَفْسِـكَ، وذا طَبِيْعَـةٍ كَـرِيمَـةٍ كَطَبِيْعَتِكَ[٨]، ففي جَلاَلَتِهِ ما يُغْنِى نَفْسَهُ عن كُلِّ حَميمٍ يَفْقِدُهُ، وفي كَرَمِ نَفْسِهِ ما يُسَلِّيهِ عن كلِّ مُهِمٍّ يَطْرُقُهُ.

(١) «السليل: الولد» زيادة في ل.

(٢) في ت «متعجباً».

(٣) في ت «إن».

(٤) «تعالى» زيادة في ل.

(٥) في ت «في ولده».

(٦) «الفرند: السيف» زيادة في ل.

(٧) في ت «بجلاله».

(٨) في ت «من كان ذا نفس وذا طبيعة كطبيعتك وكريمتك».

١٧ ـ وما الموتُ إلا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ   يَصُولُ بِلاَ كَفٍّ وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ

يَقُولُ[١]: وما الموتُ الذي لا يُؤْمَنُ في حِيْنِ[٢] الغَفْلَةِ، ولا يُدْفَعُ بأشدِّ الحِيْلَةِ، إلاَّ كَسارِقٍ مُخْتَلِسٍ، خَفِيٍّ شَخْصُهُ، شَديدٍ أَمرُهُ، يَصُولُ دونَ كَفٍّ يُظْهِرُها، ويَسْعَى دُونَ رِجْلٍ يَنْقُلُها، وذلكَ أشدُّ لِبَطْشِهِ، وأَسْرَعُ لِسَعْيِهِ.

١٨ ـ يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الخميسَ عن ابنِهِ   وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الوِلادَةِ للنَّمْلِ

الشِّبْلُ: وَلَدُ الأَسَدِ، والخَمِيْسُ: الجَيْشُ الكَبِيْرُ[٣].

ثُمَّ قالَ، دَالاًّ على أَنَّ حوادثَ الدَّهرِ، لا يُمْتَنَعُ منها بِقُوَّةٍ[٤]، ولا يُدْفَعُ مَحْتُومُها بِشِدَّةٍ: يَرُدُّ الأَسَدُ الجَيْشَ عن ابْنِهِ[٥]، وَيُسْلِمُهُ لأَذَى[٦] النَّمْلِ عِنْدَ وِلاَدَتِهِ، فَيَحْمِيهِ من العَظِيمِ الكثيرِ[٧]، ويُسْلِمُهُ للحَقيرِ اليَسِيرِ[٨]، وضَرَبَ في ذلكَ مَثَلاً بِقيامِ[٩] سَيْفِ الدَّولةِ بِجَليلِ الأُمورِ، وهو مَعَ ذلك لا يَدْفَعُ الموتَ عن ابنِهِ، ولا يَمْتَنِعُ منه بِنَفْسِهِ. يُرِيدُ أَنَّهُ يَعْجِزُ عن المُخاتَلَةِ[١٠] مَنْ لا يَعْجِزُ عن المُبَارَزَةِ.

١٩ ـ بِنَفْسِي وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ   إلى بَطْنِ أُمٍّ[١١] لا تُطَرِّقُ بالحَمْلِ

---

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) في ر، ف «في حال».
(٣) «الشبل... الكبير» زيادة في ل.
(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لقوة».
(٥) كذا في ل، ت وفي ر، يرد الجيش الأسد عن أبيه».
(٦) في ر، ف، ت «لأدنى».
(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الكبير».
(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الصغير».
(٩) في ر، ف «في قيام».
(١٠) خَتَلَهُ يَخْتِلُهُ خَتْلاً وخَتَلاناً: خدعه.
(١١) في رواية التبيان «بطن أرض».

التَّطريقُ بالحَمْلِ: أن يَخْرُجَ بَعْضُ الولدِ ويَبْقى بَعْضُه[1].

فيقولُ[2]: بِنَفْسِي وَليدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِ أمِّهِ إلى بَطْنِ أمٍّ لا تُطَرِّقُ بِحَمْلِها، ولا تُبْدي ما استَتَرَ من بَطْنِها. فَأشارَ[3] بذلكَ إلى الأرْضِ، وأنَّها لا تُبْدي قُبُورُهَا مَنْ أجَنَّتْهُ[4]، ولا تُطَرِّقُ بِمَنْ تَضَمَّنَتْهُ.

٢٠ ـ بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بالرِّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ البَلَدِ المَحْلِ

الرِّوَى: الماءُ الكثيرُ، والغُلَّةُ: العَطَشُ[5].

ثُمَّ قالَ: بَدَا ذلكَ الوليدُ[6] وشواهِدُ الكرمِ باديةٌ عليه، ومَخَايِلُهُ ظَاهِرَةٌ فيه، فَوَعَدَ مِنْ فَضْلِهِ بِمِثْلِ ما يَعِدُ به السَّحابُ مِنْ وَبْلِهِ، ثُمَّ صَدَّ باخْتِرامِ الموتِ له، فأَبْقَى بأَنْفُسِنا مِثْلَ غُلَّةِ البَلَدِ المُمْحِلِ[7]، إذا مُنِعَ من السَّحابِ المُمْطِرِ.

٢١ ـ وَقَدْ مَدَّتِ الخَيْلُ العِتَاقُ عُيونَها إلى وَقْتِ تَبْدِيل الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ

الخيلُ العِتَاقُ: هي الكرامُ[8].

فَيَقُولُ[9]: وقد مَدَّتِ الخَيْلُ الكِرامُ أعيُنَها إليه، وتَنَافَسَتْ عِتَاقُها فيه،

---

(١) «التطريق... بعضه» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) في ل «وأشار».
(٤) أجَنَّته: سَتَرَته وأخفته.
(٥) الروى... العطش» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «الولد».
(٧) في ت «المحل».
(٨) «الخيل... الكرام» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «ثم قال».

وارتَقَبَتْ أن يَصيرَ[1] من السِّنِّ إلى حَالٍ يَتعَوَّضُ[2] فيها بالرِّكابِ من النَّعلِ، وبركُوبِ[3] الخَيلِ من المَشْي.

٢٢ ـ وَرِيْـعَ لـه جَيْشُ العـدوِّ ومـا مَشَى وَجَاشَتْ له الحربُ الضَّروسُ وماتَغْلي

جـاشَتِ القِـدرُ: إذا غَلَتْ وهـاجَتْ، فـاسْتَعـارَ ذلـكَ في الحَـربِ، والضَّرُوسُ: الشَّديدةُ العَضِّ، والرَّوعُ: الفَزَعُ[4].

ثمَّ قالَ: وفُزِّعَ لَهُ[5] جَيْشُ العَدوِّ، وهو في سِنٍّ من لا يَمْشِي؛ لِصِغَرِهِ، وغَلَتِ[6] الحَرْبُ الشَّديدةُ باهْتِيَاجِها، لاعْتِدَادِها بِمَوْضِعِهِ، قَبْلَ أَنْ يُبَاشِرَها بِنَفْسِهِ، وَيَسْتَعْمِلَ فيها ما يُرْتَقِبُ مِنْ سَعْيه، وجَرَى الكلامُ في جاشَتْ على الاستعارةِ، وإن كانَ ما وَصَفَهُ غيرَ مشهورِ الحقيقةِ[7].

٢٣ ـ أَيَفْـطِمُـهُ التَّـوْرابُ قَبْـلَ فِـطامِـهِ وَيَـأْكُلُهُ قَبْـلَ البُلوغِ إلى الأَكْـلِ

الفِطامُ: مَنْعُ الصَّبيِّ من الرَّضاعِ، والتَّوْرابُ: لُغَةٌ في التُّرابِ[8].

فيقولُ:[9] أَيَفْطِمُهُ التُّرابُ[10] باشْتِمَالِهِ عليه، قَبْلَ بُلُوغِهِ سِنَّ الفِطَامِ[11]؟

(١) في ر، ف «تصير».

(٢) في ف «يتعرض».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وركوب».

(٤) «جاشت... الفزع» زيادة في ل.

(٥) في ل «به»، وفي ت «ارتاع له»

(٦) في ر، ف «غلبت».

(٧) «ويستعمل... الحقيقة» زيادة في ل.

(٨) «الفطام... التراب» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال».

(١٠) في ر، ف «الترب».

(١١) في ر، ف «الطعام» وفي ت «أكل الطعام».

ويأكُلُ جِسْمَهُ بابلائِهِ له قَبْلَ بُلوغِهِ سِنَّ[1] الأكْلِ؟ يُشيرُ إلى اخْتِرَامِ المَوتِ له في سِنِّ الطُّفُوليَّةِ[2].

٢٤ ـ وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ ما رَأَيْتَهُ وَيَسْمَعَ[3] فيهِ مَاسَمِعْتَ مِنَ العَذْلِ

ثُمَّ قالَ، مُخَاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: وَقَبْلَ أن يَرَى مِن عُموم جُودِهِ ما رَأَيْتَهُ، ويَشْهَدَ من كَثْرَتِهِ ما شَهِدْتَهُ، ويَسْمَع من العَذْلِ فيه كالذي سمِعْتَ، ويُعْرِضَ عنه كما أعْرَضْتَ. وَدَلَّ بِكَثْرَةِ العَذْلِ عليه، علي قِلَّةِ إصْغَائِهِ إليه، وحَذَفَ أنْ من كَلامِهِ، وهو يُرِيدُهَا في قَوْلِهِ[4]: «وقَبْلَ يَرَى»[5]. والعربُ تَفْعَلُ ذلكَ. قال الشَّاعرُ وهو طَرَفَةُ[6].

«ألا أيُّهذا الزَّاجِرى أحْضُرَ الوَغَى»

يريدُ: أنْ أحضُرَ، فحذفَ لِدَلالةِ الكلامِ على ما أرادَ.

٢٥ ـ وَيَلْقَى كَما تَلْقَى من السِّلْمِ والْوَغَى وَيُمْسِي كَمَا تُمْسِي مَلِيكاً بـلا مِثْلِ

يَقولُ[7]: وَيَلْقَى كالذي تَلْقَاهُ من عَظيمِ[8] سُلْطَانِك، وارْتِفاعِ شَأنِكَ

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «إلى الأكل».

(٢) في ر، ف «الطفولة».

(٣) كذا في ل، وفي رواية التبيان، وفي ر، «يسمعُ» بالرفع.

(٤) في ل «بقوله».

(٥) أراد: قبل أن يرى، فحذفها وأعملها، على رواية من روى «ويسمعَ» بالنصب، وهو مذهب الكوفيين، وهو مذهب المتنبي، وفي جوازه خلاف بين النحاة، والصحيح قصره على السماع.

(٦) «وهو طَرَفَةُ» زيادة في ل. وهو طرفة بن العبد، الشاعر الجاهلي، من شعراء المعلقات، وعجز البيت في ديوانه ص ٣١:
وأنْ أشهدَ اللذات هل أنت مخلِدي؟

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «عظم».

في السِّلمِ ، وجلالَةِ قَدْرِكَ، ومَشْهورِ[1] ظَفَرِكَ في الحَربِ، ويَصِيرُ[2] في حَالِك مَلِكاً لا يُمَاثَلُ مُلْكُهُ، وسُلْطاناً لا يُعْتَرَضُ أَمْرُه.

٢٦ ـ تُـوَلِّيـه أَوْسَـاطَ البِـلادِ رِمَـاحُـهُ   وَتَمْنَعُـهُ أَطْـرَافُـهُنَّ مـن العَـزْلِ

ثُمَّ قالَ: تُوَلِّيه رماحُهُ[3] قواعِدَ البلادِ، وَوَسَائِطَ[4] الأَرضِ ، بِتَغَلُّبِهِ عَلَيْها، وتَمْنَعُهُ أَطْرَافُ تِلكَ[5] الرِّماحِ ، برَهْبَةِ الإعدادِ لها، من أن يُعْزَلَ عنها. وطابَقَ بَيْنَ الوِلاَيَةِ والعَزْلِ ،والأَوْسَاطِ والأَطْرافِ[6] ، وذلكَ من البديعِ .

٢٧ ـ نُبَكِّي لِمَوْتَانَا عَلى غَيْرِ رَغْبَةٍ   تَفُوتُ من الدُّنيا ولا مَوْهِبٍ جَزْلِ

يقولُ[7]: نُبَكِّي على مَوْتَانا،[8] ونَحْزَنُ لهم، ونُكْثِرُ الأَسَفَ لِفراقِهِمْ، ونحنُ نَتَيَقَّنُ أَنَّهم لا يَفُوتُهم من الدُّنيا ما يُرْغَبُ في مِثْلِهِ، ولا يُمْنَعونَ منها ما يَجِبُ أن يُتَنافَسَ في نَيْلِهِ؛ لأَنَّها[9] بِجُمْلَتِها غُرورٌ، وَتَمَتُّعُ مَنْ بَقِيَ فيها بِصُحبَتِها يَسِيرٌ.

٢٨ ـ إذا ما تَأَمَّلْتَ الزَّمانَ وَصَرْفَهُ   تَيَقَّنْتَ أَنَّ الموتَ ضَرْبٌ مِن القَتْلِ

(١) في ت «وشهود».
(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وتصير».
(٣) في ر، ف «توليه قواعد البلاد وأوساط الأرض رماحه...».
(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وأوساط».
(٥) زاد في ف «تلك البلاد».
(٦) في ل «وطابق بين الأوساط والأطراف، والولاية والعزل».
(٧) في ر، ف «ثم قال».
(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لموتانا».
(٩) ساقطة من ف وفي ت «لأن الدنيا».



ثُمَّ قالَ: إذا ما[1] تَأَمَّلْتَ الزَّمانَ وصُرُوفَهُ[2]، وتَدَبَّرتَ الدَّهرَ وخَطوبَهُ، تَيَقَّنْتَ أَنَّ ما حُتِمَ على الإنسانِ من المَوْتِ، كالذي يَتَوَقَّعُهُ من القَتْلِ؛ لأَنَّ الأَمرينِ مُتَساويانِ في مَكْرُوهِهِما، مُتَماثِلانِ فيما يُشَاهِدُ من عَدَمِ الحَياةِ بِهِما[3]، فما ظَنُّكَ بِشَيءٍ يكونُ آخرُ مَصِيرِهِ إلى أَكْرَهِ ما يُحْذَرُ من أُمورِهِ، وهذا يُوجِبُ الزُّهدَ في الدُّنيا، ويَدْعُو إلى الإعْراضِ عنها، وقِلَّةِ الأَسَفِ عَلَيْها.

٢٩ ـ هَـلْ الـوَلَـدُ المَحْبُـوبُ إلاَّ تَـعِلَّةٌ وهـل خَلْوةُ الحسناءِ إلا أَذى البَعْـلِ

التَّعِلَّةُ: الشُّغْلُ[4].

فيقولُ[5]: هل الوَلَدُ المَرْغوبُ فيه إلاَّ شُغْلٌ لِوَالِدِهِ[6]، وَفِتْنَةٌ لِمُنسِلِهِ، وهَلْ خَلْوةُ الحَسْنَاءِ التي تَدْعُو إليه إلاَّ أَذىً للبَعْلِ المُتعَرِّضِ لها[7]؛ لأَنَّهُ غيرُ مُسْتَديمٍ لِلَذَّتِها، ولا حَامِدٍ للنَّسلِ في عَاقِبَتِها.

٣٠ ـ وَقَـدْ ذُقْتُ حَلْواءَ البَنِيْنَ عـلى الصِّبَـا فلا تَحْسِبَنِّي قُلتُ ما قُلْتُ عن جَهْـلِ

والحَلْوَى: مَعْروفةٌ، واسْمُها يُسْتَعارُ لِكُلِّ ما استُحْلِيَ[8].

ثُمَّ قالَ: وقد ذُقْتُ حَـلاوةَ البَنِينَ في حِـيْنِ الصَّبْوَةِ، والعَـدَمِ لِحَقِيْقَةِ

---

(١) «ما» ساقطة من ر، ف.

(٢) في ت «تصاريف الزمان».

(٣) في ت «لهما».

(٤) «التعلة: الشغل» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ر، ف «الوالدة به».

(٧) في ر، ف «المعترض».

(٨) «والحلوى... استحلي» زيادة من ل.

المَعْرِفَةِ[1]، ثُمَّ لَحَظْتُهمْ بِعَيْنِ التَّيَقُّنِ، بَعْدَ تَجْرِبَتي لِأَمْرِهم، وإِحَاطَتي بِعِلْمِهِمْ، فَلاَ تَحْسَبَنِّي ذَمَمْتُهُمْ عنْ[2] غَيْرِ مَعْرِفَةٍ، وَزَهِدْتُ فيهم دونَ تَجْرِبَةٍ.

٣١ ـ وما تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِها ولا[3] تُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ ما أُمْلي

يقولُ[4]، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ من إحاطَتِهِ بالأُمورِ، وما حَضَّ[5] عليهِ من الزُّهدِ في الدُّنيا، وقِلَّةِ الأَسَفِ على الوَلَدِ: وما تَسَعُ[6] الأَزْمَانُ ما أَعْلَمُهُ من أَمْرِها، وأَتيَقَّنُهُ من شِدَّةِ تَكَدُّرِها[7]. يُريدُ: أَنَّها تَضِيقُ عن عِلْمِهِ وَتَقْصُرُ[8]، وتَعْجِزُ عن الاشْتِمَالِ عَلَيْهِ وتَتَأَخَّرُ، وأَنَّها لا تُحْسِنُ أن تَكْتُبَ من ذَلكَ ما يُمِلُّهُ، وتَضْبِطَ ما يَعُدُّهُ.

٣٢ ـ وما الدَّهْرُ أَهلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَه حَيَاةٌ وأَنْ يُشْتَاقَ[9] فيه إلى نَسْلِ

ثُمَّ قَالَ: وما يَحْسُنُ بالدَّهْرِ المَذْمُومِ[10] أَمْرُهُ، الشَّدِيدِ تَنَكُّرُهُ[11]، أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَه حَيَاةٌ، أو[12] يُشْتَاقَ فيهِ إلى نَسْلٍ؛ لأَنَّ مآلَ الحياةِ فيهِ إلى المَوْتِ، ومَآلَ

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي ت «وعرفتهم حقيقة المعرفة».
والعدم: الفقر.
(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «من»
(٣) في ر، ف «وما».
(٤) في ر، ف «ثم قال».
(٥) في ف «وما حظ» وفي ت «وما حثَّ».
(٦) في ر، ف «يسع» وزاد في ت «أي ما تسع».
(٧) في ت «نكدها».
(٨) ساقطة من ت.
(٩) في ف «تشتاق».
(١٠) في ف «اللئيم».
(١١) في ت «مكره».
(١٢) في ر، ف «وأن».

النَّسْلِ فيه[1] إلى الفَقْدِ بَعدَ طُولِ الشُّغْلِ والنَّصَبِ، ومُعَانَاةِ الكَدِّ والطَّلَبِ[2]، وما كَانَ كذلكَ، فالسُّرورُ يَسِيرٌ بوجُودِهِ، والحُزْنُ غَيْرُ واجِبٍ عِنْدَ[3] فَقْدِهِ.

(١) ساقطة من ر، ف، ت

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «والتعب».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «على».

- ٩ -

وسَأَلَهُ عن صِفَةِ فَرَسٍ يُنْفِذُهُ إليه، فَقَالَ ارتجالاً.

١ - مَـوْقِـعُ الخَيْـلِ مِنْ نَـدَاكَ طَفِيفُ وَلَـوْ أَنَّ الجِـيَـادَ مِـنْهَـا أُلُـوفُ

٢ - ومن اللَّفْظِ لَفْـظَةٌ تَجْمَـعُ الْـوَصـ ـفَ وذاكَ الْمُـطَهَّـمُ المَـعْـرُوفُ

٣ - مَا لَنَا في النَّـدَى عَلَيْـكَ اختِيَـارٌ كُـلُّ مَـا يَمْـنَـحُ الشَّرِيفُ شَرِيـفُ

الطَّفيفُ: الحَقيرُ، والمُطَهَّمُ من الخَيْلِ: التَّامُّ الخَلْقِ[١]. فيقولُ: مَوْقِعُ الخَيْلِ[٢] حَقِيْرٌ في جُودِكَ[٣]، والأُلُوفُ[٤] منها يَسيرٌ في بَذْلِكَ، ثُمَّ قَالَ: ومِنَ اللَّفْظِ قَليلٌ يَجْمَعُ الكَثيرَ من النَّعْتِ، ولَفْظَةٌ تَشْتَمِلُ على جُمْلَةِ الوَصْفِ، وهي في الخَيْلِ، المُطَهَّمُ التَّامُّ خَلْقُهُ، المَعْرُوفُ المَشْهُورُ عِتْقُهُ، ثُمَّ قَالَ:[٥] وما لَنَا في نَدَاكَ[٦] اختيارٌ عَلَيْكَ، أَنْتَ الشَّريفُ، وشَرِيفٌ ما تَهَبُهُ، والرَّفيعُ[٧]، ورَفِيْعٌ ما تَبْذُلُهُ.

(١) «الطفيف... الخلق» زيادة في ل.

(٢) في ل «الخير».

(٣) في ر، ف «وجودك».

(٤) زاد في ر، ف «حقير والألوف».

(٥) الواو ساقطة من ر، ف.

(٦) «في نداك» ساقطة من ر، ف.

(٧) «والرفيع» ساقطة من ر، ف.

وَخَيَّرَهُ بَيْنَ فَرَسَيْنِ: دَهْمَاءَ وَكُمَيْتٍ، فَقَالَ ارتجالاً:

١ - اخْـتَـرْتُ دَهْمَـاءَتَـيْنِ يَـا مَـطَرُ ... وَمَـنْ لَـهُ فِي الـفَـضَـائِـلِ الخِـيَرُ

الخِيَرُ: جَمْعُ خِيْرَةٍ، وخِيْرَةُ الشَّيءِ: أَرْفَعُهُ[1].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: اخترْتُ دَهْمَاءَ هَاتَيْنِ الفَرَسَيْنِ، وأَسْقَطَ هَا التي للتَّنبيهِ، كما تَقُولُ في المُذكَّرِ: اخترْتُ أَفْضَلَ ذَيْنِ، وأَنْتَ تُرِيدُ هَاذينِ، وشَبَّهَهُ بالمَطَرِ في عُمومِ جُودِهِ، وتَدَفُّقِ كَرَمِهِ، فَقَالَ لَهُ: يا مَطَرُ، ويَا مَنْ لـهُ من الفَضَائِلِ أَجَلُّها رُتْبَةً، وأَبْيَنُها رِفْعَةً.

٢ - وَرُبَّمَـا فَـالَـتِ[2] الـعيـونُ وَقَـدْ ... يَصْـدُقُ فِيـهـا وَيَكْـذِبُ الـنَّـظَرُ

فَالَ الشيءُ: إذا أَخْطَأَ[3].

ثُمَّ قالَ: ربَّما[4] أَخْطَأَتِ العُيونُ[5] فيما تُؤْثِرُهُ، وغَلِطَتْ فيما تَتَخَيَّرُهُ، فـالنَّـظَرُ يَصْـدُقُ ويَكْـذِبُ، ولَسْتُ أُبَـرِّىءُ نَفْسِي من ذلِـكَ، فيـما تَخَيَّـرتُـهُ واسْتَحْسَنْتُهُ.

٣ - أَنْـتَ الـذي لـو يُعَـابُ في مَـلاءٍ ... مـا عِـيـبَ إلاَّ بـأَنَّـهُ[6] بَشَرُ

---

(١) «الخير... أرفعه» زيادة في ل.

(٢) في ت «قالت».

(٣) «فال... أخطأ» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «وربما».

(٥) في ر، ف «العين».

(٦) في رواية التبيان «لأنه».

يَقُولُ[1]: أَنْتَ الذي لو يَعِيبُهُ عَائِبٌ في مَلإٍ يُحَصِّلُونَ قَوْلَهُ، ويُرَاقِبونَ كَذِبَهُ وصِدْقَهُ، ما عِيبَ إلا بأَنَّهُ بَشَرٌ يُمَاثِلُ في خَلْقِهِ، ولا يُماثِلُ في كَرَمِهِ وفَضْلِهِ.

٤ - وإنَّ إعطَاءَهُ الصَّوارِمُ والـ ـخَيْلُ وسُمْرُ الرِّماحِ والعَكَرُ

العَكَرُ: ثَلاثُ مائةٍ مِنَ الإبلِ، فما زادَ على ذلك[2].

ثُمَّ قالَ[3]: وإنَّ إعطاءَهُ، السِّلاحَ التي توجِبُ المَنعةَ، والخَيْلَ التي تُقَرِّبُ البغْيَةَ، والكثْرَةُ العَظِيْمةُ من الإبلِ التي تَضْمَنُ الثَّرْوَةَ، فعَائِبُهُ لا يَعِيْبُه إلا بِبَيَانِ فَضْلِهِ، وتَنَاهي كَرَمِهِ. وهذا من البَديعِ بابٌ يعرفُ بالاستِثْنَاءِ.

٥ - فَاضِحُ أَعْدائِهِ كَأَنَّهُمْ لَهُ يَقِلُّونَ كُلَّما كَثُرُوا

يُرِيدُ[4]: أنه يَفْضَحُ أَعْدَاءَهُ، بِظُهُورِ فَضْلِهِ فيهم، واستِحْكَامِ غَلَبَتِهِ عَلَيْهِم، حَتَّى كأَنَّهم كُلَّما كَثُرُوا يَقِلُّونَ له؛ لأَنَّه يَحْتَقِرُهُمْ، ويَمْلِكُهم ويَسْتَذِلُّهم، ويَقْهَرُهم.

٦ - أَعاذَكَ اللَّهُ مِنْ سِهَامِهِمُ وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ القَمَرُ

ثُمَّ دَعَا لَهُ، فَقَالَ[5]: أعاذَكَ اللَّهُ مما يَرْمونَكَ به من كَيْدِهم، ويُوَجِّهُونَهُ[6] إليك مِنْ مَكْرِهِمْ، وَإعاذَةُ اللهَ لكَ مَضْمُونَةٌ، وكِفَايَتُهُ مُتَيَقَّنَةٌ؛ لأَنَّكَ القَمَرُ في بيانِ فَضْلِكَ، وعُلُوِّ قَدْرِك، ومُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ[7] القَمَرُ[8]؛ لأَنَّه يحاوِلُ ما لا يُدْرِكُهُ، ويَرْمِي ما لا يَبْلُغُه.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) «العكر... ذلك» زيادة في ل.

(٣) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «ثم قال داعياً له».

(٦) في ف «ويرجمونه».

(٧) في ف، ر «رمى».

(٨) في ف «القدر».

وَأَمَرَ سَيْفُ الدَّولَةِ بإنفَاذِ خِلعٍ إليه، فَقَالَ:

١ - فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بأَرْضِهِ خِلَعُ الأَمِيرِ وَحَقَّهُ لم نَقْضِهِ

السَّمَاءُ: المَطَرُ[1].

فيقولُ: فَعَلَتْ خِلَعُ الأميرِ بنا، فيما ظَهَر عَلَيْنا من حُسْنِهَا وجَمَالِها، فِعْلَ المَطَرِ بالأَرْضِ، فيما يَكْسُوها من الرَّوْضِ، ويُظْهِرُ فيها من الزَّهْرِ.

٢ - فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِها مِنْ لَفْظِهِ وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِها مِنْ عِرْضِهِ

ثُمَّ وَصَفَ تلكَ الخِلَعَ، فقالَ: فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِها تَحكِي من سَيْفِ الدَّولةِ صِحَّةَ لَفْظِهِ، وكأَنَّ حُسْنَ رَوْنَقِها يَحكِي رَوْنَقَ عِرْضِهِ.

٣ - وإذَا وَكَلْتَ إلى كَرِيمٍ رَأْيَهُ في الجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ

المَذِيقُ: المَخْلُوطُ، والمَحْضُ: الخالِصُ[2].

ثُمَّ قالَ: وإذا وَكَلْتَ إلى الكريمِ[3] رَأْيَهُ في الجُودِ، كَشَفَ لكَ حَقِيقتَهُ، وأَبَانَ لكَ يَقِينَهُ[4]، وعَرَفْتَ بما يُبْدِيه لك، فَضْلَ ما بَيْنَ المَذِيقِ والمَحْضِ، وفَرْقَ ما بَيْنَ المَشُوبِ والصَّفْوِ.

---

(١) «السماء: المطر» زيادة في ل.

(٢) «المذيق... الخالص» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «كريم».

(٤) في ر، ف «نقيبته».



وقالَ أيضاً يَمْدَحُهُ:

١ - لا الحُلْمُ جَادَ بِهِ ولاَ بِمِثَالِهِ   لَوْلاَ ادِّكَارُ وَدَاعِهِ وزِيَالِهِ

الزِّيالُ: كالزَّوالِ، يقَالُ: زَالَ الشيءُ زَوَالاً، وزالَتِ الخَيْلُ بِرُكْبانِها زيالاً، تُقْلَبُ الواو ياءً لِلْكَسْرَةِ التي قَبْلَها[١].

فَيَقُولُ: إنَّ الأَحْلامَ لم يَكُن في قُوَّتِها أن تَجُودَ بِمَنْ أُحِبُّه فتُقَرِّبُهُ، ولا بما[٢] يُشبِهُهُ فَتُمثِّلُهُ[٣]، لولا ما يَدْعو إلى ذلكَ من وَكِيدِ التَّذَكُّرِ لِوَداعِهِ[٤] عند فُرْقَتِهِ، وزِيَالِهِ عِنْدَ رِحْلَتِهِ[٥].

٢ - إنَّ المُعِيدَ لَنَا المَنَامُ خَيَالَهُ   كَانَتْ إعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ[٦] المَحبوبَ الذي أَعَادَ لنا النَّومُ خيَالَهُ، كانَتْ تلكَ الإعَادَةُ لِخِفَّةِ وَقْعَتِها، وتَقَاصُرِ مُدَّتِها من ذلكَ الخَيالِ، كالخَيَالِ الذي لا حَقِيْقَةَ لَهُ، ولا شِفَاءَ للعاشِقِ به.

٣ - بِتْنَا يُنَاوِلُنا المُدَامَ بكَفِّهِ   مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أن نَرَاهُ بِبَالِهِ

ثُمَّ[٧] وَصَفَ حَالَهُ[٨] عِندَ زِيارَةِ الطَّيفِ لَهُ، وما قَرُبَ لَهُ بذلكَ من البَعِيدِ، وأَمكَنَهُ من العَسِيْرِ، فقالَ: إنَّهُ باتَ يَتَنَاوَلُ المُدَامَ من كَفِّ مَحبوبِهِ،

---

(١) «الزيال... قبلها» زيادة في ل.

(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «بمن».

(٣) في ر، ف «فيمثله».

(٤) في ت «بوداعه».

(٥) في ت «رحيله».

(٦) ساقطة من ف.

(٧) زيادة في ر، ف.

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «ذلك».

وذلكَ المحبوبُ لا يَخْطُرُ بِبالِهِ رُؤْيَتُهُ[1]، لِتَباعُدِهِ عنه، ولا يَتَوَهَّمُها[2]، لانْفِصَالِهِ بالْمَسافَةِ الْمُتَراخِيَةِ منْهُ.

٤ - نَجْنِي الكَواكِبَ مِنْ قَلائِدِ جِيدِهِ ونَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ من خَلْخَالِهِ

ثُمَّ شَبَّهَ[3] جَواهِرَ عُقودِ مَحْبوبِهِ بالكَواكِبِ، ولَمَعانَ خلالِهِ[4] بِعَيْنِ الشَّمْسِ، وذَكَرَ أَنَّهُ باتَ يَجْنِي[5] الكَواكِبَ من تلكَ القَلائِدِ، بتَناولِهِ لَها، وَيَنالُ عينَ الشَّمْسِ مِنْ تِلكَ الخَلاخلِ، بلَمْسِهِ إيَّاها، فَأَحْرَزَ صَوابَ[6] التَّشبيهِ فيما شَبَّهَ به، مما لا زِيادَةَ عليهِ في حُسْنِ الْمَنْظَرِ، وامْتِناعِ الْمَوْضِعِ. وأَشارَ إلى الْمُعانَقَةِ والْمُلامَسَةِ[7] أَحْسَنَ إشارَةٍ، وعَبَّرَ عَنْها[8] أَلْطَفَ عِبارَةٍ.

٥ - بِنْتُمْ عَنِ العَيْنِ القَرِيحَةِ فِيكُمُ وَسَكَنْتُمُ وَطَنَ[9] الفُؤادِ الوالِهِ

٦ - فَدَنَوْتُمُ وَدُنُوُّكُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَسَمَحْتُمُ وَسَماحُكُمْ مِنْ مالِهِ

الفؤادُ: القَلْبُ، والوَلَهُ: ذَهابُ العَقْلِ لِشِدَّةِ الحُبِّ[10].

فَيَقولُ[11]: بِنْتُمْ عن العَيْنِ القَرِيحَةِ من مُواصَلَةِ البُكاءِ لِبَيْنِكُم، وسَكَنْتُمْ وَطَنَ[12] الفُؤادِ الوالِهِ بِحُبِّكُم، المشغُولِ بِذِكْرِكُمْ، الْمَقْصورِ على تَمَثُّلِكُم[13]،

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «ولا تخطر رؤيته».

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يتوهمه».

(٣) في ر، ف «وصف».

(٤) في ر، ف «خلخاله».

(٥) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يجتني».

(٦) في ت «قصبات».

(٧) في ر، ف «الملابسة».

(٨) في ل، ت «عنها».

(٩) في رواية الواحدي والتبيان «ظن».

(١٠) «الفؤاد... الحب» زيادة في ل.

(١١) في ر، ف «ثم قال».

(١٢) في ت «ظن».

(١٣) في ر، ف «المقصود على يمنكم» وفي ت «على مثلكم».

فَأَدْنَاكم الحُلْمُ من عَاشِقِكُمْ في نَوْمِهِ، بِذِكْرِهِ لَكُمْ، وَقَرَّبَكُم الـوَهْمُ مِنْهُ في يَقْظَتِهِ، لِشَغَفِـهِ بكم، فَذَلِـكَ الدُّنُـوُّ من عِنْدِهِ، لا مِنْ[1] عِنْـدِكُم، وذلكَ السَّمَاحُ من مَالِهِ، لا من قِبَلِكُم. وأَجْرَى ذِكْرَ[2] السَّمَاحِ والمَالِ على طريقِ الاستِعَارَةِ.

٧ - إِنِّي لأُبْـغِضُ طَيْـفَ مَـنْ أَحْـبَبْـتُـهُ　　إِذْ كَـانَ يَهْجُـرُنَـا زَمَـانَ وِصَـالِـهِ

يَقولُ[3]: إِنَّهُ يُبْغِضُ طَيْفَ مَحْبُوبِهِ[4] مَعَ كَلَفِهِ[5] بِهِ، وَيَكْرَهُهُ مَعَ ارتياحِهِ لهُ؛ لِأَنَّه كَانَ يَهْجُرُهُ في زَمانِ الوَصْلِ، ولا يَطْرُقُهُ مَعَ التِئامِ الشَّمْلِ.

٨ - مِثْـلَ الصبَابَـةِ والكـآبَـةِ والأَسَى　　فَـارَقْتُـهُ فَحَـدَثْنَ من تَـرَحَـالِـهِ[6]

ثُمَّ قالَ: مِثْلَ الصَّبابَةِ والكـآبةِ والأَسَى، فَـارَقْتُ مَنْ أُحِبُّ، فَحَدَثْنَ بِفُرقَتِهِ، وَعَدِمْتُهُ، فَشَكَوْتُهُنَّ بَعْدَ رِحْلَتِهِ[7]، وكَذَلِكَ الطَّيْفُ، إِنَّما زَارَ في زَمانِ الهَجْرِ، وطَرَقَ عند امتِناعِ الوَصْلِ[8]

٩ - وقـد استَقَـدْتُ مِن الهَـوَى وأَذَقْتُـهُ　　مِـنْ عِفَّـتِي مـا ذُقْتُ مـنْ بَلْبَـالِـهِ

البَلْبَالُ: شِدَّةُ الوَجْدِ[9].

---

(١) في ل «لاما من».

(٢) في ر، ف «ذلك» وهو تحريف.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «محبوبته».

(٥) في ر، ف «كفله».

(٦) في ر، ف «ترجاله» وهو تصحيف.

(٧) في ت «رحيله».

(٨) قال الواحدي في شرح هذا البيت: يهجرنا الطيف زمان الوصال هجر هذه الأشياء، أو بغضه مثل بغض هذه الأشياء التي حدثت من ترحال الحبيب (٢/٤١٨).

(٩) «البلبال: شدة الوجد» زيادة في ل.

فيقولُ: وَقَدْ أَخَذْتُ قَوَدِي[1] من الهَوَى، وأَذَقْتُهُ[2] من الأَسَفِ بالعِفَّةِ، التي سَهَّلَتْ لي خِلافَهُ[3]، كالذي أَذاقَني من الأَلَمِ بِبَلاَبِلِهِ، والتَّحَمُّلِ لِلَواعِجِهِ[4].

١٠ ـ وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أرضٍ ساعةً تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغامَ عَنْ أَشْبَالِهِ

الاسْتِجفَالُ: الاسْتِعْجَالُ[5].

ثُمَّ قالَ: ولقد ذَخَرْتُ للأرضِ وَقْعَةً أُوقِعُهَا، وسَاعَةً أَثُورُ فيها، تَسْتَعْجِلُ[6] الضِّرْغَامَ[7] بِشِدَّتِها عن شِبْلِهِ، وتَجْعَلُ له أَوْكَدَ شُغْلٍ في نَفْسِهِ[8]

١١ ـ تَلْقَى الوُجُوهُ بها الوجُوهَ وَبَيْنَها ضَرْبٌ يَجُول الموتُ في أَجْوَالِه[9]

الأَجْوَالُ: النَّواحي، واحِدُها جُولٌ[10].

ثُمَّ وَصَفَ تلكَ السَّاعَةَ، فَقَالَ: إنَّ وجوهَ الأَبْطالِ الذين لا يَنْكُصونَ، يَلْقَى بَعْضُها بَعْضاً، وبَيْنَها ضَرْبٌ شَديدٌ، وجِلادٌ[11] وكيدٌ، يَكْثُرُ الموتُ فيهِ،

---

(١) القَوَدُ: القصاص.

(٢) في ر، ف «فأذقته».

(٣) في ت «عليَّ خِلابه».

(٤) اللاعج: الهوى المحرق للقلب من الحب.

(٥) «الاستجفال: الاستعجال» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «تستجفل».

(٧) الضِّرغام: من أسماء الأسد.

(٨) «شغل في نفسه» ساقطة من ف.

(٩) في ف «أحواله».

(١٠) «الأجوال... جول» زيادة من ل.

(١١) في ف «وجلاء» وهو تحريف.

ويَجُولُ في نَوَاحِيه. وجَانَسَ بِقَوْلِهِ يَجُولُ الموتُ في أَجْوَالِهِ؛ لأَنَّ حروفَ الأَصْلِ في يَجُولُ وفي أَجْوَالِهِ[1] واحِدَةٌ، والمُرَادُ بالكَلِمَتَيْنِ مُخْتَلِفٌ، واتّفاقُ هذا في الكلامِ هو التَّجْنِيسُ، وهو من البَديعِ[2].

١٢ ـ ولَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الكلامِ سُلافَةً ... وسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ من جِرْيَالِهِ[3]

السُّلافُ والسُّلافَةُ: ما سَالَ من الخَمْرِ دونَ أن يُعْصَرَ، والجِرْيَال: صِبْغٌ أَحْمَرُ، وما اشتدَّتْ حُمْرَتُهُ من الخَمْرِ، يُسَمَّى جِرْيالاً على المُشابَهَةِ[4].

فيقولُ[5]: إنَّه خَبَّأَ مِنَ الكَلامِ أسْهَلَهُ وأَفْضَلَهُ، وما هو مِنْهُ[6] كالسُّلافِ[7] في ضُروبِ الخَمْرِ، وأَظْهرَ مِنْهُ[8] ما لا يُدْفَعُ فَضْلُهُ، ولا يُنْكَرُ حُسْنُهُ، كالجِرْيَالِ في أَنْوَاعِها، إلاَّ أنَّ الذي أَظْهَرَهُ مَعَ تَقَدُّمِهِ دونَ الذي خَبَّأَهُ[9]. يُشيرُ بهذا إلى قُدْرَتِهِ على الكَلامِ وإحاطَتِهِ به.

١٣ ـ وإذَا تَعَثَّرَتِ الجِيَادُ بِسَهْلِهِ ... بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ

ثُمَّ قالَ: وإذا بَعُدَ سَهْلُ الكلامِ على أَهْلِ الإِحْسَانِ، وَصَعُبَ انقيادُهُ لَهُم، صُعُوبَةَ المُقَاماتِ التي تُوجِبُ ذلك، بَرَّزْتُ هُنالِكَ غيرَ مُقَصِّرٍ في

(١) في ر، ف «الأجوال».

(٢) «وهو من البديع» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «جرباله» وهو تصحيف.

(٤) «السلاف... المشابهة» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) كذا في ل وفي ر، ف، ت «فيه».

(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «كالسلافة» والسلاف والسلافة بمعنى واحد.

(٨) في ت «فيه».

(٩) في ت «إلا أن الذي أظهره دون الذي كتمه».

غوامِضِ القَوْلِ، ولا مُتعَثِّرٍ[1] في بَدائعِ الشِّعْرِ. وكَنَى «بالسَّهْلِ» عمَّا قَرُبَ من الكَلامِ، «وبالجِبالِ»، عما غَمُضَ مِنْهُ، و«بالجِيادِ»، عن أهلِ الإحْسَانِ، فاسْتَعَارَ هذه الألقابَ أحْسَنَ استعَارةٍ، وأشَارَ إلى إحسَانِهِ أبْدَعَ إشَارةٍ، وكُلُّ ذلكَ من بَديعِ الكلامِ.

١٤ ـ وَحَكَمْتُ في البَلَدِ العَراءِ بناعِجٍ مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ

العَراءُ: الأرضُ الفَضَاءُ التي لا يُسْتَتَرُ فيها، والنَّاعِجُ من الجِمَالِ: الأبْيَضُ، وذلكَ من دَلائِلِ كَرَمِهِ، والمُجْتَابُ للبَلَدِ: الذي يَقْطَعُهُ، والمُغْتَالُ له: الذي يَسْتَوفي غَايَتَهُ[2].

فَيَقُولُ[3]: إنَّهُ اقتدَرَ على القَفْرِ العَراءِ[4] بِجَمَلٍ مُعْتَادٍ للسَّيْرِ[5] فيه[6]، مُسْتَضْلِعٍ[7] بالقَطْعِ له، مُسْتَقِلٍّ بِبُلوغِ غَايتِهِ، فَحَكَمَ[8] في هذا القَفْرِ، بِرُكُوبِهِ جَمَلاً[9] هذه صِفَتُهُ.

١٥ ـ يَمْشِي كَما عَدَتِ المَطِيُّ وَرَاءَهُ وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمامِها وكَلالِهِ

العَدْو: ضَرْبٌ من الجَرْي[10].

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «متغير».

(٢) «العراء... غايته» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) زاد في ر، ف «فحكم في هذا القفر».

(٥) في ر، ف «المسير» وفي ت «السير».

(٦) ساقطة من ل.

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «متطلع».
والمستضلع: الضَّلِيعُ القوي التام الخَلْق.

(٨) حكم بمعنى: قطع به.

(٩) في ر، ف «الجمل».

(١٠) «العدو... الجري» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: إنَّ هذا الجملَ لقوَّتِهِ يُساوي بِمَشْيِهِ جَرْيَ غَيْرِهِ من المَطِيِّ، فَيَسْتَظْهِرُ بِمَشْيِهِ على عَدْوِها، وَبِعَفْوِهِ على جَهْدِها، فَتَصيرُ وَرَاءَهُ، ويَزِيدُ على ذلك عِنْدَ كَلالِهِ وجَمامِها[1]، وتَعَبِهِ وَراحَتِها، فما ظَنُّكَ به إذا تَساوتِ الحالُ وذَهَبَ عنه الكَلالُ؟

١٦ - وَتُـرَاعُ غَـيْرَ مُعَـقَّـلاتٍ حَـوْلَـهُ   فَـيَفُـوتُـهـا مُتَجَفِّـلاً بِـعِـقَـالِـهِ

وَتُرَاعُ المَطِيُّ حَوْلَ هذا الجملِ، وكُلُّها لا عِقَالَ عَلَيْهِ[2]، وهو مَعْقُولٌ بَيْنَها، فَتَفِرُّ مُسْرِعَةً، وَتَصُدُّ مَوَلِّيَةً، وَيَفِرُّ هـذا الجملُ لِفِـرَارِها[3]، فَيَفُـوتُها مُسْرِعاً، وهو[4] بِعِقَالِهِ، وهي مُطْلَقَةٌ، وَيَتَقَـدَّمُها مُـوثَقاً[5] بِـرِبَاطِـهِ، وهي مُجْتَهِدَةٌ. والمُتَجَفِّلُ: المُسْرِع[6].

١٧ - فَغَـدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ في أَخْفَـافِـهِ   وَغَـدَا المِـرَاحُ وَرَاحَ في إِرْقَـالِـهِ

المِراحُ: النَّشَاطُ[7].

يَقولُ[8]: إنَّه أَعْمَلَ هذا الجَمَلَ في قَصْدِ هـذا الرَّئيسِ، فـاقْتَرَنَ[9] الظَّفَرُ بِسَيْرِهِ، والفَوْزُ والغِبْطَةُ بِسَفَرِهِ، وَبَلَّغَهُ والنَّجاحُ يَغْدُو ويَرُوحُ في أَخْفَافِ مَطِيَّتِهِ، والنَّشَاطُ يَحْمِلُها، والقُوَّةُ تَنْهَضُ بِهَا.

---

(١) المطيُّ الجامَّةُ: دائمة النشاط، والتي كلما ذهب منها جري جاءها جري آخر.
(٢) كذا في ل، وفي ت «عليها»، وهي ساقطة من ر، ف.
(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بفرارها».
(٤) ساقطة من ر، ف، ت.
(٥) زيادة في ر، ف.
(٦) «المتجفل: «المسرع» زيادة في ل.
(٧) «المراح: النُّشاط» زيادة في ل.
والأخفاف: جمع خُفٍّ، وهو خف البعير، والإرقالُ: ضربٌ من السير، وناقة مِرْقَال: مُسْرِعة.
(٨) في ر، ف «ثم قال».
(٩) في ت «فاقتران».



١٨ ـ وَشَـرِكْتُ دَوْلَـةَ هَـاشِمٍ في سَيْفِهَـا   وَشَقَقْتُ خِيْسَ الْمُلْكِ عَن رِئْبَـالِـهِ

الرِّئبالُ: الأَسَدُ، والخِيْسُ: أَجَمَتُهُ[١].

يَقُولُ: إنَّه[٢] شَرِكَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ في هذا الرَّئِيسِ، الذي هـوِ سَيْفُها، فاختَارَهُ لِقَصْدِهِ، كما اختارَهُ المِلكُ لِنَفْسِهِ، وَوَصَلَ إلى دَارِ سُلْطَانِهِ، ورَفِيعِ مَكَانِهِ، فَأَبْدَى لَهُ مُسْتَقرُّ تلكَ المَنعَةِ، وَمَوْضِعُ تلكَ الرِّفْعَةِ، عن أَسَدِ المُلْكِ المانِعِ مِنْهُ، وسَيْفِهِ المُدَافِعِ عنه، وكَنَى بالرِّئْبَالِ عن سَيْفِ الدَّولَةِ، وبالخِيْسِ عن بَلَدِهِ.

١٩ ـ عَنْ ذَا الَّذي حُرِمَ اللُّيوثُ[٣] كَمالَـهُ   يُنْسِي الفَـرِيسَـةَ خَـوْفَـهُ بجَمَـالِـهِ

الفَرِيسَةُ: ما اختَطَفَهُ الأَسَدُ، فَدَقَّ عُنُقَهُ[٤].

فَيَقولُ[٥] إنَّه شَقَّ خِيْسَ المُلِكِ عن الأَسَـدِ[٦]، الذي حُـرِمَتِ الأُسْدُ كَمالَهُ، ومُنِعَتْ خِصَالَهُ؛ لأنَّه يَشْرَكُها ببَأْسِهِ، ويفُوتُها بِحُسْنِهِ، فهي مَنْسُوبَةٌ إلى القُبْحِ، وهو لِحُسْنِهِ يُنْسِي فَرِيْسَتَهُ خَوْفَهُ بِجَمَالِ وَجْهِهِ، وَيَشْغَلُها بِبَهائِه عما تَتَوَقَّعُهُ[٧] من بَأْسِهِ.

٢٠ ـ وَتَـواضَـعَ الأُمَـراءُ حَـوْلَ سَرِيـرِهِ   وتُـرِى المَحَبَّـةَ وهـي من آكَـالِـهِ

الآكالُ: جمْعُ أُكْلٍ[٨].

---

(١) «الرئبال. . . أجمته» زيادة في ل.

(٢) «يقول إنه» زيادة في ر، ف وفي ل «فشرك».

(٣) في ر، ف «الملوك».

(٤) «الفريسة. . . عنقه» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ف «الأسعد» وهو تحريف.

(٧) في ر، ف «يتوقعه».

(٨) «الآكال. . أكل» زيادة في ل. والأُكل: الأقوات والأرزاق.

ثُمَّ قالَ: إنَّه[1] لِشِدَّةِ هَيْبَتِهِ، وارتِفَاعِ رُتْبَتِهِ، تَتَواضَعُ الأُمراءُ حَوْلَ سَرِيْرِهِ، وتَعْتَصِمُ بالخُضُوعِ لَهُ، وتُرِيهِ مَحَبَّتَهَا، ولَيْسَتْ مِنْ أَشْكَالِهِ، وتَتَوَدَّدُهُ، وهي مِنْ آكَالِهِ.

٢١ - وَيُمِيتُ[2] قَبْلَ قِتَالِهِ، وَيَبَشُّ قَبْلَ نَوَالِهِ، وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ

البَشَاشَةُ: الاسْتِبْشَارُ[3].

فيقولُ[4] إنَّ هذا الممدوحَ يُمِيْتُ بِهَيْبَتِهِ قَبْلَ أن يُقَاتِلَ، ويَسْتَبْشِرُ بِنَوَالِهِ قَبْلَ أن يُعْطِيَ، ويُنِيلُ مَنْ يَقْصِدُهُ قَبْلَ أن يُسْأَلَ.

٢٢ - إنَّ الرِّيَاحَ إذا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عن استِعْجَالِهِ

ثُمَّ ضَرَبَ له مَثَلاً، في قُوَّتِهِ على ما يَقْصِدُهُ[5]، وقُدْرَتِهِ على ما يَفْعَلُ، بالرِّيحِ في قُوَّةِ هُبُوبِها، وعَجَلَةِ مَسِيرِها، فَقَالَ: وكذَلِكَ الرِّياحُ إذا اعتَمَدَتِ النَّاظِرَ إليها، أَغْنَاهُ سُرْعَةُ حُلُولِها عن اسْتِعْجَالِها في مَسِيرِها.

٢٣ - أعطَى وَمَنَّ[6] على الملوكِ بِعَفْوِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ في إفْضَالِهِ

يَقُولُ[7]: أَعْطَى، فَعَمَّ[8] بِفَضْلِهِ، واقتَدَرَ على المُلوكِ المُرْتَفِعينَ[9] عَنْ

---

(١) في ل «وإنه».

(٢) في ف «ويموت».

(٣) «البشاشة: الاستبشار» زيادة من ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «يقصد».

(٦) في ر، ف «ومنَّى».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «فمنَّى».

(٩) في ت «المترفعين».

تَقبُّلِ العَطاءِ، فمنَّ عليهم بِعَفْوِهِ، وكانَ صَفْحُهُ عَنْهُم من أَوْفَرِ العَطاءِ عِنْدَهُمْ، فَتساوَى المُلُوكُ والسُّوَقُ[1] فيما شَمِلَهُمْ من إفضَالِهِ، وتَماثَلوا فيما أَحَاطَ بهم من إِحْسَانِهِ.

٢٤ ـ وإذا غَنُوا بِعَطَائِهِ عن هَزِّهِ وَإِلَى فَأَغْنَى أن يَقُولُوا وَالِهِ

ثُمَّ قَالَ: وإذا أغنَى[2] كَرَمُهُ عن مَسْأَلَتِهِ، وابْتِداؤُهُ للعَطَاءِ عن هَزِّهِ، وَإِلَى ذلكَ وتابَعَهُ، وأعَادَهُ وواصَلَهُ، فأغْنَى احتِمَالُهُ عليه عن تَحْريكِهِ بالمَسْأَلةِ إليه.

٢٥ ـ وَكَأَنَّما جَدْوَاهُ من إِكْثَارِهِ حَسَدٌ لسائِلِهِ على إِقْلاَلِهِ

الجَدْوَى: العَطَاءُ[3].

فيقولُ: وكأنَّما عَطاؤُهُ[4] لِكَثْرَتِهِ، وما هوَ[5] عَلَيْهِ مِنْ مُوَاصَلَتِهِ، استكرَاهُ منه لِلْمَالِ، وحَسَدٌ للسَّائِلِ على الإقلالِ.

٢٦ ـ غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِه وَطَلَعْنَ حِيْنَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ[6]

الهَمُّ والهِمَّةُ بِمَعْنًى واحِدٌ[7].

ثُمَّ قَالَ[8]: إنَّ النُّجومَ مَعَ ارتفاعِ مَوَاضِعِها، وانتِزَاحِ مَغَارِبِها

(١) في ت «والسوقة». والسُّوقَةُ: الرَّعِيَّةُ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، أو قد يجمع «سُوَقاً».
(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «غنى».
(٣) «الجدوى: العطاء» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «ثم قال إنما إعطاؤه».
على أن الإعطاء مصدر والعطاء اسم مصدر.
(٥) في ف «ولا ما هو».
(٦) في ف «دون مثاله».
(٧) «الهم... واحد» زيادة في ل.
(٨) «ثم قال» زيادة في ر، ف. وفي ل «وإنَّ»

ومَطَالِعها، تَغْرُبُ مُقَصِّرَةً عَمَّا تَبْلُغُهُ هِمَّتُهُ[1]، وَتَطْلُعُ[2] متَواضِعَةً عَمَّا يُدْرِكُهُ تَنَاوُلُه.

٢٧ ـ واللَّهُ يُسعِدُ كلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ وَيَزِيدُ من أعْدَائِهِ في آلِهِ

يَقُولُ[3]: واللَّهُ يَمُدُّهُ في[4] كلِّ يوم بِكَرامَةٍ يَصِلُها بِهِ، وسَعَادَةٍ يُجَدِّدُها لَهُ[5]، ويُظْفِرُهُ بِمَنْ نَاوَأَهُ، ويُظْهِرُهُ على مَنْ عَادَاهُ، ويَجْعَلُهُمْ بَعْدَ العَداوَةِ أَتْبَاعَ أَمْرِهِ، وأَنْصَاراً لِحِزْبِهِ.

٢٨ ـ لَو لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلى أسيَافِهِ مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إقْبَالِهِ

ثُمَّ قالَ[6]: لو لم يُهْلِكْهُم[7] بِوَقَائِعِهِ، وتَجْرِي مُهَجَاتُهُمْ على سيُوفِهِ، لَتَكَفَّلَ له بِذَلِكَ إقْبَالُ جَدِّهِ، وما أظهَرَهُ اللَّهُ من تَمَكُّنِهِ[8] وسَعْدِهِ.

٢٩ ـ فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ العَرَمْرَمُ نَفْسَهُ وَبِمِثْلِهِ[9] انفَصَمَتْ عُرَا أَقْتَالِهِ

العَرَمْرَمُ: الجَيْشُ الكثِيرُ، والأَقْتَالُ: الأَعْدَاءُ، والواحِدُ قَتْلٌ، والانفصَامُ: الانقطَاعُ[10].

فيقولُ[11]: فلِمِثْلِ سَيْفِ الدَّولةِ جَمَعَتِ الجيُوشُ أنفُسَهَا، وسَلَّمَتْ

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «همه».
(٢) في ر، ف «ولا تطلع».
(٣) في ر، ف «ثم قال».
(٤) «في» زيادة في ل.
(٥) في ت «يجد ماله».
(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف وفي ل «فلو لم...».
(٧) في ر، ف «تهلكهم».
(٨) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «تمكينه».
(٩) في رواية التبيان «لمثله».
(١٠) «العرمرم... الانقطاع» زيادة في ل.
(١١) في ر، ف «ثم قال».

طاعَتَها، إعْظَاماً لِقَدْرِهِ، واعترافاً بِفَضْلِهِ[1]، وَبِمِثْلِهِ من أَهْلِ الحَزَامةِ، والْمتَقدِّمينَ في الرِّياسَةِ، انفصَمَتْ[2] عُرَا أعْدائِهِ، وانحلَّ عَقْدُهُم، وانفَلَّ حَدُّهُم.

٣٠ ـ لم يَتْركوا أَثَراً عَلَيْهِ مِنَ الوَغَى إلاَّ دِمَاءَهُم على سِرْبَالِهِ[3]

ثُمَّ قالَ، مُشيراً إلى استِنْفَاذِهِ لأَعْدَائِهِ، بِقَتْلِهِ لَهُم[4]، وبلوغِهِ الْمُرَادَ مِنْهُم: لم يَتْركُوا عَلَيْهِ لِلْحَربِ أثراً يُظْهِرُهُ، وشَاهِداً يَتَكَلَّفُهُ؛ لاسْتِغْنَائِهِ عن ذلكَ بِبُلوغِ البِغْيَةِ فيه، إلاَّ ما[5] في ثَوْبِهِ من دِمَائِهِم، التي سَفَكَتْها صَوارِمُهُ، وأَجْرَتْها وَقَائِعُهُ، وهذا مِنَ البَدِيعِ يُعْرَفُ بالاستثْنَاءِ.

٣١ ـ يَا أَيُّهَا القمرُ الْمبَاهِي وَجْهَهُ لا تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ من أَشْكَالِهِ

يقولُ[6]: يا أَيُّها القَمَرُ الذي يُبَاهِي وَجْهَ سَيْفِ الدَّولةِ بنورِهِ، ويُسَاجِلُهُ[7] بِحُسْنِهِ، لا تُكْذَبَنَّ عن نَفْسِكَ، فهو أَبْهَى منكَ وأحسَنُ، وأضوءُ منك وأَنْورُ، ولَهُ في البَأْسِ[8] والكَرَمِ رُتَبٌ لا تَبْلُغُها، ومَنَازِلُ لا تَسْتَحِقُّها، فَلَسْتَ مِمَّن يُشَاكِلُهُ ويُضَاهِيه، ويُمَاثِلُهُ ويُسَاويه.

٣٢ ـ وإذَا طَمَا الْبَحْرُ الْمحِيْطُ فَقُلْ لَهُ دَعْ ذا فإنَّك عاجِزٌ عَنْ حَالِهِ

ثُمَّ قالَ: وإذا طَمَا البحرُ الْمحِيطُ، وطُمُوهُ: ارتِفَاعُهُ[9]، فَقُلْ لَهُ: دَعْ ما

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لفضله».

(٢) كذا في ل، ت وففي ر، ف «انفصلت».

(٣) روى الواحدي هذا البيت قبل سابقه (انظر ٢/٤٢١).

(٤) «لهم» ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «الأمك».

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «بنور هو يساجله».

(٨) في ر، ف «الناس».

(٩) «وطمُوهُ: ارتفاعه» زيادة في ل.



تُظْهِرُهُ، فَكَرَمُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ يَغْمُركَ، ومَوَاهِبُهُ تُحَقِّرُكَ، وأَنْتَ عَاجِزٌ عن رُتْبَتِهِ، ومُقَصِّرٌ عن جَلاَلَتِهِ ورِفْعَتِهِ.

٣٣ - وَهَبَ الَّـذي وَرِثَ الجُدودَ ومـا رَأى أَفْـعَـالَهُمْ لاِبْنٍ [١] بـلا أَفْـعَـالِـهِ

ثُمَّ قالَ: «وَهَبَ الذي وَرِثَ الجُدُودَ» [٢]، والعَرَبُ تُسْقِطُ حَرْفَ الجرِّ مَعَ وَرِثَ، فَتُعْمِلُ الفِعْلَ، والحرفُ ثَابِتٌ في النِّيَّةِ، فَيقولُ أَحَدُهُم [٣]: وَرِثْتُ أَبي مَالَهُ، وهو يُريدُ: وَرِثْتُ مِنْ أَبي مَالَه، وأَنْشَدَ سِيْبَوَيهُ [٤]:

وَرِثْتُ أَبي أَخْـلاَقَـهُ: عـاجِـلَ القِـرَى وَعَبْطَ المَهـارِي كُـومُهـا وشبُـوبُهـا [٥]

يُريدُ من أَبي.

فيقولُ أبو الطَّيِّب: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ لِسَعَةِ فَضْلِهِ، وعُمومِ جُودِهِ، وَهَبَ الذي وَرِثَهُ من جُدودِهِ [٦]، وأَشَارَ بهذا إلى استِنْفَادِهِ لِجَمْعِهِ، واستيعَابِهِ لِكَسْبِهِ؛ لأَنَّ نَفَقَةَ التَّالِدِ بعد نَفَقَةِ الطَّارِفِ [٧]، ولم يَقْنَعْ بما خَلَّدَهُ جُدُودُهُ [٨] من المَجدِ، وأَسْلَفُوهُ من الجُودِ، دونَ أن يَتْلُوَهم بِفِعْلِهِ، ويُمَاثِلَهُمْ، ولا رَأَى أَنَّ أَفْعَالَ

(١) في رواية التبيان «الابن».
(٢) «ثم قال... الجدود» زيادة في ر، ف.
(٣) في ر، ف «فتقول» و«أحدهم» ساقطة منها.
(٤) كتاب سيبوية ١/١٦ والبيت للفرزدق: ديوانه ص ٦٦.
(٥) في ت «وشَنُونُها» وهو تصحيف لأن البيت من قصيدة بائية.
والشنون: الناقة التي أخذت في السمن ولم تنته.
(٦) في ف «جوده».
(٧) التَّالِدُ: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك أو نتج. والطَّارِفُ: نقيضه، أي: المال المستحدث.
(٨) في ت «خلفه آباؤه».



الآباءِ تُشَرِّفُ الابنَ[1]، إذا لم تُشَرِّفْهُ أَفْعَالُهُ، وتَرْفَعْهُ أَحْوَالُهُ، نَحْوَ قولِ الجَعْدِيِّ[2]:

لَسْنَا وإن كَرُمَتْ أوائِلُنَا[3] يَوْماً على الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

٣٤ ـ حتَّى إذا فَنِيَ التُّراثُ سِوَى العُلاَ قَصَدَ العُدَاةَ مِنَ القَنَا بِطِوَالِهِ

ثُمَّ قالَ: حَتَّى إذا أَفْنَى البَذْلُ تُرَاثَهُ، واستَوْعَبَ طارِفَهُ وتالِدَهُ[4]، ولم يَبْقَ من ذلكَ إلاَّ العُلاَ التي خَلَّدَها، والمَكارِمُ التي شَيَّدَها، طَلَبَ المالَ مُغَالَبَةً، فَقَصَدَ عِدَاهُ[5] بِطِوَالِ[6] رِمَاحِهِ، واسْتَعْمَلَ فيهم صَوَارِمَ سُيوفِهِ.

٣٥ ـ وبِأَرْعَنٍ لَبِسَ العَجَاجَ إلَيْهِمِ فَوْقَ الحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ

الرَّعْنُ: أَنْفُ الجَبَلِ، والأَرْعَنُ: الجَيْشُ الكثيرُ التي تكون له فُضولٌ، كفُضولِ الجِبالِ ورعُونِها[7].

(١) في ت «ورأى أن أفعال الآباء لا تشرف الابن حتى تشرفه أفعاله».

(٢) في ر، ف «الجفري» والبيت ليس في شعر الجعدي المجموع (ط المكتب الإسلامي)، وفي ت «ومثله قول الليثي». والبيت مع آخر للمتوكل الليثي (حماسة أبي تمام ٤/١٧٩٠ حماسية رقم ٨٠٧) وفي شعر المتوكل المجموع نسب له ولغيره ص ٢٧٥. وفي الحيوان نسب البيت مع آخر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (الحيوان ٧/١٦٠).
والمتوكل الليثي: هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ويكنى أبا جَهْمَة، وهو من شعراء الإسلام، كان كوفياً، وكان في عصر معاوية.
(طبقات فحول الشعراء ٢/٦٨١، والمؤتلف والمختلف ص ٢٧٢).

(٣) في ر، ت «واثلنا».

(٤) «تالده» ساقطة من ر، ف.

(٥) في ت «الأعداء».

(٦) في ل، ت «بطول».

(٧) «الرعن... ورعونها» زيادة في ل.

فَيَقولُ: إنَّ سيفَ الدَّولةِ قَصَدَ أعادِيهِ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ، لَهُ رُعونٌ وفُضولٌ، يَلْبَسُ ما يُثيرُهُ من العَجَاجِ فَوْقَ ما يَلْبَسُ فُرْسَانُهُ من السِّلاحِ، ويَجُرُّ أذْيَالَهُ لوُفورِهِ، ويَسْحَبُها إلى العَدوِّ في مَسِيْرِهِ.

٣٦ ـ فَكَأَنَّمَا قَذِيَ النَّهَارُ بِنَقْعِهِ أوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ من إجلالِهِ

القَذَى: ما وَقَعَ في العَيْنِ فَعَاقَها عن النَّظَرِ، والنَّقْعُ: الغُبَارُ[1].

ثُمَّ قالَ: إنَّ ذلكَ[2] العَجَاجَ طَمَسَ ضِيَاءَ النَّهارِ بِشِدَّتِهِ، حتى كأنَّهُ قَذِيَ بِغُبَارِهِ، أو غَضَّ طَرْفَهُ عنه[3]، لِمَخافَتِهِ وإجلالِهِ. يُشيرُ بذلكَ إلى تَغَلُّبِ الإظلامِ على نُورِهِ، واسْتِيلاءِ العَجَاجِ على ضَوْئِهِ.

٣٧ ـ الجَيْشُ جَيْشُكَ غَيرَ أنَّكَ جَيْشُهُ في قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ

يقولُ[4]: الجَيْشُ جَيْشُكَ في امتِثالِهِ لأمْرِكَ، وتَصَرُّفِهِ على إرَادَتِكَ[5]، وأنت جَيْشُهُ في أنَّهُ إنَّما يَشْجُعُ بِشَجَاعَتِكَ، وَيُقْدِمُ بك، وتَهابُهُ الأعْدَاءُ من أجلِكَ. هذه حَالُكَ في قَلْبِه[6]، ويَمِينِهِ وشِمالِهِ، فإذا امتَنَعَ الرُّؤَسَاءُ بِجيُوشِهِم، فأنتَ تَمْنَعُ جَيْشَكَ، وإذا احتَمَوْا[7] بِجُمُوعِهِم، فأنْتَ تَحمِي جَمْعَكَ.

٣٨ ـ تَرِدُ الطِّعَانَ المُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ وَتُنَازِلُ الأبْطَالَ عَنْ أبْطَالِهِ

(١) «القذى... الغبار» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ذاك».

(٣) في ر، ف «غض عنه طرفه».

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «رأيك».

(٦) في ت «فهذه حاله في قلبه».

(٧) في ر، ف «اجتمعوا».



ثُمَّ قالَ: يَسْبِقُ فُرْسَانَهُ إلى الطِّعَانِ، فَيَرِدُ قَبْلَهُم مُرَّهُ، ويَسْبِقُ أبْطَالَهُ إلى النِّزَالِ، فَيَصْلَى[1] دُونَهُم حَرَّهُ.

٣٩ ـ كُـلٌّ يُـريـدُ رجـالَـهُ لِحَيـاتِـهِ   يـا مَنْ يـريـدُ حَيـاتَـهُ لِرجـالِـهِ

ثُمَّ قال[2]: كُلُّ الأُمَراءِ غَيرُكَ يُرِيدُ الرِّجَالَ لَيَسْتَبْقِيَ حَيَاتَهُ، وأَنْتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ لِتَسْتَبْقِيَ رجَالَكَ، وتَحْفَظَ جَمْعَكَ، وتَحْمِيَ جُنْدَكَ.

٤٠ ـ دُونَ الحَـلاَوةِ في الـزَّمـانِ مَـرارَةٌ   لا تُخْتَـطَى[3] إلاَّ عَـلَى أهْـوَالِـهِ

يقولُ: دونَ حَلاوةِ الظَّفَرِ، وَلَذَّةِ بُلوغِ الأَمَلِ، مَرارَةٌ من الغَرَرِ[4]، ومَشَقَّةٌ من الخَطَرِ، لا تُتَجاوزُ تلكَ المَرارَةُ إلا بمُقَارَعَةِ أهْوَالِ الزَّمانِ وَشِدَّتِها، والتَّعَرُّضِ لِمِحْنَتِها[5] وصُعُوبَتِها، وضَرَبَ هذا مَثَلاً فيما قَدَّمَهُ، والمَثَلُ أَرْفَعُ وجوهِ البَدِيعِ.

٤١ ـ فَـلِذاكَ جَـاوَزَهـا عَـلِيٌّ وَحْـدَهُ   وَسَـعَـى بِمُـنْـصُـلِهِ إلى آمـالِـهِ

ثُمَّ قـالَ: فَلِذلكَ[6] انفَـرَدَ عـلِيٌّ بِجَـوَازِ تلكَ المَـرَارَةِ، وتَخَطِّي تِلْكَ الصُّعوبَةِ، وسَعَى إلى أَمَلِهِ بِسَيْفِهِ، واقتَدَرَ على مُرادِهِ بعَزْمِهِ.

---

(١) في ر، ف «تسبق... ترد... وتسبق... فتصلي».

(٢) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٣) في ف «لا تخطى».

(٤) الغَرَرُ: الهلاك.

(٥) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «لمحنها».

(٦) في ر، ف «فلذاك».



وقال أَيْضاً[١]، يمْدَحُهُ:

١ - أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ ومَكَارِمٍ ⁂ وَمِن ارتيَاحِكَ في غَمَامٍ دائِمِ

الارتِيَاحُ: انبِساطُ الخُلُقِ بالمعْروفِ[٢].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أنا مِنكَ بَيْنَ فَضائِلَ باهِرَةٍ، ومَكَارِمَ شَامِلَةٍ، ومن ارتياحِكَ في سَحَابٍ لا يُقْلِعُ، وعَطَاءٍ لا يَنْقَطِعُ[٣].

٢ - وَمِنَ احتِقَارِكَ كُلَّ ما تَحْبُو بِهِ ⁂ فِيما أُلاَحِظُهُ بِعَيْنَيْ حَالِمِ

ثُمَّ قالَ: وأَنَا من احتِقَارِكَ لِعَظِيمِ ما تَفْعَلُهُ، وكَثِيرِ ما تَبْذُلُهُ في شَيْءٍ[٤] أُلَحَظُهُ[٥] بِعَيْنَيْ حَالِمٍ غَيْرِ مُحَقِّقٍ، ومُتَوَهِّمٍ غَيْرِ مُصَدِّقٍ.

٣ - إِنَّ الخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهُ[٦] ⁂ حَتَّى بَلاَكَ[٧] فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ

الابْتِلاءُ: التَّجْرِبَةُ، وعَيْنُ الشَّيءِ: حَقيقَتُهُ[٨].

فيقول[٩]: إِنَّ الخَلِيْفَةَ لم يُسَمِّكَ سَيْفَ دَوْلَتِهِ[١٠] حتى جَرَّبَكَ، فَكُنتَ السَّيفَ حَقِيْقَةً، لا يَنْبُو حَدُّكَ، ولا يَنْفَلُّ عَزْمُكَ، ولا يَطْمَعُ فيكَ عَدُوُّكَ.

---

(١) «أيضاً» زيادة في ر، ف.

(٢) «الارتياح... بالمعروف» زيادة في ل.

(٣) في ت «لا يقطع».

(٤) «في شي» ساقطة من ر، ف

(٥) في ت «ألاحظه»

(٦) في رواية الواحدي والتبيان «سيفها».

(٧) في رواية التبيان «ابتلاك».

(٨) «الابتلاء... حقيقته» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال».

(١٠) كذا في ل، ت وفي ر، ف «سيفه».

٤ ـ فـإذا[1] تَتَـوَّجَ كُنْـتَ دُرَّةَ تَـاجِـهِ   وإذا تَخَـتَّمَ كُـنْـتَ فَصَّ[2] الخَـاتَـمِ

ثُمَّ قـالَ: فأنتَ أرْفَـعُ آلاتِ تَاجِـهِ إذا تَتَوَّجَ؛ لأَنَّـكَ دُرَّتُهُ، وأَجَـلُّ مـا يَشْتَمِلُ[3] عليه[4] خاتِمُهُ إذا تَخَتَّمَ؛ لأَنَّكَ فَصُّهُ. يُشِيرُ إلى أَنَّه أرْفَعُ ما يَتَرَفَّعُ الخَلِيْفَةُ به[5]، وأَجَلُّ ما يُبَاهِي بمَوْضِعِهِ.

٥ ـ وإذا انتضَـاكَ على العِـدَى في مَعْـرَكٍ   هَلَكُـوا وَضَـاقَتْ كَفُّـهُ بـالقَـائِمِ

يقول[6]: إذا جَرَّدَكَ على أعَادِيهِ في مَعْرَكٍ، وعَارَضَهُم بكَ في مَوْقفٍ، أَهْلَكَ بِنَفَاذِكَ جَمْعَهُمْ، وأَذَلَّ بابْتِدَارِكَ عِزَّهُمْ، وضَاقَتْ كَفُّهُ عن قائِمِ سَيْفٍ أَنْتَ حَقِيْقَتُهُ، وقَلَّ هذا الاسْمُ لِقَدْرِكَ، وتَوَاضَعَ لجَلاَلَةِ أَمْرِكَ.

٦ ـ أَبْـدَى سَخَـاؤُكَ عَجزَ كُـلِّ مُشَمِّـرٍ   في وَصْفِـهِ وأَضَـاقَ ذَرْعَ الكَـاتِمِ

ثُمَّ قالَ: أَبْدَى سَخَاؤُكَ لِكَثْرَتِهِ عَجْزَ واصِفِهِ، وأَضاقَ كَرَمُكَ بِتَظَاهُرِهِ ذَرْعَ كاتِمِهِ، فَمُحاوِلُ وَصْفِهِ لا يَبْلُغُهُ، لِعَجْزِهِ عَنْهُ، ومُحَاوِلُ كَتْمِهِ لا يُمْكِنُهُ، لما تَبَيَّنَ مِنْهُ.

---

(١) في رواية الواحدي والتبيان «وإذا».

(٢) في ف «فصم» وهو تحريف.

(٣) كذا في ل، ت وفي ر «تشتمل» وفي ف «تشمل».

(٤) في ر، ف «عليه به».

(٥) في ت «به الخليفة».

(٦) في ر، ف «ثم قال: وإذا».

وقالَ فيهِ، وقد أمَرَ له بفَرَسٍ وجَاريةٍ[١]:

١ ـ أيَـدْرِي الـرَّبْـعُ أيَّ دَمٍ أرَاقَـا وأيَّ قُلُوبِ هَـذا الـرَّكْبِ شَـاقَـا

الشُّعَراءُ تَذْكُرُ أنَّ الحُزْنَ إذا أفْرطَ، والبُكاءَ إذا اتَّصلَ، امتزجَ الدَّمُ بالدَّمعِ، فتَلاهُ في جَرْيِهِ، وانْحدَرَ في أثَرِهِ، فيقولُ: أيَدْري هذا الرَّبعُ أيَّ الرَّكبِ الوُقُوفِ به، أرَاقَ دَمَهُ، مما[٢] كلَّفَهُ من البُكَاءِ فيه، وأكَّدَ اشْتِيَاقَهُ بما جدَّدَهُ من الجزَعِ عَلَيْهِ؟

٢ ـ لَـنَـا وَلِأَهْـلِهِ أبَـداً قُـلوبٌ تَـلاَقَـى في جُسُـومٍ مـا تَـلاَقَـا

ثُمَّ قالَ: لنا وللرَّاحلينَ من أهْلِهِ قُلُوبٌ تَتَلاقَى أبداً، بما هي عليهِ من التَّذَكُّرِ لِسَالِفِ العَهْدِ، والامْتِثالِ لِأَيَّامِ الوَصْلِ، في أجْسَادٍ مُتَبَايِنَةٍ[٣]، وأجْسَامٍ[٤] غَيْرِ مُتَلاقِيةٍ.

٣ ـ وَمَـا عَـفَـتِ الـرِّيَـاحُ لَـهُ مَحَـلاً عَـفَـاهُ مَـنْ حَـدَا بِهِـمُ وَسَـاقَـا

يقولُ: وما غَيَّرَ آثارَ هذا الرَّبعِ، وَعَفَّى رُسُومَـهُ، اختِلافُ الرِّياحِ عَليه، وتَكَرُّرهَا بالهبوبِ فيهِ، وإنما غَيَّرَهُ وعَفَّاهُ، وأخْلَقَه وأبْلاَهُ، مَنْ رَحَلَ بأهْلِهِ عنهُ، وأخْرَجَ العَامرينَ لَهُ مِنْهُ.

٤ ـ فَلَيْتَ هَـوَى الأَحِبَّةِ كَـانَ عَـدْلاً فَـحَمَّـلَ كُـلَّ قَـلْبٍ مـا أطَـاقَـا

---

(١) في ر، ف «وأمر له بفرس وجارية، فقال يمدحه».

(٢) كذا في ت، ر، ف وفي ل «بما».

(٣) في ر، ف «متنائية» وفي ت «متنافية».

(٤) في ل «جسوم» وفي ت «أجسام متنافية وأجساد غير متلاقية».



ثُمَّ قالَ: فَلَيْتَ هَوَى الأحبَّةِ الرَّاحلينَ، والأُلأفِ المُتَحمِّلينَ(١)، عَدَلَ في حُكْمِهِ، وأَنْصَفَ من نَفْسِهِ، فَحمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ ما يُطيقُهُ من الحُبِّ، وأَوْدَعَهُ ما يَسْتَقِلُّ به من الصَّبَابَةِ والوَجْدِ

٥ - نَظَرْتُ إليهِمْ وَالعَيْنُ شَكْرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا

العَيْنُ الشَّكْرَى: المُمْتَلِئَةُ بالدَّمعِ، والمَآقُ: طَرَفُ العَيْنِ مما يلي الأَنْفَ، وهو مَخْرَجُ الدَّمعِ مِن العَيْنِ(٢).

فيقولُ(٣): نَظَرْتُ إليهم عِنْدَ رِحْلَتِهِم(٤)، والعَيْنُ مُمْتَلِئَةٌ بِدَمْعِها، فَصَارَتْ كلُّها مَخْرَجاً للدَّمعِ، لِكَثْرَتِهِ فيها(٥)، وشدَّةِ انْحِدارِهِ(٦) منها. يُخْبِرُ عَنْ غَلَبَةِ البُكَاءِ لَهُ.

٦ - وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ البَدْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِن السَّقَمِ المُحَاقَا

ثُمَّ قالَ: وقَدْ أَخذَ البَدْرُ الرَّاحِلُ فيهم حَالَ التَّمامِ في حُسْنِهِ، والكَمالِ في جَمالِهِ، وأَعْطَاني المُحَاقَ من السَّقَمِ عليهِ، والنُّحولِ من الوَجْدِ بهِ، والتضاؤلِ بَعْدَ الفَقْدِ لَهُ. وطَابَقَ بَيْنَ المحاقِ والتَّمامِ، وذلكَ من بَديعِ الشِّعْرِ.

٧ - وَبَيْنَ الفَرْعِ والقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِها النِّيَاقَا

---

(١) في ر، ف «والمتحملين».

(٢) «العين... من العين» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ت «رحيلهم».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فيه».

(٦) في ر، ف، ت «الحرارة».

الفَرْعُ: الشَّعْرُ، والنِّياقُ: جَمْعُ ناقَةٍ[1].

فيقولُ: وبَيْنَ[2] الفَرعِ والقدَمَينِ نُورٌ، من ضِياءِ وَجْهِ مَنْ أُحِبُّهُ[3]، وتَلألُوءِ حُسْنِه، يَقُودُ النِّياقَ بلا أزِمَّةٍ[4]، ويَحْدُوها على السَّيْرِ[5] بلا مؤُونَةٍ.

٨ ـ وَطَرْفٌ إن سَقى العُشَّاقَ كَأْساً بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقا

الدِّهَاقُ: المُمْتَلِئَةُ[6].

وفيما هُنَالِك مِنهُ، لحظٌ فاتِرٌ، وطَرْفٌ ساحِرٌ، إذا سَقى العشَّاقَ المُغْرَمينَ[7] بِهِ كَأْساً من خَمْرةٍ ناقِصَةٍ، سَقَانِيْهَا دِهَاقاً مُتْرَعةً.

٩ ـ وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا

وفيما هُنَالك أيْضاً، خَصْرٌ لَطِيفٌ، تَثْبُتُ الأَبْصارُ فيه، وتَتَردَّدُ لِحُسْنِهِ عليه، ويَكْثُرُ الإعجابُ منها به، حَتَّى كَأَنَّ عليه منها[8] نِطَاقاً[9] يَشْمَلُهُ، ووِشَاحاً يَعُمُّه.

١٠ ـ سَلِي عَنْ سِيْرَتِي فَرَسِي وسَيْفِي[10] وَرُمحِي والهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا

الهَمَلَّعَةُ: النَّاقَةُ الخفيفةُ القَوِيَّةُ، والدِّفاقُ: السَّريعةُ[11]

(١) «الفرع... ناقة» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال بين».
(٣) في ر، ف «نور من ضياء وجهه».
(٤) الأزِمَّة: جمع زِمَام وهو ما يشد به البعير من السيور.
(٥) في ر، ف «المسير».
(٦) «الدهاق: الممتلئة» زيادة في ل.
(٧) في ر، ف «والمغرمين».
(٨) ساقطة من ر، ف.
(٩) النطاق: ما يشدُّ به وسط الرجل أو المرأة.
(١٠) في ر، ف «رمحي وسيفي».
(١١) «الهملعة... السريعة» زيادة في ل.

فيقولُ[1] للَّتي يُخَاطِبُها: سَلِي عن سِيْرَتي في الإقدامِ علىٰ الأهوالِ، والقُوَّةِ على الأَسْفارِ، والنَّفاذِ[2] في الفَلَواتِ، فَرَسِي الذي يَحْمِلُني في الحَرْبِ، وسَيْفي ورُمْحِي اللَّذَيْنِ أَبْطِشُ بهما في الطَّعنِ والضَّربِ، ونَاقَتِي التي تَحْمِلُني في الأَسْفارِ، وأَقْطَعُ عليها الفَلَواتِ بالارتِحَالِ[3].

١١ - تَـرَكْنَـا مِنْ وَرَاءِ العِيْسِ نَـجْـداً　　وَنَـكَّبْـنَـا الـسَّـمَـاوَةَ والـعِـراقَـا

السَّماوةُ: فَلاَةٌ بَيْنَ الشَّامِ والعِراقِ[4].

ثُمَّ قالَ: تَرَكْنَا نَجْداً من وَرَاءِ رَوَاحِلِنا، ونَكَّبْنَا عن السَّماوةِ والعراقِ في سَفَرِنا، قَاصِدينَ سَيفَ الدَّولةِ في مَوْضِعِهِ من الشَّامِ، ومُسْتَقَرِّهِ من تلكَ الأَرْضِ.

١٢ - فَـمَا زَالَـت تَـرَى والـلَّيْـلُ دَاجٍ　　لِسَيْـفِ الـدَّوْلَـةِ الملِكِ ائْـتِـلاَقَـا

الائتِلاقُ: التَّلألؤُ واللَّمَعَانُ[5].

يَقُولُ[6]: فما زالَتْ عِيْسُنا عند دُجُوِّ لَيْلِها، واعتِراضِ الظَّلاَمِ لها، تَرَى لِسَيْفِ الدَّولةِ المَلِكِ ضِيَاءً يَقْتَادُها، ونُوراً يَسْطَعُ[7] لها، إشَارَةً إلى ما تَظَاهَرَ في أَرْضِهِ من فَضْلِهِ، وأَشْرَقَ فيها من أَنْوارِ مَجْدِهِ.

١٣ - أَدِلَّـتُـهَـا رِيَـاحُ المِـسْـكِ مِـنْـهُ　　إذا فَتَحَتْ مَنَـاخِـرَهَـا انْتِشَـاقَـا

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «والبعاد».

(٣) «بالارتحال» زيادة في ل.

(٤) «السماوة. . . والعراق» زيادة في ل.

(٥) «الائتلاف. . . اللمعان» زيادة في ل.

(٦) «يقول» زيادة في ر، ف.

(٧) في ف «يستطلع» وهو تحريف.

يَقُولُ: أَدِلَّةُ عِيْسِنا إليه، تَضَوُّعُ المِسْكِ لِفَوْحِهِ[1]، وسُطُوعُ روائحِ طِيْبِهِ، فإذا فَتَحتْ مَناخِرَها، قَادَها اسْتِنْشَاقُ ذلكَ الفَوْحِ نَحْوَهُ، وعَرفَتْ بِتَضَوُّعِهِ أَرْضَهُ.

١٤ ـ أَبَاحَكِ أيُّها الْوَحْشُ الأَعَادِي[2] فَلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لِلْوَحشِ المُعْترِضَةِ لَهُ: أَبَاحَكِ سَيْفُ الدَّولةِ، أَيُّها الوَحْشُ، الأَعْداءَ، بوقائِعِهِ فيهم، وقَتْلِهِ لهم، وإلحامِكِ أَجْسادَهُم، فَمَا لَكِ، واعْتِرَاضَ الرِّفاقِ التي تَقْصِدُهُ، والرَّكائِبِ التي تَعْتَمِدُهُ، وأَشَارَ بهذا القَوْلِ إلى كَثْرَةِ إيقَاعِهِ بِمَنْ يُخَالِفُهُ، وشدَّةِ اسْتِظْهارِهِ على من يُعَارِضُه.

١٥ ـ وَلَوْ تَبَّعْتِ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ لَكَفَّكِ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا

الرَّذَايا: جَمْعُ رَذِيَّةٍ، وهي ما هَزُلَ من الإبِلِ، وانقطعَ فلم يَسْتَطِعْ بَرَاحاً[3].

فيقولُ[4] للوَحْشِ المُعْتَرِضَةِ له: لو تَتَبَّعتِ ما طَرَحَتْ لكِ قَنَاهُ، من قَتْلَى وقائِعِهِ، وصَرْعَى مَلاَحِمِهِ، لأَغْنَاكِ ذلِكَ[5] عن طَلَبِ رَذَايَانا والارْتِقَابِ لها، وَلَعاقَكِ ذلكَ عنها، ومَنَعَكِ بِكَثْرَتِهِ[6] منها.

١٦ ـ وَلَوْ سِرْنَا إلَيْهِ في طَرِيقٍ مِنَ النِّيرانِ لم نَخَفِ احتِرَاقَا

---

(١) في ر، ف «يفوحه».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «أباحَ الوحشَ ـ يا وحشُ ـ الأعادي».
قال ابن جني: «وكان ربما أنشده:
أباحك أيها الوحش الأعادي.
والمعنيان سواء.
(النظام ج ٢ ورقة ٢٠٥).

(٣) «الرذايا... براحا» زيادة في ل. والبَرْحُ: الشِّدَّةُ، وبَرِحَ مكانه: زال عنه.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «لكثرته».

(٦) في ر، ف «ذاك» وفي ت «كلفك ذلك».

ثُمَّ قالَ: ولَسْنَا نَرْهَبُ أَيُّها الوَحْشُ سَطْوَتَكِ، ولا نَخافُ على رَكَائِبِنا[1] مَضَرَّتَكِ؛ لأن ما[2] يُحِيطُ بنا من سَعَادةِ سَيْفِ الدَّولةِ مَقْصُودِنا[3] يَكُفُّكِ، وما نَتَقَلَّبُ[4] فيه من إقْبالِهِ يَعُوقُكِ، ولو سَلَكْنا إليه طُرُقاً[5] من النِّيرَانِ، لَعَادَتْ بِبَرَكَتِهِ بَرْداً وسَلاَماً لا نَحْذَرُها، وأَمْناً وعافِيَةً لا نَتَأَلَّمُها[6].

١٧ - إمَـامٌ لـلأَئِـمَّـةِ مـن قُـرَيْشٍ   إلى مَـن يَتَّـقُـونَ لَـهُ شِقَـاقَـا[7]

إمامُ القَومِ: مُتَقَدِّمُهم، والشِّقَاقُ: الخِلاَفُ[8].

فيقولُ[9]: إنَّ[10] سَيْفَ الدَّوْلَةِ بِجَلالَةِ[11] قَدْرِهِ، وارتفاعِ أَمْرِهِ، يَتَّخِذُهُ الخُلَفَاءُ من قُرَيْشٍ، وَهُمْ أَئِمَّةُ النَّاسِ، إمَاماً في حُروبِهِم، يُقَدِّمونَهُ إلى من يَحْذَرُونَ نِفَاقَهُ[12]، وَيَتَوَقَّعُونَ خِلاَفَه، فَيَذِلُّ لهم عِزُّهُ، ويَسْهُلُ عليهم صَعْبُهُ.

١٨ - يَكُـونُ لَهُمْ إذا غَضِبُـوا حُسـامـاً   ولِـلْهَيْجَـاءِ حِـينَ تَقُـومُ سَـاقَـا

سَاقُ الشَّيءِ: ما قَامَ عليهِ[13].

---

(١) في ر، ف «رذايانا».

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فما».

(٣) في ت «يعوذنا».

(٤) في ت «نقلب».

(٥) في ر، ف «طريقاً» وفي ت «في طريق النيران».

(٦) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «تتأملها».

(٧) كذا في ل ورواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «إمام الأئمة... له نفاقاً» وهي مختلة الوزن.

(٨) «إمام... الخلاف» زيادة في ل.

(٩) في ر «ثم قال».

(١٠) «قال إن» ساقطة من ف.

(١١) في ر، ف «الجلالة» وفي ت «لجلالته».

(١٢) في ت «شقاقه».

(١٣) «ساق... عليه» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: يكونُ لَهُمْ سَيْفاً يَبْطِشونَ به عند غَضَبِهم، وسَاقاً يَعْتَمِدون عليها في حَرْبِهم، فَبِمَوْضِعِه يَحْتَمِي[1] سُلْطَانُهم، وبِمكانِهِ يَذِلُّ لَهُم أعداؤُهم.

١٩ ـ فلا تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَاماً   إذا فَهِقَ المَكَرُّ دَماً وضَاقَا

المَكَرُّ: مَجَالُ الحَرْبِ، وفَهْقُهُ: اتساعُهُ وجريُ الدَّمِ فيه[2]

فيقولُ[3] لمُخاطِبِهِ: فلا تُنْكِرَنَّ اسْتِبْشَارَ سَيْفِ الدَّولةِ بالحَرْبِ، واسْتِسْهَالَهِ[4] لها، وابْتِسَامَهُ عِنْدَ تَضَايُقِ مَجَالِها، وانْسِفَاكِ الدَّمِ في مَكَرِّها، فهو مُتَيَقِّنٌ لِغَلَبَةِ مَنْ نَازَعَه، والظُّهورِ على مَنْ نَاصَبَهُ.

٢٠ ـ فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ المُهَجَ العَوَالي   وَحَمَّلَ هَمَّهُ الخَيْلَ العِتَاقَا

يَقولُ[5] فقد ضَمِنَتْ لَهُ رِمَاحُهُ مُهَجَ أَعْدَائِهِ[6]، وتَكَفَّلَ لَهُ بما[7] يَبْغِيهِ منهم، عِتَاقُ خَيْلِهِ، وأَبْطالُ جَيْشِهِ.

٢١ ـ إذَا أُنْعِلْنَ في آثَارِ قَوْمٍ   وإنْ بَعِدُوا جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا

إنْعَالُ الخيلِ: تَصْفِيحُ أَيْدِيها بالحديدِ، والطِّرَاقُ: تَضْعِيفُ جِلْدِ النَّعلِ[8].

ثُمَّ قَالَ: إذا أُنعِلتْ خَيْلُهُ في آثارِ قَوْمٍ، وحَاوَلَ غَزْوَهم، وقَصَدَ أَرْضَهُمْ، وإن بَعُدوا بِجُهْدِهم وتحرَّزُوا بطاقَتِهم، أَسْرَعَتْ تلكَ الخيلُ في

---

(١) في ت «يقوى».

(٢) «المكر... فيه» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ر، ف «واستهلاله».

(٥) زاد في ر، ف «يقول».

(٦) في ر، ف «أعاديه».

(٧) في ل «ما».

(٨) «إنعال... النعل» زيادة في ل.

قَتْلِهم، واسْتِبَاحَةِ حَرِيْمِهم[1]، وغادَرتْ[2] أجسادَهُمْ بَعْدَ القَتْلِ كالطِّرَاقِ، يَدُوسُها الحَافِرُ، ويَطَؤُها القَدَمُ[3].

٢٢ ـ وإن نَقَعَ الصَّرِيخُ إلى مَكانٍ   نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقَا

النَّقعُ: ارتفاعُ الصَّوْتِ، والصَّريخُ: المُسْتَغيثُ، والمؤَلَّلَةُ: المُحَدَّدَةُ، والدِّقاقُ: الرِّقاقُ[4].

فيقولُ[5]: «وإن نَقَعَ الصَّريخُ» أي[6]: ارتفعَ الصوتُ باسْتِغاثَةٍ إلى مَكانٍ قد طَرَقَهُ عَدُوٌّ، أَصَاخَتْ خَيْلُهُ إلى ذلكَ الصوتِ إصاخَةَ اسْتِشْعَارٍ لِلْحَذَرِ، وَتَسرُّعٍ إلى الجَرْيِ. والخَيْلُ تُحَدِّدُ[7] آذانَها عِنْدَ مِثْلِ هذه الحَالِ. فَأَشَارَ[8] بهذا الوَصْفِ إلى تَبَادُرِ هذه الخَيْلِ نَحْوَ الصَّريخِ، وَدَلَّ بانْتِصَابِ آذانِها على حَذَرِها، وَبِدِقَّتِها على كَرَمِهَا.

٢٣ ـ فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابَاً   وَكَانَ اللَّبْثُ[9] بَيْنَهُمَا فُوَاقَا

الفُواقُ: ما بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ[10]

ثُمَّ قالَ: فكانَ الطَّعنُ بَيْنَهما جَواباً، يُريدُ: بَيْنَ هذه الخيلِ وبَيْنَ العَدوِّ الطَّارِقِ، يَعْني أنَّ جوابَ ذلكَ الصَّريخِ، كَانَ بِطَعْنِ[11] هذه الخيلِ في نُحورِ

(١) في ت «واستباحت حرمهم».
(٢) في ت «وعادت».
(٣) في ت «تدوسها الحوافر، وتطؤها الأقدام».
(٤) «النقع... الرقاق» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «ثم قال».
(٦) «نقع الصريخ أي:» زيادة في ر، ف.
(٧) في ف «تعدد».
(٨) في ر، ف «وأشار».
(٩) في ر، ف «الليث» وهو تصحيف.
(١٠) «الفواق... الحلبتين» زيادة في ل.
(١١) في ف، ت «يطعن».

الطَّارِقِينَ، وكانَ اللَّبْثُ بَيْنَهما فُوَاقاً، يريدُ: أنَّها[1] لم تُلْبِثِ العَدوَّ إلاَّ فُوَاقَ نَاقَةٍ، واسْتَبانَ ظَفَرُها، فَفَرَّ[2] الأَعْدَاءُ عنها ناكِصِينَ، وَوَلُّوا مُنْهَزِمين.

٢٤ ـ مُلاَقِيَةً نَواصِيها المَنَايَا مُعَاوِدَةٌ[3] فَوَارِسَها العِنَاقَا

ثُمَّ قالَ: إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولةِ تَلْقَى نَواصِيها المَنَايا مُقْدِمَةً عليها، وتُواجِهُهَا مُتَسرِّعةً[4] إليها، وتَعْتَادُ فوارسُها عِنَاقَ الأَقْرَانِ في الحَرْبِ، وتلكَ غايَةُ الصَّبرِ، وأبعدُ أوْصَافِ البَأْسِ؛ لأنَّ الحَرْبَ أوَّلُها المُرَامَاةُ، ثُمَّ المُطَاعَنَةُ، ثُمَّ المُجَالَدَةُ ثُمَّ المُعَانَقَةُ.

٢٥ ـ تَبِيتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ العَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا

هوادَي الخيلِ: أعْنَاقُهَا[5].

فيقولُ[6]: تَبيتُ رِماحُ سَيفِ الدَّولةِ مُعَرَّضَةً على أعْناقِ خَيْلِهِ في سُرَاهُ إلى عَدوِّهِ، والعَرَبُ تُعَرِّضُ الرِّماحَ على أعناقِ الخيلِ في السَّيْرِ، وتُسَدِّدُها[7] في الحَرْبِ، فَيَقُولُ: إنَّهُ يَبِيتُ وهذهِ حالُ خَيْلِهِ، وما تُثِيرُهُ[8] من الغُبَارِ

---

(١) في ل «أنه».

(٢) في ت «بفرّ».

(٣) «ملاقيةٌ... معاودةٌ» بالرفع على إضمار الابتداء. وفي رواية الواحدي والعكبري «ملاقيةً... مُعَوَّدَةً» بالنصب على الحال من الخيل والعامل فيها المصدر في قوله «وكان الطعن... (انظر ديوان أبي الطيب بشرح الواحدي ص ٤٣٨).
قال المبارك بن أحمد مفضلاً رواية الرفع: «الذي رويته وجدته في غير نسخة ملاقيةٌ ومعاودةٌ، بالرفع على أنهما خبرا مبتدئين محذوفين، وهو أجود، لبعد العامل فيهما إذا كانا حالين» (النظام ج ٢ ورقة ٢٠٦).

(٤) في ت «بوجهها مسرعة».

(٥) «هوادي الخيل: أعناقها» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ل «وتشددها».

(٨) في ف «وما تثير».

والعَجَاج كالرِّواقِ عَلَيْها. يُشيرُ إلى أنَّه يَسْرِي إلى أعاديه[1]، ويَدَّرِعُ الليلَ نَحْوَهُمْ.

٢٦ - تَمِيلُ كَأَنَّ في الأَبْطَالِ خَمْراً عُلِلْنَ بِهِ[2] اصْطِبَاحاً واغْتِبَاقا

الخَمْرُ والخُمَارُ بِمَعْنًى، يُرَادُ بها بَقِيَّةُ السُّكرِ، والعَلُّ: إعادَةُ الشُّرْبِ[3].

ثُمَّ قالَ: تَميلُ فُرْسانُ تلكَ الخيلِ، كأنَّ بها خُماراً من مُداوَمَةِ السَّهرِ، وغَلَبةِ النَّومِ، وكأنَّ ذلك الخُمارَ يَتكَرَّرُ لهم اغتباقاً بَعْدَ اصْطِباحٍ، يُشيرُ بهذا إلى مُلاَزَمَةِ هذهِ الخيلِ لِلْغاراتِ.

٢٧ - تَعَجَّبَتِ المُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا

ثُمَّ قالَ: تعجَّبَتِ المُدامُ وقَدْ شَرِبَهَا، فَعَجزَتْ عن إحَالَةِ ذِهْنِهِ، وقصَّرتْ عن مُغَالَبَةِ عَقْلِهِ، واسْتَولى عَلَيْهِ جُودُهُ، فلم يُفِق مِنْ طَرَبِهِ له، ولا صَحَا من ارتياحِهِ بِهِ[4].

٢٨ - أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ العَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتِ الأَمْطَارَ فَاقَا

يقولُ[5]: أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ زمانَ[6] الكرمِ، وأَوَانَ العَطَاءِ، فلمَّا ظَهَرَ منهُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ ما فَاقَ الأَمْطَارَ بِكَثْرَتِه، ظَهَرَ شِعْرُ أبي الطَّيِّبِ، فَفَاقَ الشِّعرَ ببراعَتِهِ.

٢٩ - وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَّيْنَا القِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا

(١) في ت «يسير إلى أعدائه».
(٢) في رواية التبيان «بها».
(٣) «الخمر... الشرب» زيادة في ل.
(٤) ساقطة من ر، ف.
(٥) في ر، ف «ثم قال».
(٦) في ر، ف «زمن».

ثُمَّ قالَ: بَعَثْنَا منه إلى سَيْفِ الدَّولةِ ما كافَأَ[1] قيمةَ الدَّهماءِ، وهي الفَرَسُ التي أَهْداها إليه. وَوَفَّى بِصَدَاقِ القَيْنَةِ التي بَعَثَ بها مَعَ الفَرَسِ، فأَشارَ إلى أَنَّه قَارَضَ[2] بِشِعْرِهِ جُودَهُ، وكَافَأَ بِمَدْحِهِ هِبَتَهُ.

٣٠ - وَحَاشَى لارتِيَاحِكَ أَنْ يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذي لَكَ أن يُبَاقَى

حَاشَى: بِمَعْنَى التَّعويذُ والتَّنْزِيهُ، والارتياحُ: الطَّرَبُ لِفِعْلِ الجميلِ، والمُباقاةُ: المُداوَمَةُ[3].

فيقولُ[4]، مُعْتَذِراً مِمَّا قدَّمَهُ في قوله هذا[5]؛ إنَّه كَافَأَ جُودَ سَيْفِ الدَّولةِ بِشِعْرِه: وأُعِيذُ ارتيَاحَكَ من أن يُجَارَى[6]، ويُمَاثَلَ، ويُسَاوَى ويُشَاكَلَ، وأعيذُ كَرَمَكَ من أن يُبَاقِيَهُ شَاكِرٌ بِشُكْرِهِ، أو يَسْتَوْفِيَهُ شَاعِرٌ بِشِعْرِهِ.

٣١ - ولَكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْماً تَرَاجَعَتِ القُرومُ لَه حِقَاقَا

القَرْمُ: الصَّعبُ من الإبلِ، والحِقَاقُ: جَمْعُ حِقَّةٍ، وهي التي اسْتَحقَّتْ أن يُحْمَلَ عَلَيْهَا من النُّوقِ[7].

يَقولُ[8]: ولكِنَّا فيما قَدَّمْنَاهُ من ذلك مُفَاكِهونَ لكَ، مُداعِبونَ منك، لِمَلِكٍ قَرْمٍ، عَادَتْ له قُرُومُ المُلُوكِ وصِعَابُها كالحِقَاقِ، تَخْضَعُ لِأَمْرِهِ، وتُسْلِمُ لِحُكْمِهِ. وجَرَى في القُرومِ والحِقَاقِ على سبيلِ الاسْتِعارَةِ.

٣٢ - فَتًى لا تَسْلُبُ القَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الأَسْرَى الوَثَاقَا

---

(١) في ر، ف «كفاء».

(٢) في ت «قايض».

(٣) «حاشى... المداومة» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) «هذا» زيادة في ر، ف

(٦) في كذا في ل، ر، ف، وفي ت «يجازى».

(٧) «القرم... النوق» زيادة في ل.

(٨) زيادة في ر، ف.



يقولُ[1]: إنَّ سَيْفَ الدَّولَةِ يَقْتُلُ الأَقْرانَ، ولا يَسْلُبُهُمْ، ويُطْلِقُ الأَسْرَى ولا يُوثِقُهم، إيثاراً للإبقاءِ عِنْدَ الغَلَبَةِ، واحْتِمَالاً على العَفوِ عندَ المَقْدِرَةِ.

٣٣ - وَلَمْ تَـأْتِ الجَـمِيـلَ إليَّ سَـهْـواً ولم أَظْـفَـرْ بِـهِ مِـنْـكَ اسْـتِرَاقـا

ثُمَّ قالَ[2]: ولم تَأْتِ ما أَوْلَيْتَنِيهِ من الجَميلِ ساهياً في فِعْلِكَ[3]، ولا مُضَيِّعاً في فَضْلِك، ولا ظَفِرْتُ به منكَ ظَفَرَ المُسْتَرِقِ، ولا قَبِلْتُهُ[4] قَبولَ المُخْتَلِسِ، ولكنِّي كُنْتُ أَهْلاً لما أَسْدَيْتَهُ، وكُنْتَ مُصِيباً فيما أَوْلَيْتَهُ.

٣٤ - فَـأَبْـلِغْ حَـاسِـدِيَّ عَـلَـيْـكَ أَنِّي كَـبَـا بَـرْقٌ يُحَـاوِلُ بي لَحَـاقَـا

كَبَا الجاري: إذا سَقَطَ لِوَجْهِهِ[5].

فيقولُ[6]: فَأَبْلِغْ من يَحْسُدُني عَلَيْكَ، أني السَّابِقُ الذي لا يُدْرَكُ، والمُتَقَدِّمُ[7] الذي لا يُلْحَقُ، وأن البَرْقَ لو سَابَقَني لَكَبَا وقَصَّرَ، وعَجَزَ وتَأَخَّرَ.

٣٥ - وَهَـلْ تُغْنِي الـرَّسَـائِـلُ في عَـدُوٍّ إذا مـا لم يَـكُـنَّ ظُـبَـاً رِقَـاقَـا

ثُمَّ قالَ: والرَّسائِلُ في العَدوِّ غَيْرُ مُغْنِيَةٍ، والأَقْوالُ فيه غَيْرُ مُجْزِيَةٍ[8]، إذا[9] لم تَكُنِ الرَّسائِلُ سُيوفاً ماضِيَةً، والزَّواجِرُ أَفْعَالاً وَاقِعَةً.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) «ثم قال» ساقطة من ف.

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في ت «ولا قبله».

(٥) «كبا... لوجهه» زيادة من ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ت «المقدّم».

(٨) في ت «مجدية».

(٩) زاد في ر، ف «إذا ما لم».

٣٦ ـ إذَا مَـا النَّـاسُ جَـرَّبَهُـمْ لَبِيبٌ   فـإنِّي قَـدْ أكَـلْتُـهُـمُ وَذَاقَـا

يَقُولُ[١]: إذا ما النَّاسُ جَرَّبهم لَبيبٌ، عَالِمٌ بأُمُورِهم، خَبيرٌ بأَحْوَالِهم، فَمَوْقِعُ ذلكَ مني على ثَبَاتِ مَعْرِفَتِه، مَوْقِعَ الذَّائِقِ من الآكلِ، والمُتطَرِّفِ[٢] من المُسْتَوْعِبِ[٣]، لإحَاطَتِي بِمَعْرِفَتِهم، وتمكُّني في اختبارِهِم[٤].

٣٧ ـ فَـلَمْ أرَ وِدَّهُـمْ إلاَّ خِـدَاعـاً   ولم أرَ دِيْـنَـهُـمْ إلا نِـفَـاقَـا

قَالَ[٥]، فَلَمْ أرَ ما يَتَجازَوْنَ[٦] به من الوُدِّ إلاَّ خِدَاعاً ومُكَادَبةً، وما يُبْدُونَهُ من التَّدَيُّن الا نِفَاقَاً ومُظَاهَرَةً.

٣٨ ـ يُـقَصِّرُ عَـنْ يَمِينِـكَ كُـلُّ بَحْـرٍ   وَعَـمَّا لم تُـلِقْـهُ مـا ألاَقَـا

لاقَ الشيءُ بالشيءِ: إذا لَصِقَ به وامتَسَك فيه[٧].

فيقولُ[٨]: يُقَصِّرُ كُلُّ بَحْرٍ عن يَمِيْنِك، لِعظَمِ جُودِكَ، واتِّساعِ كَرَمِكَ، ويَقِلُّ ما يُمْسِكُهُ البحرُ ويَجْمَعُهُ عِنْدَ ما تَهَبُهُ وَتَبْذُلُه.

٣٩ ـ وَلَـوْلاَ قُـدْرَةُ الخَـلاَّقِ قُـلْنَـا   أعَمْـداً كَـانَ خَلْقُـكَ أمْ وِفَـاقَـا

ثُمَّ قَالَ: ولولا اتِّساعُ قُدْرةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[٩]، لَقُلْنَا لِمَا اجتَمَعَ فيكَ من

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) المتطرف: الذي لا يثبت على أمر.

(٣) في ر، ف «المطرف من الموعب».

(٤) في ر، ف «اختيارهم» وهو تصحيف.

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «يتجاوزون» وفي ت «يتجاورون».

(٧) لاق... فيه» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم قال».

(٩) في ر، ف «الله تعالى».

ضُروبِ الخيرِ، وتَكَامَلَ لَكَ من صُنوفِ الفَضْلِ، أَتَيَسَّرَ هذا أَمْ قُصِدَ، واتَّفَقَ أم اعْتُمِدَ، ولكنَّا لا نَقُولُ ذلك لاتِّسَاعِ القُدْرَةِ عليه.

٤٠ ـ فَلا حَطَّتْ لكَ الهَيْجَاءُ سَرْجاً ولا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنيا فِرَاقا

ثُمَّ دَعَا لَهُ، فَقَالَ: فلا حَطَّتِ الهَيْجَاءُ سَرْجَكَ، بِفَقْدِهَا لَكَ، ولا زِلْتَ مَالِكاً لِتَدْبِيرِها[1]، ولا ذَاقَتِ الدُّنيا فِرَاقَكَ، وبَقِيْتَ مُصَرِّفاً لِأُمُورِها.

(١) في ف «لتدريها».

وقالَ يَمْدَحُهُ، ويَرْثي أَبَا وائلٍ تَغْلبَ بنِ داودَ بنِ حَمْدانَ، أَنْشَدها إيَّاهُ في جُمادَى الأُولى من سَنَةِ ثَمانٍ وثلاثينَ وثلاثِمائةٍ.

١ - مَـا سَـدِكَـتْ عِـلَّةٌ بِمَـوْرُودِ[1] أَكْـرَمَ مِـنْ تَـغْـلِبَ بـنِ دَاودِ

السَّدِكُ: المُولَعُ بالشَّيءِ[2].

فَيقولُ: ما وَلِعتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودٍ نَالَتْهُ، وعَليلٍ دَاوَمَتْهُ، أَكْرَمَ من هـذا الهالِكِ تَغْلبَ بنِ دَاودَ.

٢ - يَـأْنَفُ[3] من مِيتَـةِ الفِـرَاشِ وَقَـدْ حَـلَّ بِـهِ أَصْـدَقُ المَـوَاعِـيـدِ

ثُمَّ قالَ: يأْنفُ من أَنْ يَموتَ على فِرَاشهِ، وأَن يَهْلِكَ حَتْفَ أَنْفِهِ[4]، وقد حَلَّ بِهِ منَ الموتِ ما لا يَدْفَعُهُ بأَنفتِه، ولا يَرُدُّهُ بِشَجاعَتِهِ؛ لِأَنَّه أَصدقُ مَوْعودٍ، وحَتْمٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ[5].

٣ - وَمِـثْـلُهُ أَنْـكَـرَ المَـمـاتَ عَـلَى غَـيْرِ سُرُوجِ السَّـوَابـحِ القُـودِ

السَّوابِحُ في الخَيْـلِ: التي تَمُدُّ أَيْـدِيَها في الجَـرْيِ، والقُـودُ: الطِّوالُ الأَعْنَاقِ، واحدُها أَقْوَدُ[6].

---

(١) في رواية ابن جني «المورود» أيضاً وهو المحموم وفي رواية الواحدي «بمولود».

(٢) «السّدِك: المولع بالشيء» زيادة في ل.

(٣) في ف «يألف».

(٤) هَلَكَ حَتْفَ أَنْفِهِ: مات على فراشه من غير قتلٍ ولا ضرب ولا غرق، وخص الأنف؛ لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نَفَسِهِ.

(٥) «حتم غير مردود» زيادة في ل.

(٦) «السوابح... أقود» زيادة في ل.



فيقولُ[1]: ومِثلُ أبي وائلٍ من المُمَارِسين للحَرْبِ، والمتَحقِّقينَ بها[2]، والمُقْدِمينَ[3] على شَدَائِدِها، أنكَرَ الموتَ على غيْرِ سُروجِ الخَيْلِ[4] السَّوابحِ في طِرادِها، الدَّالَّةِ على الكَرَمِ بِقَوْدِها وحُسنِ خُلُقِها[5].

٤ - بَـعْـدَ عِـثَـارِ الـقَـنَـا بِـلَـبَّـتِـهِ وَضَـرْبِـهِ أرؤُسَ الـصَّـنَـادِيـدِ

الصَّنَاديدُ: الملوكُ[6].

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: بعد اسْتِهْدَافِهِ للرِّماحِ، وتَعَثُّرِها بِلَبَّتِهِ[7]، واعتِصَامِهِ منها بِحَصَانَةِ سِلاحِهِ، وضَرْبِهِ رؤوسَ الملوكِ في وقَائِعِه، وإقْدَامِهِ عَلَيْهِم في مَلاَحِهِ.

٥ - وَخَـوْضِـهِ غَـمْـرَ كُـلِّ مَهْـلَكَـةٍ لِـلذِّمْـرِ فـيـهـا فُـؤادُ رِعْـدِيـدِ

الغَمْرُ: مُجْتَمعُ الماءِ، فاسْتَعَارَ ذلكَ في الحَرْبِ، والذِّمْرُ: الشُّجاعُ، والرِّعْديدُ: الجَبانُ[8].

ثُمَّ قالَ[9]: وبَعْدَ خَوْضِهِ من الحربِ أشدَّ مواضِعِها، واقتِحامِهِ على مُجْتَمعِ مَهَالِكِها، حيثُ يكونُ قلبُ الشُّجاعِ الجَرِيءِ، كَقَلْبِ الجَبانِ الضَّعِيفِ، أَصَابَهُ[10] الموتُ وادِعاً في حَالِهِ، واختَرَمَهُ آمِناً بيْنَ أَهْلِهِ.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «لها».

(٣) في ر، ف «المتقدمين».

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ر، ف «الدالة على العتق بحسن خلقها».

(٦) «الصناديد: الملوك» زيادة في ل.

(٧) اللَّبَّة: موضع القلادة من الصدر.

(٨) «الغمر... الجبان» زيادة في ل.

(٩) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(١٠) في ر، ف «أطاف به».

٦ - فَـإِنْ صَـبَـرْنَـا فَـإِنَّـنَـا صُـبُرٌ   وإن بَـكَـيْـنَـا فـغَـيْرُ مَـرْدُودِ

يقولُ[١]: فإن صَبَرْنَا على هذا المُصَابِ، فنحنُ مُتَقَدِّمونَ في الصَّبْرِ، مُسْتَقِلُّونَ بِمُؤْلِمِ الرُّزْءِ، وإن بَكَيْنا، فَغَيْرُ مَرْدُودٍ مَنْ نَبْكيه، ولا مَرْجُوٌّ[٢] مَنْ نَحْزَنُ عليه.

٧ - وَإِنْ جَـزِعْـنَـا لَـهُ فَـلاَ عَـجَـبٌ   ذَا الجَـزْرُ في البَحْـرِ غَـيْرُ مَعْهُـودِ

ثُمَّ قالَ: وإنْ جَزِعْنَا على هَذَا المَفْقُودِ، فلا عَجَبٌ في ذلك، فَفَقْدُهُ جَليلٌ أَمْرُهُ، والمُصَابُ بهِ لم يُعْهَدْ مِثْلُهُ. وضَرَبَ بالجَزْرِ الذي يَنْتَقِصُ البَحْرَ مَثَلاً[٣] في هذا الرُّزْءِ، وكَنَى به عن عَظيمِ هذا الخَطْبِ.

٨ - أَيْـنَ الهِـبـاتُ الـتي يُـفَـرِّقُـهَـا   عَـلَى الـزَّرَافـاتِ والمَـوَاحِـيـدِ

الزَّرافاتُ: الجَماعاتُ، والمواحِيْدُ: الأفرادُ واحِدُها مَوْحَدٌ[٤].

فيقولُ[٥]: أينَ كَرَمُ المَفْقُودِ، وهِبَاتُـهُ التي كانت تَعُمُّ وَتَخُصُّ، وتَنَالُ الجماعاتِ فَتَعُمُّهُمْ[٦]. والآحادَ فَتَغْمُرُهُم[٧].؟

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «وغير موجود».

(٣) في ل «وضرب بجزر البحر مثلاً».

(٤) «الزرافات... موحد» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ر، ف «فتقنعهم».

(٧) في ر، ف «فتعمهم».

٩ - سَالِمُ أهلِ الوِدَادِ بَعْدَهُمُ يَسْلَمُ لِلحُزْنِ لا لِتَخْلِيدِ

ثُمَّ قالَ: سَالِمُ أهلِ الوِدادِ[١] بعدَ من يَفْقِدُونَهُ مِنْهُمْ، إنما يَسْلَمُ للحُزْنِ والهمِّ[٢] والتَّنْغِيصِ والألَمِ، ثُمَّ الموتُ مآلُهم، والخُلودُ مَمْنوعٌ منهم.

١٠ - فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ

ثُمَّ قالَ[٣]: فماذا تُرَجِّيه النفوسُ من دَهْرٍ[٤] غشومٍ، مُتَعَسِّفٍ ظلومٍ[٥]، أحمد حَالَيْهِ لِلمُتَمَتِّعِ[٦] بالحَيَاةِ فيه مذمومٌ مُنَكَّدٌ[٧]، مَكْروهٌ مُنَغَّصٌ، بَعْدَ[٨] حَتْفٍ يَرْصُدُهُ، وحَمِيمٍ يَفْقِدُهُ.

١١ - إنَّ نُيُوبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي أَنَا الَّذي طَالَ عَجْمُها عُودي

نُيوبُ الزَّمانِ: خُطُوبُه، واحِدُها نائِبٌ، والعَجْمُ: العَضُّ والمَضْغُ[٩].

فَيَقولُ[١٠]: إنَّ نُيوبَ[١١] الزَّمانِ تَعْرِفُهُ بتكَرُّرِها عليه، وتَعَرُّضِها كثيراً له، وإنها طَالَ ما عَجَمَتْ عُودَهُ، وقَصَدَتْ بمكارِهِها نَحْوَه.

---

(١) في ر، ف «المودة».
(٢) في ر، ف «للهم والحزن».
(٣) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٤) في ر، ف «زمان».
(٥) «متعسف ظلوم» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «للمغتر».
(٧) في ر، ف «منكر».
(٨) في ر، ف «بين».
(٩) «نيوب. . . والمضغ» زيادة في ل.
(١٠) في ر، ف «ثم قال».
(١١) في ر، ف «نائبات».

١٢ - وَفِيٌّ مـا قَـارَعَ الخُـطُوبَ ومـا أَنَّـسَنِي بـالمصـائِـبِ[1] السُّـودِ

ثُمَّ قـالَ: وَفِيٌّ من الصَّبْرِ والجَلَدِ، والحِفَـاظِ والكَرَمِ، مـا مِثْلُهُ قَارَعَ الخطوبَ فغَلَبَها، وأَنَّسَني بِسُودِ المَصَائِبِ[2] وهَوَّنَها، وحَذَفَ مما ذَكَرْنَاهُ ما في قُوَّةِ الكلامِ أن يَدُلَّ عليه[3].

١٣ - مَـا كُنْتَ عَنْـهُ إذا[4] اسْتَغَـاثَـكَ يـا سَـيفَ بَـنِي[5] هَـاشِـمٍ بِمَـغْـمُـودِ

وكانَ أبو وائلٍ، هذا المَرْثِيُّ[6]، قد أَسَرَهُ الخَارجيُّ بالشامِ، واستَغَاثَ سيفَ الدَّولةِ، فأَسْرَى إلى الخارجي فقَتَلَهُ، واستَنْقَذَ أَبَا وائلٍ، على ما تَقَدَّمَ في القصيدةِ التي أَوَّلُها (إلامَ طَمَاعِيَةُ العاذلِ)[7]، فيقولُ: مـا كُنْتَ عنهُ إذ اسْتَغَاثَكَ مِنْ أَسْرِ الخارجيِّ، يا سَيْفَ خُلَفَـاءِ[8] بني هاشمٍ، بِمَغْمُـودٍ عن نَصْرِهِ، ولا بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ[9]، بَلْ أَصْرَخْتَ دَعْوَتَهُ، وكَشَفْتَ كُرْبَتَهُ.

١٤ - يـا أَكْـرَمَ الأَكْـرَمِـينَ يـا أَمْـلَكَ الـ ـأَمْلاَكِ طُرًّاً يـا أَصْيَدَ الصِّيـدِ

الأَصْيَدُ: المَلِكُ المُعَظَّمُ الذي لا يَكَادُ يَلْتَفِتُ لِعِزَّتِهِ[11].

ثُمَّ قالَ مُرَفِّعاً بِسيفِ الدَّوْلَةِ: يا أَكْرَمَ مَنْ نَذْكُرُ[12] من الأَكْرَمِينَ،

---

(١) في رواية الواحدي والتبيان «آنسني في المصائب».
(٢) في ر، ف «وأنسني بالمصائب السود».
(٣) «وحذف... عليه» زيادة في ر، ف.
(٤) في ر، ف «إذا».
(٥) في ر، ف «في».
(٦) «هذا المرثي» زيادة في ر، ف.
(٧) انظر ص ٤٨ من هذا الشرح
(٨) زيادة في ر، ف.
(٩) ساقطة من ف.
(١٠) في رواية التبيان «ملك الأملاك» وجاءت الإشارة إلى هذه الرواية في هامش ل.
(١١) «الأصيد... لعزته» زيادة في ل.
(١٢) في ر، ف «يذكر».

وأَمْلَكَ الملوكِ المُعَظَّمينَ، وأَصْيَدَ الصَّيد منهم، وأَعَزَّ ذوي العِزَّةِ فيهم.

١٥ ـ قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِها فَأَنْشَرَهُ   وَقْعُ قَنَا الخَطِّ في اللَّغَادِيدِ

اللَّغادِيْدُ: واحدها لُغْدودٌ، وهو ما بَيْنَ أَسْفَلِ اللَّحي من آخرِهِ، ومَوصِلُ العُنُقِ في الرَّأسَ[١].

فيقولُ[٢]: قد مَاتَ أبو وَائلٍ قبلَ هذه المِيْتَةِ بالأَسْرِ، فأَحْيَاهُ غِياثُكَ له[٣]، وأَنْشَرَهُ[٤] إسْرَاعُكَ إليه، وَطَعْنُ فُرْسَانِكَ بِرِمَاحِهِم في مَقَاتِلِ الآسِرينَ له. وكَنَى باللغادِيْدِ عَنْ ذلك[٥].

١٦ ـ وَرَمْيُكَ اللَّيْلَ بالجُنُودِ وَقَدْ   رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَسْهِيدِ

ثُمَّ قالَ: وإنَّكَ رَمَيْتَ اللَّيْلَ سَارِياً إليهم بِجُنُودِكَ، وقد أَسْكَنْتَ السُّهَادَ جُفُونَهم، مُسْرِعاً بهم غَيْرَ مُتَوَقِّفٍ، ومُقْدِماً غَيْرَ مُتَخَوِّفٍ، فلو دُوفِعَ[٦] المَوْتُ لَدافَعْتَهُ عنه على عَادَتِكَ، ولو غُولِبَ لاسْتَنْقَذْتَهُ منه على سَجِيَّتِكَ. وهذه العِبَارَةُ وإنْ لم تَكُنْ في لَفْظِهِ، فَقَدْ دَلَّ عليها بإشارَتِهِ.

١٧ ـ فَصَبَّحَتْهُ[٧] رِعَالُها شُزُباً   بَيْنَ ثُبَاتٍ إلى عَبَادِيدِ

الرِّعَالُ: قِطَعُ الخَيْلِ، والشُّزَّبُ: الضَّامِرَةُ، والثُّبَاتُ: الجماعاتُ المُتَآلِفَةُ، واحِدَتُها ثُبَةٌ، والعبَادِيدُ: الجَماعَةُ المُتَفَرِّقَةُ[٨].

---

(١) «اللغاديد... الرأس» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) ساقطة من ل.
(٤) «وأنشره» زيادة في ر، ف
(٥) في ر، ف «وأشار باللغاديد إلى ذلك».
(٦) في ر، ف «دفع».
(٧) كذا في ل، وفي ر، ف «فَصَبَّحْتَها» وفي رواية الواحدي والتبيان «فَصَبَّحْتَهُمْ».
(٨) «الرعال... المتفرقة» زيادة في ل. والشُّزَّب: جمع شازب

فيقول[1] واصفاً لاستِنْقَاذِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لأبي وائلٍ، وإيقاعِه[2] بالخارجيِّ وأصْحَابِه: فَصَبَّحَتْهُم رِعَالُ الخيلِ ضَامِرَةً، لِطولِ الرَّكضِ[3]، منها كَتَائِبُ[4] ثُبَاتٌ[5] مُجْتَمِعَةٌ، وعَبَادِيدُ مُفْتَرِقَةٌ.

١٨ ـ تَحْمِلُ أَغْمَادُهَا الفِدَاءَ لَهُم   فَانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كالأَخَادِيدِ

الأَخاديدُ: حُفَرٌ في الأَرْضِ[6].

ثُمَّ قالَ: تَحْمِلُ[7] إليهم عن الفِدَاءِ الذي طَلَبُوه من أبي وائلٍ، سُيُوفاً مُصْلَتَةً، وَمَنايا حَاضِرَةً، فانتَقَدَ[8] أصحابُ الخارجيِّ عمَّا طَلَبُوه من الفِدَاءِ، ضَرْباً أَبْقَى في أَجْسَادِهم جِرَاحاً كالأَخادِيدِ. يُشِيرُ إلى شِدَّتِهِ وَثَبَاتِهِ وقُوَّتِهِ.

١٩ ـ مَوْقِعُهُ في فَرَاشِ هَامِهِمُ   وَرِيحُهُ في مَنَاخِرِ السِّيدِ

الفَراشُ: طرائِقُ في بَاطنِ عَظْمِ الرَّأْسِ، والسِّيدُ: الذِّئبُ، وأشارَ به إلى النَّوعِ[9].

ثُمَّ قالَ: مَوْقِعُ ذلك الضَّرْبِ في فَراشِ رُؤوسِهِمْ، وريحُهُ في أُنوفِ الذِّئابِ التي تَقْصِدُهم. يُشِيرُ إلى أنَّ هذا الضَّرْبَ لم يُقَصِّرْ بهم عن القَتْلِ[10]،

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «وإيقاعها».

(٣) «ضامرة لطول الركض» زيادة في ر، ف.

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) الأخاديد... الأرض» زيادة في ل.

(٧) في ل «وقد حملوا».

(٨) في ر، ف «فما انتقذ».

(٩) «الفراش... النوع» زيادة في ل.

(١٠)«أن هذا... القتل» زيادة في ر، ف.

وأنَّ هذهِ الوَقْعَةَ[1] غادَرَتْهُم جَزَرَ السِّبَاعِ، تَنْهَشُ أجسادَهُمْ، وتَتَقَوَّتُ لُحُومَهم.

٢٠ - أَفْنَى الحَيَاةَ الَّتي وَهَبْتَ[2] لَهُ   في شَرَفٍ شَاكِراً وَتَسْوِيدِ

يقولُ[3]: أَفْنَى أبو وَائِلٍ حياتَهُ، التي كَانَتْ هِبَتَكَ لَهُ، في شَرَفٍ بكَ[4] وتَسْوِيدٍ منكَ، شَاكِراً لكَ على نِعْمَتِكَ، قائلاً بِفَضْلِ مِنَّتِكَ.

٢١ - سَقِيمَ جِسْمٍ، صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ   مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ

المَنْجُودُ: المُغَاثُ، يُقالُ نَجَدْتُ الرَّجُلَ وأَنْجَدْتُهُ: إذا أَغَثْتُهُ، والمَنْجُودُ: المَكْرُوبُ[5].

سَقِيْمَ الجِسْمِ[6] بما شَكَاهُ من عِلَّتِهِ، صَحِيْحَ الكَرَمِ بما استبَانَ[7] من سِيَادَتِهِ، مَنْجُوداً بكَ[8] عِنْدَ[9] كَرْبِهِ، غِيَّاثَ مَنْجودٍ يَسْتَغِيثُ به.

٢٢ - ثُمَّ غَدَا قِدُّهُ الحِمَامُ وما   تَخْلُصُ[10] مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ

القِدُّ: سَيْرٌ من جِلْدٍ غَيْرِ مَدْبوغٍ يُصَفَّدُ به الأسيرُ، والتَّصفيدُ: رَبْطُ اليدِ إلى العُنُقِ[11].

---

(١) «وأن هذه الوقعة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «وُهِبَتْ».

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «المنجود... المكروب» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «جسم».

(٧) في ر، ف «أبان».

(٨) ساقطة من ف.

(٩) في ف «عن».

(١٠) في ر، ف «يخلص».

(١١) «القد... العنق» زيادة في ل.

ثُمَّ غدا المَوْتُ له كالقِدِّ الذي يَمْلِكُ الأسيرَ، فلم[1] يُمْكِنْكَ فَكُّهُ بِقُدْرَتِكَ، ولا تَأَتَّى لك غِيَاثُهُ مَعَ عظيمِ مَمْلَكَتِكَ، والموتُ قِدٌّ[2] لا يَتَخَلَّصُ المَصْفُودُ به، وأَسْرٌ لا يَتَمَكَّنُ غِيَاثُ المُعَرَّضِ لَهُ. وَجَرَى في هذا الكلامِ على الاستِعارَةِ، وذلك على ما قَدَّمْناهُ[3] من بَديعِ الكلامِ.

٢٣ ـ لا يَنْقُصُ الهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ مِنْهُ عَلِيٌّ مُضَيِّقُ البِيْدِ

يقولُ[4]: لا يَنْقُصُ الهالِكُونَ وإن جَلَّ أَمْرُهُم، وعَزَّ فَقْدُهم، من عَدَدِ قومٍ، عليٌّ سَيْفُ الدَّولةِ منهم، وهو المَلِكُ[5] الذي تَضِيْقُ البِيْدُ بِجَمْعِهِ، وَتَغَصُّ بِجَيْشِهِ. وكانَ أبو وائلٍ ابنَ عَمِّه، فَيُرِيدُ[6]: أَنَّ مَوْتَهُ لا يُوجِبُ[7] نَقْصاً في عَشِيْرَتِهِ، وسَيْفُ الدَّولةِ رئيسُ جَمْعِهِم، وَمُؤَثِّلُ مَجْدِهم.

٢٤ ـ تَهُبُّ في ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا المَرَاوِيدِ

الرِّياحُ المَراوِيدُ: التي تَطْلُبُ غاياتِها، واحِدُها مِرْوَادٌ. والرِّيادةُ: الطلبُ[8].

ثُمَّ قالَ: تَهُبُّ كتائِبُهُ في ظهورِ تلكَ البِيْدِ، مُمْتَثِلَةً لأوامِرِهِ، فَتُشْبِهُ الرِّيَاحَ بِسُرْعَتِها، وتُغَالِبُها بكَثْرَتِها.

---

(١) في ر، ف «فلا».

(٢) ساقطة من ر، ف.

(٣) «وذلك على ما قدمناه» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «يريد».

(٧) في ر، ف «لا يدخل».

(٨) «الرياح... الطلب» زيادة في ل.

٢٥ ـ أَوَّلَ حَـرْفٍ مِـنِ اسمِـهِ كَـتَـبَـتْ   سَنَـابِـكُ الخَيْـلِ في الجَـلاَمِيـدِ

السَّنابِكُ: جَمْعُ سُنْبُكٍ، وهو مُقَدَّمُ حافِرِ الفَرَسِ[1].

ثُمَّ قالَ: أَوَّلُ حُروفِ[2] اسْمِهِ، صُورَتُهُ[3] صُورَةُ ما تُثْبِتُهُ سَنابِكُ[4] الخَيْلِ في ظُهورِ الجَلاَمِيدِ.

يُشيرُ إلى أَوَّلِ حُروفِ[5] عَلِيٍّ، وهو العَيْنُ، فَيَقولُ: إنَّه كانَ فَأْلاً يُؤْذِنُ بانقِيادِ الخَيْلِ[6] لِأَمْرِهِ، وَتَصَرُّفِها على حُكْمِهِ.

٢٦ ـ مَـهْـمَـا يُعَـزَّ[7] الـفَـتَـى الأَمـيـرُ بِـهِ   فَـلا بِـإِقْـدَامِـهِ ولا الجُـودِ

الفَتَى: الشَّابُّ المُقْتَبَلُ[8].

فيقولُ[9]: مَهْمَا فَقَدَهُ الفتى[10] الأميرُ فَعُزِّيَ به، يُشِيرُ إلى رئاسَتِهِ واقتِبالِ شَبِيْبَتِهِ، فلن يَفْقِدَ إقدَامَه وكَرَمَه، وفيهما الخَلَفُ الكريمُ ممن يَفْقِدُه، والعِوَضُ الجَميلُ مِمَّن يُعَزَّ به.

---

(١) «السنابك. . . الفرس» زيادة في ل.

(٢) في ل «حرف».

(٣) «صورته» زيادة في ر، ف.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ل «حرف».

(٦) في ل «الخيول».

(٧) في رواية الواحدي «يُعَزِّي» بالكسر، فالفتى فاعل، والأمير مفعول به منصوب، وتقدير الكلام «مهما يعز معز الأمير، والضمير في به للميت.
وأما رواية الرفع عند الأفليلي بالبناء للمجهول، فالفتى نائب فاعل، والأمير صفة.

(٨) «الفتى: الشاب المقتبل» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال».

(١٠) «الفتى» زيادة في ر، ف.

٢٧ ـ وَمِنْ مُنانا بَقَاؤُه أبداً حتى يُعَزَّى بِكُلِّ مَوْلُودِ

ثُمَّ قالَ: ونَحْنُ نَتَمَنَّى له بَقاءَ الخُلودِ، حَتَّى يُعَزَّى في[1] كُلِّ كريمٍ يُولَدُ[2]، ويُغْنَى[3] عن كلِّ فاضلٍ يَفْقِدُ.

---

(١) في ر، ف «بكل».

(٢) زاد في ر، ف «من».

(٣) في ف «وتغنى».

وركبَ سَيْفُ الدَّولةِ لتشْييعِ عَبْدِهِ يَماكَ، لَمّا نَفَذَ في مُقَدَّمتِهِ[١] إلى الرَّقَّةِ[٢]، وهاجت ريحٌ شَديدةٌ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ:

١ - لا عَدِمَ المُشَيَّعَ المُشَيِّعُ   لَيْتَ الرِّياحَ صُنَّعٌ ما تَصْنَعُ

يَقُولُ: لا عَدِمَ سَيْفُ الدَّولةِ هذا العَبْدَ المُحِبَّ، والوالي النَّاصِحَ[٣]، ثُمَّ أَقْبَلَ على سَيْفِ الدَّولةِ، فقالَ: لَيْتَ هذه الرِّيحَ تَحْذُو[٤] حَذْوَكَ، وتَفْعَلُ فِعْلَكَ.

٢ - بَكَرْنَ ضَرّاً وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ   وَسَجْسَجٌ أَنْتَ وهُنَّ زَعْزَعُ

٣ - وواحِدٌ أَنْتَ وهُنَّ أربَعُ   وأَنْتَ نَبْعٌ والمُلُوكُ خِرْوَعُ

السَّجْسَجُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ ما بَيْنَ الحَرِّ والبردِ، والزَّعْزَعُ: الرِّيحُ الشَّدِيْدَةُ المُؤْذِيَةُ، والنَّبْعُ: شَجرٌ صُلْبُ العُودِ يُصْنَعُ منه القِسِيُّ، والخِرْوَعُ: شَجَرٌ ضَعِيْفُ العُودِ[٥].

ثُمَّ قالَ[٦]: فقد بَكَرَتْ[٧] بِضَرِّها، وبكَرْتَ بِنَفْعِك[٨]، وآذَتْ بِشِدَّتها، وأَحْسَنْتَ بِرِفْقِكَ، فَقَصَّرَتْ عَنْكَ، وهي أَرْبَعٌ، وأنتَ واحِدٌ، وهي كَثِيرَةٌ

---

(١) كذا في ل وشرح الواحدي وفي ر، ف «المقدمة». ومُقَدِّمةُ الجيش، بكسر الدال، وعن ثعْلَب بفتح داله: مُتَقَدِّموه.

(٢) الرَّقَّةُ: وأصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وهي مدينة على الفرات من الجانب الشرقي.

(٣) في ر، ف «العبد النجيب، والولي النصيح».

(٤) في ر، ف «ليت أن الرياح تحتذي».

(٥) «السجسج... العود» زيادة في ل.

(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٧) في ر، ف «بكرن».

(٨) في ف «بنفسك».



وأنتَ مُفْرَدٌ[١]، فمن شَبَّهَ الرِّيحَ بك في كَرَمِكَ، فَقَدْ ظَلَمَكَ، ومَنْ أضَافَها إليك في فَضْلِكَ، فقد جَهِلَكَ، وكذلكَ أنْتَ، إذا قُرِنَتِ الملوكُ بكَ، كالنَّبعِ إذا قُرِنَ الخِرْوَعُ به، تَضْعُفُ[٢] عِنْدَ صَلاَبَةِ عُودِكَ، وَتَصْغُرُ[٣] عِنْدَ جَلاَلَةِ أَمْرِك[٤].

(١) في ر، ف «ينفرد».

(٢) في ر، ف «يضعف».

(٣) في ر، ف «ويصغر».

(٤) في ر، ف «قدرك».



وسَايَرَهُ وهو يُريدُ الرَّقَّةَ، واشتَدَّ المَطَرُ في مَوْضعٍ يُعْرَفُ بالثَّدْيَيْن، فقالَ:

١ - لِعَيْنِي كُلَّ يومٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيَّرُ مِنْهُ في أَمْرٍ عُجَابُ
٢ - حِمَالَةُ ذا الحُسَامِ على حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذا السَّحابِ على سَحَابِ

وزَادَ المطرُ، فقالَ:

٣ - تَجِفُّ الأرضُ من هذا الرَّبابِ وَيُخْلِقُ[1] ما كَسَاهَا من ثِيَابِ
٤ - وما يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْباً وَلاَ يَنْفَكُّ غَيْثُكَ في انسِكَابِ
٥ - تُسَايِرُكَ السَّوَاري والغَوادي[2] مُسَايَرَةَ الأَحِبَّاءِ الطِّرابِ
٦ - تُفِيدُ الجودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وَتَعْجِزُ عن خلائِقِكَ العِذَابِ

الحِمَالَة: عِلاَقَةُ السَّيفِ، والرَّبَابُ: السَّحَابُ، والسَّوَاري من السَّحَابِ: التي تَطْرُقُ باللَّيلِ، والغَوادِي التي تَنْشَأُ بالصَّباحِ[3].

فيقولُ: في كلِّ يَوْمٍ أُرَدِّدُ عَيْني مِنكَ في مَنْظَرٍ يُعْجِبُ بِحُسْنِه، ويَعْجِزُ اللِّسَانُ عن وَصْفِه، ولا يُحيطُ العَقْلُ بِحَقِيْقَتِهِ[4]؛ لأَنَّك أَجَلُّ السُّيوفِ، وتُشَرِّفُ[5] السَّيْفَ بِحَمْلِهِ، وَجُودُكَ أَنْفَعُ[6] من السَّحابِ. ويَعْتَادُكَ السَّحابُ بِوَبْلِهِ[7]، فَحَمْلُكَ للسَّيفِ إِفْضَالٌ عليه؛ لأنك غَنِيٌّ عنه، واستِصْحَابُكَ للسَّحَابِ إِزْراءٌ عليه[8]، لأَنَّكَ أَعَمُّ نَفْعاً منه.

(١) في رواية الواحدي «ويُخْلَقُ» وفي رواية التبيان «وتُخْلِقُ».
(٢) في ر، ف «القوادي والسواري».
(٣) «الحمالة... بالصباح» زيادة في ل.
(٤) «لا يحيط العقل بحقيقته» زيادة في ر، ف.
(٥) في ف «ويرف».
(٦) في ر، ف «أعم».
(٧) الوبل: المطر الشديد الضخم القطر.
(٨) في ر، ف «به».



ثمَّ قالَ في الزِّيادةِ[1]:

إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ يَغْمُرُ السَّحابَ بِجُـودِهِ، ويَعْلُوهُ بِفَضْلِهِ؛ لِأَنَّ السَّحَابَ يُمْطِرُ وَيُقْشِعُ، ويَسْكُبُ[2] ويُقْلِعُ، وما يَظْهَرُ على الأَرْضِ من زَهَراتِهِ يَذوي ويَذْبُل، ويَحُلُّ ويَرْحَلُ، وجُودُ سَيْفِ الدَّولةِ لا يُقْلِعُ وَبْلُهُ، ولا يفْتُر سَكْبُهُ، وآثَارُ إحسانِهِ ظاهِرةٌ لا تُعْدَمُ[3]، وشواهِدُهُ[4] دائِمَةٌ لا تَنْصرِمُ، ثُمَّ قالَ[5]: تُسَايِرُكَ السَّحَابُ على اختـلافِ[6] أَوْقَاتِهـا، وتَصَرُّفِ أحـوالِها، مُسَـايَرةَ من يَطْرَبُ لِصُحْبَتِكَ، ويَشْتَاقُ إلى غُرَّتِك. ثُمَّ قالَ: فَتَشْهَدُ من جُودِك مـا لا تَعْلَمُهُ[7]، ويتبيَّن لها من كرَمِك ما لا[8] تَبْلُغُهُ، فَتَتْلُوكَ مُمْتثِلَةً لك، وتُحَكِيْكَ مُقْتَدِيَةً بكَ، وتَعْجِزُ عن شَرَفِ خَلائِقِكَ، ولا تَبْلُغُ عِذَابَ شَمَائِلكَ.

---

(١) «ثم قال في الزيادة» زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «ويسكت».

(٣) في ف «لا يعدم».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «أخلاف».

(٧) في ر، ف «وتشهد السحاب من جودك ما لم تعهده».

(٨) في ر، ف «ما لم».

وأجْمَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ذِكْرَهُ، فقال أبو الطَّيِّبِ:

١ - أَنَا بالوُشَاةِ إذا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ   تَأْتي النَّدَى وَيُذَاعُ[1] عَنْكَ فَتَكْرَهُ

٢ - وإذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضٍ عَارِضاً   أَيْقَنْتُ أنَّ اللَّهَ يَبْغِي نَصْرَهُ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: أنا فيما أَنْشُرُهُ من فَضْلِك، وأقولُ به من كَرَمِكَ، شَبِيهٌ بالواشِي بك؛ لأَنِّي أُظْهِرُ ما تَبْغِي سِتْرَهُ، وأَنْشُرُ ما تَأْبَى[2] ذِكْرَهُ، وأنتَ لا تُبَاهِي بإِنْعَامِكَ، ولا تُرِيدُ سُمْعَةً بإِحسَانِكَ، وإِنَّما كَرَمُكَ طَبِيْعَةٌ مِنْكَ، وفَضْلُكَ جِبْلَةٌ[3] فيكَ، ثُمَّ قالَ: وإذا رَأَيْتُكَ مُعْتَرِضاً[4] دونَ عِرْضٍ تَحْفَظُ حُرْمَتَه، وتَحْمِي جِهَتَهُ، أَيْقَنْتُ أنَّ اللَّهَ يَحْمِيهِ وَيَحْفَظُهُ ويَقِيهِ؛ لأنَّه[5] ناصِرٌ مَنْ تَنْصُرُهُ، حافِظٌ[6] من تَحْفَظُهُ[7].

(١) في رواية الواحدي «فيشاعُ».

(٢) في ر، ف «تأتي».

(٣) الجِبْلَةُ: الخِلْقَةُ والطبيعة.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في «لأن الله».

(٦) في ر، ف «وحافظ».

(٧) كذا في ر، ف «تنصره... تحفظه» بالتاء، وفي ل بالتاء والياء.

وأَجْمَلَ أيضاً ذِكْرَهُ، فقَالَ:

١ - رُبَّ نَجِيْعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكا وَرُبَّ قَافِيةٍ غَاظَتْ (٢) بِهِ مَلِكَا

٢ - مَنْ يَعْرِفِ الشَّمْسَ لا يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا أَوْ يُبْصِرِ الخَيْلَ لا يَسْتَكْرِمِ الرَّمَكَا

٣ - تَسُرُّ بالمالِ بَعْضَ المالِ تَمْلِكُهُ إنَّ البِلادَ وإنَّ العَالَمِينَ لَكَا

النَّجيعُ: الدَّمُ، والرَّمَكُ: جَمْعَ رَمَكةٍ، وهي الفَرَسُ التي تُتَّخَذُ للنِّتاجِ دونَ الرُّكوبِ(٣).

فيقولُ: رُبَّ مخالفٍ عَصى(٤) سَيْفَ الدَّولةِ، فَسَفَكَ دَمَهُ، وربَّ مُعَانِدٍ لَهُ من الملوكِ سَمِعَ شِعري فيه، فَغَاظَهُ حُسْنُهُ، ثُمَّ ضَرَبَ لِسَيفِ الدَّولةِ مَثَلاً في اختيارِهِ لِقَصْدِهِ، ومَعْرفَةِ سيفِ الدَّولةِ بِقَدْرِهِ، فقالَ: مَنْ عَرَفَ الشَّمسَ لم يُنْكِرْهَا، لاختِلافِ مَطَالِعِها، ومَنْ عَرَفَ سَيْفَ الدَّولةِ لم يُنْكِرْهُ، لاختِلافِ(٥) مَقَاصِدِهِ، وتَبَايُنِ مواضِعهِ(٦)، ومَنْ أبصَرَ عِتَاقَ الخيلِ لم يَسْتَكْرِمْ هِجَانَ الرَّمَكِ، وذلك شَأْنُ سَيْفِ الدَّولةِ في اصْطِنَاعِهِ لأَبي الطَّيِّبِ، وإعْرَاضِهِ عن حُسَّادِهِ؛ لِأَنَّ مَوْقِعَهُ منهم هذا الموقِعُ.

(١) في قوله رب نجيع زحاف. قال أبو العلاء المعري: «من أول البسيط، لم يزاحف أبو الطيب زحافاً تنكره الغريزة إلا في هذا الموضع، ولا ريب أنه قال على البدء، ولو أن لي حكماً في هذا البيت لجعلت «كم من نجيع» لأن رب تدل على القلة، وإنما يجب أن يصف سفك دماء الأعداء، ويحسن ذلك لأن رب جاءت في النصف الثاني» (النظام ج ٢ / ورقة ٢٣٢).

(٢) في ف «غاضت».

(٣) «النجيع... الركوب» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «خالف».

(٥) في ر، ف «باختلاف».

(٦) «وتباين مواضعه» زيادة في ل.



ثم قالَ: تَسُرُّ بما تُهِيئُهُ مِنْ مَالِكَ مَنْ تَهَبُهُ له مِنْ قُصَّادِكَ وخَوَلِهم، وهُمْ في وقوعِهمْ تَحْتَ مُلْكِكَ، وتَصرُّفِهم تَحْتَ أَمْرِكَ، على حَسَبِ نَهْيِكَ وأَمْرِكَ، كمالِكَ الذي تَنْفَرِدُ بِمِلْكِهِ، وتَتَحكَّمُ في أَمْرِهِ، فأنت تَسُرُّ بمالِكَ مَالَكَ، ويُوَفِّرُكَ مَن لا يَخْرجُ عن مِلْكِكَ، فالأَرْضُ في قَبْضَتِكَ، وعامِرُوها أهلُ طَاعَتِكَ[1].

(١) في ر، ف «ثم قال: تسر بمالك من يملكه كملكك له، وتصرفه كتصريفك إياه، فكأنك إنما تُسرُّ بمالك مالك، وتهب لمالك مالك، والبلاد طاعتك، وأهلها رعاياك، والعالمون ممتثلون لأمرك، متصرفون على حكمك».

وسَايَرَهُ وهو يُرِيدُ آمِدَ[١]، وتَوسَّطَ الأَجْبَالَ[٢]، فقالَ لهُ:

١ - يُـؤَمِّـمُ ذا الـسَّـيْـفُ آمـالَـهُ فَـلاَ يَـفْـعَلُ الـسَّـيْفُ أفْـعَـالَـهُ
٢ - إذَا سَـارَ في مَـهْـمَـهٍ عَـمَّـهُ وإنْ سَـارَ في جَـبَـلٍ طَـالَـهُ
٣ - وأنْـتَ بِمَـا نِـلْتَـنَـا مَـالِـكٌ يُـثَـمِّـرُ مِـنْ مـالِـهِ مـالَـهُ
٤ - كَـأَنَّـكَ مـا بَـيْـنَـنَـا ضَـيْـغَـمٌ يُـرَشِّـحُ لـلْـفَـرْسِ أَشْـبَـالَـهُ

المَهْمَهُ: القَفْرُ، والضَّيْغَمُ: الأسَدُ، والفَرْسُ: دَقُّ العُنُقِ، والأشبالُ: جَمْعُ شِبْلٍ، وهو وَلَدُ الأسَدِ، والتَّرشِيْحُ: التَّهْيِئَةُ[٣].

فيقولُ: يَقصِدُ هذا المَلِكُ، الذي يُشَبَّهُ السَّيفُ به، إلى ما يُرِيدُهُ ويَأْمُلُهُ، ويَنْويهِ ويَعْتَقِدُهُ[٤]، فلا يَفعلُ السَّيْفُ في اسْتِعْجَالِ[٥] ذلكَ فِعْلَهُ، ولا يَلْحَقُ في إدْرَاكِهِ كَشَأْوِهِ[٦]، فإنْ سَارَ في مَهْمَهٍ عَمَّهُ بِكَثْرَةِ جَيْشِهِ، وإنْ سَارَ في جَبَلٍ طَالَهُ بِعُلُوِّ مَجْدِه.

ثمَّ قالَ، مُخَاطِباً لهُ: وأنت بما نِلْتَنَا به[٧] من فَضْلِكَ، وتابَعْتَه لنا[٨] من بَذْلِكَ، مَالِكٌ يُثَمِّرُ مَالَه بِمَالِه، وَيَحوطُ[٩] مِلْكَهُ بِمِلْكِه؛ لأَنَّنا لَكَ في وُقُوعِنا

---

(١) آمد: من مدائن ديار ربيعة.

(٢) في ر، ف «أجبالاً».

(٣) «المهمة... التهيئة» زيادة في ل.

(٤) «ويأمله وينويه ويعتقده» زيادة في ل وت.

(٥) «استعجال» زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «ثناؤه».

(٧) ساقطة من ر، ف.

(٨) في ت «الدنيا».

(٩) في ف «ويحيط» وفي ت «تثمر... وتحوط».



تَحْتَ أَمْرِكَ، وما يُحيطُ[1] بنا من مِلْكِكَ، كالمالِ الذي تَحْوِيهِ وتَضْبِطُهُ، وتحوزُهُ وتَمْلِكُهُ.

ثُمَّ قَالَ: كَأَنَّكَ فيما تَسْبِقُنَا إليهِ من مُقَارَعَةِ الأَبْطالِ، وما تَنْفَرِدُ به دُونَنَا من مُغَازَلَةِ الأَقْرَانِ، أَسَدٌ يَنْهَجُ[2] لِأَشْبَالِهِ ما يَفْعَلُهُ، ويُضْرِيهـا[3] على مـا تَأْتِيهِ[4] وتَمْتَثِلُهُ[5].

(١) في ر، ف «تحيط».

(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «يبهج».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يحملها».

(٤) الواو ساقطة من ل.

(٥) في ت «يأتيه ويمتثله».

وَدَخلَ على سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِمَيَّافارِقِينَ في يَوْمٍ شَديدِ المَطَرِ والبَرْدِ، وهو على الشَّرَابِ، فقالَ له سَيْفُ الدَّولةِ: عَابَ عَلَيكَ يا أبا الطَّيِّبِ إنسانٌ قولَكَ[١]:

لَيْتَ أَنَّا إذا ارتَحَلْتَ لَكَ الخَيْلُ وأَنَّا إذا نَزَلْتَ الخِيامُ

وقَالَ: إنه جَعَلَ الخيامَ فوقَكَ، وأَوْمَأَ إلى بَعْضِ مَنْ حَضرَ، فَقالَ أبو الطَّيِّبِ؛ وأرادَ قَطْعَ الكَلامِ:

١ - لقد نَسَبُوا الخِيامَ إلى عَلاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الإِبَاءِ
٢ - وما سَلَّمْتُ فَوْقَكَ للثُّريا ولا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ للسَّماءِ

يَقُولُ: لَقَدْ نَسَبوا الخِيامَ مِنَ الرِّفْعَةِ، وأَوجَبوا لها من عُلوِّ الرُّتْبَةِ، ما أَأْبَاهُ[٢] ولا أُسَلِّمُهُ، وأَنْفيهِ ولا أُثْبِتُه، ثُمَّ قالَ: وما[٣] سَلَّمتُ للثُّريا أن لا تَفُوقَها[٤] بِمَجْدِكَ، ولا لِلسَّماءِ[٥] أَلاَّ تَبْلُغَها بِشَرَفِكَ وفَضْلِكَ.

٣ - وقد أَوْحَشْتَ أَرضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَها ثَوْبَ البَهاءِ
٤ - تَنَفَّسُ والعَواصِمُ مِنْكَ عَشْرٌ فَيُعْرَفُ طِيبُ ذَلِكَ في الهَوَاءِ

يَقُولُ[٦]: وقد أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ بِرَحِيْلِكَ عنها، وسَلَبْتَ رُبُوعَها ثَوْبَ[٧] البهاءِ بِخُرُوجِكَ منها.

---

(١) في ر، ف «عاب عليك إنسان يا أبا الطيب».
(٢) في ر، ف «أدفعه».
(٣) في ف «ولا».
(٤) في ر، ف «تفوتها».
(٥) في ف «السماء».
(٦) في ر، ف «ثم قال».
(٧) ساقطة من ف.



ثُمَّ قالَ: تَتَنَفَّسُ[1] وأَنْتَ بأَرْضِ الجَزِيرَةِ، والعَوَاصِمُ[2] منك على سَيْرِ عَشْرٍ[3] لَيَالٍ، فَيَعْرِفُ ذلكَ أهلُ الشَّامِ في هَوائِهم، ويَتَبَيَّنُونَ الفَوْحَ في بِلَادِهم، ويُؤَكِّدُ لهم أَمْثَالَ ذلك[4] اسْتِشْرَافُهُمْ إلى أَوْبَتِكَ[5]، واشْتِيَاقُهُمْ إلى غُرَّتِكَ.

---

(١) في ر، ف «تَنَفَّسُ».

(٢) العواصم: حصون موانع وولاية تحيط بها، موقعها بين حلب وأنطاكية، وقصبتها أنطاكية، كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال، وسمّاها المسلمون بذلك لأنهم كانوا يعتصمون بها من الأعداء إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر، وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحي (انظر معجم البلدان ٤/١٦٥).

(٣) في ر، ف «عشرة». وهو لحن

قال الواحدي: «والعواصم منك عشر، على مسيرة عشر، فحذف حتى أخل باللفظ» ٢/٤٣٧.

(٤) في ر، ف «ويؤكد ذلك» و«لهم أمثال» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ارتياحهم لأوبتك».

وذَكَرَ سَيْفُ الدَّولةِ لأبي العَشَائِرِ جَدَّهُ وأَبَاهُ، وَجَدُّ أبي العَشَائِرِ الحُسَينُ ابنُ حَمْدانَ، عَمُّ سَيْفِ الدَّولةِ[١]، فقالَ أبو الطَّيِّبِ:

١ - أَغْلَبُ الحَيِّـزَيْنِ مـا[٢] كُنْـتَ فيـه   وَوَلِيُّ النَّـماءِ مَـن تَـنْـمِـيـهِ

٢ - ذا الَّـذي أَنْـتَ جَـدُّهُ وأَبـوه   دِنْـيَـةً دونَ جَـدِّهِ وأَبـيـهِ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: أَغلَبُ فُروعِ نَسَبِكَ عَلَى الشَّرفِ الحَيِّزُ[٣] الَّذي أَنْتَ فيهِ، وَوَلِيُّ الكَثْرَةِ في المَفَاخِرِ[٤] والحَسَبِ مَنْ تَنْمِيه، يُريدُ بذلـك: ما عَرَّفَ به سَيْفُ الدَّولةِ أَبا العَشائـرِ من شَرفِ أبيـهِ وَجَدِّهِ. ثُمَّ قـالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: هـذا أبو العَشَـائِرِ، أنت جَـدُّهُ وأبوهُ، لأَنَّ شَـرَفَك أَنْهَضُ بـه من شَـرَفِهما، وسُلطَانَـك أَظْهَرُ عَلَيْـهِ[٥] من سُلْطَانِهما، فَأَنت بِمَا أَحَاطَ بـهِ من فَضْلِك، وتجدَّدَ له منَ الشَّرَفِ بكَ، جدُّهُ وأَبوهُ دِنْيَةً[٦]، دونَ جَدِّهِ وأَبِيْهِ[٧].

(١) «وجد أبي... الدولة» زيادة في ل.

(٢) كذا في ر، ف، ورواية الواحدي، وفي ل «من».

(٣) في ر، ف «التحيز».

والحَيِّز: الجانب الذي يحوز الشيء.

(٤) في ر، ف «والمفاخر».

(٥) في ر، ف «أقرب إليه».

(٦) الدِّنْيَةُ: القرابة.

(٧) في ر، ف «فأنت أقعد به منهما، وما يشهد منك يعلى على ما تقدم لهما».



وسَأَلَهُ سَيْفُ الدَّولةِ إجَازَةَ بَيْتٍ، وهو[١]:

وإني الممنوعُ المقَاتِلِ في الوغَى   وإن كُنْتُ مَبْذُولَ المقاتِلِ في الحُبِّ

فقالَ:

١ - فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْماً إلى قَلْبِ   وأَقْتَلَهُمْ للدَّارعِينَ بلا حَرْبِ

٢ - تَفَرَّدَ بالأحكَامِ في أَهْلِهِ الهَوَى   فأَنْتَ جَميلُ الخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الكِذْبِ

الكِذْبُ، والكِذَابُ والكِذَّابُ والكَذِبُ كُلُّ ذلكَ بِمَعْنًى واحِدٍ[٢].

فيقولُ: فَدَيْنَاكَ وإن كُنتَ أَثْبتَ النَّاسِ إصابةً لِلقُلُوبِ بِسهَامِكَ دونَ رَمْيٍ، وأَقْتَلَهُمْ للدَّارعِينَ[٣] بحبِّكَ دونَ حَرْبٍ. ثُمَّ قَالَ: وكذلكَ الهَوَى مُنْفَرِدٌ بالحُكْمِ في أهْلِهِ، فمن هُوِيَ كان جَميلاً خُلْقُهُ، ومن عُشِقَ كان مُسْتَحْسَناً[٤] كِذْبُهُ.

٣ - وإني لَمَمْنُوعُ المقاتِلِ في الوغى   وإن كُنْتُ مَبْذُولَ المَقَاتِلِ في الحُبِّ

٤ - ومَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ   أَصَابَ الحُدُورَ[٥] السَّهلَ في المُرْتَقَى الصَّعْبِ

يَقُولُ[٦]: وإِنِّي وإن استُضْعِفْتُ في الحُبِّ فأُصِيبَتْ مَقَاتِلي بِهِ[٧]، وقَلَّتْ

---

(١) في رواية المعري والواحدي والتبيان «وأنشده سيف الدولة بيتاً هو:
خَرَجْتُ غداة النَّفْرِ أعترضُ الدُّمَى   فلم أرَ أحلى منك في العَيْنِ والقَلْبِ

(٢) «الكذب... واحد» زيادة في ل.

(٣) الدارعون: ذوو الدروع الذين يلبسون الحديد في الحرب.

(٤) في ر، ف «فمن هوى استطرف خلقه، ومن عشق استحسن كذبه».

(٥) في ل «الحذور» وهو تصحيف، والحَدُرُ: الحط من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «فيه».



مُدَافَعَتِي فيهِ[1]، لَظَاهِرَةٌ في الحَرْبِ قُوَّتي، وشَدِيْدَةٌ فيهِ[2] مَنعَتي، وبَعيدَةٌ عَلَى الأَقْرَانِ إصابَتِي[3]. ثُمَّ خاطَبَ مَحْبُوبَهُ[4]، فقالَ: ومنْ خُلقَتْ بَيْنَ جُفُونِهِ[5] عَيْنَاكَ، وَرَشَقَ القُلُوبَ بِسِهَامِكَ، سَهُل عَلَيْهِ[6] ما يَصْعُبُ مِثْلُهُ، وقَرُبَ له ما يَبْعُدُ تَنَاوُلُه[7].

---

(١) في ر، ف «له».

(٢) في ر، ف «فيها».

(٣) في ر، ف «إصابة مقاتلي».

(٤) في ر، ف «محبوبته».

(٥) «بين جفونه» ساقطة من ر، ف.

(٦) في ر، ف «عليك».

(٧) قال أبو العلاء المعري: «والأبيات ليست بجيدة في الإجازة، لأنها لا تتضمن مع البيت الذي أجازه، غير أنها على وزنه ورويه، وهذا القدر لا يكفي في الإجازة، بل لا بد من أن يكون له تعلق بالمعنى الذي في البيت الأول».
شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ورقة رقم ٢٣.

- ٢٤ -

وأذَّن المُؤَذِّنُ، فَوَضَعَ سَيْفُ الدَّولَةِ القَدَحَ مِنْ يَدِهِ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ(١):

١ - إلا أَذِّنْ فَـمَا أذْكَـرْتَ نَـاسِي   ولا لَـيَّنْتَ قَـلْبـاً وَهُـوَ قَـاسِي

٢ - ولا شُغِـلَ الأمِـيرُ عَن المَعَـالي   وَلا عَن حَقِّ خَـالِقِـهِ بِكَـاسِ(٢)

- ٢٥ -

وَرَكِبَ سَيْفُ الدَّولةِ، وَرَكِبَ الجَيْشُ مَعَـهُ بالتَّجـافِيفِ(٣) والسِّلاحِ، فَقَالَ أبو الطيِّبِ يَمْدَحُهُ، ويَصِفُ الجَيْشَ(٤):

١ - إذا كَـانَ مَـدْحٌ فـالنَّسيبُ المُقَـدَّمُ   أَكُـلُّ فَصِيـحٍ قَـالَ شِعْـراً مُتَيَّمُ

يقـولُ: إنَّ الشُّعَرَاءَ مُجْمِعـونَ(٥) على تَقْـديمِ النَّسيبِ في أشْعَـارِهم، والاسْتِفْتَاحِ بهِ في مَدَائِحِهم، وليسَ كُلُّ فصيحٍ مِنْهُم عَاشِقاً، ولا كُلُّ شَاعِرٍ

---

(١) «أبو الطيب» زيادة في ل.

(٢) لا شرح لهذين البيتين في جميع النسخ.

قال الواحدي في شرح البيت الأول: «يقول للمؤذن أذّن فلم تذكر بتأذينك ناسياً يعني أنه لم ينس الصلاة حتى يتذكرها بالتأذين، وكان حقه أن يقول ناسياً لأنه في موضع النصب، لكنه جعل الياء في موضع النصب مثله في موضع الخفض والرفع، وقوله وهو قاسي جملة في موضع الحال كأنه قال: ولا لينت قلباً قاسياً.

وفي البيت الثاني «يقول الكاس ليست شاغلة له عن حق الله تعالى ولا عن مراعاة أسباب المعالي، يعني لم يستهلك وقته فيغفل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة حق».

(شرح الواحدي ٢/٤٣٨).

(٣) التجافيف: جمع تجفاف، وهو ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح، وهو ضرب من السلاح يلبسه الرجال أيضاً.

(٤) وذلك في شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بميافارقين (انظر شرح الواحدي ٤٣٩ والتبيان ٣/٣٥٠).

(٥) في ر، ف «مجتمعون».



سَلَفَ لهم مُتَّيماً، وَلَكنْ آخرُهُمْ في ذلك يَتْلو أَوَّلَهم، حَتّى كأَنَّ ما يتواصَفُونَهُ من الحُبِّ قد جَعَلوهُ فاتِحَةَ الشِّعْرِ.

٢ - لَحُبُّ ابن عَبْدِاللهِ أَوْلَى فإِنَّهُ   بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الجَميلُ وَيُخْتَمُ

ثُمَّ قالَ[١]: وإذا كانَ هذا[٢]، فَلَحُبُّ[٣] ابنِ عَبْدِاللهِ، يُريدُ: سيفَ الدَّولةِ، أَحَقُّ ما استُفْتِحَ الشِّعْرُ به، وأَوْلَى[٤] ما قُدِّمَ الذِّكْرُ[٥] له، فَبِسَيْفِ الدَّولةِ يُبْدأُ الذِّكرُ الجَميلُ ويُخْتَمُ، وبِمَجْدِهِ يُفْتَحُ[٦] ويُتَمَّمُ.

٣ - أَطَعْتُ الغَوَاني قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِري   إلى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ

ثُمَّ قالَ: أَطَعْتُ الغَوَانيَ في التَّشْبيبِ[٧] بِهِنَّ، والإيثارِ لَهُنَّ، قَبْلَ أن يَطْمَحَ ناظِري إلى ما شَهِدْتُهُ من مَمْلَكَةِ سَيْفِ الدَّولةِ، التي يَقِلُّ حُسْنُهُنَّ عِنْدَ حُسْنِها، ويَصْغُرُ شَأْنُهُنَّ عِنْدَ شَأْنِها. والطُّمُوحُ: الارتِفاعُ[٨].

٤ - تَعرَّضَ سَيْفُ الدَّولَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ   يُطَبِّقُ في أَوْصَالِهِ[٩] وَيُصَمِّمُ

التَّطْبِيقُ: إبانَةُ القَطْعِ، والتَّصميمُ: النَّفاذُ في الأَمْرِ[١٠].

---

(١) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٢) ساقطة من ف.
(٣) في ر، ف «فحبُّ».
(٤) في ر، ف «وأول».
(٥) في ر، ف «من الذكر».
(٦) في ر، ف «يفتتح».
(٧) في ف «التشبيه».
(٨) «الطموح: الارتفاع» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «أوصافه».
(١٠) «التطبيق... الأمر» زيادة في ل.

فيقولُ[1]: تعرَّضَ سَيْفُ الدولةِ الدَّهرَ كُلَّهُ مُتحكِّماً فيه، مُسْتَوْلياً عليهِ، يُطَبِّقُ مِنْهُ فيما يَقْطَعُهُ، ويُصَمِّمُ إليه فيما يَقْصِدُهُ. يُشيرُ[2] إلى أَنَّ أُمورَهُ فيه جَائِزَةٌ، وأَحْكَامَهُ عليه نَافِذَةٌ، وذَكَرَ التَّطْبِيقَ والتَّصْمِيمَ على سَبيلِ الإِبْدَاعِ فيما استَعَارَهُ لَهُ من ذلِكَ.

٥ ـ فَجَازَ له حَتَّى عَلَى الشَّمْس حُكْمُهُ   وَبَانَ لـه حَتَّى عَلَى البَدْرِ مَيْسَمُ

المَيْسَمُ: العَلاَمَةُ التي يَضَعُها المالِكُ على ما يَمْلِكُهُ[3].

ثُمَّ قالَ: فَجَازَ حُكمُهُ حَتَّى حَكَمَ على ما لا يَجُوزُ الحُكْمُ عليهِ، وبانَ وَسْمُهُ حَتَّى وَسَمَ ما لا يَبِيْنُ الوَسْمُ فيه، وجَعَلَ ذِكْرَ[4] الشَّمْس والبدرِ كِنَايةً عن هذهِ العِبَارَةِ[5]، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلكَ، تَصِفُ الممدوحَ بالقُدْرَةِ على ما لا يَقْدِرُ أحدٌ عليهِ في الحَقِيْقَةِ، لِيُوجِبَ[6] له بِذَلِكَ غَايَةَ القُوَّةِ، وأبعَدَ نِهَاياتِ القُدْرَةِ.

٦ ـ كَـأَنَّ العِـدَى في أَرْضِهِم خُلَفَـاؤُهُ   فـإِنْ شَاءَ حَـازُوها وإن شَـاءَ سَلَّموا

يَقُولُ[7]: كأَنَّ أعاديَهُ مِنَ الرُّومِ وغَيْرِهِم، خُلَفَاؤُهُ في بِلادِهم، وعُمَّالُهُ في قواعِدِهم، فإن أَعْرَضَ عَنْهُمْ، اسْتَمْتَعوا بالبَقَاءِ فيها، وإِنْ غَزَاهُم[8]

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) ساقطة من ف.

(٣) «الميسم... يملكه» زيادة في ل.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) قال صاحب التبيان: «قال ابن الأفليلي: أراد البدر والشمس، والعرب تفعل مثل ذلك، تذكر واحداً وتريد ضدّه أو صاحبه» ٣/٣٥١.

(٦) في ر، ف «التوجب».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) في ف «وإن أغراهم» وفي ت «عزلهم».



سَلَّمُوها إليهِ بالخُروجِ عَنْهَا. يُشيرُ بهذا إلى تَصَرُّفِ أعاديهِ تَحْتَ أمرِهِ، وعَجْزِهِمْ عن التَّعَرُّضِ لِحَرْبِهِ.

٧ - ولا كُتْبَ إلاَّ المَشْرَفِيَّةُ عِنْدَه ولا رُسْلَ إلا الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ

المَشْرَفِيَّةُ: سيوفٌ مَنْسوبةٌ إلى المَشارِفِ(١)، وهي مواضعُ تُطْبَعُ فيها السُّيوفُ، والخميسُ: الجيشُ، والعَرَمْرَمُ: الكثير(٢).

ثُمَّ قالَ مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ، من اقتدارِهِ عليهم: إنه(٣) لا كُتُبَ يَسْتَعمِلُها إليهم غيرَ سُيوفِهِ، ولا رُسُلَ يُوَجِّهها نَحْوَهم غَيْرَ جُيُوشِهِ، فَهُمْ مُتَصَرِّفونَ على حُكْمِهِ، عاجِزُونَ عن المُخَالَفةِ لأَمْرِهِ.

٨ - فَلَمْ(٤) يَخْلُ من نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ولم يَخْلُ من شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَه فَمُ

يقولُ(٥) مُخْبِراً عن عَظِيمِ(٦) مُلْكِهِ، وما ظَهَرَ(٧) من عُمومِ فَضْلِهِ: فَلَمْ يَخْلُ من نَصْرِهِ أحدٌ لَهُ يَدٌ يَبْطِشُ بها؛ لِوقُوفِ جَميعِ النَّاسِ عِنْدَ أمْرِهِ، ووقُوعِهِم تَحْتَ طاعَتِهِ ومُلْكِهِ، ولم يَخْلُ من شُكْرِهِ أحدٌ له فَمٌ يَنْطِقُ به، لِما شَمِلَهُمْ من إحسَانِه، وأحاطَ بهم من إنْعَامِه. فَبَيَّنَ أنَّ طاعَةَ الجميعِ له طاعةُ وِدَادٍ ومَحَبَّةٍ، لا طَاعَةَ اسْتِكراهٍ وغَلَبةٍ.

٩ - ولم يَخْلُ من أسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ ولم يَخْلُ دِينَارٌ ولم يَخْلُ دِرْهَمُ

---

(١) المشارف: قرى من أرض العرب تدنو من الريف في مشارف الشام.

(٢) «المشرفية... الكثير» زيادة في ل.

(٣) في ل «لأنه».

(٤) في رواية الواحدي «ولم».

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) كذا في ر، ف، ت وفي ل «عظم»

(٧) «وما ظهر» ساقطة من ف.



ثُمَّ قالَ: ولم يَخْلُ من أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ؛ يُرِيدُ: أَنَّ بِلادَ الأَرْضِ مُضَافَةٌ إلى وِلايَتِهِ، تُخْتَطَبُ على مَنَابِرِها له[1] بِلُزومِ طَاعَتِهِ، ولم يَخْلُ دِينَارٌ، ولم يَخْلُ دِرْهَمٌ؛ يُرِيدُ: أَنَّ دَنانيرَ الآفاقِ ودَرَاهِمَها مَطْبُوعةٌ باسْمِهِ، مُسَكَّكَةٌ بِذِكْرِهِ. يُشيرُ إلى عِظَمِ شَأْنِهِ، واتِّساعِ أَعْمَالِ سُلْطَانه.

١٠ - ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ   بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ

يَقُولُ[2]: إنَّه شَديدُ الضَّربِ، رابِطُ الجَأْشِ، إذا ضَاقَ ما بَيْنَ الحُسَامَيْنِ بِتَجَالُدِ الأَبْطَالِ، وتَقَارُبِ ما بَيْنَ الأَقْرَانِ، وإنَّهُ بَصِيرٌ إذا أَظْلَمَ ما بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ، بِتَمَثُّلِ الموتِ لهما، وتيَقُّنِ المَنِيَّةِ عِنْدَهُمَا، فَهُنَالِكَ[3] يَثْبُتُ نَظَرُهُ لِقُوَّةِ نَفْسِهِ، ولا يَشْخَصُ بَصَرُهُ لتمكُّنِ بَأْسِهِ.

١١ - تُبَارِي نُجُومَ القَذْفِ في كُلِّ لَيْلَةٍ   نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وأَدْهَمُ

نُجومُ القَذْفِ: الشُّهبُ التي تُرْمَى بها الشَّيَاطِينُ[4].

ثُمَّ قالَ: تُبَارِي نُجُومَ القَذْفِ مَعَ سُرْعَةِ انصِبَابِها، وشِدَّةِ انحِدَارِها، خُيُولٌ لهُ كالنُّجومِ في شِدَّةِ عَدْوِها، وسُرْعَةِ جَرْيِها، مِنْهُنَّ الوَرْدُ والأَدْهَمُ[5].

١٢ - يَطَأْنَ من الأَبْطَالِ مَنْ لا حَمَلْنَهُ   وَمِنْ قِصَدِ المُرَّانِ مَا لاَ يُقَوَّمُ

المُرَّانُ: الرِّماحُ، وقِصَدُها: قِطَعُها[6].

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «فهناك».

(٤) «نجوم... الشياطين» زيادة في ل.

(٥) الورد: الفرس الأحمر، والأدهم: الأسود.

(٦) «المران... قطعها» زيادة في ل.

ثُمَّ قَالَ: يَطأْنَ من الأبطالِ من لا حَمَلْنَهُ؛ يُريدُ: أَنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولةِ تَطأُ من الأبطالِ المَقْتُولين[1] في وَقَائِعِه مَنْ لا جَعَلَها اللَّهُ أن تَحْمِلَ[2] مَنْ يَصيرُ في حَالِهِ[3]، وَيَؤُولُ إلى مَآلِه[4]، وكَذَا[5] تَطأُ في تِلْكَ الوَقَائعِ مِنْ قِطَعِ الرِّماحِ ما قد تَدَقَّقَ[6] فلا يُمْكِنُ تَقْوِيمُهُ، وتَكَسَّرَ فَلا يُحَاوَلُ تَعْدِيلُهُ.

١٣ ـ فَهُنَّ مَـعَ السِّيـدَانِ في الـبَرِّ عُسَّـلُ وَهُنَّ مَـعَ النِّيْنَـانِ في المـاء[8] عُـوَّمُ

السِّيدانُ: الذِّئابُ، واحدُها سِيدٌ، والعُسَّلُ: المُسْرِعَةُ، واحدها عاسِلٌ، والنِّينانُ: الحِيْتَانُ، واحِدُها نُونٌ[9].

فيقولُ: إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدولةِ لِكَثْرَةِ غاراتِهِ[10]، واتِّصالِ غَزَواتِهِ[11]، تَقْطَعُ الفَلَواتِ نَحْوَ أعادِيه عُسَّلاً مَعَ الذِّئابِ التي الفَلَواتُ مُسْتَقَرُّها، وتَعبُرُ الأَنْهَارَ نحوَهُم عَائِمَةً مَعَ الحِيتَانِ التي الأنهارُ مَوَاضِعُها.

١٤ ـ وَهُنَّ مَـعَ الغِـزْلاَنِ في الـوادِ كُمَّنٌ وَهُنَّ مَـعَ العِقْبَـانِ في النِّيْقِ حُـوَّمُ

النِّيْقُ: ما اسْتَعْلَى مِنْ حُروفِ الجَبَلِ، والوَشِيْجُ: الرِّماحُ[12].

---

(١) كذا في ر، ف، ت وفي ل «المفتولين». وهو تصحيف

(٢) في ف «يحمل». وفي ت «تحمله»

(٣) في ت «رجاله».

(٤) في ت «آماله».

(٥) في ر، ف «وكذلك».

(٦) في ر، ف «تدفق» وفي ت «تقوس».

(٧) في ر، ف «النيران».

(٨) في ر، ف «في البحر» والوزن واحد.

(٩) «السِّيدان... نون» زيادة في ل.

(١٠) في ر، ف «غاراتها».

(١١) في ف «غزالته».

(١٢) «النيق... الرماح» زيادة في ل.

وكَـذَلِكَ تَكْمُنُ عليهم مَعَ الغِـزْلانِ في الأَوْدِيَةِ التي فيهـا كُنُسُها[1]، وتَقْتَحِمُ عَلَيْهم رُؤوسَ الجِبَالِ مَعَ العِقْبَانِ التي فيها وُكُورُهَا، فَأَشَارَ إلى أَنَّ سيفَ الدَّولةِ لِقُـوَّةِ عَزَائِمِـه، ونَفَاذِهِ في مَقَـاصِدِه، قـد اسْتَوى عِنْـدَ خَيْلِه، وفُرسانِ جَيْشِه؛ البَرُّ والبَحرُ، والسَّهْلُ والوَعْرُ، لا يَبْعُدُ عَلَيه مَـطْلَبٌ، ولا يَمْتَنِعُ منه مَوْضِعٌ.

١٥ ـ إذَا جَلَبَ النَّـاسُ الـوَشِيـجَ فـإنَّـه بِهِـنَّ وفي لَـبَّـاتِهِـنَّ يُحَـطِّمُ[2]

ثُمَّ قالَ: إذا جَلَبَ[3] النَّاسُ الرِّماحَ على سَبِيْلِ الجَمْعِ لَهَا، وحَمَلُوهَا على طريقِ التَّزَيُّنِ بها، فإنَّ سيفَ الدَّولةِ في نُحُورِ الخيلِ يَكْسِرُها، وبوقائِعِهِ يُفْنِيها[4] ويَحْطِمُها.

١٦ ـ بِغُـرَّتِـهِ في الحَـرْبِ وَالسِّلمِ والحِجَى وَبَـذْلِ اللُّهَى والحَمْدِ والمَجْـدِ مُعْلِمُ

المُعْلِمُ: الذي يَسِمُ نَفْسَهُ بِعَلامةٍ يُعْرَفُ بها، واللُّهى: العَطَايا، واحِدَتُها لُهْوَةٌ[5].

فَيَقُـولُ[6]: إنَّ سيفَ الدَّولَـةِ مُعْلِمٌ بِجَمَـالِ وَجْهِـهِ، ووفُـورِ عَقْلِهِ، وعُمُومِ جُودِهِ، وجَلَالَةِ مَجْدِهِ، وإجماعِ النَّاسِ على حَمْدِهِ، وإنَّ هذه الخِلَالَ

(١) الكُنُس: جمع كِنَاس، وهو مدخل الظباء والبقر، أو مُسْتَتَرُها في الشجر، تستكن فيه من الحرّ.

(٢) الوَشِيجُ: شجر الرماح، واللَّبَّاتُ: جمع لَبَّة، وهي المنحر أو موضع القلادة من الصدر. والضمير في «فإنه» للوشيج.

وفي رواية التبيان «يُحَطِّم» بكسر الطاء، وعلى ذلك فالضمير في فإنه يعود إلى سيف الدولة.

(٣) في ف «جلس».

(٤) في ت «يفتها»، وهو تحريف.

(٥) «المعلم... لهوة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».



تَسِمُهُ[1] في سَلْمِهِ وحَرْبِهِ، ويَنْفَرِدُ بها مِنْ بَيْنِ أبناءِ دَهْرِهِ.

١٧ - يُقِـرُّ لَـهُ بـالْفَضْـلِ مَنْ لا يَـوَدُّهُ   ويَقْضِي لَـهُ بـالسَّعْـدِ مَنْ لا يُنَجِّمُ

ثُمَّ قالَ: إنَّ مَنْ لا يَوَدُّهُ يُقِرُّ بفَضْلِهِ، ولا يَدْفَعُهُ لِبَيانِه، ومَنْ لا يُنَجِّمُ يَقْضِي بِسَعْدِه، ولا يُنْكِرُهُ لاتِّصالِهِ.

١٨ - أجَـارَ عَـلَى الأَيَّـامِ حتَّى ظَنَنْتُـهُ   تُـطَالِبُـه بـالـرَّدِّ عـادُ وَجُـرْهُمُ

ثمَّ قالَ: إن سَيْفَ الدَّولةِ أجَارَ على الأيامِ بِكَفِّهِ لحَوادِثِها[2]، وأَنْصَفَ مِنْهَا بإنقاذِهِ[3] من مَكَارِهِها[4]، حَتَّى حَسِبْتُ عَاداً وجُرْهُماً[5]، هَاتَيْنِ القَبِيْلَتَين الفَانِيَتَيْنِ، والجَمَاعَتَيْنِ الهالِكَتَيْنِ، سَيَسْئَلانِه[6] رَدَّهُمَا، على بُعْدِ العَهْدِ، وما انْصَرَمَ عَلَيْهِما من تَقادُمِ الدَّهرِ، وأَنَّ سَعَادَتَهُ إذا قَرَّبتْ ما كان يَبْعُدُ، وسَهَّلَتْ ما كان يَعْسُرُ، فما تَمَكَّنَ له من ذلكَ يُوجِبُ عليـهِ أَنْ يُطْلَبَ بمـا لا يُمْكِنُ فِعْلُهُ[7]، ويُسْأَلَ ما[8] يَمْتَنِعُ مِثْلُهُ.

١٩ - ضَـلالاً لهذي الـرِّيحِ مـاذا تُـرِيـدُهُ   وهَـدْياً لهـذا السَّيـلِ مـاذا يُؤَمِّمُ

(١) في ف «تسيمه» وفي ت «وإن هذه الجلالة شيمته».

(٢) في ت «كفه حوادثها».

(٣) كذا في ل وت وفي ر، ف «بإنفاذه».

(٤) في ف «مارمها».

(٥) في ر «وجرهمَ» بعدم الصرف.

ويجوز في أسماء القبائل والأرضين الصرف على تأويلها بالحي والمكان وعدمه على إرادة القبيلة والبقعة، إلا إذا سمع أحدهما كما سمع في صرف كلب، ومعد، أو تحقق مانع غير التأنيث المعنوي كتغلب وباهلة... الخ.

وقد جاءت عاد في القرآن الكريم مصروفة قال تعالى ﴿وإلى عادٍ أخاهم هودا﴾ ومن العرب من يدع صرف عاد وجرهم حيّ من اليمن تزوج فيهم اسماعيل عليه السلام.

(٦) في ف «سيسقلانه» وفي ت «سيطالبانه بالرد»

(٧) ساقطة من ر، ف.

(٨) في ف «عما».



ثُمَّ[1] دَعَا على الرِّيحِ، ولم يَدْعُ لَها، وَدَعَا للسَّيْلِ، ولم يَدْعُ عليهِ؛ لأَنَّ الرِّيحَ اعتَرَضَتْ سيفَ الدَّولَةِ في مَسِيْرِهِ، ولم تُسْعِدْهُ على شَيْءٍ من أُمورِهِ، والسَّحَابُ وإنْ كَانَ رام ثَنْيَهُ بِوَبْلِهِ[2]، وَوَعَّرَ طَرِيْقَهُ بِسَيْلِهِ، فإنَّما تَلاهُ مُتَعَلِّماً من جُودِهِ، وَصَحِبَهُ مُسْعِداً لهُ على رَأْيِهِ، قَاضِياً لِذِمَامِ القَبْرِ الذي قَصَدَهُ، ومُرَوِّضاً بُسُقْيَاهُ للرَّبْعِ الذي اعْتَمَدَهُ. فيَقُولُ: ضَلَّ سَعْيُ هذه[3] الرِّيحِ، وَوُفِّقَ لِهُدَاهُ هَذَا السَّيْلُ، ماذا[4] تريدُهُ هـذِهِ، وماذا يَقْصِدُهُ هذا، حين يَعْتَرِضَانِ[5] سَيْفَ الدَّولَةِ في مَسيرِهِ[6]، ويُجَاهِرانِ[7] بالخِلافِ على أَمْرِهِ.

٢٠ - أَلَمْ يَسْأَلِ الوَبْلُ الذي رَامَ ثَنْيَنَا فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الحَدِيدُ المُثَلَّمُ

ثُمَّ قال: أَلَمْ يَسْأَلِ الوَبْلُ الذي رَامَ ثَنْيَنَا بِسَكْبِهِ، واعتَرَضَنا في طَرِيقِنَا بَسَيْلِهِ، كَاشِفاً عن أَمْرِ سَيْفِ الدَّولَةِ، ومُسْتَفْهِماً عن حالِهِ، فَيُخْبِرَهُ الحَدِيدُ الذي ثَلَمَتْهُ وقائِعُهُ، وكَسَرَتْهُ بالجِلادِ كَتَائِبُهُ، وَيَعْلَمُهُ بِأَنَّه الذي لا تُرَدُّ عَزَائِمُهُ، ولا تُوَاجَهُ بالاعتراضِ[8] مَطَالِبُهُ.

٢١ - وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ تَلَقَّاهُ أَعْلَى منه كَعْباً وَأَكْرَمُ

٢٢ - فَبَاشَرَ وَجْهاً طَالَ ما بَاشَرَ القَنَا وَبَلَّ ثِيَاباً طَالَ ما بَلَّها الدَّمُ

---

(١) زيادة من ر، ف.

(٢) ساقطة من ف.

(٣) في ر، ف «هذا».

(٤) في ر، ف «ما».

(٥) في ر، ف «حتى يعترضا».

(٦) في ر، ف «سيره».

(٧) في ر، ف «ويجاهرا».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الأعراض».

يقول[1]: ولَمّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ[2]، واعتَرَضَكَ في طَرِيقِكَ بِسَكْبِهِ[3]، تَلَقَّاهُ مِنْكَ مَنْ يَعْلُوهُ بِرِفْعَتِهِ، ويُزْرِي عَلَيْهِ بِكَرَمِ رَاحَتِهِ، فَبَاشَرَ وَجْهاً طالَ مَا بَاشَرَ الرِّماحَ، فلم تَثْنِهِ[4] مُبَاشَرَتُهَا، وَبَلَّ ثِيَاباً طَالَ ما بَلَّها الدَّمُ، ولم يَعُقْهُ[5] بَلَلُها، فكيفَ يَهَابُ وَقْعَ المَطَرِ مَنْ لاَ يَهَابُ وَقْعَ الرِّمَاحِ، وَيَتَأَلَّمُ بَلَلَ الماءِ من لاَ يَتَأَلَّمُ بَلَلَ الدَّمِ؟

٢٣ ـ تَـلاَكَ وَبَعْضُ الغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَـهُ[6] مِنَ الشَّـامِ يَـتْلو الحَـاذِقَ المُتَعَـلِّمُ

يَقولُ[7]: تَلاَكَ الغَيْثُ والبَعْضُ يَتْبَعُ كُلَّهُ، والشَّكْلُ يَأْلَفُ شَكْلَهُ، وأنتَ الغَيْثُ بعُمُومِ جُودِكَ، وسابغِ فَضْلِكَ، فَقَفَا أَثَرَكَ من الشَّامِ، يَتْلُوكَ[8] كما يَتْلُو المُتَعَلِّمُ الحاذِقَ، ويَقْفُوكَ كما يَقْفُو المُتَأَخِّرُ الأَوَّلَ.

٢٤ ـ فَـزَارَ التي زَارَتْ بِكَ الخَيْـلُ قَـبْرَهـا وَجَشَّمَـهُ الشَّـوقُ الـذي تتجَشَّمُ[9]

التَّجَشُّم: التكلُّف[10].

ثُمَّ قالَ: فَزَارَ الغَيْثُ المُتَوَفَّاةَ التي زَارَتْ الخيلُ بِكَ[11] قَبْرَهَا؛ يُرِيدُ: أُمَّ

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) الصوب: الانصبابُ بالمطر.

(٣) في ت «سكبه».

(٤) في ر، ف «يثنه».

(٥) في ر، ف «يعقها».

(٦) في ر، ف «كلّه».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) ساقطة من ر، ف.

(٩) في ر، ف «يَتَجشَّمُ».

(١٠) «التجشم: التكلف» زيادة في ل.

(١١) في ر، ف «زارت بك الخيل».

سَيْفِ الدَّولَةِ، وَجَشَّمَهُ شوقُهُ إلى ذلك كالذي جَشَّمَكَ شَوْقُكَ، وأَسْعَدَكَ الغَيْثُ قاضِياً لِحَقِّكَ[1]، وَتَبِعَكَ مُعَظِّماً لِقَدْرِكَ، وعَلِمَ أَنَّ الْمُتَوفَّاةَ تَلْزَمُ السَّحابَ زِيَارَتُها، وتَحِقُّ عليه كَرَامَتُها؛ لأَنَّها كانَتْ تَخْلُفُهُ بجُودِها، وَتَزِيدُ على صَوْبِهِ[2] بِكَرَمِهَا.

٢٥ ـ وَلَمَّا عَرَضْتَ الجَيْشَ كَانَ بَهَاؤُهُ   عَلى الفَارسِ الْمُرْخِي الذُّؤابَةِ مِنْهُمُ

الذُّؤابَةُ: الضَّفِيْرَةُ من شَعَرِ الرَّأْسِ، ويُسَمَّى بِذلكَ ما سُدِلَ من فَضْلِ العَمَامَةِ، وإلى هذا قَصَدَ أبو الطَّيِّبِ[3].

فيقولُ[4] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: ولَمَّا عَرَضْتَ الجيشَ وتَصفَّحْتَهُ[5]، كانَ بَهَاؤُهُ على عِظَمِ شَأْنِهِ، وتَكَاثُرِ شُجْعَانِهِ، على الفَارسِ الْمُعْتَمِّ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُتَجَفِّفِينَ، الْمُرخِي ذُؤَابَةَ عَمَامَتِهِ من بَيْنِ سَائِرِ الْمُغْتَفِرينَ[6]. وهذا زِيُّ أُمَراءِ العَرَبِ في الحَرْبِ، وأَشَارَ بذلكَ إلى سَيْفِ الدَّولَةِ.

٢٦ ـ حَوَالَيْهِ بَحْرٌ للتَّجافِيفِ مائِجٌ   يَسِيرُ بهِ طَوْدٌ من الخَيْلِ أَيْهَمُ

التَّجافِيفُ: جَمْعُ تِجْفَافٍ، وهو ضَرْبٌ من السِّلاحِ تَلْبَسُهُ الرِّجالُ والخَيْلُ، والطَّودُ: الجبلُ، والأَيْهَمُ: الطَّويلُ[7].

---

(١) «يريد... لحقك» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «بصوبها».

(٣) «الذؤابة... أبو الطيب» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وصَفَّحْتَهُ».

(٦) كذا في ت، وفي ل، ر، ف «الْمُتَعَفِّرين»، والمغتفر المتخذ المِغْفَر وهو زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حَلَقٌ يتقنَّعُ بها المتسلح.

(٧) «التجافيف... الطويل» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: حَواليهِ من تَلأْلُؤِ السِّلاحِ، ولمعَانِ التَّجافِيفِ، ما يُشْبِهُ البَحْرَ بِكَثْرَتِهِ، ويَحْكِيْهِ ببَرِيقِ جُمْلَتِهِ، ويَسِيرُ بذلكَ البَحْرِ مَوْكِبٌ من الخَيْلِ كالجَبَلِ الأَيْهَمِ في اعتلائِهِ وازْدِحَامِهِ، واكتِنَازِهِ[1] واتِّصالِهِ.

٢٧ ـ تَسَاوَتْ بـهِ الأَقْتَـارُ[2] حَتَّى كَـأَنَّـهُ يُجَمِّـعُ أَشْتَـاتَ الجِبَـالِ وَيَنْـظِمُ

القَتْرُ: الغُبارُ[3].

فيقولُ[4]: تَسَاوَتْ بهذا الجيشِ العَجَاجاتُ، فَصَارَ مـا يَثُورُ منهـا في الجَبَلِ الصَّلْدِ، كالَّذي يَثُورُ منها في القَرارِ الرِّخوِ، يُشِيرُ إلى أن[5] هذا الجَيْشَ يَسْحَقُ الجِبَالَ بِكَثْرَتِهِ، ويَحُطُّها[6] بِعِظَمِهِ، فَيَسْتَوي الرَّهَجُ في السَّهْلِ والوَعَرِ، وفي الصُّلْبِ والرِّخوِ، ويَشْتَمِلُ العَجَاجُ على الجَمِيعِ، حَتَّى تَصِيرَ الجِبَالُ كأَنَّها في ذلكَ العَجَاجِ مُنْتَظِمَةٌ، وبمـا غَشِيَها[7] من الجَيْشِ مُتَّصِلَةٌ، وأَلَمَّ بقـولِ النَّابِغَةِ[8]:

جَيْشٌ يَـظَلُّ بـه الفَضَـاءُ مُعَضِّـلاً[9] يَـدَعُ الإكـامَ كـأَنَّهُنَّ صَحَـارى

٢٨ ـ وَكُـلُّ فَتًى للحَـرْبِ فَـوْقَ جَبِيْنِـهِ من الضَّـربِ سَطْرٌ بِـالأَسِنَّـةِ مُعْجَمُ

---

(١) في ر، ف «واكتثاره».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «الأقطار».

(٣) في «القتر: الغبار» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يشير إلى هذا الجيش وأنه يَسْحق».

(٦) في ت «ويحطّمها» وهو تحريف.

(٧) في ت «عشيها» وهو تصحيف.

(٨) ديوانه: ص ٩٩.

(٩) في ت مُعَطِّلاً. وفي رواية ابن السكيت «جمع يظل به الفضاء مُعَضِّلاً» ومعنى «معضل» غاص، وهو مستعار من قولهم: عضلت المرأة بولدها، إذا تعسر خروجه حين الولادة.



العَجْمُ: الشَّكْلُ والنَّقْطُ[1].

ثُمَّ قالَ: وكُلُّ فَتَى؛ يُرِيدُ: حَوَاليهِ كُلُّ فَتَى، قَدْ جَرَحَتْهُ[2] الحَرْبُ، وَوَسَمَهُ الطَّعْنُ والضَّرْبُ، ففي جَبِيْنِهِ للسُّيُوفِ آثارٌ مُسْتَطِيلَةٌ تُشْبِهُ[3] السَّطْرَ، وللأَسِنَّةِ فيه نُكَتٌ[4] مُجْتَمِعَة تُشْبِهُ العَجْمَ، وأَشَارَ باعتِمَادِ الجِراحِ لوجوهِهِمْ، إلى شَجَاعَتِهِم وبَأْسِهِم، وإقْدَامِهِم وصَبْرِهِم.

٢٩ ـ يَمُدُّ يَدَيْهِ في المُفَاضَةِ ضَيْغَمٌ وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ

المُفَاضَةُ: الدِّرعُ، والضَّيْغَمُ: الأَسدُ، والتَّرِيكَةُ: البَيْضَةُ، والأَرْقَمُ: الحيَّةُ[5].

فيقولُ[6]: إنَّ هؤلاءِ الفِتْيَانَ الَّذينَ ذَكَرَهُمْ، كُلُّهُمْ أَسَدٌ[7] في شِدَّتِهِ، أَرقَمُ أُفعوانٌ في بَسَالَتِهِ، يَمُدُّ في دِرْعِهِ يَدَيْ أسدٍ؛ قُوَّةً وَشِدَّةً، وَيَمُدُّ من تَحْتِ تَرِيْكَتِهِ عَيْنَيْ أَرقَمَ[8]؛ إقداماً وشَجَاعَةً.

٣٠ ـ كَأَجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا وَمَا لَبِسَتْهُ والسِّلاَحُ المُسَمَّمُ[9]

الشِّعارُ: علامةٌ يُنَادَى بها في الحَرْبِ، والمُسَمَّمُ المحسَّنُ المُزَيَّنُ[10].

---

(١) «العجم... والنقط» زيادة في ل.

(٢) في ت «قد خدد به».

(٣) في ر، ف «يشبه».

(٤) في ف «نكث». والنُّكْتَةُ: النقطة.

(٥) «المفاضة... الحيّة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «أشد».

(٨) في ت «ويفتح من تحت تركته عينا أرقم».

(٩) في ر، ف «المتسمم».

(١٠) «الشعار... المزين» زيادة في ل.

ثُمَّ أشارَ إلى الخَيْلِ التي قَدَّمَ ذِكْرَها، فَقالَ: كأَجْناسِها[1] في الفَضْلِ والكَرَمِ أَجْناسُ راياتِها المؤَيَّدَةِ، وشِعَارُها المَنْصُورُ[2]، وما لَبِسَتْهُ من سِلاَحِها الشَّاكِ، وحَمَلَتْهُ من حَدِيْدِها الصَّقِيلِ المُحَسَّنِ.

٣١ ـ وأَدَّبَهَا طُولُ القِتَالِ فَطَرْفُهُ   يُشِيرُ إليها من بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ

يقولُ[3]: وأَدَّبَ هذه الخيلَ طولُ ممارسَةِ[4] القِتَالِ، والتَّقَلُّبُ في شَدَائدِ الحروبِ[5]، فَفَارسُها يُشيرُ إليها على بُعْدٍ بما يَقْصِدُهُ[6] فَتَفْهَمُهُ، ويُومِئُ إليها بما يُرِيدُه فَتَفْعَلُهُ[7].

٣٢ ـ تُجَاوِبُهُ فِعْلاً وَمَا تَسْمَعُ[8] الوَحَى[9]   وَيُسْمِعُهَا لَحْظاً وَمَا يتكَلَّمُ

الوَحَى: الاسْتِعجالُ[10].

ثُمَّ قالَ: يُسْمِعُها فارسُهَا بِلَحْظِهِ دونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وتُجاوِبُهُ بِفِعْلِها دونَ أن تُسْتَعْجَلَ.

٣٣ ـ تَجَانَفُ عن ذَاتِ اليَمِينِ كَأَنَّها   تَرِقُّ لِمَيَّافارِقِيْنَ وَتَرْحَمُ

---

(١) كذا في ر، ف، ت وفي ل «كأن أجناسها».

(٢) في ت «المنصورة».

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ت «ممارستها».

(٥) في ف «الحرب».

(٦) «بما يقصده» زيادة في ل.

(٧) في ت «وقال ابن الافليلي: أدب هذه الخيل... ففارسها يشير إليها من بعيد فتفهم، ويومىء إليها بما يريد فتفعل».

(٨) في رواية التبيان «وما تعرف».

(٩) في ر، ف «الوحي» بالياء.

(١٠) «الوحى: الاستعجال» زيادة في ل.

التَّجانُفُ: المَيْلُ والعُدُولُ[1] ومَيَّافارقينَ: مَدِيْنَةٌ من العَوَاصِمِ، كانَ عَسْكَرُ سيفِ الدَّولةِ بقُرْبِها، فَيَقولُ: إنَّ هذه الخيلَ تتجانَفُ عن ذاتِ اليمينِ، وهُنَاكَ كانَتْ هذهِ المَدِينةُ المذكورةُ، فكأَنَّها تَعْدِلُ عَنْها مُشْفِقَةً، وتُجانِبُها في سَيْرِها مُتَرَحِّمَةً.

٣٤ ـ وَلَوْ زَحَمَتْهَا بالمَنَاكِبِ زَحْمَةً دَرَت أَيُّ سُورَيْها[2] الضَّعيفُ المُهَدَّمُ

ثُمَّ قالَ: ولو زاحَمَتْها هذه الخَيْلُ بِمَناكِبِها، وصَادَمَتْها بمَوَاكِبِها؛ لأَيْقَنَتْ أَنَّ سُورَ هذه المَدِيْنَةِ مَعَ شِدَّةِ قُوَّتِه، وشُهْرَةِ مَنْعَتِهِ، كان يَعْجَزُ عن زِحَامِ[3] سُورِ هذه الخَيْلِ ويَنْخَرُّ[4]، ويَضْعُفُ دونَ ذلك ويَتَهَدَّمُ. وأَشارَ بهذا الوَصْفِ إلى عِظَمِ هذا الجيشِ، وجَعَلَ لِلْخَيلِ سُوراً، أَخبرَ عنهُ على طريقِ الاستِعَارةِ.

٣٥ ـ عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ

الطَّاوي: الضَّامِرُ البَطْنِ[5].

فَيقولُ[6]: إنَّ فُرْسانَ هَذا الجَيْشِ، كُلُّهم طَاوٍ في خَلْقِهِ، ضَرْبٌ[7] في

---

(١) «التجانف... العدول» زيادة في ل.

(٢) في رواية التبيان «سورَيْنا» وهي رواية ابن جنى أيضاً، وسورَيْنا: يعني «سور الخيل وسور البناء، ومن روى بالهاء عادت الكناية إلى الخيل والبلدة جميعاً، واستعار لقوة الخيل اسم السور لما كانت قوة البلدة بالسور» (انظر شرح الواحدي ص ٤٤٤ والتبيان ٣/٣٥٩).

(٣) كذا في ل وت، وفي ر، ف «حزام».

(٤) في ر، ف «وينخرب» وهو تحريف.

(٥) «الطاوي الضامر البطن» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) الضَّرْب: الرجل الخفيف اللحم.



جِسْمِهِ، على خَيْلٍ كلُّها طاوٍ بَطْنُهُ، مَجْدولٌ خَلْقُهُ، كأنَّما يُسْقَى من[1] الدَّمِ، فهو يَتجرَّعُهُ ولا يَسْتَكْثِرُ، ويُطْعَمُ اللَّحمَ، فهو يَتَبَلَّغُ به ولا يَسْتَبْطِنُ[2].

٣٦ ـ لها في الوَغَى زِيُّ الفوارسِ فَوْقَها فَكُلُّ حِصَانٍ دارِعٌ مُتَلَثِّمُ

٣٧ ـ وَمَا ذاكَ بُخْلاً بالنُّفوسِ عَلَى القَنَا وَلَكنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بالشَّرِّ أَحْزَمُ

الحِصَانُ: الذَّكَرُ من الخَيْلِ[3].

ثُمَّ قالَ: وهذه الخيلُ بالدُّروعِ مُشْمِلَةٌ، وفي الجَوَاشِنِ[4] مُتَلَثِّمةٌ، وفي[5] زِيِّ فُرْسَانِها، وعَلَى حالِ رُكْبَانِها، وَلَيْسَ ذلك فَرَقاً من المَوْتِ، وتَهَيُّباً للسِّلاحِ، ولكنَّ الحزَمَ أن يُصْدَمَ الشَّرُّ بِمِثْلِهِ، وَيُتَقَدَّمَ إليهِ بِشَكْلِهِ.

٣٨ ـ أَتَحْسِبُ بِيضُ الهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَها وَأَنَّكَ مِنها؟ سَاءَ ما تَتَوَهَّمُ

يقولُ[6]: أتَحْسِبُ سُيوفُ الهِندِ مَعَ جَلاَلَتِها ورِفْعَتِها، ونَفاذِها وهَيْبَتِها، أَنَّكَ منها، بِمُشَاكَلَتِها[7] لكَ في الاسمِ، وَمُوافَقَتِها لكَ في اللَّقَبِ؟ ساءَ[8] ما ظَنَّتْهُ، وخَابَ سَعْيُها فيما تَوَهَّمَتْهُ! إنَّ[9] السُّيوفَ بَعْضُ آلاتِكَ؛ تُصَرِّفُها ولا تُصَرِّفُكَ، وَتَسْتَعْمِلُها ولا تَسْتَعْمِلُكَ.

---

(١) ساقطة من ر، ف.

(٢) في ف «ولا يتبطر» وفي ر «يستبطر».

(٣) «الحصان: الذكر من الخيل» زيادة في ل.

(٤) الجواشن: جمع جوشن وهو الصدر والدرع.

(٥) الواو ساقطة من ر، ف.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «لمشاكلتها».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «لقد ساء».

(٩) في ر، ف، ت «والسيوف».



٣٩ ـ إذا نحنُ سَمَّيناكَ خِلْنا سُيوفَنا مِنَ التِّيهِ في أغْمادِها تَتَبَسَّمُ

ثمَّ قالَ: إذا نحنُ سَمَّيناكَ بِسَيْفِ الدَّولةِ، خِلْنا سُيوفَنا في أغْمادِها تَتَبسَّمُ، مُزْدَهِيَةً[١] بكَ، وتتكبَّرُ بادِّعائِها لكَ.

٤٠ ـ ولم نَرَ مَلْكاً قطُّ يُدْعَى بدونِهِ فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ[٢]

يقولُ[٣]: ولم نَرَ مَلْكاً قَبْلَكَ يُدْعَى بدونِهِ، ويُلَقَّبُ بما يَتَواضَعُ عن قَدْرِهِ، فَيَرْضَى ويَصْبِرُ، ويُغْضِي ويَغْتَفِرُ، ولكنَّهم يجهلُونَ وتَحْلُمُ، ويُقَصِّرونَ عن حَقِيْقَةِ وَصْفِكَ فتَكَرَّمُ.

٤١ ـ أخَذْتَ على الأرواحِ[٤] كُلَّ ثَنِيَّةٍ مِنَ العَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشاءُ وَتَحْرِمُ

الثَّنِيَّةُ: الطَّريقُ في رَأْسِ الجَبَلِ[٥].

فيقولُ[٦]: أخَذْتَ على نفوسِ[٧] النَّاسِ بمجامِعِ الطُّرقِ. يُشيرُ بِذلكَ إلى قُوَّةِ مُلْكِهِ، وتَمَكُّنِ أمْرِهِ. فَأَنْتَ تُعْطِي مَنْ أَطاعَكَ ورَجاكَ[٨]، وتَحْرِمُ مَنْ خالَفَكَ وعَصاكَ، عالِماً بما تَفْعَلُهُ، قادِراً على ما تَقْصِدُه، تُسْعِدُكَ[٩] الأَقْدارُ على إرادَتِكَ، وتُسَهِّلُ لكَ وجُوهَ رَغْبَتِكَ.

---

(١) في ر «من وهيه» وهو تحريف.

(٢) ي ر، ف «ويحلم».

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) في رواية التبيان «الأعداء».

(٥) «الثَّنِيَّةُ... الجبل» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «أنفس».

(٨) كذا في ر، ف، ت، وساقطة من ل.

(٩) في ل «وتسعدك».

٤٢ ـ فَلاَ مَوْتَ إلاَّ مِنْ سِنَانِكَ[١] يُتَّقَى ولا رِزْقَ إلاَّ من يَمِينِكَ يُقْسَمُ

ثُمَّ قَالَ: فَلَسْنَا[٢] نَعْلَمُ قَتْلاً يُتَّقَى[٣]، إلاَّ من[٤] سِلاحِكَ في وَقَائِعِكَ[٥]، ولَسْنا[٦] نَعْلَمُ عَطَاءَ يُقْصَدُ[٧]، من[٨] غَيْرِ هِبَاتِكَ ومَكَارِمِكَ.

---

(١) في ر، ف «سنامك».

(٢) كذا في ر، ف، ت وفي ل «لا نعلم».

(٣) في ر، ف «يحذر».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ل «ووقائعك» وفي ت «في وقعك».

(٦) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «ولا نعلم».

(٧) كذا في ر، ف ت. وفي ل «يقسم».

(٨) ساقطة من ر، ف، وفي ل «إلاَّ من هباتك».

وضُرِبَ[١] لِسَيْفِ الدَّولةِ بمَيَّافارقينَ خَيْمَةٌ كَبيرةٌ، وأَشاعَ الناسُ أن المُقامَ يَتَّصِلُ[٢] . وَهَبَّتْ ريحٌ شَديدَةٌ، فَسَقَطَتِ الخَيْمَةُ، وتَكَلَّمَ الحُسَّادُ عِنْدَ سُقُوطِها، فَقَالَ أبو الطَّيِّبِ:

١ - أَيَنْفَعُ في الخَيْمَةِ العُذَّلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهرَها يَشْمَلُ

يقولُ: أَيَنْفَعُ في[٣] الخَيْمَةِ أن تُلامَ بِفِعْلِها، وتُعْذَلُ على سُقُوطِها؟ وعُذْرُها بَيِّنٌ، والمُوجِبُ لِفِعْلِها ظَاهِرٌ. وكَيْفَ لها أن تَشْمَلَ[٤] مَنْ يَشْمَلُ الدَّهرَ بِسُلْطَانِهِ، وَيُجِيرُ عليهِ بإحْسَانِهِ!

٢ - وتَعْلُو الذي زُحَلٌ تَحْتَهُ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ ما تُسألُ[٥]

ثُمَّ قالَ[٦]: وكَيْفَ تَعْلُو مَنْ يتواضَعُ زُحَلٌ عن رِفْعَتِهِ، ويَقْصُرُ دُونَ بُلوغِ مَنْزِلَتِهِ؟ مُحَالٌ[٧] ما تَسْأَلُهُ، ومُمْتَنِعٌ ما تَحْمِلُهُ.

٣ - فَلِمْ لا تَلُومُ الذي لاَمَها وَمَا فَصُّ خَاتِمهِ يَذْبُلُ

ثُمَّ قالَ: و[٤]لِمَ لا تَلُومُ هذه الخَيْمَةُ لائِمَها على سُقُوطِها، والرَّئيسُ

---

(١) في ر، ف «وضربت».

(٢) «وأشاع... يتصل» زيادة في ل، وكذا في شرح الواحدي، وزاد في ت «بها».

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) كذا في ر، ف، ت وفي ل «تشتمل».

(٥) كذا في رواية التبيان أيضاً وفي رواية الواحدي «تَسْأَلُ» بفتح التاء وأشار إلى رواية ضم التاء بقوله «ومن ضم التاء أراد ما تسأل الخيمة من ذلك» (٢/٤٤٦).

(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٧) في ت «فحال».

(٨) في ت «قال ابن الأفليلي: لم لا تلوم من لامها، وتقول له: إن الرئيس تَهَيَّبْتُه، واعجزني الاشتمال عليه، يقصر...»



الذي تَهيَّبَتْهُ، وأعْجَزَها الاشْتِمالُ عليه، يُقَصِّرُ يَذْبُلُ[1] مَعَ عِظَمِهِ عَنْ فَصِّ خاتَمِهِ، وَيَخِفُّ عِنْدَ رِكابَتِهِ[2] كخِفَّتِهِ، وَيَقِلُّ عِنْدَ جلالَتِهِ كَقِلَّتِهِ؟

٤ ـ تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أرْجاؤُها وَيَرْكُضُ في الواحِدِ الجَحْفَلُ

ثُمَّ قالَ، مُخاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: تَضِيقُ أرْجاءُ[3] هذه الخَيْمَةِ بِشَخْصِكَ إعْظاماً له، وفي الوَاحِدِ من تِلْكَ[4] الأرجاءِ يَرْكُضُ الجَيْشُ العَظيمُ، ويتصرَّفُ الجَمْعُ الكَبيرُ، فإنما ضَاقَتْ بكَ على طريقِ الإجلاَلِ لَكَ.

٥ ـ وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ في جَوْفِها وَيُرْكَزُ[5] فِيها القَنَا الذُّبَّلُ

ثُمَّ قالَ: وتَقْصُرُ عِنْدَ كَوْنِكَ في جَوْفِها، مُكْبِرَةً للاشْتِمالِ عليكَ، وتَضْطَرِبُ مُسْتَعْظِمَةً للاسْتِعْلاَءِ فَوْقَكَ، وذلكَ لِجَلاَلَتِكَ لا لِصِغَرِها وقِصَرِها[6]، ولِهَيْبَتِكَ لا لِتَطَأْطُؤها؛ لِأَنَّ القَنَا الذُّبَّلَ تُرْكَزُ فيها لِعُلُوِّها، وتَقْصُرُ عنها لارتِفَاعِها.

٦ ـ وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى راحةٍ كَأَنَّ البِحَارَ لها أَنْمُلُ

ثُمَّ قَالَ، باسِطاً لِعُذْرِ الخَيْمَةِ في سُقُوطِها: وكيفَ تَقُومُ هذه الخَيْمَةُ[7] مُشْتَمِلَةً على مَنِ البحارُ كالأَنْمُلِ لِرَاحَتِه، يَعُمُّها[8] بأَيْسَرِ جُودِهِ، ويَزيدُ عليها بأقلِّ بَذْلِهِ؟

---

(١) يَذْبُلُ: جبل مشهور الذكر بنجد، ويقال إنه جبل لباهلة، وله ذكر في شعر العرب، ذكره امرؤ القيس والنابغة الجعدي.

(٢) في ت «رزانته».

(٣) الأرجاء: النواحي، واحدها رجا ويمدُّ رجاء، والتثنية رَجوان.

(٤) في ف «وفي الواحد منك الأرجاء».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «وتُرْكَزُ».

(٦) كذا في ف وت وساقطة من ر.

(٧) «هذه الخيمة» ساقطة من ت.

(٨) في ت «يغمرها».



٧ ـ فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَّلْتَ أرْضَكَ مَا تَحْمِلُ

ثُمَّ قالَ: فَلَيْتَكَ أيُّها الرَّئيسُ فَرَّقْتَ وقَارَكَ وقسَّمْتَهُ، وشارَكْتَ فيهِ وبَعَّضْتَهُ[1]، وحَمَّلْتَ الأَرْضَ منه[2] ما تَحْمِلُهُ، وكَلَّفْتَها ما تَبْلُغُه!

٨ ـ فَصَارَ الأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدْتَهُمُ بالذي تَفْضُلُ[3]

ثُمَّ قالَ: فَكَانَ في ذَلكَ ما يَصِيرُ الأَنَامُ به سَادةً بِمِثْلِهِ، ورؤَسَاءَ[4] بما يَصِلُ إليهم من فَضْلِهِ، وكَانَ فيما يَفْضُلُ عَنْهُمْ ما تَسُودُ به جَمَاعَتُهُمْ، وَتَسْتَحِقُّ مَعَه رِياسَتُهم.

٩ ـ رَأَتْ لَوْنَ وَجْهِكَ[5] في لَوْنِهَا كَلَوْنِ الغَزَالَةِ[6] لا يُغْسَلُ

ثُمَّ قالَ: رَأَتْ هذه الخيمةُ لَوْنَ وَجْهِ سَيْفِ الدَّولةِ في لَوْنِها، وتَلأْلُؤَ حُسْنِهِ في حُسْنِها، كَنُورِ الشَّمسِ يُشْرِقُ[7] ولا يُغْسَلُ، ويُضِيءُ ولا يُغَيَّرُ[8].

١٠ ـ وَأَنَّ لها شَرَفاً بَاذِخاً وَأَنَّ الخِيَامَ بها تَخْجَلُ

ثُمَّ قالَ: وَرَأَتْ أَنَّ لَهَا بِهِ شَرَفاً بَاذِخاً[9]، واعتلاءً ظَاهِراً، وأنها تُخْجِلُ الخيامَ بِعَجْزِها، وتَحْقِرُها بِجَلالةِ قَدْرِها.

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) «منه» ساقطة من ت.

(٣) في رواية الواحدي والتبيان «يَفْضُل» ـ وفَضَل فيه لغات، أفضلها بفتح العين ماضياً، ومثله: دَخَل يَدْخُل.

(٤) في ر، ف «ورؤسا».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «نُورِكَ».

(٦) الغزالة: الشمس لأنها تمد حبالاً كأنها تغزل، أو الشمس عند طلوعها أو عند ارتفاعها.

(٧) في ت «تشرق».

(٨) في ت «يتغير».

(٩) الباذخ: العالي.

١١ ـ فلا تُنْكِرَنَّ لها صَرْعَةً   فَمِنْ فَرَحِ[١] النَّفسِ ما يَقْتُلُ

ثمَّ قالَ: وغَيْرُ بَديعٍ أَنْ يَصْرَعَهَا طَرَبُها، وَيسْتَخِفُّها فَرَحُها، فَمِنَ الفَرَحِ ما يَقْتُلِ بِشِدَّته[٢]، ومن الطَّربِ ما يَضُرُّ بِزِيَادَتِه.

١٢ ـ وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ   لَخَانَتْهُمُ حَوْلَكَ الأَرْجُلُ

ثُمَّ قالَ: ولو بُلِّغَ النَّاسُ العُقَلاءُ ما بُلِّغَتْهُ هذه الخَيْمَةُ، من الصِّيانَةِ لكَ، والاتِّصالِ بك، والاشْتِمالِ عليكَ، لخَانَتْهُم أَرْجُلُهم، فَلَمْ تَحْمِلْهُم[٣]، وصَرَعَهُم فَرَحُهم، ولم[٤] يُمْهِلْهُم.

١٣ ـ وَلَمَّا أمرتَ بِتَطْنِيبِها   أُشِيعَ بأَنَّكَ لا تَرْحَلُ

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: ولما أَمَرْتَ بِنَصْبِ هذه الخَيْمَةِ، ومدِّ[٥] أَطْنَابِها[٦]، أَشَاعَ النَّاسُ أَنَّ ذلكَ لأَمرٍ وَقَّفَكَ عن الرَّحيلِ، وعُذْرٍ ثَبَّطَكَ عن الغَزْو.

١٤ ـ فما اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَها   وَلَكِنْ أَشَارَ بما تَفْعَلُ

فَلَمْ يَكُنْ سُقُوطُها إرادةً من اللهِ، لِحَطِّ ما رَفَعْتَهُ مِنْها، ولَكِنْ نَبَّهَكَ على الرَّحيلِ الذي أَعْرَضْتَ عنه، وأَرَاكَ[٧] رُشْدَكَ في النُّهوضِ الذي أَخَّرْتَ أَمْرَه.

---

(١) في ر، ف «شرف» وهو تحريف.

(٢) في ت «لشدّته».

(٣) كذا في ت وفي ر، ف «يحملهم».

(٤) في ت «فلم».

(٥) في ت «ولما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمدّ أطنابها».

(٦) الأَطْنَابُ: جمع طُنُب. وهي حبال البناء الطويلة، التي يُشَدُّ بها سرادق البيت أو الوتد.

(٧) في ت «وأراد».

١٥ ـ وَعَــرَّفَ أَنَّــكَ مِــنْ هَمِّــه وَأَنَّــكَ في نَــصْــرِهِ تَــرْفُــلُ

ثُمَّ قالَ: وأَبَانَ أَنَّه يَذْكُرُكَ رَاضِياً عنكَ، وَيَنْصُرُكَ مانعاً منكَ، ففي نَصْرِهِ تَرْفُلُ[١]، وفي تَأْيِيدِهِ تَتَقَلَّبُ.

١٦ ـ فَـما الـعَـانِـدُونَ ومـا أَثَّـلُوا[٢]؟ وَمَـا الحـاسِـدونَ ومـا قَـوَّلُـوا؟

ثمَّ قالَ: وما قَدْرُ العانِدينَ وما جَمَعُوهُ، وما بَلْغُ حَسَدِهم، ومَبْلَغُ ما اختَلَقُوهُ، إذا اقترَنَ ذلك بِجَلاَلَةِ سُلْطَانِكَ، واستَضَافَ[٣] إلى عُلوِّ مَكَانِكَ.؟

١٧ ـ هُـمُ يَـطْلُبُـونَ فَـمَـنْ أَدْرَكُـوا؟ وَهُـمْ يَكْـذِبُـونَ فـمـن يَـقْـبَـلُ؟

ثُمَّ قالَ: هم يَجْتَهِدُونَ في الطَّلبِ، فَسَلْهُم أينَ مَنْزِلَةُ مَنْ أَدْرَكوه مِنْ نُظَرَائِهم مِنْ مَنْزِلَتِكَ؟ وأينَ مَحَلُّهم مِنْ عُلوِّ رُتْبَتِكَ؟ وهم يَكْذِبُونَ، فَسَلْهُمْ عَمَّن يَقْبَلُ كَذِبَهم، ويَسْمَعُ إِفْكَهُمْ، هل أُولَئِكَ إلاَّ طَغَامٌ[٤] لا يُحْفَلُ بهم، وَهَمَجٌ لا يُعَرَّجُ عليهم؟

١٨ ـ وَهُـمْ يَـتَـمَـنَّـوْنَ مـا يَـشْـتَـهُـونَ وَمِـنْ دُونِـهِ جَـدُّكَ الْمُـقْـبِـلُ

ثُمَّ قالَ: وهم يَتَمَنَّونَ من الظُّهورِ عَليكَ، بِحَسَبِ ما تَبْلُغُهُ شَهواتُهم، ويَعْتَرِضُهُم دونَ ذلكَ، إقبالُ جَدِّكَ، وتَمَكُّنُ سَعْدِكَ، وما يَتَكَفَّلُ[٥] اللَّهُ به من إعلاءِ أَمْرِكَ.

---

(١) ترفل: تتبختر.

(٢) كذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «وما أمّلوا»
أثّلوا: جمعوا

(٣) في ت «واستطاف».

(٤) الطَّغَامُ: أوغادُ الناس، والهَمَجُ: الحمقى من الناس الذين يغلب عليهم سوء التدبير.

(٥) في ت «وما تكفل».

١٩ - وَمَلْمومَةٍ[١] زَرَدٌ ثَوْبُها ولكنَّهُ بالقَنا مُخْمَلُ

يَقُولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: وربَّ كَتيبةٍ لكَ، لِباسُ فُرْسَانِها الدُّروعُ، حَتَّى كَأَنَّها منها في ثَوْبٍ شَامِلٍ، ولِباسٍ سَابغٍ، إلا أن ذلكَ الثَّوبَ مُخْمَلٌ بالرِّماحِ البَادِيةِ منه[٢]، مُشَعَّبٌ[٣] بالقَنا المُتَشَاجِرةِ[٤] فيه.

٢٠ - يُفَاجِىءُ جَيْشاً بِها حَيْنُهُ وَيُنْذِرُ جَيْشاً بِها القَسْطَلُ

ثُمَّ قالَ: إذا فَاجَأَتْ[٥] تلكَ الكَتِيْبَةُ جَيْشاً فاجَأَهُ بها حَيْنُهُ، وقابَلَهُ منها حَتْفُه، ويَقْدُمَها عند إيقاعِها به من عَجَاجِ خَيْلِها، ورَهَجِ غُبارِها، ما يُنْذِرُ غَيْرَ ذَلِكَ الجَيْشِ بأمرِها، ويَهْزِمُهُ بِتَوَقُّعِ بأْسِهَا.

٢١ - جَعَلْتُكَ بِالقَلْبِ لي عُدَّةً لِأَنَّكَ بالْيَدِ لا تُجْعَلُ

ثُمَّ قالَ: جَعَلْتُكَ بالقَلْبِ لي[٦] عُدَّةً أعتدُّها، وعِصْمَةً أعتقِدُهَا؛ لِأَنَّكَ أَرْفَعُ من أن تُصَرَّفَ فتُنْقَلُ، وتُتَنَاوَل باليَدِ فَتُجْعَلُ.

٢٢ - لَقَد رَفَعَ اللَّهُ مِن دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يا سَيْفَها مُنْصُلُ

---

(١) في رواية الواحدي والتبيان «وملمومةٌ» بالرفع عطفاً على المبتدأ في قوله «وجدّك المقبل».
وأشار صاحب التبيان إلى رواية الأفليلي بالخفضُ بقوله: «وروى ابن الأفليلي وملمومةٍ بالخفض، قال: ورب ملمومة لك لباس أهلها الحديد».
(التبيان ٣/٧١).

(٢) في ت «ومتنه».

(٣) في ت «متشعب».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ق «المتشاجر».

(٥) في ف «فاجت».

(٦) ساقطة من ت.

ثُمَّ قالَ: لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ شَأنَ دَوْلَةٍ صَيَّرَكَ سَيْفَها، وأَنْتَ مَلِكُ المُلُوكِ [وجَعَلَكَ][1] مُنْصُلُها، وأنتَ أميرُ الأُمَراءِ[2].

٢٣ - فإن طُبِعَتْ قَبْلَكَ[3] المُرْهَفاتُ فإنَّكَ مِنْ قَبْلِها المِفْصَلُ

يقولُ: فإن تَقَدَّمَتْكَ السُّيوفُ بِزَمَانِ طَبْعِها، وَسَبَقَتْكَ بِوَقْتِ صِناعَتِها، فَأَنْتَ تَسْبِقُها[4] بِنَفَاذِ أَمْرِكَ، وَتَتَقَدَّمُها[5] بمَضاءِ عَزْمِكَ.

٢٤ - وإن جادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فإنَّكَ في الكَرَمِ الأَوَّلُ

ثُمَّ قالَ: وإن تَقَدَّمَكَ أَجْوَادُ سَلَفَتْ أعمارُهُم، وَتَراخَتْ مُدَدُهُم، فَأَنْتَ تَتَقَدَّمُهم[6] بِعُمُومِ جُودِكَ، وتَسْبِقُهُم[7] بِسُبُوغِ كَرَمِكَ، فإنْ[8] تَقَدَّموكَ بالزَّمانِ، فَأَنْتَ تَتَقَدَّمُهُم[9] بالإحْسَانِ.

ثُمَّ قالَ: وكَيْفَ تُقَصِّرُ[10]عن غايَةٍ من الفَضْلِ، ومَنْزِلَةٍ من الكَرَمِ والبَأْسِ، والأُسْدُ وَلَدَتْكَ، وثُدِيُّها أَرْضَعَتْكَ؟

٢٥ - وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عن غايَةٍ وأُمُّكَ مِنْ لَيْثِها مُشْبِلُ

(١) لعل هذه الكلمة أقرب ما يكون إلى السياق، إذ هي في الأصل ملغاة في المتن، ورسمها هكذا «ويعلك و» ومشار إلى تصويبها في الهامش ولكنها ساقطة منه.

(٢) في ت «لقد رفع الله دولة، يريد الخلافة، جعلتك سيفها وأنت ملك الملوك، وجعلتك منصلها وأنت أمير الأمراء» (٣/٧١).
والمنصل: السيف.

(٣) في ر، ف «طَبِعَتْ قلبك» وهو تحريف.

(٤) في ت «سبقتها».

(٥) في ت «وتقدّمتها».

(٦) في ت «تقدمتهم».

(٧) في ت «وسبقتهم».

(٨) في ت «وإن».

(٩) في ت «تقدمتهم».

(١٠) كذا في ت وفي ر، ف «يقصر».

٢٦ - وَقَـدْ وَلَـدَتْـكَ فَـقَـالَ الـوَرَى   أَلَم تَـكُـنِ الشَّـمْسُ لا تَـنْـجُـلُ[1]

ثُمَّ قالَ: وَقَد[2] وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وهي الشَّمسُ في رِفْعَةِ قَدْرِها، وجَلاَلَةِ أَمْرِها، فاستَعْظَم النَّاسُ أن يَكُونَ مِثْلُها يَلِدُ، ومن صَارَ في مِثْلِ مَنْزِلَتِها يَنْسِلُ[3]، فكيفَ بكَ وأُمُّكَ الشَّمْسُ جَلاَلَةً ورِفْعَةً، وأبوكَ[4] الأَسَدُ صَرَامَةً وشِدَّةً؟

٢٧ - فَتَبَّـاً لِـدينِ عَبِيـدِ النُّـجـومِ   وَمَـنْ يَـدَّعـي أَنَّها تَـعْـقِـلُ

ثُمَّ يَقولُ: فَأَهْلَكَ اللَّهُ أَصْحابَ النُّجُومِ، والمُصدِّقينَ بها، وعَبِيدَها المُعظِّمِينَ لها، وأبعدَ اللَّهُ[5] القائلينَ: إنَّها عَاقِلَةٌ مُمَيِّزَةٌ، وعالِمَةٌ مُدَبِّرةٌ.

٢٨ - وَقَـدْ عَـرَفَـتْـكَ فَـمَا بَـالُهَـا   تَـرَاكَ تَـرَاهَـا ولا تَـنْـزِلُ

وقد عَرَفَتْكَ وشَاهَدَتْكَ، وأَبْصَرَتْكَ وتَبَيَّنَتْكَ، فما بَالُها تَراكَ تَنْظُرُ إليها ولا تَنْزِلُ خَاضِعةً لك، وَتَنْحَطُّ من أماكِنها مُتَواضِعَةً عَنْكَ؟ وهي في الحَقِيقةِ لا تَبْلُغُ رُتْبَةَ فَضْلِكَ، ولا تُقارِبُ جَلاَلَةَ قَدْرِكَ.

٢٩ - وَلَـوْ بِـتُّـمَا عِـنْـدَ قَـدْرَيْـكُـمَا   لَـبِـتَّ وأَعْـلاكُـمَا الأَسْـفَـلُ

يقولُ: وَلَو بِتُّما، ومَوْضِعُ كُلِّ واحِدٍ مِنكُما على حَسَبِ فَضْلِهِ، ومَكَانُهُ حَيْثُ يَسْتَحِقُّ بِقَدْرِهِ، لِبِتَّ في مَوَاضِعِ النُّجومِ، وبَاتَتْ في مَوْضِعِكَ، تَعْلُوها وتَسْفُلُ مِنْكَ، وَتَسْبِقُها وتَتَواضَعُ عَنْك.

---

(١) في رواية الواحدي «تُنْجَلُ» وقال في شرح ذلك «يقول لما ولدتك أمك كنت شمساً في رفعة المحل ونباهة الذكر فقال الناس ألم تكن الشمس لا تولد وكيف ولدت هذه المرأة شمساً ومن روى «لا تَنْجِلُ» جعل أمّه الشمس والمعنى فقالوا ولدت الشمس وهي لا تلد جعل الممدوح لعلو قدره كأنه نجل الشمس، والأول أجود وأمدح.

(٢) في ت «ولما».

(٣) في ت «استعظم الناس أن يلد مثلها، ومن صار في عظم منزلتها نسلاً».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «وآباؤك».

(٥) ساقطة من ف.



٣٠ ـ أَنـلْتَ عِـبَـادَك مـا أَمَّـلَتْ[1] أَنـالَـكَ رَبُّـكَ مـا تَـأمُـلُ

ثُمَّ قالَ: أَنَلْتَ عَبِيْدَكَ، وَهُم العِبَادُ، ما أَمَّلُوهُ من فَضْلِكَ، وحَقَّقْتَ رَجَاءَهُم فيما اسْتَدْعَوْهُ من كَرَمِكَ، أَنالَكَ رَبُّكَ[2] ما تَأمُلُهُ، وأيَّدَكَ على ما تَقْصِدُهُ، وتَكَفَّلَ لك بِتَقْريبِ ما تُرِيدُهُ.

(١) في رواية الواحدي والتبيان «ما أمَّلوا».

(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «الله».

وَرَكِبَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ في بَلَدِ الرُّومِ، من مَنْزِلٍ يُعْرَفُ بالسَّنَبُوسِ[١]، في جُمادَى الأُولى سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثِينَ وثَلاثِمائةٍ. وأَصْبَحَ وقد صَفَّ الجَيْشُ قاصداً سَمَنْدو[٢]، وكانَ أَبو الطَّيِّبِ مُتَقَدِّماً، فالتَفَتَ فرآهُ وقد خَرَجَ من الصُّفوفِ يُدِيرُ[٣] رُمْحاً بِيَدِهِ، فَرَجَعَ إليه، فسايَرَهُ، وأَنْشَدَهُ:

١ - لِهذا اليومِ بَعْدَ غدٍ أَريجُ ... وَنارٌ في العَدُوِّ لها أَجِيجُ

الأَريجُ: الفَوْحُ، وأَجِيجُ النَّارِ: اشْتِعالُها[٤].

فيقولُ[٥]: لهذا اليومِ بَعْدَ غدٍ، بِطيِّبِ ذِكرِهِ، وكريمِ خَبَرِهِ، ومَشْكورِ أَثَرِ سَيفِ الدَّولةِ فيه، فَوْحٌ يَتَضَوَّعُ، وَطِيْبٌ يَعْبَقُ، وَنَبأٌ[٦] مَحْمودٌ يُؤْثَرُ.

٢ - تَبِيْتُ بِهِ الحَواصِنُ آمِناتٍ ... وَتَسْلَمُ في مَسالِكِها الحَجِيجُ[٧]

الحَواصِنُ: العَفائفُ، واحِدَتُهُنَّ حَصانٌ[٨].

ثُمَّ قالَ: يُشيرُ إلى ما يُوْقِعُهُ سيفُ الدَّولةِ في ذلكَ اليومُ بالعَدوِّ، وأَنَّ ذلك يُوجِبُ لَهُ[٩] من قوَّةِ سُلْطانِه، ما[١٠] تَأْمَنُ بِه الحَواصِنُ من نِساءِ

(١) السَّنَبُوس: موضع في بلاد الروم قرب سمندو (معجم البلدان ٣/٢٦١).
(٢) سمندو: حصن متوسط في بلاد الروم، وهو منها في أولها.
(٣) في ف «يريد».
(٤) «الأريج... اشتعالها» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «يقول».
(٦) في ر، ف «وثناء».
(٧) في رواية الواحدي «بها» وفي رواية التبيان «الحواضن». وفي ر، ف «ويَسْلَمُ».
(٨) «الحواصن... حصان» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «فيوجب ذلك».
(١٠) في ر، ف «وما».



الثُّغورِ، وما[1] يَسْلَمُ مَعَهُ السَّالِكُونَ لِطُرقِ الحجِّ.

٣ - فَلاَ زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرائِسَ أيُّها الأَسَدُ المُهيجُ

فَرِيْسَةُ الأَسَدِ: ما دَقَّ عُنُقَهُ[2].

فَيَقولُ[3] لِسَيْفِ الدَّولةِ: فلا زَالَتْ أيُّها الرَّئيسُ، الذي يُشْبِهُ اهْتياجُهُ في حَرْبِهِ اهتِيَاجَ الأَسَدِ عِنْدَ غضَبِهِ، عُدَاتُكَ حَيْثُ تَصرَّفَتْ من الجِهَاتِ، وأينَ كانَتْ من البِلادِ، فَرائِسَ تَصْرَعُهُم وقَائِعُكَ، وَتَتَحكَّمُ فيهم صَوارِمُكَ.

٤ - عَرَفْتُكَ والصُّفوفُ مُعَبَّآتٌ وأنتَ بغَيْرِ سَيْرِكَ[4] لا تَعِيْجُ

العَائِجُ: المُكْتَرِثُ، يُقالُ: عَاجَ يَعِيجُ إذا اكترثَ، وعَاجَ يَعُوجُ إذا انعَطَفَ[5].

ثُمَّ قالَ: عَرَفْتُكَ مَعَ كَثْرَةِ[6] عَسَاكِرِكَ، وازدِحَامِ كَتَائِبِكَ، والصُّفوفُ مُعَبَّئاتٌ لِلحَرْبِ، مُهيَّئاتٌ[7] للطَّعنِ والضَّربِ، وأنتَ لا تَحْفَلُ بغَيْرِ سَيْرِكَ، ولا تَكْتَرِثُ لِلِقَاءِ عَدُوِّكَ.

٥ - وَوَجْهُ البحرِ يُعْرَفُ مِنْ بَعِيدٍ إذا يَسْجُو فكيفَ إذا يَمُوجُ

---

(١) «ما» ساقطة من ر، ف.

(٢) «فريسة... عنقه» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في رواية الواحدي والتبيان «وأنت بغير سيفك» وقد أشار الواحدي إلى أن رواية «سيرك» تصحيف لا وجه له ولا معنى (٢/٤٥٠).

(٥) «لعائج... انعطف» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «بكثرة».

(٧) في ل «مهيأة».

يُقَالُ: البَحْرُ يَسْجو إذا سَكَنَ، ويَموجُ إذا ارتَجَّ[1].

ثُمَّ ضَرَبَ مثلاً، فَقالَ: وكذلِكَ البحرُ لا يَخْفَى مَوْضِعُهُ[2] مَعَ سُكُونِهِ، ولا يَغِيبُ عن الأَبْصَارِ مَعَ قَرَارِهِ، فكيفَ إذا هَاجَ وزَخَر، وارْتَجَّ وطَمَحَ؟! وأَنْتَ كَذَلِكَ، لا يَخْفَى على البَعِيدِ مَوْضِعُكَ مَعَ[3] السِّلم، فَكَيْفَ بكَ عِنْدَ تَأَهُّبِكَ لِلحَرْبِ؟!

٦ - بِأَرضٍ تَهْلِكُ الأَشْوَاطُ فيها   إذا مُلِئَتْ من الرَّكْضِ الفُرُوجُ

الأَشْوَاطُ: جَمْعُ شَوْطٍ، وهو ما بَيْنَ أَوَّلِ الطَّلَقِ وآخرِهِ[4].

فيقولُ[5]: إنَّ هذا الجيشَ يَسيرُ[6] من أرضِ الرُّومِ في أرضٍ بَسِيْطَةٍ، بَعِيدٌ آخرُها، نائِيَةٌ نِهَايَتُها، وإنَّ ذَلك البُعْدُ يَقْرُبُ على هذا الجَيْشِ بِشِدَّةِ رَكْضِهِ، وسُرْعَةِ سَيْرِه، فَتَهْلِكُ الأَشْوَاطُ عِنْدَ ما هو بِسَبِيْلِهِ من الإِسْراعِ إلى العَدوِّ، والجِدِّ في قَصْدِه.

٧ - تُحَاوِلُ نَفسَ مَلْكِ الرومِ مِنْهَا   فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ العُلُوجُ[7]

ثُمَّ قالَ: تُحَاوِلُ مِنْ هَذه الأرضِ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ، فَيَتَّقِينا بِفِرارِهِ، ويَعْتَصِمُ مِنَّا[8] بِهَرَبِه، ويَجْعَلُ فِدَاءَهُ رَعِيَّتَهُ المَغْنُومَةَ، وعَسَاكِرَهُ المَهزُومَةَ.

(١) «يقال... ارتج» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «مكانه».
(٣) في ر، ف «من».
(٤) «الأشواط... وآخره» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «ثم قال».
(٦) في ر، ف «يصير».
(٧) العلوج: جمع عِلْج وهو العَيْرُ والحمار، والرجل من كفار العجم.
(٨) في ر، ف «منها».

٨ ـ أبا الغَمَراتِ تُوْعِدُنَا النَّصارَى وَنَحْنُ نُجُومُها وَهِيَ البُرُوجُ

غَمَراتُ الحَرْبِ: شَدَائِدُها[١].

فَيقولُ[٢]: أبِشَدائِدِ الحربِ تَوَاعَدُنا النَّصارَى، وهي أَوْطَانُنَا التي نَألَفُها، ومَوَاضِعُنَا التي نَسْكُنُها؟ فانتِقَالُنَا[٣] فيها كانتِقَالِ النُّجوم في بُرُوجِها، وتَصرُّفِها في مَنَازِلِها، فكَيْفَ نَهابُ ما لا نَعْدَمُه، ونَتَوَقَّعُ ما لا نَفْقِدُهُ؟!

٩ ـ وَفِينَا السَّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ إذَ لاقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكداً لما قَدَّمَهُ: وفِيْنَا سَيفُ الدَّوْلَةِ، وهو السَّيفُ صَرَامةً وشِدَّةً، ونَفَاذاً وَعَزيمةً، إنْ حَمَلَ صَدَقَتْ حَمْلَتُهُ، وإنْ أغارَ أَبْعَدَتْ[٤] في المَقْصَدِ غَارَتُه.

١٠ ـ نُعَوِّذُهُ[٥] من الأعيانِ بَأْساً وَيَكْثُرُ بالدُّعاءِ لَهُ الضَّجِيْجُ

ثُمَّ قالَ[٦]: نُعَوِّذُه من بَأْسِ العُيونِ مَخَافَةً أن تَلْقَعَهُ[٧]، ويَكْثُرُ الضَّجِيجُ بالدُّعَاءِ لَهُ شُكراً على ما يَفْعَلُهُ.

١١ ـ رَضِيْنَا والدُّمُسْتُقُ غَيْرُ راضٍ بِمَا حَكَمَ القَواضِبُ والوَشِيجُ

الدُّمُسْتُقُ بالرُّومِيَّةِ: قائِدُ جُيوشِ الرُّومِ، والقَوَاضِبُ: السُّيوفُ، والوَشِيْجُ: الرِّماحُ[٨].

---

(١) «غمرات... شدائدها» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول».

(٣) في ر، ف «وانتقالنا».

(٤) في ر، ف «أنفذت»

(٥) في ر، ف: «تُعَوِّذُه».

(٦) في ر، ف «ثم يقول».

(٧) ساقطة من ر، ف، ولَقَعَهُ بعينه: أصابه بها.

(٨) «الدمستق... الرماح» زيادة في ل.

ورتبة الدمستق العسكرية رئيس حرس القصر أو فرقها (انظر الأمبراطورية البيزنطية ص ١٧٧).

فيقولُ[1]: رضِيْنا بما حَكَمَتْ بهِ السيّوفُ والرِّماحُ، من استباحةِ بلادِ الرُّومِ، وسَبْيِ نِسَائِهم، وقَتْلِ رِجَالِهم، والدُّمُسْتُقُ لا يَرْضَى بِذَلِكَ الحُكْمِ؛ لما فِيهِ من هَتْكِ مُلْكِهِ، وإذْلَالِ عِزِّهِ.

١٢ ـ فـإِنْ يُقْـدِمْ فَقَـدْ زُرْنَـا سَمَنْـدُو وإن يُحْـجِـمْ فَـمَـوْعِـدُه الخَـلِيـجُ

سَمَنْدو: حِصْنٌ يتوسطُ بلادَ الرومِ، والإحجامُ: التَّأَخُّرُ، والخَلِيْجُ: ما انجرَّ إلى القُسْطَنْطِيْنِيَةِ مِنَ البَحْرِ[2].

ثُمَّ قالَ: فإن يُقْدِمْ فَها نَحْنُ اوُّلاءِ بِسَمَنْدُو، وهي من وَسَائِطِ أَرْضِهِ، فَلْيُقْدِمْ إنْ كانَتْ بهِ على ذلكَ قُوَّةٌ، وإنْ يُحْجِمْ فَنَحنُ على أَثَرِهِ لا نَنْصَرِفُ عن الخَلِيْجِ حَتَّى نَرِدَهُ، ولا نَتَأَخَّرُ عَنْهُ[3] حَتَّى نَبْلُغَهُ.

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) «سمندو... البحر» زيادة في ل.

وجاء في ر، ف بعد شرح البيت.

قال الواحدي إن الخليج نهر بقرب القِسطنطِيْنيّة (ص ٤٥١).

(٣) ساقطة من ر، ف.

شَرْحُ غزَاةِ المُصِيْبَةِ[١] سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثِيْنَ وثَلاثِمائةٍ.

ومرَّ سَيْفُ الدَّولةِ في هذه الغَزَاةِ بِسَمَنْدُو، وعَـبَرَ آلِسَ[٢]، وهو نَهْرٌ عَظِيمٌ، ونَزَلَ على صَارخَةَ[٣] فأَحرَقَ ربَضَها وكَنَائِسَها، وربَضَ خَرْشَنةَ[٤] وما حَوْلَها، وأكثَرَ القَتْلَ وأَقَامَ بِمكانِهِ أَيَّاماً، ثُمَّ رَحَلَ حَتَّى عَبَرَ آلَسَ رَاجِعاً، فَلَمَّا أَمْسَى تَرَكَ السَّوادَ وأَكْثَرَ الجيشِ، وسَارَ[٥] حَتَّى جَازَ خَرْشَنَةَ، وانتهى إلى بَطْنِ اللُّقَانِ[٦] في غَدٍ ظُهْرَاً، فَلَقِيَ[٧] الدُّمُسْتُقَ، وكانَ في أُلوفٍ[٨] من الخَيْلِ، فلما نَظَرَ إلى أوائِلِ خَيْلِ المُسْلِمِيْنَ ظَنَّها سَرِيَّةً، فَثَبَتَ لها، وقَاتَلَ أوائِلَ النَّاسِ حَتَّى هَزَمَهُمْ، وأَشْرَفَ عليه سَيْفُ الدَّولةِ فانهَزَمَ[٩]، وقُتِلَ من فُرْسَانِهِ خَلْقٌ [كثيرٌ][١٠]، وأُسِرَ من بَطَارِقَتِهِ نَيِّفٌ[١١] على ثَمانِينَ، وأُفْلِتَ الدُّمُسْتُقُ، ولِذَلِكَ قالَ أبو الطَّيِّبِ:

---

(١) في ر، ف «شرح سنة المَصِّيْصة في سنة...» والمَصِّيْصَةُ بالفتح ثم الكسر والتشديد: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. والمصيصة أيضاً قرية من قرى دمشق، والأولى هي المقصودة (انظر المشترك وضعاً والمفترق صنعاً ص ٣٩٨).

(٢) آلس: بِمَدِّ أوله وكسر ثانيه: نهر ببلاد الروم.

(٣) بلدة أو مدينة في بلاد الروم.

(٤) خرشنة: بلد قرب مَلَطية من بلاد الروم، وقالوا سمّي خرشنة باسم عامره وهو خرشنة بن الروم ابن اليقين بن سام بن نوح عليه السلام، والربض: سور المدينة ومأوى الغنم فيها.

(٥) في ر، ف «وصار» وفي ديوان المتنبي المخطوط (مجهول الشارح) ورقة ١١٠ «وسرى».

(٦) اللقان: موضع من الثغور الشامية تلقاء خرشنة أو وراءها على مسيرة يومين (معجم ما استعجم ١١٦٠/٤ ومعجم البلدان ٢١/٥).

(٧) في ف «فدخل».

(٨) في نخب تاريخية.. «في ألف»، وفي شرح ابن جنى ورقة ٣٤٦ «وكان الدمستق في ألوف».

(٩) زاد في الديوان المخطوط ورقة ١١٠ «فانهزم الدمستق».

(١٠) زيادة في الديوان المخطوط ورقة ١١٠ ويقتضيها السياق.

(١١) في ل «نيفاً» وزاد في الديوان المخطوط «وأسر من بطارقته وزراورته ووجوه رجاله نيف على ثمانين» وفي شرح ابن جنى «وقتل من فرسانه خلقاً وأسر من بطارقته وزراورته نيفاً على ثمانين».



ذَمَّ الـدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْـهِ وَقَـدْ طَلَعَتْ   سُـودُ الـغَـمَـامِ فَـظَنُّـوا أنَّها قَـزَعُ

وَعَادَ سَيْفُ الدَّولةِ إلى عَسْكَرِهِ وسَوَادِه، وقَفَلَ غَانِماً، فلما وَصَلَ إلى عَقَبةٍ تُعْرَفُ بِمُقَطَّعَةِ الأَثْفارِ[1]، صَافَّهُ العَدوُّ على رَأْسِها، فأخَذَ[2] سَيْفُ الدَّولةِ سَاقَةَ النَّاسِ يَحْمِيهِم، فلما انحَدَرَ بَعْدَ عُبُورِ النَّاسِ، رَكِبَهُ العَدُوُّ، فَجَرحَ[3] من الفُرسَانِ جَمَاعَةً، وفي ذلك قالَ[4] أبو الطَّيِّبِ:

وَفَـارِسُ الخَيْـلِ مَنْ خَفَّتْ فَـوَقَّـرَهَـا   في الـدَّربِ والـدَّمُ في أَعْـطَافِهـا دُفَـعُ

ونَـزَلَ سَيْفُ الدَّولـةِ على بَـرْدَان[5]، وهـو نهرٌ، وَضَبَطَ العَـدوُّ عَقَبَـةَ السَّيرِ[6]، وهي عَقَبَةٌ صَعْبَةٌ طَوِيْلَةٌ، فَلَمْ يَقْدِرْ على صُعُودِها لِضِيْقِها، وكَثْرَةِ العَدوِّ بِهَا، فَعَدَلَ[7] مُتَيَاسِراً في طَرِيقٍ وَصَفَهُ[8] له بَعْضُ الأَدِلَّةِ، وأخذ سَاقَةَ النَّاسِ، وكَانَتْ الإبلُ كَثِيرَةً مُثْقَلَةً مُعْبِيَةً[9]، واعْتَرَضَهُ[10] العَدوُّ آخرَ النَّهارِ من

---

(١) كذا في ر، ف والديوان المخطوط وفي ل «يقال لها مقطعة الأثفار».
والعقبة: الجبل الطويل يعرض الطريق فيأخذ فيه، وهو طريق صعب إلى صعود الجبل (معجم البلدان ٤/١٣٤) والأثفار جمع ثفر، وهو مأخوذ من ثَفَرِ الدابة وهو السير الذي يجعل تحت ذنبها (اللسان مادة ثفر).

(٢) كذا في ر، ف وفي شرح ابن جنى أيضاً لوحة ٣٤٧ وفي ل «وأخذ».

(٣) في ر، ف «فخرج».

(٤) في ر، ف «يقول».

(٥) في جميع النسخ والديوان المخطوط وشرح ابن جنى «بردا» ولعل ما أثبته الصواب. لأن بردان نهر بثغر طرسوس مجيئه من بلاد الروم ويصب في البحر على ستة أميال من طرسوس، وهناك «نهر بردان» يسقي بساتين مرعش وضياعها منبعه من جبل مرعش (معجم البلدان ١/٥٥٥ ط ١٨٦٦).

(٦) عقبة السير بالثغور قرب الحدث وهي عقبة ضيقة طويلة (معجم البلدان ٣/٦٩٢) وفي الديوان المخطوط «عقبة الشير» بالشين.

(٧) في ف «فعل» وفي شرح ابن جنى ورقة ٣٤٨ «فعدل مياسراً».

(٨) كذا في ر، ف والديوان المخطوط ورقة ١١٠، وفي ل «وصفها».

(٩) معبية: معبأة بالمتاع وفي شرح ابن جنى «مُعْيِية» من الإعياء والتعب.

(١٠) في الديوان المخطوط «وجاءه».

خَلْفِه، فَقَاتَلَهُ إلى العِشَاءِ، وأَظْلَمَ اللَّيْلُ، وتَسَلَّلَ أَصْحَابُ سَيْفِ الدَّولةِ يَطْلُبونَ سَوَادَهُمْ، فَلَمَّا رَأى ذَلِكَ، وبَقِيَ[١] وَحْدَهُ مَعَ نَفَرٍ يَسيرٍ[٢]، سَارَ حَتَّى لَحِقَ بالسَّوادِ تَحتَ عَقَبَةٍ قَرِيْبَةٍ من بُحَيْرَةِ الحَدَثِ[٣]، فَوَقَفَ وَقَدْ أَخَذَ العَدُوُّ الجَبَلَيْنِ من الجَانِبَيْنِ، وجَعَلَ سَيْفُ الدَّولةِ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ، فلا يَنْفُرُ أَحَدٌ[٤]، ومن تَخَلَّص[٥] من العَقَبَةِ نَهَاراً لم يَرْجِعْ، ومن بَقِيَ تَحْتَها لم تَكُنْ فِيهِ نُصْرَةٌ، وتَخاذَلَ النَّاسُ، وكانوا قد مَلُّوا[٦] السَّفَرَ، فَأَمَرَ سَيفُ الدَّولةِ بِقَتْلِ البَطَارِقَةِ الزَّرَاوِرَةِ[٧] وكُلِّ مَنْ كَانَ[٨] في السَّلاسلِ[٩]. وسَارَ سيفُ الدَّولةِ واجتَازَ أبو الطيب العَدُوَّ[١٠] آخرَ الليلِ بجمَاعَةٍ من المُسْلِمينَ، بَعْضُهم نَائِمٌ[١١] بَيْنَ القَتْلَى من التَّعَبِ، وبَعْضُهُمْ يُحَرِّكونَهُمْ فَيُجْهِزونَ[١٢] على مَنْ تَحَرَّكَ[١٣]، فَلِذَلِكَ قَال أبو الطَّيِّب[١٤]:

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامَاً في دِمَائِكُمُ ... كَأَنَّ قَتْلاكُمُ إِيَّاهُمُ فَجَعُوا

---

(١) في ف «وهي».

(٢) وفي الديوان المخطوط: «فلما خفَّ عنه أصحابه سار حتى...».

(٣) بحيرة الحدث: ـ قرب مَرْعَش من أطراف بلاد الروم، أولها عند قرية تعرف بابن الشيعي على اثني عشر ميلاً من الحدث نحو مَلَطية ثم تمتد إلى الحدث، والحدث قلعة حصينة.

(٤) في الديوان المخطوط «فلا ينفر أحد منهم».

(٥) في الديوان المخطوط «ومن نجا».

(٦) كذا في ر، ف والديوان المخطوط وشرح ابن جنى، وفي ل «وقد كانوا أمَلوا».

(٧) ساقطة من ل.

(٨) ساقطة من ل.

(٩) زاد في الديوان المخطوط «وكان فيها مئات» وكذلك في شرح ابن جنى ورقة ٣٤٩

(١٠) كذا في ر، ف، وشرح ابن جنى والديوان المخطوط وفي ل «واجتاز العدو»

(١١) في الديوان المخطوط «نيام».

(١٢) في ر، ف «فيجيزون».

(١٣) في نخب تاريخية «ترك».

(١٤) «أبو الطيّب» زيادة في ل.



وَرَجَعَ سيفُ الدولةِ إلى حَلَبَ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ بَعْدَ القفولِ يَصِفُ الحالَ، أَنْشَدَهَا سيفَ الدَّولةِ في جُمادَى الآخِرَةِ سنةَ تِسْعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ[1]:

١ - غَيْرِي بأكثرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ   إن قاتَلُوا جَبُنُوا أو حَدَّثوا شَجُعُوا

النَّاس: اسمٌ من اسماء الجُموعِ يُخْبَرُ عَنْهُ بالإفرادِ على لَفْظِهِ، وبالجَمْعِ على مَعْنَاهُ[2].

فَيَقُولُ: غَيْرِي مِمَّن يَجْهَلُ النَّاسَ ولا يَعْرِفُهُم، يَغْتَرُّ بأكثرِهم فَيَخْدَعُونَهُ بالادِّعاءِ، ويَغُرُّونَهُ بالكَذِبِ، وشَأْنُهمْ وحِيْلَتُهُمْ، وحالُهُمْ وحقيقَتُهم، أَنَّهم يَشْجُعُون[3] في حَديثهم وما يَعِدُون به من أَنْفُسِهِمْ، ويَجْبُنُونَ في قِتَالِهِمْ، ويَضْعُفُونَ عِنْدَ اختِبَارِهم. وأَشَارَ إلى ما ظَهَرَ من عَجْزِ أَصْحَابِ سَيْفِ الدَّولةِ في هذه[4] الغَزَاةِ[5] التي سُمِّيَتْ بغَزَاةِ المُصِيْبَةِ[6]، التي تَقَدَّمَ ذِكْرُها[7].

٢ - أَهْلُ الحَفِيْظَةِ إلاَّ أَنْ تُجَرِّبَهُمْ   وَفي التجارِبِ بَعْدَ الغَيِّ ما يَزَعُ

الحَفِيظَةُ: الأَنَفَةُ، والوَزَعُ: الكَفُّ[8].

---

(١) «فقال أبو الطيب... الدولة» زيادة في ل.

وزاد في شرح أبي العلاء لوحة ٣٦ «ويقال إنه قد قتل في هذه الغزاة من المسلمين زهاء مائة ألف فارس، ولم ينج سيف الدولة إلا في شرذمة منه يسيرة».

(٢) «الناس... معناه» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «يسخفون».

(٤) هذه زيادة في ر، ف.

(٥) في ف «الغرانة» وهو تحريف.

(٦) «التي سميت بغزاة المصيبة» زيادة في ر، ف.

(٧) في ر، ف «ولها شرح في الأصل تقدمه».

(٨) «الحفيظة... الكف» زيادة في ل.



ثمَّ قالَ[1]: يُظهرونَ الحَفِيظَةَ والصَّبْرَ، والإقدامَ والجَلَدَ، ويَتزَيَّنونَ بذلكَ، ما لم تَقعِ التَّجْرِبَةُ لهم، وفي تَجْرِبَتِهم ما يَمْنَعُ مِن الاغترار بِكِذْبِهم، وَيَزَعُ[2] عن الغَيِّ في حُسْنِ الظَّنِ بهم.

٣ - ومـا الحَيـاةَ وَنَفْسِي بَعْـدَمَـا عَلِمَتْ   أَنَّ الحَيـاةَ كـما لا تَشْـتَهـي طَبَـعُ

الطَّبَعُ: الدَّنَسُ[4].

فيقولُ[5]: وما لِنَفْسِي والرُّكُونَ إلى الحياةِ، والحرصَ عليها، والاغترارَ بها، وهي تَعْلَمُ أن حياةَ الإنسانِ على حَالٍ يَكْرَهُهَا، وطَريقةٍ لا[6] يَسْتَحْسِنُها؛ دَنَسٌ ودَنَاءَةٌ، وسقوطٌ وضَعَةٌ.

٤ - لَيْسَ الجَمَالُ لِوَجْهٍ صَحَّ مـارِنُـهُ   أَنْفُ العَـزِيـزِ بِقَـطْعِ العِزِّ يُجْتَـدَعُ

المارِنُ: مُقَدَّمُ الأنفِ وهو ما لانَ مِنْهُ[7].

ثُمَّ قالَ: لَيْسَ الجمال لِوَجْهٍ صَحَّ ظاهِرُهُ، وسَلِمَ مَارِنُه[8]، واعْتَمَدَ المارِنَ من بَيْنِ سائِرِ الوَجْهِ؛ لأنَّ العربَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَتقولُ: أرغَمَ اللَّهُ أَنْفَ فِلانٍ، فَتَقْصِدُ الأنْفَ من بيْنِ سَائِرِ الوَجْهِ.

فَيُرِيدُ: أَنَّ جَمَالَ الوجهِ لَيْسَ بِسَلامَةِ ظَاهِرةٍ، فَأَنْفُ العَزيزِ يُجْتَدَعُ بالإذْلاَلِ، وَحُسْنُهُ يُسْتَلَبُ بالإخلالِ بهِ.

---

(١) في ر «ثم يقول»

(٢) في ف «يقع».

(٣) في ر، ف «ما يزع عن الاغترار... ويمنع من الغي».

(٤) «الطبع: الدنس» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم يقول».

(٦) ساقطة من ر، ف.

(٧) «المارن... منه» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «صح مارنه، وسلم ظاهره».

٥ - أَأَطْرَحُ المَجْدَ عَنْ كِتْفِي[١] وأَطْلُبُهُ   وَأَتْرُكُ الغَيْثَ في غِمْدِي وأَنْتَجِعُ

الانتِجاعُ: طَلَبُ الكلأ[٢].

فيقول[٣]: أأدَعُ أنْ أحوزَ[٤] المجدَ بالسَّيْفِ، وأكْتَسِبَ[٥] المالَ من طريقِ الحربِ، وأتَناوَلَ ذلكَ بالطَّلبِ، وأتَكَلَّفَ فيه[٦] أشدَّ التَّعبِ، فأكونَ كَمَنْ طَرَحَ عن كَتِفِهِ ما يَطْلُبُهُ، وتَرَكَ في غِمْدِهِ ما يَنْتَجِعُهُ.

٦ - وَالمَشْرَفِيَّةُ لازَالَتْ مُشَرَّفَةً   دَوَاءَ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْهِيَ الوَجَعُ

ثُمَّ قَالَ: والمَشْرَفِيَّةُ لازَالَتْ مُشَرَّفَةً، فَأَبْدَعَ في المُجَانَسةِ، وَدَعَا للسُّيوفِ بِدَوَامِ الرِّفْعَةِ؛ لأنَّها دَوَاءُ الكريمِ الذي يَسْتَشْفِي به إذا أَسْعَدَتْهُ، أَوْ وَجَعُهُ الذي يَتَشَكَّاهُ إذا خَذَلَتْهُ.

٧ - وَفَارِسُ الخَيلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا   في الدَّرْبِ والدَّمُ في أَعْطَافِها دُفَعُ

الدَّرْبُ: المَدْخَلُ إلى بلادِ العَدوِّ، والعِطْفُ: الجانِبُ[٧].

فيقولُ[٨]: وفارِسُ الخيلِ مَنْ وَقَّرَها[٩] وقد اسْتَفَزَّها الخوفُ، وَثَبَّتَها

(١) كِتْفي: تخفيف كَتِف، وكان قياسه كما يقول ابن جني إذا آثر التخفيف «أن يحذف كسرة التاء ويترك الكاف مفتوحة بحالها، لأن المسموع هذا، دون كِتْف».

((النظام ج ٢ ورقة ١٥٤).

(٢) «الانتجاع... الكلأ» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ر، ف «أحوي».

(٥) في ت، ف «واكسب».

(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «به».

(٧) «الدرب... الجانب» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم يقول».

(٩) في ر، ف «من خفت فوقرها».

وقد اسْتَولى عليها الوَجَلُ، فاقْتَدَتْ بِصَبْرِهِ، وشَجُعَتْ بِمَوْضِعِهِ، والدَّمُ دُفَعٌ في جَوَانِبِها، قد عَضَّتْهَا الحَرْبُ، ونَهَكَهَا الطَّعْنُ والضَّربُ[1]، وأَشَارَ إلى سيفِ الدَّولةِ وما ظَهَر من جَلَدِهِ في هذه الوَقْعَة.

٨ ـ وَأَوْحَـدَتْـهُ وَمَـا في قَـلْبِـهِ قَـلَقٌ وأَغْـضَبَـتْـهُ وَمَـا في لَفْـظِهِ قَـذَعُ

القَذَعُ: السَّبُّ[2].

ثُمَّ قالَ: وَأَوْحَدَتْهُ، يُرِيدُ: أنَّ الخيلَ[3] أَفْرَدَتْهُ بِتَوَلِّيها عَنْهُ، فلم يُحْدِثْ ذلِك قَلَقاً في قَلْبِهِ، وأَغْضَبَتْهُ بما ظَهَرَ عليها من قِلَّةِ الصَّبرِ، فلم يُوجِبْ ذَلِكَ قَذَعاً[4] في لَفْظِهِ، بل ثَبَتَ عِنْدَ اضطِرابِها[5] ثَبَاتَ الواثِقِ بِنَفْسِهِ، وأَقْدَمَ المعَوِّلِ على شَجَاعَتِهِ وَبَأْسِهِ.

٩ ـ بـالجَيْشِ تَمْتَنِـعُ[6] السَّـادَاتُ كُلُّهُمُ والجَيْشُ بـابن أَبي الهيجـاءِ يَمْتَنِـعُ

يَقُولُ[7]: إنَّ السَّاداتِ كُلَّهُمْ، إنما يُعِدُّونَ الجيوشَ لِيَمْتَنِعُوا بها، وَيَتَعَزَّزوا[8] بكَثْرَتِها، وسَيْفُ الدولة يَمْنَعُ جَيْشَهُ، ويُعِزُّ جَمْعَهُ، وَيَحْمِيهِ ولا يَحْتَمِي به، ويُشَجِّعُهُ ولا يَشْجُعُ بِمَوْضِعِهِ.

١٠ ـ قَـادَ المقَـانِـبَ أقصَى شُرْبِهـا نَهَلٌ عـلى الشَّكيمِ وأدنى سَيْرِهـا سِـرَعُ

---

(١) ساقطة من ر، ف.

(٢) «القذع: السبُّ» زيادة في ل.

(٣) في ل «أنها».

(٤) زاد في ل «قذعاً عليه»

(٥) في ر، ف «انصرافها».

(٦) في رواية الواحدي «يَمْتَنِعُ».

(٧) في ر، ف «ثم يقول».

(٨) في ر، ف «ويعتزوا».

المِقْنَبُ: ثلاثُ مائةٍ مِنَ الخَيْلِ أو نَحْوَ ذلكَ، والجَمْعُ مقانِبُ، والنَّهَلُ: الشُّرْبُ الأَوَّلُ والشَّكِيْمُ: جَمْعُ شَكِيْمَةٍ، وهي حَدِيْدَةُ اللِّجامِ المُعْتَرِضَةُ في فَمِ الدَّابةِ، والسَّرَعُ: شِدَّةُ الإسراعِ[1].

ثُمَّ قالَ، مُبَيِّناً لما ذَكَرَهُ عنه: قَادَ مَقَانِبَ الخَيْلِ[2] إلى أرضِ العدوِّ مجتهداً في سَيْرِهِ، مُقْتَحِماً على تلك البلادِ في غَزْوِهِ، فَسَارَ وَأَقْصَى شُرْبِ خَيْلِهِ النَّهَلُ على الشَّكِيمِ، لا يُوجِدُهَا السَّبِيلُ إلى نَزْعِ لُجُمِها، واستيفاءِ الرِّيِّ في شُرْبِها، وأَدْنَى ما تتكَلَّفُهُ[3] من السَّيرِ والسَّرَعُ الذي هو غَايَةُ الجَرْيِ، وأَقْصَى ما تُحاوِلُ من العَدْوِ، يُشِيْرُ إلى ما كَانَ عليه سيفُ الدولةِ في هذه الغَزاةِ من الجِدِّ، وما احتَمَلَ عليه من قُوَّةِ العَزْمِ.

١١ - لا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْراهُ عن بَلَدٍ　　كالموتِ لَيْسَ لهُ رِيٌّ ولا شَبَعُ

يَعْتَقِي: بمعنى يُحْبَسُ، وهو مقلوبٌ من عَاقَ يَعوقُ، كانَ أصلهُ يَعْتَاقُ، فَقُلِبَ إلى يَعْتَقِي. وخَرْشَنَةُ: اسمُ مَدِيْنَةٍ من مدائنِ الرُّومِ[4].

فيقولُ[5]: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ سَارَ[6] مُجِدّاً في سَيْرِه، مُقْتَحِماً على الرُّومِ في غَزْوِهِ، لا يَعُوقُهُ بَلَدٌ عَمَّا بَعْدَهُ، ولا يُقْنِعُهُ حِصْنٌ يَفْتَتِحُهُ[7] عن التماسِ ما خَلْفَهُ، كالموتِ الذي لا يُرْوِيه ولا[8] يُشْبِعُهُ كَثْرَةُ مَنْ يُفْنِيهِ وَيُهْلِكُهُ.

(١) «المقنب... الإسراع» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «المقانب».
(٣) في ر، ف «يتكلفه».
(٤) «يعتقي... الروم» زيادة من ل.
(٥) في ر، ف «ثم يقول».
(٦) في ر، ف «ينهض».
(٧) في ر، ف «يقتحمه».
(٨) ساقطة من ر، ف.



١٢ - حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ   تَشْقَى به[١] الرُّومُ والصُّلْبَانُ والبِيَعُ

ثُمَّ قَالَ: حَتَّى أَقَامَ على أَرْبَاضِ خَرْشَنَةَ، وهي من[٢] وسائِطِ تلكَ البِلادِ، وقد شَقِيَتْ الرُّومُ بِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَهُ وسَبَاهُ منها، وشَقِيَتِ الصُّلبانُ والكَنائِسُ بكَثْرَةِ ما أَحْدَثَهُ من التَّغْيِيرِ والهَدْمِ فيها.

١٣ - لِلسَّبْيِ ما نَكَحوا، والقَتْلِ ما ولَدوا   والنَّهْبِ ما جَمَعُوا، والنَّارِ ما زرَعوا

يَقُولُ[٣]: إنَّ سيفَ الدَّولَةِ أَهْلَكَ تلكَ البلادَ بِسَبْيِ[٤] ما نَكَحَهُ أهلُهَا، وَقَتْلِ مَنْ ربَّوْهُ[٥] مِنْ أَوْلاَدِهم، ونَهْبِ ما جَمَعُوه من أَمْوَالِهم، وإحْرَاقِ[٦] ما رَجَوْه من زُرُوعِهم، وَمِثْلُ هذا التَّصْنِيفِ بابٌ من البَدِيعِ يُعْرَف بالتَّقْسِيمِ.

١٤ - مُخْلًى لَهُ المَرْجُ مَنْصُوباً بصَارِخَةٍ   لَهُ المَنابِرُ مَشْهُوداً بها الجُمَعُ

المَرْجُ: مَوْضِعٌ متوسِّطٌ في بلادِ الرُّوم، وصَارِخَةُ: مَدِيْنَةٌ من مَدائِنِهم طالَ اضطرابُ سيفِ الدَّولَةِ حَوْلَها[٧].

ثُمَّ قالَ: مُخْلًى لَهُ المَرْجُ مَعَ توسُّطِهِ في بِلاَدِ الرُّومِ، ولا[٨] يُمْكِنُهم الظهورُ فيهِ؛ لما يَحْذَرُونَهُ من عَسْكَرِ سَيْفِ الدَّولَةِ، مَنْصُوباً له المَنَابِرُ بِصَارخةَ،

(١) في رواية التبيان «بها».
(٢) ساقطة من ر، ف.
(٣) في ر، ف «ثم يقول».
(٤) في ر، ف «فسبى».
(٥) في ر، ف «ما».
(٦) في ر، ف «وأحرق».
(٧) «المرج... حولها» زيادة في ل.
(٨) الواو زيادة في ل.



قد اقتَدَرَ المسلمونَ على مِلْكِها، وأطَالوا الانتشارَ في أرْضِها، وصَارُوا لذلك[1] في حَالِ السَّاكِنينَ[2] بها، فَأقاموا[3] الجُمَعَ فيها، وخَطَبوا لِسَيْفِ الدَّولةِ في جِهَاتِها.

١٥ - يُـطَمِّـعُ الـطَّيْرَ فِيهِمْ طُـولُ أكْلِهِمِ   حَتَّى تَكـادُ عَـلَى أحْيـائِهِمْ تَقَـعُ

يقولُ[4]: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ قد أدَامَ قَتْلَ الرُّومِ، وقَوَّتَ الطَّيرَ بِلحومِهم في وَقَائِعِهِ، حَتَّى تَكَادَ لِما اعتَـادَتْهُ مِنْ ذَلِـك، تَقَعُ عـلى أحيائِهم فَتـأكُلُهُمْ، وتَعْتَرِضُهُم في طُرُقِهم فَتَخْطَفُهُم.

١٦ - وَلَـوْ رَآهُ حَـوَارِيُّـوهُـمُ[5] لَبَـنَـوا   عَـلَى مَحَبَّتِهِ الشَّـرْعَ الـذي شَرَعُوا

ثُمَّ قالَ: ولو رَأى سَيْفَ الدَّولةِ[6] حَوارِيُّو الـرُّومِ، وشَهِدوا مَكَـارِمَهُ وَفَضْلَهُ، وإنْصَافَهُ وَعَدْلَهُ، وإقْدَامَهُ وبَـأْسَهُ[7]، مَـعَ مَوْضِـعِ الحَوارِيِّـين من الصِّـدْقِ، واحتِمالِهم عـلى طُرُقِ الحَقِّ، لَبَـنَـوْا شَرِيعَـةَ الـرُّومِ عـلى مَحَبَّتِـهِ، وأَلْزَمُوهُمُ الاحتمالَ على طَاعَتِهِ.

١٧ - ذَمَّ الـدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْـهِ وَقَـدْ طَلَعَتْ   سُـدُدُ الغَمَـامِ فَـظَنُّـوا أنَّها قَـزَعُ

القَزَعُ: قِطَعُ السَّحابِ، والدُّمُسْتُقُ: قائِدُ جيوشِ الرُّومِ[8].

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «كالساكنين».

(٣) في ل «وأقاموا: . . بها»

(٤) في ر، ف «ثم قال»

(٥) في ر، ف «حوارياؤهم، والحواريون أصحاب عيسى عليه السلام وأنصاره.

(٦) «سيف الدولة» ساقطة من ف.

(٧) «إقدامه وبأسه» زيادة في ر، ف.

(٨) «القرع. . . الروم» زيادة في ل.

فيقولُ[1] إنَّ مَواكبَ سَيْفِ الدَّولَةِ طَلَعَتْ مُتتابِعَةً كَأَنَّها قِطَعُ السَّحابِ، فَأَشْكَلَتْ[2] على الدُّمُسْتُقِ وأَصْحَابِهِ، ولم تَنْفصِلْ[3] لَهُمْ من القَـزَعِ، فَذَمَّ عَيْنَيْهِ لِذَلِكَ، وَهوَ فِعْلُ الذي يَنْظُرُ فلا يَفْصِلُ له نَظَرُهُ ما يُبْصِرُهُ.

١٨ ـ فيهـا الكُمَـاةُ التي مَفْـطُومُهـا رَجُـلٌ عَـلَى الجِيَـادِ التي حَـوْلِيُّهَـا جَـذَعُ

ثُمَّ وصَفَ تلكَ الكتائِبَ، فقالَ: إنَّ فُرْسانَها لِتَمامِ خَلْقِهِم، وعِظَمِ أَجْسَامِهِم، في حينَ الفِطَامِ على هَيْئاتِ الرِّجَالِ، فما ظَنُّكَ بهم عِنْدَ الكَمالِ، وبُلُوغِ الأَشُدِّ؟! وكذلِكَ خُيُولُهُم حَوْلِيُّها في هَيْئَةِ الجَذَعِ[4]؛ جَسارَةً[5] وقوَّةً، فكيفَ تَظُنُّها قَارِحةً[6] مُتَكَامِلَةً، مُسْتَوْفِيَةً لِسِنِّ القُوَّةِ، مُتَنَاهِيةً؟!

١٩ ـ يُـذْرِي اللُّقـانُ غُبَـارَاً في مَنَـاخِـرِهَـا وفي حَنَـاجِـرِهَـا من آلِسٍ جُـرَعُ

اللُّقَـانُ: مَـوْضِـعٌ معـروفٌ في بـلادِ الـرُّومِ، وآلِسُ: نَهْرٌ عـظيمٌ من أَنْهارِهِم[7].

فيقـولُ[8]: إنَّ هذه الخيـلَ لِسُرْعَـةِ سَيْرِهـا، وشِدَّةِ عَـدْوِها، وَرَدَتْ اللُّقَانَ، وصَارَ[9] غُبَارُهُ في مَنَاخِرِها، وحَنَاجِرُها[10] لم تَجِفَّ من مَاءِ آلِس،

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) في ر، ف «وأشكلت».

(٣) لم تنفصل: لم تتبيّن، والمقصود اختلطت الأمور عليهم.

(٤) الجذع: في الخيل، إذا استتم سنتين.

(٥) في ل: «جساوة». وهي الصلابة وجَسَرَ الفحل: ترك الضراب، والجَسَارةُ: المضاء والنفاذ.

(٦) القارح من الخيل بمنزلة البازل من الإبل وهو ما كان في تاسع سنيه التي تكتمل فيها أسنانه.

(٧) اللبان... أنهارهم» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم قال».

(٩) في ر، ف «وكان».

(١٠) ساقطة من ف.



وهو النَّهرُ الذي عَبَرَ فيهِ[1] مَن صَارِخةَ، وبَيْنَ المَوْضِعَيْنِ مَسَافةٌ طَـويلةٌ[2]، فأشَارَ إلى ما كَانَتْ عَلَيْهِ هذه الخَيْلُ من قُوَّةِ رَكْضِها، وإسْراعِهَا في إغارَتِها.

٢٠ - كَـأنَّمـا تَـتَـلقَّـاهُـمْ لِـتَـسْـلُكَـهُـمْ فالطَّعْنُ يَفْتَحُ في الأَجْوَافِ مَا تَسَعُ[3]

ثمَّ قَالَ، كأنَّما[4] تَتَلَقَّى هَذهِ الخَيْلُ الرُّومَ لِتَسْلُكَ أَجْسَادَهُم، وتَتَّخِذَ طُرُقاً في جُسُومِهم، فَطَعْنُ فُرْسَانِها فيهم[5] يَفْتَحُ ما يَسَعُهُم، ويَخْرِقُ ما لا[6] يَضِيقُ بهم، وليسَ هذا في[7] الإفراطِ بأعْجَبَ من قَوْلِ النَّابِغَةِ يَصِفُ سُيوفَ بَني[8] جَفْنَةَ[9].

تَـقُـدُّ السَّـلُوقيَّ المُضَـاعَفَ نَسْجُـهُ وَتُـوقِـدُ بـالصُّفَّـاحِ نَـارَ الحُبَـاحِبِ[10]

٢١ - تَهْـدِي نَوَاظِـرَهـا والحَـرْبُ مُـظْلِمَـةٌ من الأَسِنَّـةِ نَـارٌ والـقَنَـا شَـمَـعُ

يقـولُ[11]: إنَّ خيلَ سَيْفِ الـدَّولةِ تَهْدِي نَوَاظِـرَهَا في وَقَـائِعِهِ[12]،

(١) في ر، ف «عبره».
(٢) ساقطة من ف.
(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يسع».
(٤) وفي ر، ف «كأنها». وبها روى البيت في مفتتحه.
(٥) كذا في ر، ف، وفي ل «فالطعن فيه» وفي ت «وطعن فوارسها يفتح ما يسعهم».
(٦) ساقطة من ت.
(٧) ساقطة من ت.
(٨) في ر، ف «إلى».
(٩) ديوان النابغة ص: ٤٦.
(١٠) في ر، ف «الحباب».
والبيت في رواية ابن السكيت ص ٦١ من الديوان:
تَجُذُّ السلوقيَّ المُضَاعَفَ نسجُهُ ويـوقـدن بـالصُّفَّـاح نـارَ الحُبَـاحِبِ
(١١) في ر «ثم قال».
(١٢) كذا في ر، ف، ت وفي ل «وقائعها».

والحربُ مُظْلِمَةٌ، بما يَثُورُ فيها من العَجَاجِ، ويَسْطَعُ من الغُبَارِ، اتِّقادُ[1] الأسِنَّةِ التي تُشْبِهُ المَصابيحَ، بِضِيَائِها في رؤوسِ القَنا، التي تُشْبِهُ الشَّمْعَ في إشرَاقِها بها، وهذا مِمّا شَبَّه فيه شَيْئَينِ بِشَيْئَيْنِ في بَيْتٍ واحِدٍ، أَصَحَّ تَشْبيهٍ، وذلك غايةُ الإبْدَاعِ.

٢٢ ـ دُونَ السِّهامِ ودُونَ الفرِّ[2] طَافِحَةً[3] عَلَى نفوسِهِم المُقَوَّرَةُ المُزُعُ

المُقَوَّرَةُ: الضَّامِرَةُ، والطَّافِحَةُ: المُسْتَعْلِيَةُ، والمُزُعُ: المُسْرِعَةُ[4].

ثُمَّ قَالَ: يُرِيدُ الرُّومَ، دونَ وقوعِ السِّهامِ فيهم، واتِّفاقِ ما حاوَلُوه من الفِرارِ لهم، اقتَحَمَتْ عليهم المُقَوَّرَةُ المُزُعُ من خَيْلِ سَيْفِ الدَّولةِ فَصَرَعَتْهُمْ، وأَعْجَلَتْهُمْ عن الفرِّ فَقَتَلَتْهُم، وطَفَحَتْ فَوْقَهُمْ تَطَؤُهم حَوَافِرُها، وتَـدُوسُهم سَنابِكُها. وقَصَدَ السِّهامَ من بَيْنِ سَائِرِ السِّلاحِ، مُشِيراً[5] إلى غَلَبَةِ[6] هذه الخيلِ لهم في أَوَّلِ القِتَالِ؛ لأَنَّ الرَّمْيَ في القِتَالِ أَولُ الحَرْبِ، وقد بَيَّنَ ذلك زهيرٌ بِقَوْلِهِ[7]:

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «إيقاد».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «القَرّ» وتفسيره «البرد» ورواية الفَرّ هي رواية ابن جنى، قال المبارك بن أحمد: «إذا كانت الرواية بالفاء فالمُزُع بضم الميم والزاي، وإن كانت بالقاف فالمِزَعُ بكسر الميم وفتح الزاي... والرواية الصحيحة ما رواه أبو الفتح، وهو أشبه بما ذكره من المبالغة في قوله يذري اللقان وفي قوله «كأنما تتلقاهم ونحوه، وما تقدم من أبيات هذه القصيدة وتأخر عنها يدل على وقوع الظفر بأعداء سيف الدولة لا على الوعيد لهم، وما فسره به أبو الطيب يؤيد ذلك ويدفع ما سواه، ويكون البيت أحسن لفظاً ومعنى» (النظام ج ٢ ورقة ١٥٧).

(٣) كذا في ر، ف، والتبيان ورواية الواحدي «طافحةً» بالنصب، حال من الخيل، وفي ل «طافحةٌ» بالرفع.

(٤) «المقوّرة... المسرعة» زيادة في ل.

(٥) في ل «يشير».

(٦) في ف «علية».

(٧) ديوانه: ص ٧٧.

يَـطْعَنُهُم مـا ارتمـوا حَتَّى إذا اطَّعَنـوا ضَارَبَ، حَتَّى إذا ما ضَارَبوا[1] اعتَنَقَـا

فَأَخْبَرَ بأَن هذه الخيلَ صَرعَتْهُم في أوَّلِ[2] الحربِ، وَمَنَعَتْهُم ما رَامُوه من الفرِّ.

٢٣ ـ إِذَا دَعَـا العِلْجُ عِلْجاً حَـالَ بَيْنَهُما أَظْمَى تُفَـارِقُ مِنْـهُ أُخْتَهـا الضِّلَعُ

الأَظْمَى: الأَسْمَرُ الذَّابلُ، وكَنَى به عن الرُّمحِ[3].

فَيَقولُ[4]: إذا دَعَا العِلجُ عِلْجاً يَسْتَعِيْنُه[5]، ويَنْتَصِرُ به، حَالَ[6] بَيْنَهما أَظْمَى من الرِّمَاحِ، تُفَارِقُ به الضِّلَعُ أُخْتَهـا، مَعَ تَـآلُفِها بـالخِلْقَةِ، فكيفَ بِتَفْرِيقِهِ بَيْنَ العِلْجَيْنِ[7]، وإنَّما تَآلُفُهما بالصُّحْبَةِ؟!

٢٤ ـ أَجَـلُّ مِنْ وَلَـدِ الفَقَّـاسِ مُنْكَتِفٌ إِذْ فَـاتَهُنَّ، وأَمْضَى منـهُ مُنْصَـرِعُ

وَلَدُ الفقَّاسِ: الدُّمُسْتُقِ[8].

ثُمَّ قالَ: أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الفَقَّاسِ، وهو الدُّمُسْتُقُ[9]، وهو رَئِيسُ جَيْشِ الرُّومِ[10]، إذ[11] فَاتَ الرِّماحَ بِهَربِه، مَأْسُورٌ قد مُلِكَ فَكُتِّفَ، وأَمْضَى مِنْهُ

(١) في ر، ف «ضربوا».

(٢) في ف «فأول».

(٣) «الأظمى... الرمح» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «يستغيثه»

(٦) في ف «طال».

(٧) في ف «العجلين».

(٨) «ولد... الدمستق» زيادة في ل.

(٩) «وهو الدمستق» زيادة في ر، ف.

(١٠) «وهو رئيس جيش الروم» زيادة في ل.

(١١) في ف «إذا».

في انهزامِه، مَقْتولٌ قد أهْلِكَ وَصُرِعَ؛ لأنَّه إنَّما هَربَ بَعْدَ أنْ قُتلَ جَيْشُهُ، وأُفْنِيَ جَمْعُهُ، وَأَذَلَّتِ الحَرْبُ عِزَّهُ، فهوَ وإنْ كَانَ حَيّاً أَعْجزُ مِمَّنْ قُتِلَ، وهو وإنْ كانَ أفْلَتَ أذَلُّ مِمَّنْ أُسِرَ[1].

٢٥ ـ وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ البِيْضِ مُنْفَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُنَّ في أَحْشَائِهِ فَزَعُ

يَقُولُ[2]: وما نَجَا من شِفَارِ السُّيُوفِ مُنْفَلِتٌ، أنْجَاهُ فِرَارُهُ، وعَصَمَهُ من القَتْلِ هَرَبُهُ، فهو لا يَأْمَنُ لِشِدَّةِ فَزَعِهِ، ولا يَسْكُنُ لاسْتِحْكَامِ تَوقُّعِهِ، ومَنْ كَانَتْ هذه حَالُهُ، فَحَيَاتُهُ مَوْتٌ، ونَجَاتُهُ هَلاَكٌ[3].

٢٦ ـ يُبَاشِرُ الأَمْنَ دَهْراً وهو مُخْتَبَلٌ وَيَشْرَبُ الخَمْرَ حَوْلاً وَهو مُمْتَقَعُ

الخَبَلُ: الجُنونُ، والامتِقاعُ: تَغيُّرُ اللَّونِ[4].

ثُمَّ أكَّدَ ما قَدَّمَهُ، فقالَ: يُبَاشِرُ الأَمْنَ دَهْراً، وهو[5] لِفَزَعِهِ مُخْتَبَلُ العَقْلِ، ويَشْرَبُ الخمرَ حَوْلاً، وهو لِشِدَّةِ مَخَافَتِهِ مُمْتَقَعُ اللَّونِ.

٢٧ ـ كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَا لَهُ وَرَعُ

الحُشَاشَةُ: رَمَقُ النَّفْسِ، والباتِراتُ: السُّيُوفُ، والأَمينُ: الذي يَصْدُقُ في ما وَلِيَهُ، وأرادَ هاهنا به القَيدَ[6].

---

(١) في ر، ف «فهو وإن كان أفلت، أذل ممن قد أسر، وإن كان حياً فهو أعجز ممن قتل».

(٢) زاد في ر، ف «ثم».

(٣) في ت «هلك».

(٤) «الخبل... اللون» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «أو هو».

(٦) «الحشاشة... القيد» زيادة في ل.

فيقولُ[1]: كم من بِطْرِيقٍ لم يَبْقَ مِنهُ إلا رَمَقُهُ، ضَمِنَ ذلكَ الرَّمَقَ للسيوفِ أَمِينٌ من القَيْدِ لا وَرَعَ لَهُ، وحَافِظٌ لا يُحْذَرُ[2] الخِيَانَةَ[3] عليه.

٢٨ - يُقَاتِلُ الخَطْوَ مِنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ

ثُمَّ بيَّنَ القَيْدَ الذي كَنَى عَنْهُ، فَقَالَ: إذا حَاوَلَ ذلكَ البِطْرِيقُ الخَطْوَ، مَنَعَهُ القَيْدُ مِنْهُ، وإذا رامَ المَشْيَ، قَاتَلَهُ بِتَضَايُقِهِ دونَهُ[4]، وكذلكَ لا يُمْكِنُه الاضطِجَاعُ به، فَيَطْرُدُ عَنْهُ نَوْمَهُ، ولا تَتَأَتَّى لَهُ الحَرَكَةُ مَعَهُ، فَيَتَضَاعَفُ عَلَيْه هَمُّهُ.

٢٩ - تَغْدو المَنَايَا فَلا تَنْفَكُّ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لها عُودِي فَتَنْدَفِعُ

ثُمَّ قالَ، يريدُ سيفَ الدولة: تَغْدُو المَنَايا فلا تَنْفَكُّ واقِفَةً تَرْتَقِبُ أَمْرَهُ، وَتُبادِرُ فلا تَزَالُ مَاثِلَةً تَسْتَمْطِرُ رَأْيَهُ، فإنْ كَفَّها[5] وَلَّتْ مُنْدَفِعَةً، وإن أَرْسَلَ بها سُيوفَهُ سَطَتْ مُسْتَعْجِلَةً، وفي ظَاهِرِ لَفْظِهِ ما يَدُلُّ على هذه العِبَارةِ.

٣٠ - قُلْ للدُّمُسْتُقِ إنَّ المُسْلِمِيْنَ لَكُمْ خَانُوا الإلَـهَ[6] فَجَازَاهُمْ بما صَنَعُوا

قولُهُ: «قُلْ للدُّمُسْتُقِ إنَّ المُسْلِمِيْنَ لكم»، قالَ[7]: كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ قد اجْتَازَ في اللَّيلِ المَوْضِعَ[8] الذي قَتَلَ فيه[9] سَيْفُ الدَّولةِ مَنْ قَتَلَهُ من أَسْرَى

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».
(٢) في ر «لا يجوز» وفي ف «لا يحول».
(٣) في ف «الجناية».
(٤) في ر، ف «بتَقَايُنِهِ عنه» في ت «بتضييقه».
(٥) في ف «فإن جدلها المعاود» وصوب ذلك في هامش ر.
(٦) في ر، ف «الأمير» وكذا في رواية الواحدي والتبيان وابن المستوفي.
(٧) «قوله... قال» زيادة في ر، ف.
(٨) في ل «بالمعركة».
(٩) في ل «فيها».

الرُّومِ، وكانَ هُنَالِكَ[1] فيها[2] من المُسْلمينَ قَوْمٌ؛ منهم من أَضْجَعَه[3] النَّومُ والتَّعَبُ[4]، ومنهُمْ مَنْ كانَ يَتَتَبَّعُ[5] القَتلَى فَيُجْهِزُ[6] على مَنْ كَانَ فيه مِنْهُمْ رَمَقٌ، وقد تَقَدَّمَ سيفُ الدَّولةِ، وأَدْرَكَ العَدُوُّ هذهِ الطَّائِفَةَ، فأَوْقَعَ بهم[7]، فَقَتَلَ فيهم وأَسَرَ[8]، فَلِذَلِكَ قالَ أبو الطَّيِّبِ[9]: قُلْ للدُّمُسْتُقِ: إنَّ الـذينَ أَسْلَمَهُمْ لكُم سيفُ الدَّولةِ خَانوا الإلَهَ بِعِصْيَانهم لأَمِيْرِهِم، وانقِطاعِهم عن جَمَاعَتِهم[10]، فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوه، وأَعْقَلَهُم فظَفِرْتُم بهم، وضَيَّعَهُم فَظَهَرْتُم عَلَيْهِم[11].

٣١ ـ وَجَـدْتُمُـوهُمْ نِيَـامـاً في دمـائِكُمُ كَـأَنَّ قَـتْـلاكُمُ إِيَّـاهُـمُ فَجَـعـوا

ثُمَّ قَالَ: وجدتُمُوهُمْ نِيَامَاً بَيْنَ قَتْلاكُمْ، ومَنْ أَجْهَزُوا عَليه من جَرْحَاكُم، حَتَّى كأَنَّهم لِتَقَلُّبِهِمْ[12] بَيْنَهم مَفْجُوعونَ بهم، مُتَوَجِّعونَ لَهُم.

٣٢ ـ ضَعْفَى تَعِفُّ الأَعَادِي[13] عَنْ مِثالِهِم مِنَ الأَعادي وإنْ هَمُّوا بهم[14] نَزَعُوا

---

(١) «هنالك» زيادة في ر، ف.

(٢) «فيها» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «أثقله».

(٤) «التعب» زيادة في ر، ف.

(٥) في ر، ف. «منهم من يتبع».

(٦) في ر، ف «فيجيز».

(٧) «فأوقع بهم» زيادة في ل.

(٨) «فقتل فيهم وأسر» زيادة في ر، ف.

(٩) ساقطة من ر، ف.

(١٠) في ر، ف «عسكره».

(١١) في ل «وأظفركم بهم، وأظهركم عليهم».

(١٢) في ر، ف «لبقائهم».

(١٣) في رواية التبيان «الأيادي».

(١٤) «همّوا بهم» ساقطة من ف.

نَزَعَتُ عن الشيءِ: إذا أَعْرَضتُ عَنْهُ[1].

فيقولُ[2]: للرُّوم: إنَّ مَنْ أَسَرْتُمُوه[3] مِنَ المُسْلِمين، إنَّما كانوا ضَعْفَى لا يُحْفَلُ بهم[4]، ولا يُعَرَّجُ على مَنْ كَانَ في مِثْلِ[5] حالِهم، بل الأَعَادي يَتَرَفَّعونَ[6] عن الانحِطَاطِ إلى نُظَرائِهم مِنْ أَعاديهم[7]، وإن هَمُّوا بهم نَزَعوا عن ذلك وتَرَكوهُ، وأَنِفُوا منهُ واجتَنَبُوهُ.

٣٣ ـ لا تَحْسَبُوا مَن أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ فَلَيْسَ تَأْكُلُ[8] إلا المَيِّتَ الضَّبُعُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: لا تَحْسِبوا أَنَّ مَنْ أَسَرْتُمُوه رَمَقاً يُطْمِعُكم بهِ، وَبَقِيَّةً تَبْعَثُ لَكُم رَجاءً فيه، فلو كانَ ذلكَ[9] لضَعُفْتُمْ عن أَسْرِهِ، وعَجَزْتُم عن قَتْلِهِ، فإنَّما أَنْتُم كالضَّبُعِ التي تَهَابُ الحيَّ وتَحْذَرُهُ، وتَتَسلَّطُ[10] على المَيِّتِ فَتَأْكُلُهُ، وأَنتُم كذلكَ عَجَزْتُم عن مُقَارَعَةِ الأَبطالِ، وتَسَلَّطْتُم على الضُّعَفَاءِ والأَفْسَالِ[11].

٣٤ ـ هَلاً على عَقَبِ الوادِي وقد صَعِدَتْ أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى ثُمَّ[12] تَجْتَمِعُ

(١) «نزعت... عنه» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول».

(٣) في ر، ف «أسرتموهم».

(٤) في ر، ف «بمثلهم».

(٥) «مثل» زيادة في ر، ف.

(٦) في ل «يتوقفون».

(٧) في ر، ف «إلى من كان في حالهم».

(٨) في رواية الواحدي والتبيان «يأكل».

(٩) في ر، ف «كذلك».

(١٠) في ف «وسلط».

(١١) «وأنتم... والأفسال» زيادة في ل، والأفسال: جمع فَسْل وهو الرَّذل الذي لا مروءة له.

(١٢) كذا في ل، وفي ر، ف ورواية الواحدي والتبيان «ليس».

العَقَبُ: جَمْعُ عَقَبَةٍ[1].

فيقـولُ، مخاطبـاً للرُّومِ: هَلاَّ كـانَ ما أَظْهَـرْتُمُـوهُ من الإقـدامِ عـلى المتخَلِّفِينَ، من ضُعَفاءِ الجيشِ عند تَجَمُّعِكُم على عَقَبِ الـوادي، وأَخْذِكُم بِمَضَائِقِه[2]، واعتراضِكُم لجيشِ سيفِ الدَّولـةِ فيه، ثُمَّ وَلَّيْتُم نـاكِصينَ[3]، وتَرَكْتُم الطَّريقَ صَاغِرِينَ، وقد صَعِدَتْ نَحوَكُم من ذلك الجَيْشِ أُسْـدٌ تَمُرُّ فُرَادى، لا يُمْكِنُها الاجتِمَاعُ لِضِيقِ المَوْضِعِ، ولا يَتَهَيَّأُ لها التَّرَافُدُ[4] لِوعُورَةِ المَسْلَكِ، فَيَمُرُّون أفراداً ثُمَّ يَجْتَمِعونَ، ويَخْطُرونَ آحاداً ثُمَّ يلتَئِمونَ[5].

٣٥ ـ تَشُقُّكُم بِفَتَـاهـا[6] كُـلُّ سَلْهَبَـةٍ والضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَـا يَدَعُ

السَّلْهَبَةُ من الخيلِ: الطَّويلَةُ[7].

ثُمَّ قالَ: تَشُقُّكُم بِفَتَاها[8]؛ بِفِتْيَانِ جَيْشِهِ، كُلُّ سَلْهَبَةٍ من عِتاقِ خَيْلِهِ، يُريد[9]: أَنَّ الجَيْشَ اخْتَرَقَهُم، وأَقْدَمَتْ فُرْسَانُه عَلَيْهم والجِراحُ قَدْ أَثْخَنَتْهُم، ومن نَالَهُ الضَّربُ[10] فيهم أَكْثَرُ مِمَّنْ فاتَهُ مِنْهُم.

---

(١) العقبة: جمع عَقَبَة» زيادة في ل.
والعقبة: المرقى الصعب من الجبال.

(٢) في ر، ف «لمضائقه».

(٣) في ف «كاظمين».

(٤) في ف «الترادف».

(٥) في ر، ف «لا يجتمعون... لا يلتئمون».
ومقصود أبي الطيب توبيخ فعل الروم والإعلان عن جبنهم، إذ كان بإمكانهم، لو ملكوا الشجاعة، أن يتعرضوا لفرسان سيف الدولة الذين عبروا مضائق الطريق فرادى، ثقة بشجاعتهم.

(٦) كذا في رواية ابن جني وابن المستوفي، وفي رواية الواحدي وأبي العلاء المعري والتبيان «بقناها» «قال أبو العلاء: «بقناها: أي القنا الذي على ظهرها» (النظام ج ٢ ورقة ١٥٨).

(٧) «السلهبة... الطويلة» زيادة في ل.

(٨) «تشقكم بفتاها» زيادة في ر، ف.

(٩) في ر، ف «يشير إلى».

(١٠) في ل «الطعن». لأن رواية البيت فيها «والطعن يأخذ».

٣٦ ـ وَإنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الجُنُودَ بِكُمْ[١] لِكَي يَكُونُوا بلا فَسْلٍ[٢] إذا رَجَعوا

الفَسْلُ: الدَّنيءُ مِنَ الرِّجالِ[٣].

ثُمَّ قالَ: وإنما عَرَضَ اللَّهُ الجيوشَ بِكُمْ، يُرِيدُ: أَنَّ اللَّهَ خَلَّصَها من الأَدْنياءِ، وطَهَّرَها من الضُّعَفَاءِ والجُبَنَاءِ، فَقَتَلَهُمْ بكم، وكَفَى جَيْشَ سَيْفِ الدَّولَةِ[٤] مُؤُونَتَهُم[٥] على أَيْدِيكُمْ، ليكُونوا عِنْدَ رُجوعِهِم صَمِيْماً[٦] لا حَشْوَ فيهم، وأَبْطَالاً لا فَسْلَ بينهم.

٣٧ ـ فَكُلُّ غَزوٍ إليكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ وَكُلُّ غازٍ لِسَيْفِ الدّولةِ التَّبَعُ[٧]

ثُمَّ[٨] يقولُ للرُّومِ: إنَّ سيفَ الدَّولةِ قد نَهَجَ للنَّاسِ[٩] سَبِيْلَ[١٠] غَزْوِكُم، وهَوَّنَ على مَنْ أَرَادَكُم أَمْرَكُم، فَمَنْ غَزَاكُم بَعْدَهُ فإنَّما يَقْفُو أَثَرَهُ، ومن اقْتَحَمَ أَرْضَكُم فإنَّما يَمْتَثِلُ سَيْرَهُ.

٣٨ ـ تَمْشِي[١١] الكِرَامُ عَلَى آثارِ غَيْرِهِمِ وأَنْتَ تَخْلُقُ ما تَأْتي وَتَبْتَدِعُ

---

(١) قال الواحدي: «كل الناس رووا بكم، والصحيح لكم باللام لأنه يقال عرّضت فلاناً لكذا فتعرض له، ويجوز أن يكون بكم من صلة معنى التعريض لا من لفظه ومعناه» ص ٤٥٦.

(٢) في ف «فشل».

(٣) «الفسل... الرجال» زيادة في ل.

(٤) في ل «إن الله خلصها من الأدنياء والضُّعَفَاء... وكفى الجيوش».

(٥) في ر، ف «موقته».

(٦) الصَّميم من الرجال: الخالص المحض.

(٧) في ف «اتبع».

(٨) زيادة في ر، ف.

(٩) زيادة في ل.

(١٠) زيادة في ر، ف.

(١١) كذا في ل ورواية ابن جني والواحدي وابن المستوفي وفي ر، ف والتبيان «يمشي».

الخَلْقُ: الصِّناعَةُ[1]

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: تَمْشِي الكِرامُ على آثار مَنْ تَقَدَّمَها، مُقْتَدِيَةً بِفِعْلِهِ[2]، وَتَتْلُوهُ مُمْتَثِلَةً لِسَعْيِهِ، وأَنْتَ تَبْتَدِئُ ما تَأْتِيهِ في المَجْدِ وَتَبْتَدِعُهُ، وتَسْبِقُ إلى ذلِكَ وَتَخْتَرِعُهُ.

٣٩ ـ وَهَلْ يَشِيْنُكَ وَقْتٌ كُنْتَ[3] فَارِسَهُ   وَكَانَ غَيْرَكَ فيهِ العاجِزُ الضَّرَعُ

الشَّيْنُ: العَيْبُ، والضَّرَعُ مِنَ الرِّجالِ: الضَّعيفُ[4].

فيقولُ[5]، مُشِيراً إلى خِذْلاَنِ أصحابِ سَيْفِ الدَّولة له[6] في بعضِ تلكَ الغَزَاةِ:[7] وهل يَعِيبُك وَقْتٌ أَقْدَمْتَ فيهِ وأَحْجَمَ فُرْسَانُك، وكَرَرْتَ وقد عَجَزَ أَصْحَابُك، فَبَانَ فَضْلُكَ وبَانَ نَقْصُهُم، وجَلَّ قَدْرُكَ وضَاقَ عُذْرُهُم.

٤٠ ـ مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ   فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ ولا يَضَعُ

ثُمَّ قالَ: وَمَنْ حَلَّ في الفَضَائِلِ مَحَلَّكَ، واشْتَهَرَ بالشَّجَاعَةِ اشْتِهَارَكَ، فَتَوَاضَعَتِ[8] الشَّمسُ عن مَوْضِعِه، وقَصَّرَ مَحْتِدُها عن مَحْتِدِهِ[9]، فلم يَبْقَ له في الشَّرَفِ غايةٌ يَبْلُغها[10] فَتَرْفَعَهُ، ولا لِلعَيْبِ إليه سَبِيْلٌ فَيَضَعَهُ.

---

(١) «الخَلْقُ: الصناعة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «بنعلها».

(٣) في رواية التبيان «أنت»

(٤) «الشين... الضعيف» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم يقول».

(٦) ساقطة من ل.

(٧) في ف «الغزالة».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وتواضعت».

(٩) المحتد: الأصل والطبع.

(١٠) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فليس في شرفه زيادة مترفعة».

٤١ - لم يُسْلِمِ الكَـرُّ في الأَعْقَـابِ مُهْجَتَـهُ   إنْ كَانَ أَسْلَمَهَا[١] الأصحابُ والشِّيَعُ

الشِّيَعُ: الأتباعُ[٢].

فيقول[٣] لم يُسْلِمْ مُهْجَةَ[٤] سَيْفِ الدَّولةِ بأْسُهُ وإقدامُهُ، وكَرُّهُ في أَعْقَابِ خَيْلِهِ واستِلْجَامُهُ، إن كانَ أَسْلَمَها[٥] أَتْبَاعُهُ وَحَشَمُهُ، وفَارَقَهُ فُرْسَانُهُ وَخَوَلُهُ، بل كانَ من شَجاعَتِهِ في جَيْشٍ يَمْنَعُهُ، ومن إقْدَامِهِ في جَمْعٍ يُتْبِعُهُ.

٤٢ - لَيْتَ الملوكَ عـلى الأَقْـدارِ مُعْـطِيـةٌ   فَلَمْ يَكُـنْ لِـدَنِيٍّ عِنْـدَهـا طَـمَـعُ

ثُمَّ قـالَ، لَيْتَ أنَّ[٦] الملوكَ في عَطَايـاها[٧] جـاريةٌ[٨] عـلى قَدْرِ مَنْ تُعْطِيه، وحَقِيْقَةِ مَنْ تُؤْثِرُهُ وتُدْنِيه، فلم يَكُنْ للأَدْنياءِ طَمَعٌ في فَضْلِهِم، ولا لأَهْلِ الجُبْنِ والخَوَرِ نصيبٌ في بَذْلِهِم، وأَشَارَ بهذا إلى مَنْ فَرَّ عن سَيْفِ الدَّولةِ من فُرْسَانِه، الذينَ كَانَ يُؤْثِرُهم بالإحسانِ، ويَخُصُّهم بالتوسُّعِ والإنعام[٩].

٤٣ - رَضِيتَ مِنْهُم بأَنْ زُرْتَ[١٠] الوَغَى فرأوا   وإن قَرَعْتَ حَبِيْكَ البِيْضِ فاسْتَمعُوا

الحَبِيْـكُ: طَـرَائقُ في المـاءِ، واستعـارَ ذلـك في البِيْضِ، والـواحِـدُ حَبِيْكَةٌ[١١].

---

(١) في ر، ف «أسلمنا».

(٢) الشيع: الأتباع» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم يقول».

(٤) في ر، ف «مهجته».

(٥) في ر، ف «أسلمه».

(٦) ساقطة من ر، ف.

(٧) في ر، ف «إعطائها».

(٨) في ر «جازية» وفي ف «جائزة».

(٩) في ر، ف «يؤثرهم بإحسانه ويخصهم بتوسعه وإنعامه».

(١٠) في رواية التبيان «زرتُ» بالرفع.

(١١) «الحبيك... حبيكة» زيادة في ل.

فيقولُ[1] لسيفِ الدَّولـةِ: رَضيتَ من فُرْسَـانِكَ بـأن صَلِيتَ الحربَ، فرأَوْكَ وشَهِدُوكَ[2]، وقَرَعْتَ حَبيكَ بِيْضِ الـرُّومِ بِجلاَدِكَ، فـاسْتَمعوا[3]، يُشِيرُ إلى أَنَّه أقْدَمَ وأحْجَمُوا، وكَرَّ في أعْقَابِهِم وانهزَمُوا.

٤٤ ـ لَقَـدْ أبَـاحَـكَ غِشَّـاً في مُعَـامَلَةٍ   مَنْ كُنْتَ مِنْـه بِغَـيْرِ الصِّـدقِ تَنْتَفِـعُ

ثُمَّ قالَ يُخاطِبُهُ: لقد أَبَاحَكَ الغِشَّ في مُعَامَلَتِهِ مَنْ كَذَبك عن نَفْسِهِ، وَلَبَسَ عليكَ في أَمْرِه، فأَرَاكَ الشَّجَاعَةَ، والجُبْنُ خَلَيْقَتُهُ[4]، وأَظْهَرَ لَكَ الجَلَدَ، والضُّعفُ حَقِيْقَتُهُ، فَمَوَّهَ بما لا يَبْلُغُهُ، وتَعَاطَى عِنْدَكَ ما لا يَفْعَلُهُ.

٤٥ ـ الـدَّهـرُ مُعْتَـذِرٌ والسَّيفُ مُنْتَـظِرٌ   وَأَرْضُهُمْ لَـكَ مُصْـطَافٌ وَمُـرْتَبَـعُ

المُصْطَافُ: مَوْضِعُ الإقامةِ في الصَّيْفِ، والمُرْتَبَعُ: مَوْضِـعُ الإقامـةِ في الرَّبيعِ[5].

فيقول[6] لِسَيْفِ الدَّولةِ: الدَّهرُ مُعْتَذِرٌ مما سَمَحَ به للرُّومِ في[7] نَيْلِهم من أَطْرَافِ جَيْشِكَ، والسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ لإدراكِ الثَّأْرِ فيهم، واسْتِعْجَالِ الانتقامِ منهم، وأَرْضُهم مُصْطَافٌ لجُيُوشِكَ، ومُرْتَبَعٌ لخُيولِكَ، لا تُغِبُّهُمْ وَقَائِعُكَ، ولا تَنَامُ عَنْهُم عَزَائِمُكَ.

٤٦ ـ ومـا الجِبَـالُ لِنَصْرانٍ بِحَـامِيَـةٍ   وَلَـوْ تَنَصَّر فيهـا الأَعْصَمُ الصَّـدَعُ

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «فاستمعوك».

(٤) في ر، ف «طبيعته».

(٥) «المصطاف... الربيع» زيادة في ل.

(٦) في ر «ثم يقول» «ويقول» ساقطة من ف.

(٧) في ر، ف «من».



الأَعْصَمُ: الـوَعِلُ الـذي في بَدَنِـهِ بياضٌ، والصَّـدَعُ: الـوَعِـلُ بَـيْنَ الوَعِلَيْنِ، لا بالْمُسِنِّ ولا بالصَّغِيرِ. والنَّصْرَانُ: واحِدُ النَّصارَى، نَحْوَ نَدْمَان ونَدَامى، قالَ الشاعرُ[1]:

فكِلْتَـاهُـمـا خـرَّتْ وأَسْجَـدَ رَأْسُهـا   كـما سَجَـدَتْ نَصْرانَـةٌ لم تَحَنَّـفِ[2]

ثُمَّ قالَ: وما تَعْصِمُ الجِبالُ مُتَنَصِّراً مِنْكَ، ولا تَحْجُبُهم[3] بامْتِنَاعِها عنك، ولو أَنَّ الأَعصَمَ الصَّدَعَ يَتَنَصَّرُ فيها لما امتَنَعَ عليك ولأَسْلَمَتْهُ الأقدارُ إليك، وضَربَ المثلَ بالوَعِلِ لِقُـدْرَتِهِ على الصُّعودِ في الجِبَـالِ، والتَّقحُّمِ للأَوْعَارِ، واشتَـرطَ الصَّـدَعَ؛ لأَنَّـه أَثْبَتُ[4] قُـوَّةً، وأَشَـدُّ سُرْعَـةً، وهـذا الاشْتِرَاطُ[5] بَابٌ مِن البديعِ يُعْرَفُ بالتَّتميمِ.

٤٧ ـ ومـا حَمِـدْتُـكَ في هَـوْلٍ ثَبتٌّ لَـهُ   حتَّى بَلَوْتُـكَ والأَبْـطَالُ تَمْتَصِـعُ

المِصَاعُ: التَّجالُدُ بالسُّيوفِ[6].

فيقولُ[7]: وما بَلَغْتُ[8] حَقِيقَةَ وَصْفِكَ، ومَا يَجِبُ في حَمْدِكَ[9]، مَعَ ما

(١) الشاعر هو: أبو الأخزر الحماني «يصف ناقتين طأطأتا رؤوسهما من الأعياء، فشبه رأس الناقة من تطأطئها برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها». (انظر لسان العرب مادة: نصر)

(٢) «الأعصم: الوعل... كما سجدت نصرانة لم تحنف» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «لا تحجبه».

(٤) ي ر، ف «أنبت».

(٥) «الاشتراط» زيادة من ر، ف.

(٦) «المصاع... بالسيوف» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «ثم يقول».

(٨) في ر، ف «تلقته».

(٩) «وما يجب في حمدك» زيادة في ر، ف.



شَهِدْتُهُ من ثَباتِكَ[1] في الأهـوالِ التي جَمَعَتْني بِكَ، حَتَّى بَلَوْتُـكَ والأبْطَالُ تَتَمَاصَعُ سُيُوفُها، وتَجْتَهِدُ في جِلاَدِها[2]، وَرأيْتُ غَنَاءَكَ[3] وشِـدَّةَ بأسِـكَ، ومُقَاوَمَتَكَ للرُّومِ بنفسِكَ، فَهُناكَ عَلِمتُ مِقْـدَارَ صَبْرِكَ، واسْتَـوْفَيْتُ حَقِيقَة حَمْدِكَ[4].

٤٨ ـ فَقَـدْ يُـظَنُّ شُجَـاعَـاً مَنْ بِـهِ خَـرَقٌ وَقَـدْ يُـظَنُّ جَبَـانَـاً مَنْ بِـهِ زَمَـعُ

الخَرَقُ: البَهْتُ والدَّهْشُ، والزَّمَعُ: خِفَّةٌ تَعْتَرِي الشُّجَاعَ عِنْدَ الحَرْبِ نَحْوَ اشتدَادِ الحُمَّى، وكانَ البراءُ بنُ مالِكٍ الأنصاريُّ[5] قد شُهِرَ بها[6].

ثُمَّ قالَ مُؤَكِّداً لِمَا ذَكَرَ[7]؛ أَنَّهُ خَفِيَ عليه من أَمْرِهِ، وأَنَّ المُقَاتِلَ[8] لا يُقْضَى عَلَيهِ دون الاخْتِبَارِ لِظَاهِرِهِ[9]: فَرُبَّ مَنْ يَثْبُتُ في الحربِ، ويَسْكُنُ[10]

---

(١) «من ثباتك» زيادة في ل.

(٢) في ل «جهادها».

(٣) في ر، ف «عناك».

(٤) في ر، ف «واستوفيتك حقيقة مدحك».

(٥) البراء بن مالك بن النضر الأنصاري أخو مالك بن أنس لأبيه وقيل لأمّه، كان رضي الله عنه أحد الفضلاء، ومن الأبطال الأشداء، قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك في قتله، وشهد البراء مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا بدراً، وله يوم اليمامة أخبار تدل على شجاعته وإقدامه، واستشهد يوم حصن، وقيل إن الهرمزان هو الذي قتله، على أن البراء كان حسن الصوت، وكان يرتجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره.
(انظر الإصابة ١٤٣/١ والاستيعاب ١٥٣/١).

(٦) «الخرق... شهر بها» زيادة في ل.

(٧) في ل «ثم قال مؤكداً لما كان خفي عليه من أمره».

(٨) في ف «المقادر».

(٩) في ر، ف «بظاهره».

(١٠) «ويسكن» زيادة في ل.



ولا يَنْصَرِفُ[1]، فَيُظَنُّ[2] به الشَّجَاعةُ، وإنَّما ثَبَتَ عن دَهْشٍ وَخَرَقٍ، ورُبَّ مَنْ يَخِفُّ فيها وَيَضْطَرِبُ فَيُظَنُّ به الجُبْنُ، وإنما اضطَرَبَ عن إقدامٍ وشَرَهٍ.

٤٩ - إنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ النَّاسِ يَحْمِلُهُ[3]   وَلَيْسَ كُلُّ ذَواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

ثُمَّ ضَرَبَ في ذلكَ مَثَلاً، فقالَ: إنَّ السِّلاحَ يَشْتَرِكُ النَّاسُ في حَمْلِهِ، ويَتَماثلونَ[4] في الاشْتِمالِ به، وقليلٌ منهم مَنْ يَسْتَعْمِلُهُ في الجِلادِ والطِّعانِ، ويَصْرِفُه[5] في مُنَازَلةِ الأَقْرانِ يُشِيرُ إلى سَيْفِ الدَّولةِ، كما أَنَّ السِّباعَ كُلَّها ذواتُ مَخالِبَ، ولكِنَّ الأَسَدَ يَفْضُلُها بِقُوَّتِهِ[6]، وَيَزِيدُ عَلَيْها بِشِدَّتِهِ وبأْسِهِ[7]، وكذلِكَ[8]، أَصْحابُ[9] سَيْفِ الدَّولةِ يَتَزَيَّوْنَ بِشَكْلِهِ، ويُشَارِكونَهُ في لُبْسِ السِّلاحِ وحَمْلِهِ، ولكنَّهم يُقَصِّرونَ عن تَصْرِيفهِ لَهُ، ويَعْجَزُونَ عَمَّا يَبْلُغُهُ من البَطْشِ بهِ.

ورَفَعَ كلَّ ذواتِ المِخْلَبِ والسَّبُعَ على الابتداءِ والخبرِ، وأَضْمَرَ اسمَ «ليسَ»، كأنَّه قالَ: وليسَ الشَّأْنُ أنَّ كُلَّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ، وصارَ الابتداءُ وخَبَرُهُ[10] في مَوْضِعِ خَبرِ لَيْسَ، والعربُ تَفْعلُ[11] ذلكَ، فتقولُ: «ليس

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، «ويظن» وفي ل «فتظن».

(٣) في رواية التبيان «تحمله» ويروى «يعرفه».

(٤) في ف «ويتمايلون».

(٥) «ويصرفه» زيادة في ر، ف.

(٦) في ل «لقوته».

(٧) في ر، ف «ببأسه وشدته».

(٨) في ر، ف «وأشار إلى أن».

(٩) ساقطة من ت.

(١٠) في ر، ف «وصيتر الابتداء والخبر».

(١١) في ر، ف «تفصل».



خَلَقَ اللهِ مِثْلَهُ»، فَتُضْمِرُ الشَّأنَ والقِصَّةَ، ولولا ذلك، لما وَلِيَ لَيْسَ «خَلَقَ»؛ لأن الأَفْعَالَ لا يَلي بَعْضُها بَعْضاً، رَوَى هذا سيبَوَيْهِ عن العَرَبِ(١)، وأَفْرَدَ لهذا النَّحوِ باباً في كِتابهِ(٢)، وكثَّرَ عليهِ بالشَّواهِدِ، وشُهْرَةُ ذلك تُغْنِي(٣) عن تَطْويلِ القَوْلِ فيهِ(٤).

(١) كتاب سيبوية ١/٧٠.

(٢) «أفرد... كتابه» زيادة في ر، ف والباب هو: باب الإضمار في ليس وكان كالإضمار في إن» انظر كتاب سيبويه ١/٦٩ - ٧٢.

(٣) في ر، ف «أودعه من الشواهد ما تغني شهرته....».

(٤) زاد في ل «إن شاء الله».

وَتَوَقَّفَ سيفُ الدَّولةِ في غَزاةٍ ثانيةٍ على إحراقِ القُرَى بِبُقْعَةِ عَرْبَسُوسَ[١]، ثُمَّ أَصْبَحَ صَافَّاً، يُرِيدُ سَمَنْدُو، وقد اتَّصَلَ به أَنَّ العَدُوَّ بها مُعِدٌّ، جامِعٌ في أَرْبَعينَ أَلْفاً، فَتَهَيَّبَ جَيْشُ سَيْفِ الدَّولةِ الإقدامَ عليها، وأحبَّ سَيْفُ الدَّولَةِ المسيرَ إليها[٢]، فاعتَرَضَهُ أبو الطَّيِّبِ، وأَنْشَدَهُ[٣]:

١ - نَزُورُ دِياراً ما نُحِبُّ[٤] لها مَغْنَى وَنَسْأَلُ عنها غَيْرَ سُكَّانِها[٥] الإذْنَا

المَغنَى: المَوْضِعُ الذي يُحَلُّ فيه ويُسْكَنُ[٦].

فيقولُ: نَزُورُ من بِلادِ الرُّومِ دِياراً ما نُحِبُّها، ونَقْصِدُ مَواضِعَ لا نَأْلَفُها، فَنَزُورُها على سَبِيلِ الإفسادِ[٧] لها، ولَسْنَا نَزُورُهَا على سَبِيلِ الأُنْسِ بها، وَنَسْتَأْذِنُ في دُخُولِها أُمَراءَ جُيُوشِنا، والمُدَبِّرينَ لأُمورِنا، فَنَزُورُها غَيْرَ مُوجِبينَ لِحَقِّها، ونَدْخُلُها غَيْرَ مُسْتَأْذِنينَ لأَهْلِها. واستَعْمَلَ في هذا الإشارةَ دونَ التَّصريحِ، وذلكَ مِنْ أبوابِ البَديعِ[٨].

---

(١) بلد من نواحي الثغور قرب المصيصة، وروى أبو عبيدة أن عمير بن سعد أو سعيد كان والياً على طائفة من الشام وقد ذكر هذه المدينة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ودورها في نقل أخبار المسلمين إلى الروم، فأمره عمر بتخريبها بعد تعويض أهلها عن ممتلكاتهم وإجلائهم عنها.
(انظر معجم ما استعجم ٣/٩٢٩).

(٢) في ر، ف «الإقدام عليه... المسير إليه».

(٣) سنة أربعين وثلاثمائة.

(٤) في ر، ف «يحب».

(٥) في ر، ف «ونسأل فيها غير ساكنها».

(٦) المغنى... ويسكن» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «التعبير».

(٨) «واستعمل... البديع» زيادة في ل.



٢ ـ نَقودُ إلَيْها الآخِذاتِ لنا[١] المَدَى عَلَيْها الكُماةُ المُحْسِنونَ بِهَا ظَنّا[٢]

المَدَى: الغَايَةُ[٣].

ثُمَّ قالَ: نَقودُ إليها من الخَيْلِ ما نَسْتَصْفِيهِ لِعِتْقِهِ، ويُحْرِزُ[٤] لنا الغَاياتِ بسَبْقِهِ، وعلى تلكَ الخيلِ مِنَّا كُماةُ الفُرْسانِ، الَّذين جَرَّبُوهَا فصَدَقَتْهُم، واختَبَرُوها فأَرْضَتْهُم.

٣ ـ وَنُصْفي الذي يُكْنَى أبا الحَسَنِ الهَوَى ونُرْضِي[٥] الذي يُسْمَى الإلهَ ولا يُكْنَى

الكُماةُ: الشُّجعانُ، واحِدُهُم كَمِيٌّ[٦].

ثُمَّ قالَ: وَنُصْفِي المَدْعُوَّ بِكُنْيَتِهِ، يُشِيرُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، صَادِقَ وُدِّنا، ونُمْحِضُ لهُ خَالِصَ نُصْحِنا[٧]، ونُرضِي الإلهَ الذي سَمَّى نَفْسَهُ، وارتَفَعَ عن الكُنْيَةِ قَدْرُهُ، بإعزازِنا[٨] لِدِيْنِهِ، وجِهَادِنا لِعَدُوِّهِ، وجَرَى في جَميعِ ذلكَ على الإشارةِ التي قَدَّمنا[٩]، وهي من أَبْوابِ البَدِيعِ[١٠].

٤ ـ وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أَنَّنَا إذا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا عُدْنَا

يقولُ[١١]: وقد عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ بِوَقَائِعنَا فيهم، وما نُحْدِثُهُ من القَتْلِ عليهم، أَنَّا إذا ما تَرَكْنَا أَرْضَهُم بالخروجِ عَنْهَا، عَاوَدْنَاها باسْتِئْنَافِ الغَزْوِ إليها.

---

(١) في ر، ف «إلى».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «الظنّا» وكلا الروايتين مستقيم الوزن.

(٣) «المدى: الغاية» زيادة في ل.

(٤) في ف «ومحرز».

(٥) كذا في ل وفي ر، ف ورواية الواحدي والتبيان «ونرضي».

(٦) «الكماة... كمّي...» زيادة في ل.

(٧) في ل «نصيحتنا».

(٨) في ف «باعتزازنا».

(٩) في ر، ف «وجرى في جميع هذا على الاستعارة».

(١٠) «وهي من أبواب البديع» زيادة في ر، ف.

(١١) في ر، ف «ثم وقد علم».

٥ - وإنَّا إذَا ما الموتُ صَرَّحَ في الوَغَى   لَبِسْنَا إلى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ والطَّعْنَا

التَّصْريحُ: الكَشْفُ والإعلانُ[١].

ثُمَّ قالَ: وإنَّا إذا مَا الموتُ في الحَرْبِ كَشَفَ عن وَجْهِهِ، وصرَّحَ عن نَفْسِه، لَبِسْنَا إلى ما نَبْتَغِيه الضَّرْبَ والطَّعنَ[٢]، وادَّرَعنَا إليه الاعتزامَ والصَّبرَ.

٦ - قَصَدْنا لَه قَصْدَ الحَبِيْبِ لِقَاؤُهُ   إلينا وقُلْنا لِلسُّيوفِ هَلُمُّنَّا

ذكرَ سِيبَوَيْهِ[٣] أنَّ من العَرَبِ[٤] مَنْ يقولُ «هَلُمَّ» وللاثنَيْنِ والجميعِ بمَعْنَى الدُّعاءِ والاسْتِقْرابِ، ومنهم من يَجْعَلُ «ها» لِلتَّنبيهِ و«لُمَّ» فِعْلاً يُثَنِّيه ويَجْمَعُهُ، فيقولُ لِلْوَاحِدِ: هَلُمَّ، وللاثنَيْنِ: هَلُمَّا، وَلِلْجَميعِ هَلُمُّوا. فاسْتَعْمَلَ أبو الطَّيِّبِ هذه اللُّغةَ، وأدخلَ النُّونَ الثَّقِيْلَةَ مُؤَكِّداً على هَلُمُّوا، وهو[٥] فِعْلُ الجَماعةِ، فاجْتَمَعَ لهُ في واوِ الجَمَاعَةِ والنُّونِ الثَّقِيلَةِ من النُّونِ الأُولى سَاكِنانِ[٦]، فَأَسْقَطَ أحَدَهُما وهوَ الواو، فَبَقِيَ هَلُمُنَّ، ثُمَّ أَشْبَعَ الفَتْحَةَ لِلْقَافيةِ، فقال: هَلُمُّنَّا.

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قدَّمَهُ: نَقْصِدُ إليه[٧]، يُريدُ: الموتَ، قَصْدَ مَنْ لِقاؤُه حبيبٌ إلينا، فَنُقْدِمُ عليهِ إقدامَ من لا يَكْرَهُهُ، ونُسْرِعُ إليهِ إسراعَ من لا يَتَوَقَّعُهُ، ونقولُ للسيوفِ هَلُمُّنَّا. قَوْلَ الْمُسْتَقْرِبيْنَ لها، الْمُسْتَعِيْنِينَ على ما نَبْتَغِيْهِ بِهَا.

٧ - وخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الأَسِنَّةَ بَعْدَما   تَكَدَّسْنَ من هَنَّا علينا ومِنْ هَنَّا

(١) «التصريح... والإعلان» زيادة في ل.

(٢) في ل «الطعن والضرب».

(٣) كتاب سيبويه: ٣/ ٥٢٩.

(٤) هم أهل الحجاز.

(٥) «هلموا وهو» زيادة من ر، ف.

(٦) في ر، ف «فاجتمعت الواو والنون الأولى من النون الثقيلة وهما ساكنان».

(٧) في ر، ف «له».

تَقولُ العربُ: حَشَوْتُهُ بالسِّنَانِ إذا أَوْدَعْتَهُ حَشَاهُ، وتَكَدُّسُ الخيلِ: أن تَرْكَبَ بَعْضُها بَعْضاً، وهَنَّا: كَلِمَةٌ يُشارُ بها إلى مَوْضِعٍ قَريبٍ[1].

فيقولُ: وخَيْلٍ حَشَوْنَاها أَسِنَّتَنَا، وتمكَّنَتْ في فُرسَانِها رمَاحُنَا، فَكَرِهَتْنَا بَعْدَ تَكَدُّسِهَا حَوْلَنَا، وَفَرَّتْ مِنَّا بَعْدَ إسْرَاعِها نَحْوَنَا.

٨ ـ ضُرِبْنَ إلينا بالسِّياطِ جَهَالَةً   فَلَمَّا تعارَفْنا ضُرِبْنَ بِها عَنَّا

ثُمَّ قالَ، مُبَيِّناً لِذلكَ: ضُرِبَتْ تلكَ الخيلُ بالسِّيَاطِ مُقْدِمَةً عَلَيْنَا، واسْتُعْجِلَتْ مُسْرِعَةً[2] إلينا، فَلَمَّا تَعَارَفْنَا نَكَصَ عَنَّا فُرْسَانُها مُوَلِّينَ، وضَرَبُوها بِتِلْكَ السِّياطِ مُنْهَزِمينَ.

٩ ـ تَعَدُّ القُرَى والْمُسْ بِنَا الجَيْشَ لَمْسَةً   نُبارِ[3] إلى ما تَشْتَهي يَدُكَ اليُمْنَا

اللَّمْسُ: مَعْروفٌ، والمُبَاراةُ: المسابَقَةُ[4].

فيقولُ[5] لِسَيْفِ الدَّولةِ، مُؤَكِّداً لِبَصِيْرَتِهِ فيما اعتَقَدَهُ من مُنازَلَةِ جَمْعِ الرُّومِ: تَعَدَّ مُدُنَ الرُّومِ وهَدْمَهَا، ورَعَايَاهُم وسَبْيَهَا، والْمُسْ بِنَا جَيْشَهُم لَمْسَةً، واطرُقْ بِنَا جَمْعَهُم طَرْقَةً، نُبَارِ[6] إلى ما تُرِيدُه مِنَ الإقدامِ عليهم، وما تَرْغَبُهُ من الإيقاعِ بهم يُمْنَى يَدَيْكَ، طَاعَةً لك، وامتِثالاً لأمْرِكَ. واشتَرط يُمْنَى اليَدَيْنِ، لأنَّها أَسْرَعُ في الفِعْلِ، وهذا من التَّتْمِيمِ، وقد تَقَدَّمَ.

(١) «تقول العرب... قريب» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «مبادرة».
(٣) في ر، ف «نُبَادِرْ».
(٤) «اللمس... المسابقة» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «ثم يقول».
(٦) في ر، ف «تبارى».



١٠ - فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللُّقَانِ دِمَاؤُهمْ   ونحنُ أناسٌ نُتْبِعُ[١] البَارِدَ السُّخْنَا

اللُّقَانُ: مَوْضِعٌ معروفٌ من أرْضِ الرُّومِ، كانَتْ فيه وَقْعَةُ غَزَاةِ المُصِيْبَةِ[٢].

ثُمَّ قالَ: فقدْ بَرَدَتْ دِماؤُهم التي سَفَكَتْهَا فوقَ اللُّقَانِ سُيوفُكَ، وأجْرَتْهَا بالأمْسِ فيما[٣] هُنَالِكَ جُيوشُكَ، ونحنُ أناسٌ نُتْبِعُ[٤] بارِدَ الدَّمِ سُخْنَهُ، وَجَارِيَهُ جامِدَهُ. يُشيرُ إلى أنَّ وَقَائِعَهُم مُتَرادِفَةٌ، وأيَّامَهُم على الرُّومِ مُتَوالِيَةٌ.

١١ - وإنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلةِ العَضْبَ فِيْهُمُ   فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ القَنَا اللُّدْنَا

العَضْبُ: القاطِعُ، واللُّدْنُ: اللَّيِّنُ[٥].

ثُمَّ قالَ: وإن كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلةِ العَضْبَ، إقدامَاً على ما تَقْصِدُهُ، ونَفَاذاً فيما تَعْتَقِدَهُ، فاسْتَفْتِحْ بِنَا حَرْبَ هذا الجَيْشِ، وَضَعْنَا مِنْم مَوْضِعَ الطَّعْنِ من الضَّرْبِ، والرُّمحِ من السَّيْفِ، نَبْدَأُ الحربَ ونَخْتِمُها، ونَسْتَفْتِحُها ونُتَمِّمُها.

١٢ - فَنَحنُ الأُلَى لا نَأْتَلِي لَكَ نُصْرَةً   وَأَنْتَ الَّذي لَوْ أنَّهُ وَحْدَهُ أغْنَى

الإئتِلاءُ: التَّقصِيرُ والتأخرُ[٦].

فيقولُ: فنحنُ الَّذينَ لا نُقَصِّرُ في نَصْرِك، ولا نَتَأَخَّرُ دونَ ما يَلْزَمُنا من

---

(١) في ر، ف «نشبع».
(٢) «اللقان... المصيبة» زيادة في ل.
(٣) زيادة في ر، ف.
(٤) في ر، ف «نشبع».
(٥) «العضب... اللين» زيادة في ل.
(٦) «الإئتلاء... والتأخر» زيادة في ل.



امْتِثَالِ أَمْرِكَ، وأنتَ الذي لو انْفَرَدَ دونَ جَيْشِهِ لاسْتَغْنَى عَنْهم، ولو قَصَدَ الرُّومَ[1] وَحْدَهُ لأَغْنَى فيهم.

١٣ - يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ العُلا ... وَمَنْ قَالَ لا أَرْضَى مِنَ العَيْشِ بالأَدْنَى

ثُمَّ قَالَ، دَاعياً لِسَيْفِ الدَّولةِ: يَقِيكَ من الرَّدَى، وما تَحْذَرُهُ مِنْ بَأسِ الأَعداءِ وما تَتَوَقَّعُهُ[2]، مَنْ أَعلاهُ سُلْطَانُك، وشَمِلَهُ إِحْسَانُك، وَمَنْ يَبْتَغِي رَفِيعَ العَيْشِ بِكَ، ويُدْرِكُ مَعَالِيَ الأُمورِ عِنْدَكَ، فَكُلُّهُم خَلِيقٌ بِصِيَانَتِك، جَديرٌ بالاسْتِهْلاكِ دونَ إِرَادَتِك.

١٤ - فَلَوْلاكَ[3] لم تَجْرِ الدِّمَاءُ ولا اللُّهَى[4] ... ولم يَكُ للدُّنيا ولا أَهْلِهَا مَعْنَى

ثُمَّ[5] يقولُ لسيف الدولة: فَلَوْلاكَ لم تُسْفَكْ دِمَاءُ الأَعداءِ، ولا اكْتُسِبَتْ[6] رغَائِبُ الأَمْوَالِ، ولا كَانَ للدُّنيا وأَهْلِهَا مَعْنًى يَرْغَبُ فيه طَالِبُه، ويُنَافِسُ عليهِ مُحَاوِلُهُ.

١٥ - وَمَا الخوفُ إلا ما تَخَوَّفَهُ الفتَى ... وَمَا الأَمْنُ إلاَّ ما رآه الفتَى أَمْنَا

ثُمَّ قالَ: وما الخَوْفُ والأَمْنُ إلاَّ بِمِقْدَارِ ما يَسْبِقُ من ذلك إلى الإِنْسَانِ فيما يَطْلُبُه، وإنما ذلك[7] بِحَسَبِ ما تَنْعَقِدُ عليه نِيَّتُهُ فيما يَقْصِدُهُ[8]، فَمَنْ[9]

(١) في ر، ف «العدو».
(٢) في ر، ف «يقيك من الردى ما تحذره، ومن بأس الأعداء ما تتوقعه».
(٣) في ف «فلولا».
(٤) اللُّهى: أفضل العطايا وأجزلها.
(٥) زيادة في ر، ف.
(٦) في ر، ف «ولم تكسب».
(٧) في ر، ف «وإنما هما».
(٨) «فيما يقصده» زيادة في ر، ف.
(٩) في ل «كمن».



اسْتَسْهَلَ الشَّديدَ فيما يُرِيدُه، اسْتَعْفَهُ وأَمِنَهُ، ومن استَصْعَبَ اليَسيرَ فيما يُحَاوِلُه، اسْتَثْقَلَهُ وحَذِرَهُ، وضَرَبَ هَذَا مَثلاً لسيفِ الدَّولةِ؛ لأَنَّه يُقْدِمُ على الأَهْوَالِ إقدامَ من لا يَحْذَرُها، ويَقْتَحِمُ فيها اقْتِحامَ[1] مَنْ يَأْمَنُها ولا يَتوَقَّعُهَا.

(١) في ر، ف «ويتقحم فيها تقحم».

وقال يَمْدَحُهُ، ويَذْكُرُ هذهِ الغَزَاةَ، وأَنَّهُ لم يُتِمَّ قَصْدَ[1] خَرْشَنَةَ، بِسَبَبِ الثَّلجِ وهجومِ الشِّتَاءِ:

١ - عَـواذِلُ ذاتِ الخَالِ فِيَّ حَـوَاسِـدُ　　وإنَّ ضَجِيـعَ الخَـوْدِ مِنّي لَمَـاجِـدُ

الخَوْدُ: الفَتَاةُ الشَّابَّةُ، والخَالُ معروفٌ[2].

فيقول: عَوَاذِلُ مَحْبُوبَتِي ذاتِ الخالِ، على ما تُظْهِرُهُ من الإعْجَابِ بِي[3]، وتَلْتَزِمُهُ[4] من المُوَافَقَةِ لي، حَوَاسِدُ غَيْرُ نَوَاصِحَ، وكَوَاذِبُ غَيْرُ صَوَادِقَ؛ لأَنَّ ضَجِيعَ الخَوْدِ مني مَاجِدٌ سَيِّدٌ، وفَاضِلٌ أَوْحَدُ.

٢ - يَـرُدُّ يَـداً عَنْ ثَـوْبِها وَهـو قَـادِرٌ　　وَيَعصِي الهَـوَى في طَيْفِها وَهـوَ رَاقِـدُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: يَعِفُّ عن مُلاَمَسةِ ثَوْبِها في يَقْظَتِهِ، مَعَ القُدْرَة على ذَلِكَ، صِيَانَةً لها، وَيَمْتَثِلُها في نَوْمِه، فَيَعْصِي هَوَاهُ في طَيْفِها ضَنَانَةً بِهَا.

٣ - مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لاَعِجِ الشَّوْقِ في الحَشَى　　مُحِبٌّ لهَـا في قُـرْبِـهِ مُتَبَـاعِـدُ

لاَعِجُ الشَّوْقِ: حَرُّهُ[5].

فيقولُ[6]: متى يَشْتَفِي من الشَّوقِ ولاعِجِهِ، ومِنَ الوَجْدِ وَأَلمِهِ، مُحِبٌّ يُدْنِيه الوَصْلُ، فَتُبْعِدُهُ العِفَّةُ، ويُقَرِّبُهُ الإِسْعَادُ، فَتَمْلِكُهُ المُروءَةُ.

---

(١) في ر، ف «قصده».

(٢) «الخود... معروف» زيادة في ل. والخال: الشَّامة أو النُّكْتَةُ السوداء

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «وتحتمل عليه».

(٥) «لاعج... حرُّه» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم يقول».



٤ ـ إذا كُنْتَ تَخْشَى العَارَ في كُلِّ خَلْوةٍ فَلِمْ تَتَصَبَّاكَ الحِسَانُ الخَرائِدُ[١]

ثُمَّ قالَ، مُعَنِّفاً لِنَفْسِه: إذا كُنْتَ تَمْلِكُ أَرَبَكَ في خَلْوَتِكَ، ولا تَسْمَحُ لِنَفْسِك عِنْدَ قُدْرَتِك، فما لَكَ وَلِلْحِسانِ تَصْبُو بهنَّ؟! وما الذي يَدْعُوك إلى التَّعَرُّض لَهُنَّ؟!

٥ ـ أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حتَّى أَلِفْتُهُ وَمَلَّ طَبِيْبِي جانِبِي والعَوائِدُ

ثُمَّ وَصَفَ حالَهُ، فَقالَ: أَلِفْتُ السُّقْمَ بِطُولِ إلحَاحِهِ[٢] وملازَمَتِه، وسَكَنْتُ إليه[٣] بِشِدَّةِ تكرُّرِهِ[٤] ومُدَاوَمَتِهِ، وأَمْلَلْتُ الطَّبِيبَ، فأَعرَضَ عن مُعالَجَتي، وأَيْأَسْتُ العَوائِدَ[٥] فاحتَمَلْنَ على[٦] مُجانَبَتي.

٦ ـ مَرَرْتُ على دَارِ الحَبِيْبِ فَحَمْحَمَتْ جَوادِي وهل تَشْجو الجِيادَ المَعاهِدُ

المَعَاهِدُ: المَنازِلُ، وحَمْحَمَةُ الفَرسِ: تكرُّرُ صَوْتِهِ[٧].

فيقولُ: إنَّهُ[٨] مَرَّ بِدارِ مَحْبُوبَتِه، وهي خَالِيَةٌ من سَاكِنِها، ومُوْحِشَةٌ من أَهْلِها، فَحَمْحَمَتْ جَوادُهُ، فِعْلَ عارفةٍ بها، وحَنَّتْ إليها حَنِينَ[٩] مُتَذَكِّرَةٍ لَهَا، فَعَجِبَ[١٠] من أن تَشْجُوَ الخَيْلَ دِيارُ الأَحِبَّةِ، وَتَشوقَها مَنازِلُهم، وتَعْطِفَهَا مَعاهِدُهم.

---

(١) الخرائد: جمع خَرِيْدَة، وهي الفتاة البكر الحيية المتسترة.

(٢) في ر، ف «الحاجة» وهي زيادة فيهما.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) في ل «تكرهه».

(٥) في ر، ف «العواذل». ونسوة عوائد وعُوَّد: وهن اللائي يَعُدنَ المريض.

(٦) في ر، ف «عن».

(٧) «المعاهد... صوته» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم يقول».

(٩) ساقطة من ر، ف.

(١٠)في ف «حين».

(١١) في ل «وعجب».

٧ - وما تُنْكِرُ الدَّهماءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ سَقَتْها ضَرِيبَ الشَّوْلِ فيه الولائِدُ

الضَّرِيبُ: اللَّبَنُ الذي يُخْلَطُ رَقيقُهُ بِثَخِينِهِ، وذلك إنَّما يُفعَلُ عِنْدَ قِلَّتِهِ، والشَّوْلُ: جَمْعُ شَائِلَةٍ، وهي التي مضى بِحَمْلِها سَبْعَةُ أَشْهُرٍ ولَبَنُها يَقِلُّ عند ذلك، والولائِدُ: الخَدَمُ[1].

ثُمَّ قالَ: وما للدَّهماءِ أن تُنْكِرَ منزلاً كانت تعتادُهُ وتألَفُهُ، وَتَزورُهُ وتقصِدُهُ، وكانَ أهلُ ذلكَ المَنْزِلِ لِكرامَتِها عليهم، ونَفاسَتِها[2] عِندهم، يَأْمُرونَ الوَلائدَ فَيَسْقِينَها ضَرِيبَ الشَّوْلَ مَعَ قِلَّتِه، ويُؤْثِرْنَها[3] باللَّبَنِ عند انصرامِ مُدَّتِه.

٨ - أَهُمُّ بشيءٍ والليالي كَأَنَّها تُطارِدُني عن كَوْنِهِ وأُطارِدُ

المطَارَدَةُ: المُحَاوَلَةُ في الحَرْبِ[4].

فيقولُ: أَهُمُّ بِأَمَلٍ آمُلُهُ، ومُرادٍ أَرْتَقِبُهُ، والليَّالي تُدافِعُني عَنْهُ، مُدافَعَةَ المُقَاتِلِ المُطارِدِ، وتَعْتَرِضُني دُوْنَه، اعْتِراضَ المُنازِلِ المُجاوِلِ.

٩ - وَحِيْداً[5] من الخُلاَّنِ في كُلِّ بَلْدَةٍ إذا عَظُمَ المَطْلوبُ قَلَّ المُساعِدُ

ثُمَّ قالَ: وَحِيْداً من خُلاَّنِ الصَّفاءِ، وأَهْلِ المُشارَكَةِ والوَفاءِ[6] حَيْثُ كُنْتُ[7]، وفي كُلِّ بَلَدٍ احتَلَلْتُ[8]، وإذَا عَظُمَ المَطْلوبُ قَلَّ المُساعِدُ عَلَيْهِ، وإذا جَلَّ عُدِمَ المُؤَيِّدُ فيه.

(١) «الضريب... الخدم» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «نفل سنها».

(٣) في ر، ف «ويؤثرونها».

(٤) «المطاردة... الحرب» زيادة في ل.

(٥) في رواية التبيان «وحيدٌ» وهي رواية ابن جني على تقدير أنا وحيد ورواية النصب على تقدير أهم وحيداً، حال.

(٦) في ف «والوفاة».

(٧) في ر، ف «ينبت».

(٨) في ر، ف «وعامي بلد احللت».

١٠ - وَتُسْعِدُني في غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ   سَبُوحٌ لها مِنهَا عَلَيْها شَوَاهِدُ

غَمْرَةُ الحَرْبِ: شِدَّتُها، والسَّبُوحُ: الفَرَسُ التي تَمُدُّ يَدَيْها في الجَرْي[١].

فيقولُ: وتُسْعِدُني في غَمَراتِ الحربِ، فَرَسٌ كَرِيمَةٌ، سَبُوحٌ سَرِيعَةٌ، لها[٢] من حُسْنِ خَلْقِها شَوَاهِدُ، تُخْبِرُ عن كَرَمِها وعِتْقِها.

١١ - تَثَنَّى عَلَى قَدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّما   مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ

المَرَاوِدُ: مَعْرُوفَةٌ[٣].

ثُمَّ وَصَفَ هذه الفرسَ بِحُسْنِ أَدَبِها، وكَرَمِ طَبْعِها، وأَنَّها تُطِيعُ فَارِسَها، وتُسَاعِدُ رَاكِبَها، فقال: تَثَنَّى لِلطِّعَانِ وتَنْعَطِفُ، وتَحِيدُ عن الرِّماحِ وتَنْحَرِفُ[٤]، حَتَّى كَأَنَّ مَفَاصِلَهَا مَرَاوِدُ تَتَدَاخَلُ عِنْدَ انقِبَاضِها وتحرُّزِها[٥]، ثم تَعُودُ مُتَّصِلَةً عند انبِسَاطِها[٦] وَتَدَفُّعِها[٧].

١٢ - وأُورِدُ نَفْسي والمُهَنَّدُ في يَدِي   مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَنْ لا يُجَالِدُ[٨]

يقولُ: إنهُ يُورِدُ نَفْسَهُ، والسَّيْفُ في يَدِهِ، مَوَارِدَ لا يَصْدُرُ عَنْهَا من لا[٩] يَصْدُقُ في مُجَالَدَتِهِ، ولا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا إلاَّ مَنْ تَقَدَّمَ في صَبْرِهِ وَمُدَافَعَتِهِ.

١٣ - وَلَكِنْ إذَا لَمْ يَحْمِلِ القَلْبُ كَفَّهُ   عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الكَفَّ سَاعِدُ

---

(١) «غمرة... الجري» زيادة في ل.

(٢) في ف «له».

(٣) «المراود معروفة» زيادة في ل، والمراود جميع مِرْوَدٍ؛ وهو حديدة تدور في اللجام.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) التحرز: المبالغة في الإمساك والحفظ.

(٦) «عند انبساطها» ساقطة من ل.

(٧) في ر، ف «وترفعها».

(٨) روى صاحب التبيان بيتاً قبل هذا البيت لم يرد في رواية الأفليلي أو الواحدي، وهو:
مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي عَلى القَنَا   مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتُها والقَلائِدُ

(٩) في ر، ف «لم».

ثُمَّ قـالَ[1]: ولكنَّ القَلْبَ إذا لم يَحْمِلِ الكَفَّ بِشَجَاعَتِه[2] وقُـوَّتِهِ، وصَرَامَتِه وشِدَّتِهِ[3]، على حالةٍ يَفْعَلُهـا، وطَرِيقـةٍ يَمْتَثِلُها، لم يَحْمِـلِ الكَفَّ سَاعِدُها، ولم يَبْطِشْ بها صَاحِبُها.

١٤ ـ خَـلِيـلَيَّ إني لا أَرَى غَـيْرَ شـاعِـرٍ فلِمْ مِنْهُمُ الـدَّعْـوَى ومِنِّي القصـائِـدُ

يَقولُ: خَليلَيَّ[4] إنِّي لا أرى إلاَّ مَنْ يَدَّعِي الشِّعْرَ، ويَتَعَاطَى قَوْلَـهُ، وَيَتَسمَّى به ويُحاوِلُ نَظْمَهُ، فما بَالُهم لا يَحْصُلُونَ[5] مِنْ ذلكَ إلاَّ على دَعَاوَى كَـاذِبَةٍ، وأَقْـوَالٍ مُتَخَرَّصَـةٍ، وأنفَرِدُ دُونَهم بـالقَصَائِـدِ فَأُبْـدِعُها، وبـالنَّـوادِرِ فأَختَرِعُهَا.

١٥ ـ فَـلاَ تَعْجَبَـا إنَّ السُّيـوفَ كَثيـرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الـدَّوْلَـةِ اليـومَ وَاحِـدُ

ثُمَّ قالَ لِصَاحِبَيْهِ: فلا تَعْجَبَا لِذلك، فالسُّيـوفُ كثيرةٌ في ظَـاهِرِهـا، مَوْجُودَةٌ عند الطَّلَبِ لها، ولكنَّ سيفَ الدَّولةِ المُحامِي عن حَوْزَتِها، المُدَافِعَ عن بَيْضَتِها[6]، واحِدٌ لا يُشَاكَلُ، ومُفْرَدٌ لا يُماثَلُ، فلا تُنْكِرَا أنْ تَكْثُرَ الأَشْعَارُ في ظَاهِرِها، وأَنْفرِدُ في الحقيقَةِ بِقَوْلِها، كما أَنَّ السيوفَ كَثيرةٌ في عِدَّتِها[7]، وسيفُ الـدَّولةِ مُنْفَـرِدٌ بِفِعْلِهـا. وهـذا الخُـروجُ بـابٌ من البَديـعِ يُعْـرَفُ بالاسْتِطْرَادِ.

---

(١) في ر، ف «يقول».

(٢) في ر «لشجاعته».

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «يحطون».

(٦) في ر، ف «حقيقتها».

(٧) في ر، ف «عددها».

١٦ ـ لَهُ مِنْ كَريمِ الطَّبْعِ فِي الحَرْبِ مُنْتَضٍ   وَمِنْ عَادَةِ الإِحسَانِ والصَّفحِ غَامِدُ

يَقولُ: أَنَّ سيفَ الدَّولةِ يُجَرِّدُه في الحَرْبِ كَرَمُ طَبْعِهِ، وَيَسُلُّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ[١] اشْتِهَارُ مَجْدِهِ، فإذا عَاذُوا[٢] بِفَضْلِهِ، واعْتَصَموا بِتَجَاوُزِه وَصَفْحِهِ، نَالَهُمْ من ذَلِكَ ما يَكُفُّ سَطْوَتَهُ، وأَحَاطَ بهم مِنْهُ ما يُغْمِدُ[٣] بأسَهُ وَحِدَّتَهُ، وأَبْدَعَ بالْمُطَابَقَةِ[٤] بَيْنَ مُنْتَضٍ وغامِدٍ، والْمُطَابَقَةُ أَنْ يَقْتَرِنَ الشَّيءُ بِضِدِّهِ على انتظامٍ من الكَلامِ.

١٧ ـ وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دونَ مَحَلِّهِ   تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهرَ للنَّاسِ نَاقِدُ

ثُمَّ قالَ[٥]: ولما رَأيتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ[٦] ورُتْبَتِهِ، وشَهِدْتُهُم يَتَأَخَّرُونَ عن مَنْزِلَتِهِ ورِفْعَتِهِ، تَبَيَّنَ لي أَنَّ الدَّهرَ انْتَقَدَ أَهْلَهُ وتَخَيَّرَهُم، وامْتَحَنَ جَمِيْعَهُم وَتَدَبَّرَهُم، فَقَدَّمَ سَيْفَ الدَّولةِ عَلَيْهم، لِشَرَفِ خِلاَلِهِ، ورَأَّسَهُ فيهم، لاشْتِهارِ خِصَالِه[٧].

١٨ ـ أَحَقُّهُمْ بالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطُّلَى   وبالأمرِ[٨] مَنْ هَانَتْ عَليه الشَّدَائِدُ

يَقُولُ: أَحَقُّهم بِأَنْ يَمْلِكَ السَّيْفَ، مَنْ ضَرَبَ به الأَعْنَاقَ في الحربِ،

---

(١) في ر، ف «أعاديه».
(٢) في ف «عادوا».
(٣) في ف «يعمد».
(٤) في ل «وطابق بين».
(٥) في ر، ف «يقول».
(٦) «محلّه» زيادة في ل.
(٧) في ف «خصامه».
(٨) في رواية التبيان «بالأمن».

وتَقَدَّمَ به[1] في مَوَاقِفِ البأسِ[2]، وأحَقهُمُ[3] بِتَدْبيرِ الأُمورِ من هَانَتِ الشّدائِدُ عَلَيه بِجَلَدِهِ، واسْتَسْهَلَ الاقتحامَ فيها بِصَبْرِهِ، وأَحسَنَ التَّصريفَ لَهَا بتَدْبِيرِهِ. يُشيرُ بذلكَ إلى سَيْفِ الدَّولةِ.

١٩ ـ وَأَشْقَى بِلادِ اللهِ ما الرُّومُ أَهْلُها بِهذَا وَمَا فيها لَمِجْدِكَ جاحِدُ

ثُمَّ قالَ: وأشْقَى بلادِ اللهِ، بِرِئَاسَةِ سَيْفِ الدَّولةِ وإِمَارَتِهِ، وما اشْتَهَرَ من فَضْلِهِ وسِيَادَتِهِ، البِلَادُ التي أهلُهَا الرُّومُ، وما فيها مَعَ ذَلكَ، وأقبلَ على مُخاطبةِ سيفِ الدَّوْلَةِ، فقال: وَمَا فيها[4] جَاحِدٌ لِفَضْلِكَ، ولا مُنْكِرٌ لِمَجْدِكَ، بل جَميعُهُم يَقُولُ[5] بِفَضْلِكَ، وإنْ لا يَوَدُّكَ، وَيُعَظِّمُكَ وإن كان لا يُحِبُّكَ.

٢٠ ـ شَنَنْتَ بِها الغَاراتِ حَتَّى تَرَكْتَها وَجَفْنُ الَّذي خَلْفَ الفَرَنْجَةِ سَاهِدُ

السَّاهِدُ: الذي لا يَنامُ[6].

فيقُول: شَنَنْتَ الغاراتِ في بِلادِ الرُّومِ، حتى تَرَكْتَها وجَفْنُ الذي خَلْفَ الفَرَنْجَة مِنْهُم[7] ساهِدٌ لِخَوْفِكَ، مُتَوَقِّعٌ لأَمْرِك، فما ظَنُّكَ بِمَنْ دَنَا مِنْكَ وجَاوَزَكَ، واتَّصَلَ بأعمَالِكَ وقَارَبَكَ.

٢١ ـ مُخَضَّبَةٌ[8] والقَومُ صَرْعَى كَأَنَّها وإنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ

---

(١) به ساقطة من ل.
(٢) في ر، ف «الناس».
(٣) الواو ساقطة من ر، ف.
(٤) «فقال وما فيها» ساقطة من ر، ف.
(٥) «يقول» ساقطة من ل.
(٦) «الساهد... ينام» زيادة في ل.
(٧) «منهم» زيادة في ر،ف.
(٨) في ر، ورواية الواحدي والتبيان «مُخَضَّبَةٌ» بالرفع، على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والنصب على جعله حالاً من الضمير في تركتها.



ثُمَّ قالَ: مُخَضَّبَةٌ تلكَ الأَرضُ بدماءِ أَهْلِها، وهم صَرْعَى في عِراصِها[1]، مُكِبُّونَ على وُجُوهِم بَيْنَ مَنَازِلها، كأَنَّها مَساجِدُ، وإن لم يَكُونُوا فيها ساجِدين، ومَوَاضِعُ عِبادَةٍ، وإنْ كانوا إلى العِبَادِةِ غَيْرَ قَاصِدينَ.

٢٢ ـ تُنَكِّسُهُمْ والسَّابِقَاتُ جِبَالُهُم وَتَطْعُنُ فيهم والرِّمَاحُ المَكَائِدُ

السَّابِقَاتُ: الخيلُ[2].

ثُمَّ وَصَفَ حالَ أولئكَ، فقالَ: تُنَكِّسُهم والخيولُ جِبالُهم[4]، يُرِيدُ: أَنَّهم لا يَتَعاطَوْنَ مُقاتَلَتَكَ بالخَيْلِ، وإِنَّما يَعْتَصمونَ مِنْكَ بالجِبالِ، فهي خَيْلُهم[5]، واسْتِنْزَالُهم[6] منها تَنْكِيسُهُم، ونَقَلَ الكَلاَمَ على سَبِيلِ الاستعارَةِ، ثُمَّ قَالَ: وتَطْعُنُ فيهم بِغَيْرِ الرِّماحِ؛ لأَنَّهم يَعْجِزُونَ عن مُبارَزَتِك، فَتَسْتَعْمِلُ فيهم من مَكَائِدِك ما تَفْتَحُ مَعَهُ حُصُونَهم، وتُوَجِّه إليهم من تَدْبِيرِك ما تَصْدَعُ[7] بِهِ قُلُوبَهُمْ، فَتُنْزِلُهم مِمَّا ارتَفَعُوا إليه بِعَزْمِكَ، وَتَطْعُنُ فيهم حَيْثُ تَحرَّزُوا منك بِرَأْيِكَ.

٢٣ ـ وتَضْرِبُهُمْ هَبْراً وَقَدْ سَكَنُوا الكُدَى كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرَابِ الأَسَاوِدُ

الهَبْرُ: القَطْعُ[8].

---

(١) العِرَاصُ: جمع عَرْصَة، وهي كل بقعة أو ساحة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٢) «السابقات: الخيل» زيادة في ل.

(٣) «ثم... أولئك» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال تنكسهم وخيولهم حيالهم».

(٥) «فهي خيلهم» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «واستنزالك لهم».

(٧) في ر، ف «تصرع».

(٨) «الهبر: القطع» زيادة في ل.

فيقول[1] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: [2] وتَضْرِبُهُمْ ضَرْباً يَفْصِلُ ما وَقَعَ عَلَيْهِ، وقد فَرُّوا مِنْكَ إلى الكُدَى[3]، فَسَكَنُوها مُعْتَصِمينَ بها، وَحَلُّوها[4] مُسْتَتِرِينَ فيها، كما سَكَنَتِ الأَسَاوِدُ[5] بَطْنَ التُّرابِ، فلَم يَسْكُنُوها اعتِزازاً وَقُوَّةً[6]، وإنما سَكَنُوها اسْتِتَاراً وذِلَّةً، فَسَبِيلُهم فيها مَعَ عُلوِّهَا، سَبِيْلَ الأَساوِدِ في بَطْنِ[7] الأَرضِ مَعَ تَسَافُلِها.

٢٤ ـ وتُضْحِي الحُصُونُ المُشْمَخِرَّاتُ في الذُّرَى وَخَيْلُكَ في أَعْنَاقِهِنَّ قَلائِدُ

المُشْمَخِرُّ: الطَّويلُ، وذِرْوَةُ كُلِّ شيءٍ أَعْلاهُ، والجَمْعُ ذُرَى[8].

ثُمَّ قالَ: وتُضْحِي[9] الحُصُونُ المُشْمَخِرَّاتُ[9]، الرفيعةُ المكانِ[11]، المُتقَنَةُ البُنْيَانِ، المُتَّحِدَةُ في ذُرَى الأوعارِ، وقُنَنِ الجِبالِ، وخَيْلُكَ مُتَسابِقَةٌ إليها، مُتَغَلِّبَةٌ عليها، قد أَحَاطَتْ بها، إحَاطَةَ الأَطْوَاقِ بالأعناقِ[12]، والقَلائِدِ بالأَجْيَادِ.

٢٥ ـ عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهِنْزِيطَ حَتَّى ابْيَضَّ بالسَّبْي آمِدُ

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) الواو ساقطة من ل.

(٣) الكدى: جمع كُدْيَة وهي الأرض الغليظة الشديدة الصلابة.

في ر، ف «وخلوها». بخاء معجمه.

(٥) الأساود: جمع الأسود، وهو العظيم من الحيات، وفيه سواد.

(٦) «اعتزازاً وقوةً» ساقطة من ف.

(٧) كذا في ل، وفي ر، ف «بطون».

(٨) «المشمخر... ذرى» زيادة في ل.

(٩) في ف «وتحضى».

(١٠) زيادة في ر، ف.

(١١) ساقطة من ف.

(١٢) في ر، ف «في الأعناق».

اللُّقَانُ وهِنْزِيطُ: مَوْضِعانِ من بلادِ الرُّومِ، وآمِدُ: بلدٌ يكثُرُ الثلجُ في جبالِهِ[1].

فَيقولُ[2]: إنَّ هذه الخيلَ عَصَفَتْ بالرُّومِ يومَ اللُّقَّانِ فأهلَكَتْهُم، وألَحَّتْ عليهم بِهِنْزِيطَ فَهزَمَتْهُم، واجْتَلَبَتْ[3] سَبْيَهُم إلى حِيْنِ سُقُوطِ الثَّلْجِ، ومَنْعِ الشِّتَاءِ من الغزْوِ، وجَعَلَ ما ذَكَرَهُ من ابيضَاضِ آمِدَ بالسَّبْي المُجْتَلَبِ عليه[4]، إشَارَةً إلى زَمانِ سُقُوطِ الثلجِ.

٢٦ - وألحقنَ بالصَّفْصَافِ سَابُورَ فانهَوَى وذاقَ الرَّدَى أهلاهُما والجلامِدُ

الصَّفْصَافُ وسَابُورُ: حِصْنَانِ من حُصُونِ الرُّومِ فَتَحَهُما سيفُ الدَّولةِ، والانهِواءُ: لحاقُ الأَعْلَى بالأسفَلِ، وعَصَفَتِ الرِّيحُ بالشيءِ: إذا اقتَلَعَتْهُ واشْتَدَّ ذَهابُها بِهِ، فاسْتَعارَ ذلكَ أبو الطَّيِّبِ لهذه الخيلِ[5]

ثمَّ قالَ: وأَلْحَقْنَ بالصَّفصافِ شابورَ فانهوَى؛ يُرِيدُ: أنَّ سيفَ الدَّولَةِ خرَّبَ شابورَ كتخرِيبِهِ للصَّفْصَافِ، فانهَوَى كِلاَهُما، وذَاقَ الرَّدَى أَهْلُهُمَا، وعَمَّ القَتْلُ والسَّبْيُ[6] سُكَّانَهُما، ونَالَ جَلاميدَ[7] هذينِ الحِصْنَيْنِ من الرَّدى[8] بِتخْرِيْبِهِمَا، ونَقْضِ بُنْيَانِهِمَا، كالَّذي نَالَ مَنْ سَكَنَهُما، وأصَابَ مَن اعتَصَمَ بهما.

(١) «اللقان... جباله» زيادة في ل.

(٢) في ل «وقال إنها».

(٣) في ر، ف «وتجتلب».

(٤) «المجتلب عليه» زيادة في ر، ف.

(٥) «الصفصاف... الخيل» زيادة في ل.

(٦) في ل «السبي والقتل».

(٧) في ر، ف «جلامد». والجلامد: جمع جَلْمَد وجُلْمُود، وهو الصخر.

(٨) «من الردى» زيادة في ل، ف

٢٧ ـ وغَلَّسَ[١] في الـوَادي بِهِنَّ مُشَيَّـعٌ   مُبَارَكُ مـا تَحْتَ اللِّثَـامَـيْنِ عَـابِـدُ

التَّغْلِيسُ: الخروجُ في آخر الليلِ، والْمُشَيَّعُ: الشُّجاعُ، واللِّثامانِ: لثامُ المِغْفَرِ ولِثامُ العَمَامَةِ[٢].

فيقـولُ[٣]: وَغَلَّسَ[٤] بهـذه الخيـلِ مِنْ سَيْفِ الـدَّولَـةِ رئيسٌ مُشَيَّـعُ القَلْبِ، شَدِيدُ البأسِ، مُبَارَكُ الوَجْهِ، عابِدٌ لِلَّهِ بما يَحْتَمِلُ عَلَيْهِ من الجِهادِ[٥] في إعْزازِ دِيْنِهِ، وإذْلاَلِ عَدُوِّهِ.

٢٨ ـ فَتًى يَشْتَهي طُـولَ البِلادِ وَوَقْتِـهِ[٦]   تَـضِيـقُ بِـهِ أوْقَـاتُـهُ والمَقَـاصِـدُ

ثمَّ قَالَ، يُرِيدُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ: فتًى يَشْتَهي طُولَ البِلادِ لِيَبْعُدَ فيها أثَرُهُ، وطُـولَ الزَّمـانِ لِيَتَمَكَّن فيه تَصَـرُّفُهُ[٧]؛ لأَنَّ مَقَـاصِدَهُ تَضِيْقُ في الغـزوِ عَمَّا تَبْلُغُه[٨] هِمَّتُهُ[٩] وأوْقَاتَهُ تَضِيقُ في المَجْدِ عما تَنْعَقِدُ عليهِ نِيَّتُهُ[١٠].

٢٩ ـ أخـو غَـزَوَاتٍ مـا تُغِبُّ سُيُـوفُـهُ   رِقَـابُهُـمْ إلا وَسَـيْحَـانَ جَـامِـدُ

سِيْحَانُ: نَهْرٌ عظيمٌ[١١].

---

(١) في ر، ف «وغَلَّبْنَ».
(٢) «التغليس... العمامة» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «ثم قال».
(٤) في ر، ف «وغلَّبن».
(٥) «من الجهاد» زيادة في ر، ف.
(٦) في رواية التبيان «ووقتُهُ» بالرفع.
(٧) في ف «فيها تطرفه».
(٨) في ر، ف «تضيق عما تبلغه في الغزو».
(٩) في ر، ف «وهمته».
(١٠) في ر، ف «تضيق عما تنعقد عليه في المجد».
(١١) «سيحان: نهر عظيم» زيادة في ل. وسيحان: نهر بالعواصم من أرض المصيصة قريباً من طرسوس.

ثُمَّ قالَ: أخُو غزواتٍ لا يَمَلُّها، ووَقَائِعَ في الرُّومِ لا يُغِبُّها[1]، حَتَّى يَعْتَرِضَهُ الشِّتَاءُ، وَيَمْنَعَهُ الثَّلْجُ، فَحِينَئِذٍ تَرْتَفِعُ عن[2] الرُّومِ سُيُوفُهُ، وتَتَوَقَّفُ عن بِلَادِهم جُيُوشُهُ. وأشَارَ بِجمُودِ سَيْحَانَ إلى ما قَصَدَهُ من كَثْرَةِ الثَّلجِ وإكْبَابِ الشِّتَاءِ.

٣٠ - فَلَمْ يَبْقَ إلاّ مَنْ حَمَاهـا من الـظُّبـا لَمَى شَفَتَيْهـا والثُّـدِيُّ النَّـواهِـدُ

اللَّمى: حُمْرَةُ الشَّفَتَيْنِ يَغْلِبُ عليها السَّوادُ[3].

فيقولُ[4]: فلم تُبْقِ سُيوفُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ من الرُّومِ غَيْرَ النِّسَاءِ اللواتي حَمَاهُنَّ من ظُبَا[5] السُّيوفِ حُسْنُهُنَّ، وما رَغِبَهُ أهلُ الجَيْشِ من التَّمَتُّعِ بِهِنَّ.

٣١ - تُبَكِّي[6] عليهنَّ البَطارِيقُ في الدُّجى وَهُنَّ لَـدَيْنَـا مُـلْقَيَـاتٌ كَـوَاسِـدُ

البَطَاريقُ: أكابرُ الرُّومِ، والكَواسِدُ: اللواتي لا يُرْغَبُ فيهنَّ[7].

ثُمَّ قـالَ: تُبَكِّي[8] عَلَيْهِنَّ البَـطَارِيقُ من أوْليـائِهنَّ، لِتَقْصِيرِهم عن المَنْعِ[9]، وهنَّ بأيْدِينا كواسِدُ، لا نَرْغَبُ فِيهنَّ لِكَثْرَتِهِنَّ، ولا يُعْجَبُ بِهِنَّ[10] لِتَمَكُّنِهِنَّ.

---

(١) يُغِبُّها: يؤخرها.

(٢) في ر، ف «عل».

(٣) «اللَّمى... السواد» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم يقول».

(٥) الظُّبَا: جمع الظُّبَة، وهي حد السيف وطرفه.

(٦) في ر، ف «يُبَكِّي».

(٧) «البطاريق... فيهن» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «يبكي».

(٩) في ر، ف «التمتع».

(١٠) في ر، ف «منهن».

٣٢ ـ بِذَا قَضتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا   مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

ثُمَّ قالَ، مُخْبِراً عَمَّا وَصَفَهُ من إعوالِ الرُّومِ على ما يَسْتَبْشِرُ به أهلُ هذا الجَيْشِ: بِذَا حَكَمَتِ الأَيَّامُ بَيْنَ أَهْلِها، وَقَضتْ عَلَى مَنْ صَحِبَها بتَصَرُّفِها[١]، أَنْ يكونَ سُرُورُ الغَالِبِينَ في أَسَفِ[٢] المَغْلُوبِينَ، ومَصَائِبُ المَنْكُوبينَ فَوَائِدَ عهدَ قَوْمٍ آخرينَ. وهذا مثلٌ سَائِرٌ، والمَثَلُ من أرفعِ أبوابِ[٣] البَدِيْعِ، قد تَقَدَّمَ تَنْبِيْهُنَا عليه[٤].

٣٣ ـ وَمِنْ شَرَفِ الإِقْدامِ أَنَّكَ فِيهِمُ   عَلَى القَتْلِ مَوْمُوقٌ كأَنَّكَ شَاكِدُ

المَوْموقُ: المحبوبُ، والشُّكْدُ: العَطِيَّةُ، والشَّاكِدُ: المُعْطِي[٥].

فيقولُ[٦] لِسَيْفِ الدَّولةِ: ومِن شَرَفِ الإقدامِ أنَّكَ على ما تُحْدِثُهُ من القَتْلِ في الرُّومِ مَحْبُوبٌ مِنْهُم، وعَلَى ما تَغْشَاهُمْ به من المَكْرُوهِ مُفَضَّلٌ فيهم، فَأَنْتَ تَقْتُلُهُم وكَأَنَّكَ تُعْطِيْهِم، وتَسْبِيهِم وكأَنَّك تَحْبُوهم.

٣٤ ـ وَأَنَّ دَمَاً أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ   وَأَنَّ فُؤَاداً رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ، فَقَالَ: وإنَّ مَنْ قَتَلْتَهُ وأَجْرَيْتَ دَمَهُ، فَقَدْ أَبْقَيْتَ لَهُ فَخْرَاً، لِمُقَاتَلَتِهِ[٧] لَكَ، ومن أَجْلَيْتَهُ وَرَوَّعْتَهُ، فَقَدْ جعَلْتَ له عُذْرَاً في فِرَارِهِ عَنْكَ؛ لِأَنَّ من قَاتَلَكَ يُسْتَغْرَبُ فِعْلُهُ، ومَنْ فَرَّ عَنْكَ لا يُدْفَعُ عُذْرُهُ، فهذا

(١) «بتصرفها» زيادة في ر، ف.
(٢) في ر، ف «حزن».
(٣) «أرفع أبواب» زيادة في ل.
(٤) «قد... عليه» زيادة في ر، ف.
(٥) «الموموق... المعطي» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم يقول».
(٧) في ر، ف «بمقاتلته».



يَتَرَفَّعُ بما أَبْقَيْتَ لَهُ من الفَخْرِ، وهذا يَحْمَدُك[1] بِمَا[2] تَضَمَّنْتَ[3] لَهُ من العُذْرِ.

٣٥ - وكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجاعةِ والنَّدَى ... وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ

ثُمَّ قالَ: وَكُلٌّ يَرَى أَنَّ الشَّجَاعَةَ والكَرَمَ أَشْرَفُ الخِلاَلِ، وأَجَلُّ الخِصَالِ، ولكنَّ الطَّبائِعَ غَالِبَةٌ[4]، والعَادَاتِ مُسْتَوْلِيَةٌ، وأَشَارَ إلى أنَّ الرُّومَ يَعْرِفُونَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ فَضْلَ إِقْدَامِهِ، ويَعْجِزُونَ عن مُمَاثَلَتِهِ في جَليلِ أفْعَالِهِ.

٣٦ - نَهَبْتَ مِن الأَعْمَارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

يقولُ[5]: نَهَبْتَ مِنْ أعمارِ الرُّومِ[6] بِقَتْلِكَ لهم، وأَفْنَيْتَ[7] مِنْهُم بِوَقَائِعِكَ فيهم، ما لو حَوَيْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَوَصَلْتَهُ بِعُمْرِكَ، لَهُنِّئَتِ الدُّنيا بِخُلُودِك، وَمُتِّعَتْ آخرَ الأَبدِ بِبَقَائِك.

٣٧ - فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ واللَّهُ ضَارِبٌ ... وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ واللَّهُ عَاقِدُ

يَقُول[8]: فأنتَ حُسَامُ المُلْك واللَّهُ ضَارِبٌ بِكَ، وأَنتَ[9] لواءُ الدِّينِ واللَّهُ عَاقِدٌ لَكَ، وما ضَرَبَ اللَّهُ به[10] لا يَنْبُو حَدُّهُ، وما عَقَدَهُ لا يَنْحَلُّ عَقْدُهُ.

---

(١) في ر، ف «يحمد».

(٢) في ف «على من» وفي ر «على ما».

(٣) في ر، ف «بسطت».

(٤) في ر، ف «غالية».

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ل «الأعداء».

(٧) في ف «وألفيت».

(٨) زيادة في ر، ف.

(٩) زيادة في ر، ف.

(١٠) في ر، ف «وما ضرب به الله».

٣٨ ـ وَأَنْتَ أَبُو الهيجا بنُ حَمْدَانَ يابْنَهُ تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كريمٌ وَوَالِدُ

أَبُو الهَيْجَاءِ: والدُ سيفِ الدَّولَةِ، والذين ذَكَرَهُمْ بَعْدَهُ[١]، أَجْدَادُهُ على نَسَقٍ، فيقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: أَنْتَ أبو الهَيْجَاءِ أَبُوكَ، في كَرَمِهِ وَبأْسِهِ، وجَلاَلَتِهِ وَفَضْلِهِ، تَشَابَهَ مِنْكُما مَوْلُودٌ وَوَالِدُهُ، وابنٌ ومُنْسِلُهُ.

٣٩ ـ وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ، وَحَمْدونُ حَارِثٌ وحارِثُ لُقْمَانٌ، ولُقْمَانُ راشِدُ[٢]

ثُمَّ قالَ: وكذلكَ حَمْدَانُ جَدُّكَ، حَمْدُونٌ أَبُوهُ، وحارِثُ لُقْمَانُ أَبُوهُ، ولُقْمَانُ راشدٌ أَبُوهُ، كُلُّ آبائِكَ يَتَشَابَهُونَ في مَجْدِهِم، ويَتَمَاثَلُونَ في فَضْلِهِم، ويَتْلُو في الكَرَمِ آخِرُهُم أَوَّلَهُم، ويَحْكي في البَأْسِ والفَضْلِ خَلَفُهُم سَلَفَهُم.

٤٠ ـ أولئِكَ أَنْيَابُ الخِلاَفَةِ كُلُّها وَسَائِرُ أَمْلاَكِ البِلاَدِ الزَّوَائِدُ

نابُ القَوْمِ: سَيِّدُهُمْ، والجمعُ أنيابٌ[٣].

ثُمَّ قالَ: أولئكَ كلُّهُم أنيابُ الخِلافةِ، وأركانُ المَمْلَكَةِ، وزُعَماءُ الدَّولةِ، وسَائرُ أَمْلاكِ البِلادِ، الزَّوائدُ[٤] بالإِضَافَةِ إليهم، المُتَأَخِّرونَ[٥] إذا قُرِنوا بهم.

٤١ ـ أُحِبُّكَ يا شمسَ الزَّمانِ وبَدْرَهُ وإن لاَمَني فيكَ السُّها والفَراقِدُ

السُّها: نَجْمٌ صَغِيرٌ يَقْتَرِنُ بالوُسْطَى من بَنَاتِ نَعْشٍ الكُبَرِ[٦].

---

(١) في ر، ف «بعد».

(٢) ترك صرف ما ينصرف في البيت، وصَرَفَ ما لا ينصرف من الاعلام ضرورة.

(٣) «ناب... أنياب» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «زوائد».

(٥) في ر، ف «ومتأخرون».

(٦) «السُّهى... الكبر» «زيادة في ل.

والفَرْقَدانِ في بَناتِ نَعْشٍ الصُّغَر، وهما النَّجْمانِ النَّيِّرانِ من النَّعْشِ، وَجَمَعَهُمَا وهما اثنانِ؛ لأن التَّثْنِيَـةَ ضَربٌ من الجَمْـعِ، وقد يُخْـبَرُ عنهما كـما يُخْبَرُ عن الجميع، قال الله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إذ تَسَوَّرُوا المِحْرَاب، إذ دَخَلوا على داودَ فَفَزِعَ منهم، قالوا لا تَخَفْ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا﴾[1] فَأَخْبَرَ عن الاثنَيْنِ كما أَخبرَ عن الجميعِ، وذلك كَثِيرٌ في كلامِ العَرَب[2].

فَيَقُولُ[3] لِسَيْفِ الدَّولـةِ: أُحِبُّكَ يـأَيُّها الـرَّئيسُ الذي هـو في المُلوكِ كالشَّمْسِ والقَمَر بَيْنَ[4] النُّجوم، يَصْغُرون[5] وتَعْظُمُ، ويَقِلُّونَ وتَكْثُرُ، وإن لأَمَني فيكَ مِمَّن يَتَسَمَّى[6] بالرئاسَةِ، مَنْ يَحْسُدُكَ على مَدْحِي لك، وَيُنَافِسُكَ في اعْتِلاَقي بِكَ، ويَحُـلُّ أُولئكَ منـك مَحَلَّ الـوَشَلِ[7] مِنَ البَحْـرِ، وصِغَارِ الكَواكبِ من الشَّمسِ[8] والبَدْرِ. وهذا وإنْ لَمْ يَلْفِظْ بِجَمِيْعِهِ[9]، ففي فَحْوَى خِطَابِهِ ما يَدُلُّ عَلَيْهِ.

٤٢ ـ وَذَاكَ لأَنَّ الفَضْـلَ عِنْـدَكَ بَـاهِـرٌ   وَلَيْسَ لأَنَّ العَـيْشَ عِنْـدَكَ بَـارِدُ

---

(١) سورة (ص) آية ٢١، ٢٢.

(٢) «والفرقدان... العرب» في ر، ف وردت في نهاية شرح البيت باختلاف على النحو التالي «وجمع الفرقدين وهما اثنان، لأن التثنية ضرب من الجمع، وقد يخبر عنها كما يخبر عن الجمع، قال الله عز وجل: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذا تسوروا المحراب﴾ إلى قوله ﴿لا تخف خصمان﴾ فأخبر عن الاثنين كإخباره عن الجمع».
وسقط من ف «عنها كما يخبر عن الجمع».

(٣) في ر، ف «ثم يقول».

(٤) في ر، ف «في».

(٥) في ل «فيصغرون».

(٦) في ر، ف «تسمى».

(٧) الوَشَل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يَتَّصِلُ قَطْرُه.

(٨) «الشمس» زيادة في ل.

(٩) في ل. «به».

ثُمَّ قالَ[1] ولَيْسَ حُبِّي لَكَ لِدَعَةِ العَيْشِ عِنْدَكَ، وَرَفَاهِيَتِهِ فيما قَبْلَكَ، ولكنَّهُ لِبَيَانِ فَضْلِكَ، وكَرَمِ نَفْسِكَ، وارتِفَاعِ مَجْدِكَ[2]، وإنصَافِكَ لمن اعتَلَقَ[3] بِحَبْلِكَ.

٤٣ - فَإنَّ قَليلَ الحُبِّ بالعَقْلِ صَالِحٌ وإنَّ كَثيرَ الحُبِّ بالجهلِ فَاسِدُ

ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلاً، أكَّدَ به ما قَدَّمَهُ، فقالَ: فإنَّ قليلَ المَوَدَّةِ صَالِحٌ إذا بَعَثَ عليه العَقْلُ، وكثيرُهَا فَاسِدٌ إذا دَعَا إليه الجَهْلُ. يُشيرُ إلى أَنَّ القليلَ من حُسْنِ رَأيِ سَيْفِ الدَّولَةِ مَعَ تَمَامِهِ وَفَضْلِهِ، أَغْبَطُ من كثيرِ مَا يَبْذُلُه غَيْرُهُ، مِمَّن لا تُؤْمَنُ بَوَادِرُ[4] جَهْلِهِ.

(١) «ثم قال» ساقطة من ف.

(٢) «وارتفاع مجدك» زيادة في ر، ف.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) في ر، ف «بوارد».



فهرس قصائد الجزء الأول

فهرس الدراسة والتحقيق







فهرس الدراسة ومنهج التحقيق